نادي تراث الإمارات

نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام

تأليف
الدكتور زريف مرزوق المعايطة

إصدارات
مركز زايد للتراث والتاريخ

نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام

تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي بقسم الملكية
الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الاعلام والثقافة
تحت رقم أ م ف ١٣/٤ - ٢٠٠٠
تاريخ ٣٠/١/٢٠٠٠م

مركز زايد للتراث والتاريخ
ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص.ب ٢٣٨٨٨ العين - الإمارات العربية المتحدة - هاتف ٦١٥١٦٦ - ٣ - ٩٧١ ، فاكس: ٦١٥١٧٧ - ٣ - ٩٧١
P.O. Box: 23888 Al Ain - U.A.E. Tel: 971 3 615166, Fax: 971 3 615177

آكسس : تلفون: ٧١٣٨٧٧ - ٠٢ فاكس: ٧١٣٧٤٦ - ٠٢
ACCESS: Tel: 02 - 713877 Fax: 02 - 713746

نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام

تأليف

الدكتور زريف مرزوق المعايطة

إصدارات

مركز زايد للتراث والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

لعلّه لا يخفى على كل ذي لبٍّ أنّ فهم تاريخ أمتنا العربية الإسلامية من غير سبر غور النواحي الإدارية، يعدُّ ظلماً وتجنياً، ذلك أنها تشكل معلماً بارزاً من معالم تجربتها الإنسانية. إلى جانب أن دراسة التاريخ الإداري للأمّة يقفنا على خبراتها التنظيمية، وقدراتها الفائقة على تمثل الخبرات الإنسانية وصهرها في بوتقتها الحضارية. ومن ثمَّ يدلف بها إلى مرحلة الإبداع والعطاء.

إن التاريخ الحضاري للبشرية يغدو بعداً من أبعاد دراستنا لتاريخنا، مما يقدّم من جهة تصويراً حقيقياً عن سيرورة الأمة العربية الإسلامية عبر مراحل تاريخها الحضاري، ويبعد بنا من جهة ثانية عن الوقوع في حمأة الدراسات السياسية التي جعلت وكدها – بشكل مباشر أو غير مباشر – إلى تصوير التاريخ العربي الإسلامي سلسلة من الصراعات، ونمطاً من أنماط التنافر.

ولهذا حرص المركز ضمن سلسة إصداراته على منح هذه الدراسات الأولوية والأهمية ومن هنا تأتي دراسة الدواوين ملمحاً هاماً من ملامح التاريخ الحضاري للأمة العربية الإسلامية، وهو ملمح لا يمكن إقصاؤه إذا أُريد رسم صورة دقيقة لها.

وليس بخافٍ أن عصر صدر الإسلام قد شهد توحّد الأمة العربية الإسلامية فكرياً وسياسياً، فكان أسّاً متيناً وأصلاً راسخاً استمدت منه الدراسات التاريخية حيوّيتها.

وقد كان للدكتور زريف مرزوق المعايطة اليد الطولى، والفضل الأوفى، في الكشف عن معالم "نشأة الدواوين وتطورها في صدر الإسلام" عبر هذا البحث، ذلك أنه قد التزم فيه برصانة البحث العلمي المعتمد على التوثيق والتحليل، وأضفى عليه سموّ الأسلوب، ورشاقة العبارة وفصاحتها ما جعله يتغلغل إلى نفس القارئ من غير ما عنت، والله من وراء القصد.

الإهـــداء

إلى والدي

إلى روح عمي «أبو نجيب»

مع محبتي وتقديري

المؤلف

المختصرات والرموز

لقد أشير للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:

١. في حالة استعمال كتاب واحد للمؤلف والصفحة مثال

- ابن خرداذبه، ص٨
- ابن سعد، ج٥، ص٣٨٠

٢. وفي حالة وجود أكثر من كتاب للمؤلف يذكر اسم المؤلف مع الكلمة الأولى من اسم الكتاب، ويصدق هذا على المقالات أيضا مثل:

- البلاذري، أنساب، ج٢، ص٦٣
- البلاذري، فتوح، ص٤٨٣
- اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٢٠
- اليعقوبي، بلدان، ص٣٠٩

٣. وفي حالة تشابه أسماء أو ألقاب المؤلفين يذكر اسم المؤلف مع الكلمة الأولى للكتاب مثل:

- الأصفهاني (على بن الحسين)، الأغاني، ص٩٤
- الأصفهاني (حمزة بن حسن)، تاريخ، ص١٤٢

٤. في حالة استعمال أكثر من كتاب للمؤلف وتشابهت فيه الأسماء الأولى من الكتب يذكر اسم الكتاب كاملا مثال:

- ياقوت، معجم البلدان ، ج٣، ص١٠٥
- ياقوت، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٠٢

٥. استعملت الرموز والمصطلحات الآتية:

مجلد	:	م
الجزء	:	ج
نفس المصدر	:	ن.م
الصفحة	:	ص
القسم	:	ق
بلا تاريخ	:	ب .ت

المقدمــة

أن معظم الأبحاث والدراسات التي تعالج تاريخنا تركز بشكل خاص علـى النواحـي السياسية، ولم تجد الدراسات الاقتصاديـة والإداريـة علـى خطورتـها في تشـكيل الأحـداث السياسية ما تستحق من عناية واهتمام.

وانطلاقا من إيماننا بدور الدواوين في تسيير أمور الدولة الداخليـة والخارجيـة، كـان اختيارنا لموضوع هذه الرسالة التي تبحث في نشأة وتطور الدواويـن في فـترة صـدر الإسـلام، معتمدين على المعلومات المتناثرة في كتب التراث يدفعنا لذلك قلة الدراسات العلمية الحديثة في هذا الموضوع.

ويواجه الباحث في دراسة الدواوين مشـاكل متعـددة في مقدمتـها تنـوع المصـادر بـين مؤلفات تاريخية، و أدبية، وجغرافية، وفقهية، وأخرى تتعلق بالنواحي الإدارية والماليـة، هذا بالإضافة إلى قلة المعلومات وتبعثرها الأمر الذي يتطلب دراسة فاحصة للمصادر بأنواعها المختلفة.

كما وتتصف المعلومات بالاختلاف والارتباك أحيانـا ممـا يقـود إلى تكويـن آراء عـدة ونتائج مختلفة وأحكام متباينة حول نقطة معينة بذاتها، وهـذا يوجـب الكثـير مـن الـتروي والحذر في تناول الروايات ومدى الاسـتفادة منـها، وكذلـك ملاحظـة مدلـول بعـض الألفـاظ والكلمات المعربة وتطور معانيها بين فترة وأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن الدواوين التي تناولتها الدراسـة لم تنشـأ في وقـت واحـد، بـل نشأت في فترات مختلفة، يرجع بعضـها إلى العـهد الراشـدي، ويرجـع بعضـها إلى العصـر الأموي.

وقد حاولت التوسع في الحديث عن كل ديوان منذ النشـأة والتطـورات الـتي طـرأت عليه، كما تناولت الحديث عن حركة التعريـب للدواويـن والنقـود في الدولـة الأمويـة. وقـد قسمت الدراسة إلى مقدمة ودراسة للمصادر وأربعة فصول :-

١- الفصل الأول : مراحل نشأة وتطور ديوان الجند في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين

ويتناول تاريخ بدء العطاء، ومقاديره، وتنظيم توزيعه، ومواعيد التوزيع، والرزق، وتجهيز المقاتلة والبعوث.

بدأ العطاء بعد فرض الجزية على أهل الذمة سنة ٩هـ، إذ وزع ما يرد منها إلى المدينة تحت اسم العطاء، وقد وزع العطاء بين الناس بالسوية. ولم تكن مقاديره ثابتة بل تفاوت نصيب الفرد بتفاوت الوارد، ووزع العطاء في المدينة والأمصار بموجب سجلات، ولم يحدد موعد لتوزيعه في المدينة قبل الديوان بل كانت الأموال توزع عند وصولها بينما تم تحديد موعد لذلك في الأمصار بعد الفتح مباشرة، فقد أصدر عمر بن الخطاب في أواخر سنة ١٥هـ قرارا بتوزيع العطاء في الأمصار في المحرم من كل سنة، وعمل بهذا القرار ابتداء من سنة ١٦ هـ.

وقد اقتصر توزيع العطاء في البداية على أهل المدينة ثم ألحق بهم من شارك في الجهاد من القبائل العربية دون الأعراب الذين لم يشاركوا في الجهاد

لم يفرض الرزق في المدينة قبل الديوان وفرض للمقاتلة في الأمصار أرزاق شهرية ابتداء من سنة ١٦هـ.

قام المقاتل بتجهيز نفسه بعدة القتال، وساعد الرسول ثم الخلفاء الراشدون المحتاجين من المقاتلة على تجهيز أنفسهم، كما ساهم أغنياء المسلمين في ذلك أيضا. ولم يخرج كل المقاتلين إلى الجهاد إلا في حالات النفير العام. وكان على من يرغب أن يشارك في غزوة أو بعث أن يسجل اسمه مسبقا، وأن أراد التخلف لسبب طارئ فعليه الاستئذان من الرسول ثم من الخليفة.

وتناولت في الجزء الثاني من هذا الفصل الأصل اللغوي لكلمة ديوان ومعناها وسنة التدوين، وأسبابه، وتنظيم الديوان من حيث أسس التسجيل فيه، والعناصر التي سجلت، وأسس تقدير العطاء وطبقاته وتنظيم توزيع العطاء والرزق. وأهمية الديوان.

توصل الباحث إلى أن كلمة ديوان عربية، وتعني في تنظيم عمر سجلا بأسماء المقاتلة وعيالاتهم ومقادير أعطياتهم، وهو يختلف عن السجلات التي استخدمت في توزيع العطاء قبل الديوان بأن تلك السجلات اقتصرت على أسماء المقاتلة دون ذكر مقادير العطاء، ووزع العطاء فيها بالسوية. وقد دون الديوان في المدينة سنة ٢٠هـ لأسباب متعددة منها كثرة الأموال وازدياد عدد المقاتلة. وسجل المقاتلة في الديوان على القبائل، بدء بآل الرسول ثم الأقرب فالأقرب بهم. ولم يسجل جميع العرب في الديوان، بل سجل أهل المدينة والقبائل العربية التي شاركت في الجهاد واستثنى من التسجيل الأعراب والعبيد.

وفضل بين الناس في العطاء على أسس منها السابقة في الإسلام، والقدم في الإسلام، والغناء في الإسلام، والحاجة وتدرج العطاء في المدينة بين عطاء البدريين ومن جاء بعدهم إلى الحديبية، وأهل الأيام، وأهل القادسية واليرموك، ثم الروادف، وتدرج عطاء النساء فيها بين نساء الرسول، والمهاجرات الأول، وبقية النساء اللواتي فرض لهن عشر أعطيات ازواجهن. وسوى عمر بين الأطفال، ففرض للطفل من تاريخ ولادته مائة درهم.

صار العطاء بعد الديوان يوزع بواسطة العرفاء، فقد جعل عمر لكل قبيلة عريفا يوزع العطاء على أفرادها. وفرض عمر لأهل المدينة الرزق وجعله على التفضيل بخلاف الأمصار الأخرى التي وزع الرزق فيها بين الناس بالسوية.

وفضلا عن تسجيل المقاتلة وتنظيم العطاء والرزق، فقد ساعد الديوان على استقرار العرب في الأمصار، وسهل على الدولة جباية الزكاة والصدقات من المسجلين فيه إذا كانت تخصمها من أعطياتهم، وكان الديوان سجلا للنسب حفظت فيه أنساب العرب.

٢- الفصل الثاني: ديوان الجند في العصر الأموي

تناول العناصر المسجلة في الديوان، وتحديد أعداد المقاتلة والفرض لأعداد جديدة، وأسس تقدير العطاء ومقاديره وعطاء الموالي، وعطاء الذرية ووراثة العطاء وأرزاق الخاصة، ومواعيد توزيع العطاء.

رفض بعض الأشخاص التسجيل في الديوان لكرههم للأمويين وقلة مقدار العطاء، على أن باب التسجيل لم يعد مفتوحا أمام كل من يرغب في ذلك كما كان الحال زمن الراشدين، إذ حدد الأمويون أعداد المقاتلة في الديوان بما يتناسب مع حاجة الدولة وإمكاناتها المالية، وقد بدأ بذلك من زمن معاوية، وصار لا يفرض لأعداد جديدة إلا عند الحاجة إليهم في الفتوحات، أو لقمع الثورات، أو لتعويض ما ينقص من أعداد المقاتلة بسبب الوفيات والإصابة بالعاهات الدائمة، يضاف إلى ذلك أن الأمويين لم يفرضوا للمشكوك في ولائهم لهم في العطاء، وقد أثر ذلك على الأمصار التي ناصبتهم العداء كالعراق، إذ تسبب في انخفاض عدد مقاتلتها زمن المروانيين.

أبقى الأمويون العطاء على التفضيل، وفضلوا أهل الشام على سائر الأمصار إذ أخذ أكثرهم عطاء مرتفعا. وقد أدخل معاوية بعض التعديلات على مقادير العطاء، فجعل الحد الأعلى في جميع الأمصار واحد ٢٠٠ دينار أو ٢٠٠٠ درهم في حين اختلف الحد الأدنى من مصر لآخر. وشمل العطاء الموالي كما كان الحال زمن الراشدين إلا أن عطاءهم زمن الأمويين كان أقل من عطاء العرب باستثناء حالات محدودة، كما أن باب التسجيل في الديوان لم يعد مفتوحا أمام كل من يرغب منهم في ذلك بسبب تحديد الدولة لأعداد المقاتلة.

وحدد السفيانيون عدد من يفرض لهم من ذرية المقاتل بطفل أو طفلين، وقطع عبد الملك وولداه الوليد وسليمان عطاء الذرية نهائيا ثم أعاده عمر بن العزيز واستمر بعده إلى نهاية الدولة الأموية. ويلاحظ أن هناك صلة وثيقة بين استمرار عطاء الذرية أو قطعه وبين وراثة العطاء، إذ لم يورث عطاء المقاتل المتوفى عندما كان عطاء الذرية مستمرا وورث بعد قطع عطاء الذرية، من أجل إعالة أسرة المقاتل المتوفى.

اتخذ عمر بن الخطاب شهر المحرم موعدا لتوزيع العطاء غير أن التقيد بهذا الموعد لم يكن دائما أمرا ميسورا، وذلك لتأثر موعد التوزيع بالأوضاع المالية للدولة والفرق بين التقويمين الشمسي الذي يجبي عليه الخراج، والقمري الذي يدفع عليه العطاء، وقد لجأت الدولة في حالة عجزها عن دفع العطاء في المحرم للأسباب المذكورة إلى تقسيطه لتلافي تأخيره لأن ذلك يؤثر على الاستقرار فيها.

وفي الجزء الثاني من هذا الفصل تناولت بالبحث تواريخ إنشاء الدواوين في الأمصار وتنظيمها من حيث أسس التسجيل، وأسس تقدير العطاء ومقاديره وتنظيم توزيع العطاء.

أنشئت دواوين جند محلية في الكوفة والبصرة والشام والفسطاط زمن عمر بن الخطاب، ويرجح أن ذلك جرى بين سنتي ٢٠و٢١هـ. وأنشئ ديوانان آخرانا زمن الأمويين هما: ديوان خراسان، وديوان القيروان. وقد جرت في هذه الدواوين بعد تأسيسها عمليات توسيع وإعادة تنظيم متعددة، وسجل المقاتلة العرب في الأمصار على النسب القبلي فجعل لكل قبيلة ديوان أو سجل خاص بها، وسجل مقاتلة بعض القبائل لقلة عددهم في دواوين قبائل أخرى، وسجل الموالي في دواوين القبائل التي يوالونها أو في دواوين خاصة بهم إذا سمح عددهم بذلك ونظرا لقلة عدد أهل السابقة في الأمصار زمن الراشدين، فقد تركز التفضيل بين المقاتلة هناك على أسس أخرى منها الإسراع في الهجرة والمشاركة في معارك الفتح الأولى، والبلاء في القتال.

وقام العرافاء بمهمات أخرى منها جمع الجند عند إرسال البعوث ورفع أسماء الموتى والغائبين إلى الديوان، وتبليغ الدولة عن المشبوهين من أفراد عرافاتهم.

تماثلت الأرزاق في الأمصار إذا اشتملت على المواد الغذائية الرئيسية الحنطة والزيت والخل، وأن حصل تباين في مقدار ما يأخذه الفرد من الحنطة بين بعض الأمصار

٣- الفصل الثالث : الدواوين في العصر الأموي:

في العصر الأموي توسعت الأعمال تدريجيا، وتعددت الحاجات بتطور الأحوال مما أدى إلى ظهور دواوين جديدة، فقد ظهرت في عهد معاوية بن أبي سفيان دواوين متعددة مثل الخاتم، والبريد، والرسائل، كما تشير المصادر في عهد الوليد بن عبد الملك إلى ديوان المستغلات، وديوان الزمني. وترد الإشارة إلى ديوان النفقات في عهد سليمان بن عبد الملك ويشار إلى ديوان القاضي أيام عمر بن عبد العزيز ويشار في عهد هشام بن عبد الملك إلى دواوين الطراز، والصدقات، والأحباس، وفي أواخر هذا العصر يشار للحسبة.

درست في هذا الفصل الدواوين التي ظهرت زمن خلفاء بني أمية، وتواريخ الإنشاء، وذكرت وظائفها، وأسماء الكتاب والموظفين الذين عهدت إليهم مهمة تسيير أعمالها، وذكرت الشروط والصفات التي كانت تتوفر فيهم، واستقصيت أسماءهم.

وقسمت الدواوين إلى ثلاثة أقسام: الأول يشمل الدواوين المركزية وهي : ديوان الرسائل، ديوان الخاتم، ديوان البريد.

والقسم الثاني: يشمل الدواوين المختصة بالشؤون المالية، وهي ديوان الخراج، ديوان الصدقات، ديوان الطراز، وديوان المستغلات، وديوان النفقات وديوان الزمنى.

والقسم الثالث يشمل الدواوين المختصة بالقضاة والأحكام. وهي ديوان القاضي ودار الاستخراج والحسبة.

بدأت بديوان الرسائل فدرست نشأته ووظائفه وأهميته وعلاقته بديوان الخاتم والبريد.

كما درست ووصفت الرسائل، والتغييرات التي طرأت على كتابتها وصياغتها في العصر الأموي. وذكرت المواد التي كان تكتب بها، وطريقة حفظها وتنظيمها _ باعتبارها_ وثائق الدولة الرسمية.

ثم درست الخاتم الذي أحدثه معاوية بن أبي سفيان، وديوان البريد الذي أحدثه معاوية أيضا، والذي قام بتنظيمه وتعميمه على أنحاء الدولة الإسلامية عبد الملك بن مروان.

ودرست في هذا الفصل الدواوين المختصة بالشؤون المالية ، وبدأت بديوان الخراج الذي وجده العرب قائما في البلاد المفتوحة، فقاموا بتنظيمه وتعريبه في خلافة عبد الملك بن مروان، وقد ألحقت بدراسة هذا الديوان الضرائب الأخرى التي كان يشرف هذا الديوان على جبايتها.

وكان للصدقات ديوان يعني بشؤونها عرف بديوان الصدقات ويتولى النظر في موارد الصدقات وأوجه صرفها.

ولديوان الطراز أهميته فهو الديوان الذي يشرف على مصانع ومعامل الطراز في الدولة والطراز يعني المنسوجات الرسمية والإعلام وتحلى بسطور من الكتابة على حافة النسيج تحوي اسم الخليفة، وبعض الآيات والأحاديث.

ويتولى صاحب ديوان الطراز النظر في أمور العاملين في المصانع كما ينظر في شراء ما يحتاج إليه من الآلات والموارد وتسجيلها. وكان يشرف على خزائن الكسوة التي تحفظ فيها المنسوجات التي أنتجتها معامل الطراز.

ولديوان المستغلات أهميته فهو ينظر في كافة ممتلكات الدولة.

أما ديوان الزمنى فقد كان ينظر في شؤون أصحاب العاهات من أجل أن يأخذوا الأعطيات والأرزاق .

وأنهيت هذا الفصل بالحديث عن الدواوين المختصة بشؤون القضاة والأحكام، وهي ديوان القاضي ودار الاستخراج والحسبة وأصناف الكتاب وثقافتهم..

٦- الفصل الرابع: تعريب الدواوين والنقود.

تناول هذا الفصل تعريب الدواوين والنقود والمحاولات الأولى لتعريبها زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وهذا التعريب لا يعني تعريب الدواوين فحسب بل يعني تعريب البلاد نفسها، حيث بقيت اللغة المستعملة في دواوين الخراج هي الفهلوية في العراق، واليونانية في الشام والقبطية واليونانية في مصر، وتعرضت إلى أسباب التعريب والتي تمثل في تعريب دواوين الخراج لتمكين الولاة العرب من الأشراف أشرافا مباشرا وتاما على شؤون ولاياتهم المالية، وبعد ذلك تناولت دواوين الشام والعراق ومصر وخراسان وخطوات تعريبها. وتطرقت إلى نتائج حركة التعريب العميقة فكانت كذلك أول عملية ترجمة منظمة وجبارة لنقل كثير من المصطلحات الفارسية واليونانية والقبطية إلى العربية، مما زاد من أهمية ونفوذ اللغة العربية، التي أثبتت قدرتها على النمو والتكيف والتفاعل مع متطلبات الدولة العربية. وتعرضت في هذا الفصل إلى أهمية النقود، إذ أنها تمدنا بمعلومات هامة تتضمن أسماء الخلفاء الذين تولوا الخلافة وسنى الضرب وسمة الحكم، إذ أنها تلقي بعض الضوء على كثير من الأحداث السياسية والاقتصادية، وتعطينا صورة عن القاعدة النقدية في كل بلد سواء في الاعتماد على الذهب أو الفضة أو النحاس أو كلها مجتمعة.

وأصبحت العملة موحدة في جميع الولايات الإسلامية زمن عبد الملك بن مروان، فهو أول من أوجد النقد العربي للدولة الإسلامية، واقتفى الخلفاء الأمويون آثار عبد الملك في

ذلك . ولاشك أن إصلاح عبد الملك للنقد وإيجاده نقدا عربيا كان بمثابة حجر الأساس النهضة التجارية الإسلامية. هذا وكان لعمله أثر فعال على العلاقات البيزنطية العربية وعلى اقتصاد الشام ومصر بشكل خاص.

وخرجت بالنهاية أن تعريب الدواوين والنقود بدأ منذ خلافة عمر بن الخطاب ولكن بشكل جزئي، وأما التعريب للدواوين والنقود بشكل كلي فكان في خلافة عبد الملك بن مروان، إذ استطاعت الدولة الإسلامية أن تتحرر من اللغات غير العربية . وهكذا تمخضت حركة تعريب الدواوين والنقود عن استقلال الاقتصاد والإدارة العربية تماما، واصطبغت الدولة الأموية بصبغة "قومية" عربية في المجالين الاقتصادي والإداري ومن ثم السياسي وهي أهم الركائز التي تقوم عليها الدولة.

تحليل المصادر

إن دراسة النواحي الإدارية تتطلب التوسع في مصادر البحث بين مؤلفات تاريخية(كتب التاريخ، والطبقات، والتراجم، والأنساب)، وأدبية ، وجغرافية وفقهية ، أخرى تبحث في النواحي الإدارية، ومع أن كل صنف من هذه المؤلفات له اهتماماته، إلا أنها جميعا تناولت الموضوع من هذا الجانب أو ذاك، ولذا فقد أفاد البحث من مختلف المصادر وإن اختلف مقدار الإفادة بين مصدر وآخر.

ويأتي في مقدمة المصادر التاريخية التي زودت البحث بمعلومات قيمة تاريخ خليفة بن خياط ت٢٤٠هـ). فقد أفاد البحث في نواح شتى مثل نشأة دواوين الجند، والخاتم، والرسائل والخراج، كما أورد جداول بأسماء أصحاب الدواوين.

وفي فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ) معلومات عن ديوان الجند شملت الديوان في عهد عمر بن الخطاب وأسبابه وتاريخه وديوان الخاتم. ويأتي أهمية البلاذري من أنه يعتمد في ذلك على رواة مبكرين كالشعبي(ت١٠٣هـ)، والزهري (ت١٢٤هـ)، إضافة إلى روايات بأسناد جمعي، وتعرض لتعريب الدواوين، وأورد معلومات مختلفة عن النواحي المالية أفادت في الحديث عن ديوان الخراج. وتعريب النقود والقراطيس.

وأورد ابن طيفور (ت٢٨٠هـ) في كتابه تاريخ بغداد معلومات مهمة عن ديوان الجند وديوان الرسائل، كما ترد فيه إشارات عن ديوان الخاتم وعن تطور البريد.

وفي تاريخ اليعقوبي (ت٢٨٢هـ) معلومات عن نشأة ديوان الجند زمن عمر بن الخطاب،وتطوره في عهد عثمان وعلي. وأورد قوائم بأسماء القضاة والكتاب في عهد كل خليفة. وفيه إشارات إلى ديوان النفقات، ومقادير الخراج.

وفي كتاب الطبري (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، معلومات واسعة أفادت منها جميع فصول الرسالة، وخاصة نشأة بعض الدواوين وتناول ديوان الجند، ومقادير أرزاق الجيش، وتحدث عن ديوان الخراج والنفقات وأورد معلومات عن كتّاب الخراج وأصحاب

الدواوين، وعن تطور ديوان البريد ومهام عماله في الولايـات. وتعريـب النقـود، وبمعلومـات عن ديوان الزمني.

ومن المصادر التاريخية الهامة كتاب الوزراء والكتاب، للجهشياري (ت٣٣١هـ) إذ أفادت الدراسة منه في جميع فصولها: تحدث عن تاريخ إنشاء ديوان الجند وأورد معلومات قيمة عن نشأة معظم الدواويـن، ويكـاد الجهشـياري يكـون المصـدر الأول والأهـم عـن نشـأة الدواوين إذ انفرد بذكر دواوين كثيرة لا ذكر لها عند غيره، كما انفرد بمعلومات عـن أرزاق الكتاب وثقافتهم وآدابهم وأهميتهم ولباسهم. وأفاد البحث منـه في ديـوان الخـراج. وديـوان النفقات وحركة التعريب.

وفي الولاة والقضاة للكندي (ت ٣٥٠هـ) معلومـات عـن اختصـاص ديـوان القـاضي وكاتبه وسجلاته. وعن نشأة بعض الدواوين، وانفرد بالحديث عن ديوان الأحباس.

وأورد المسعودي (ت٣٤٥ هـ) في مروج الذهب ومعادن الجوهر بعض المعلومات عـن ديوان الجند. وعن الطراز .

وفي البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي (ت سنة ٣٥٥هـ) معلومات عـن ديـوان الجند والخاتم والبريد، كما ذكر معلومات عن مواعيد جباية الخراج، وعن التعريب.

وفي تجارب الأمم لمسكويه (ت٤٢١ هـ)، معلومات عن الأشـراف علـى الدواويـن . وعن ديوان الخراج وتطور البريد.

وأورد الصابي (ت ٤٤٨هـ) في الوزراء معلومـات مهمـة عـن الدواويـن وفي مقدمتـها ديوان الخراج. وأفاد في الحديث عن ديوان النفقات، وفيه معلومـات عـن ديـوان الـبريد لا سيما نفقاته. وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) معلومـات عـن ديـوان الجنـد: نشأته وتطوره، وعن أعداد الجند في الديـوان، وفيـه معلومـات عـن ديـوان النفقـات، وعـن البريد وتطوره ومهامه وأصحاب الدواوين والخراج وكتّابه وتحـدث عـن بعـض الأمـور الـتي أفادت في الحديث في ديوان الخراج، وعن تعريب النقود والدواوين ، وقد أفاد ابن الأثير في معظم المعلومات من الطبري.

وفي الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ) معلومـات عـن نشـأة الدواوين مثل ديوان الجند، وبيت المال، ودواوين: الخاتم، والبريد.

وأورد الأربلي (ت٧١٧ هـ) في خلاصة الذهب المسبوك معلومات عن أوجه النفقات وعن عمال البريد في الولايات، وعن أرزاق الجند.

وفي مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) معلومات قيمة عن نشأة ديوان الجند وأسبابها، وعن نشأة ديوان الرسائل، وعن مكانة صاحبه وأعماله كما أوردت معلومات عن ديوان الخاتم، وفيها معلومات هامة عن أعمال ديوان الخراج، وعن مقادير الجباية، والطراز ووظيفة صاحبه. وتناول المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في الخطط نشأة ديوان الجند وأسبابها وانفرد بمعلومات عن إعادة تدوين ديوان مصر في العهد الأموي، كما أشار إلى إسقاط العرب من ديوان الجند.

وأورد النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) معلومات عن ديوان الجند وعن الطراز والتعريب.

وفي كتب النسب معلومات عن أرزاق الجند فقد أورد مصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) في كتابه نسب قريش معلومات عن الأرزاق وعن دور العرفاء، وذكر الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) في كتابة جمهرة نسب قريش مقادير الأعطيات والأرزاق.

وفي كتب التراجم معلومات قيمة عن الدواوين ففي معجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) معلومات عن مؤهلات كتاب الدواوين وثقافتهم ومن برع منهم في الكتابة، ومعلومات متفرقة عن أصحاب الدواوين.

وفي وفيات الأعيان، لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) معلومات عن ثقافة الكتاب وأشهرهم، ومهام أصحاب الدواوين وبمعلومات عن أعمال عمال ديوان البريد.

وفي كتب اللغة معلومات عن الأصول اللغوية لبعض المصطلحات· ديوان، وبريد وطراز، ودينار وردهم.

ومن أهم المصادر الأدبية التي أفادت البحث:

كتاب المحاسن والمساوئ، لإبراهيم بن محمد البيهقي (ت ٣٢٠ هـ) الذي تحدث عن أصناف الكتاب وثقافة كل صنف منهم وعليه اعتمد في تقسيمهم إلى خمسة أصنافهم. وأورد معلومات عن ديوان الخاتم وتواقيع الخلفاء والعمال

وفي العقد الفريد، لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) معلومات عن ثقافة الكتاب أصنافهم. وفيه معلومات أخرى مثل نقش خواتم الخلفاء وتواقيعهم أفادت في الحديث عن يوان الخاتم.

ولأدب الكتاب للصولي (ت ٣٣٥هـ) أهمية خاصة حيث قدم معلومات واسعة فادت الدراسة منها في معظم فصولها ويبدو أنه وضع الكتاب كدليل ليسترشدوا به وقد شار الصولي إلى ذلك في المقدمة، وانتقد جهود سابقيه ممن كتبوا في هذا المجال. وقد قسم لصولي كتابه إلى أجزاء، تناول في الأول الكتابة وآلاتها، وأدواتها وفي الثاني ترتيب الكتاب ختمه، وفي الثالث وجوه الأموال وقد أفادت الدراسة منه في الحديث عن نشأة ديوان لجند وظروفها ونشأة ديوان الخاتم وأسبابها، وفي عمل ديوان الخاتم. وفي ديوان الرسائل خاصة فيما يتعلق بالأساليب والصيغ المتبعة في الرسائل الصادرة عن الديوان. أما فيما يتعلق ديوان الخراج فقد ذكر الضرائب التي ينظر هذا الديوان في جبايتها وهي الخراج والجزية. الصدقات وعشور التجارة، والخمس. وضرائب أخرى . ويأتي أهمية حديثة هنا من أنه عطي تصنيفا ديوانيا لهذه الضرائب، هذا وأورد معلومات عن أصناف الكتاب ومعارفهم لمعلوماته هنا أهمية خاصة لأنه عمل كاتبا في الدواوين.

وفي كتاب البرهان في وجود البيان لابن وهب (ت حوالي ٣٣٧ هـ) معلومات وفيرة لها أهمية خاصة لأنه كاتب ومن أسرة عريقة في العمل في الدواوين وقد أفادته هذه لخبرات في كتابه هذا .

وقد تعرض ابن وهب لمعارف الكتّاب العامة التي يشتركون فيها من الإلمام بالعربية العلوم الإسلامية وإتقان المعارف العقلية المعاصرة، وأطال في الحديث عن أصناف الكتاب أعمال كل صنف، كما تحدث عن مؤهلات ومعارف كل صنف. وتحدث عن ديوان لخراج: أعماله وموظفيه وأورد معلومات قيمة عن الضرائب، وأورد معلومات عن ديوان لرسائل، شملت معارف موظفي الديوان وأقسامه، ومعلومات عن ديوان القاضي.

وفي بعض المؤلفات الأدبية إشارات لم تخل من فائدة مثل أدب الكاتب وعيون لأخبار لابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) والاقتضاب للبطليوسي (ت ٥٢٠ هـ) الذي اعتمد في أكثر

معلوماته عن الكتاب على البرهان في وجوه البيان لابن وهب، وكتاب الامتاع والمؤانسه لأبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ هـ) ولطائف المعارف للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ).

وفي المصادر الفقهية معلومات مهمة عن الدواوين وكان أكثرها أفادة لهذا البحث كتاب الخراج لأبي يوسف (ت ٨٢ هـ) والأم للشافعي (ت ٢٠٤ هـ) والأموال لأبي عبيد (ت ٢٢ هـ) والأحكام السلطانية، للماوردي (ت ٤٥٠ هـ).

ومن أهم المصادر الفقهية كتاب الخراج لأبي يوسف فهو وثيقة هامة عن الإدارة المالية. وتاتي أهميته من أن أبا يوسف يتكلم عن واقع عايشه ومن اطلاعه الواسع كما أنه يعرض سوابق تاريخية مفيدة.

وكان من أهم ما تناوله أبو يوسف ما ينبغي أن يعمل به في السواد، أورد فيه معلومات عن واقع الخراج في السواد ووظائفه ومشكلاته، كما أشار إلى طرق جباية الخراج التي يمارسها العمال. وتعرض لنظام المقاسمة الذي طبقه المهدي وطلب من الرشيد أن يعممه. كما أورد معلومات هامة عن ديوان الصدقات شملت: الأموال المزكاة ونسبة ما عليها. وأشار إلى مساوئ جباية الصدقات من قبل عمال الخراج، وفيه معلومات هامة عن نشأة ديوان الجند وبيت المال زمن عمر بن الخطاب أخذها عن الشعبي والزهري، كما أورد معلومات عن ديوان البريد في صفات عماله ومهامهم.

وأورد الشافعي في كتابه الأم معلومات تتعلق بالضرائب مثل الخراج والجزية وعشور التجارة والصدقات والأخماس، والنقود.

وفي كتاب الأحكام السطانية للماوردي معلومات أفاد منها البحث جوانب متعددة، فقد تناول نشأة ديوان الجند واختصاصه وديوان الرسائل واختصاصه وثقافة كتاب الرسائل والجند والخراج وفيه معلومات عن ديوان الخراج شملت: أعمال الديوان والضرائب التي يجيبها، وأورد معلومات عن تعريب الدواوين وعن تعريب السكة.

ولم تخل المصادر الجغرافية مثل كتاب البلدان لليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) ومختصر البلدان لابن الفقيه (ت ٢٨٩ هـ) والأعلاق النفيسة لابن رستة، (ت ٢٩٠ هـ) والتنبيه والإشراف للمسعودي (ت ٢٤٥ هـ)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) من

إشارات مفيدة فمثلا قدم اليعقوبي في البلدان معلومات فريدة عن نشأة بعض الدواوين ، مثل ديوان الجند، وديوان البريد وديوان الخراج ومقادير الجباية في معظم الأمصار.

وفي المسالك والممالك لابن خرداذبة معلومات أفادت في الحديث عن ديوان الخراج إذ أورد قوائم بمقادير الخراج، وأورد معلومات عن سكك ومحطات البريد في الدولة، ونفقاته، كما ذكر مقادير الصدقات، وأفاد كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي في الحديث عن الإشراف على الدواوين هو يذكر كتاب كل خليفة.

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي إشارات إلى ديوان الجند وديوان الخراج، ومقادير الجباية.

وفي المؤلفات المعنية بالنواحي الإدارية معلومات وفيرة وقيمة، مثل كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامه بن جعفر (ت ٣٢٩ هـ)، ومفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٣٥ هـ)، وقوانين الدواوين لابن مماتي (٦٠٦ هـ) وصبح الأعشى للقلقشندي (ت ٧٤٨ هـ)، وتخريج الدلالات السمعية للخزاعي ، (ت ٧٨٩ هـ).

وفي كتاب الخراج لقدامة بن جعفر معلومات واسعة أفادت البحث في معظم فصوله. وتأتي أهمية معلومات قدامة بأنه كان من كتاب الدواوين وله خبرات عملية واسعة.

تحدث قدامة عن إدارة أكثر الدواوين، كديوان الخراج، وتحدث عن الضرائب التي ينظر بجبايتها، وأورد قائمة عن الخراج، وتحدث عن ديوان النفقات، وأورد معلومات مهمة عن ديوان الرسائل فيما يتعلق بالأساليب المتبعة في كتابة الرسائل وثقافة كاتب الرسائل وتدريبه. وتوسع في الحديث عن ديوان البريد، إذ أورد معلومات شملت صاحب البريد وعمال البريد، وعن سكك البريد، بين أجزاء الدولة، وفيه معلومات قيمة عن دواوين الجند، والتوقيع والخاتم إضافة إلى معلومات أخرى.

وفي مفاتيح العلوم للخوارزمي معلومات هامة عن بعض مجالس ديوان الخراج وأعماله وعن ديوان كتاب ديوان الرسائل ، وعن ديوان الجند إذ تحدث عن تسجيل الجند في الديوان، وأفاد البحث منه في تعريف بعض المصطلحات المستعملة في الدواوين.

ومن المصادر الإدارية التي أفادت البحث كتاب صبح الأعشي في صناعة الإنشاء للقلقشندي، ومع أنه متأخر إلا أن فيه معلومات تتصل بالقرون الأولى إذ أفاد في الحديث

عن نشأة الدواوين الأولى وأسبابها كديوان الجند والرسائل والبريد والخاتم. وفيه معلومات عن ديوان الطراز ، وتعرض لأدب الكتاب وأصنافهم.

وقد احتوى كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي على معلومات أفادت في الحديث عن نشأة الدواوين. مثل دواوين الجند والبريد والخاتم. كما ذكر معلومات عن مهام صاحب البريد وعماله

وهناك عدد من المصادر الأخرى أفاد منها البحث أشير إليها في الهوامش.

تأتي في مقدمة المؤلفات العربية الحديثة التي اهتمت بالنواحي المالية والإدارية. مؤلفات عبد العزيز الدوري في كتبه النظم الإسلامية ومقدمة تاريخ صدر الإسلام. ومقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، وتاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. والتكوين التاريخي للأمة العربية، وفي مقالاته عن الضرائب والإقطاع. ونشأة الثقافة العربية الإسلامية ، كما اهتم صالح العلي في كتابه التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري ومحمد كرد على في كتابه الإدارة العربية بالمؤسسات التنظيمية والمالية والإدارية في الفترة الراشدية والأموية.

كما اهتم المستشرقون بدراسة النواحي الإدارية والاقتصادية في صدر الإسلام. أمثال فلهاوزن في كتابة الدولة العربية وسقوطها، ودانيل دنيت في كتابه الجزية والإسلام. وكريستنس في كتابه إيران في عهد الساسانيين. وهناك المستشرق جروهمان الذي نشر الوثائق المحفوظة في دار الكتب المصرية في القاهرة، وهي أوراق البردي. لقد تناولت هذه المؤلفات بالبحث جوانب الموضوع كالديوان والعطاء والبريد والكتابة والطراز والعقود المالية. وقد أفادت هذه في التعرف على جوانب الرسالة ابتداء وبالتعريف على مصادر البحث.

الفصل الأول

مراحل نشأة وتطور ديوان الجند
في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين

الفصل الأول

مراحل نشأة وتطور ديوان الجند في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين

١- العطاء قبل إنشاء الديوان

أرسى الرسول (ص) في المدينة عاصمة الدولة الإسلامية أسس النظام الإداري في الإسلام، ويستطيع الباحث أن يستنبط من المادة التاريخية التي تقدمها المصادر الإسلامية أن رسول الله (صلى) وضع اللبنات الأولى لجهاز إداري منظم.

كان رسول الله (ص) يستعين بمجلس للشورى، كما كان يتخذ كتاباً للمراسلات بينه وبين الملوك والحكام المجاورين، فقد كان عبد الله بن الأرقم يجيب على الملوك والرسل، وكان له كاتباً للعهود وهو علي بن أبي طالب كرم الله وجه، وكان له صاحب سر هو حذيفة بن اليمان، كما أنه اتخذ قائما على خاتمه وتسمى المصادر الحارث بن عوف المري، كما تذكر أيضا أن الرسول (ص) كان يضع على خاتمه الربيع بن صيفي بن أخي أكثم.

واتخذ رسول الله (ص) من يقوم على المداينات، وكان له ترجمانا بالفارسية والقبطية والرومية هو زيد بن ثابت، وقيل إنه كان يترجم أيضا من الحبشية والعبرية. كما أن رسول الله صلى) استعمل ولاة في شبه الجزيرة العربية فكان منهم عتاب بن أسيد الذي استعمله على مكة، وأرسل معاذ بن جبل على اليمن.

وقد أرسل الرسول (ص) رسله وسفراءه إلى الملوك، فأرسل حاطب بن أبي بلته إلى المقوقس، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن على الحنفي، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي.

وكانت ميزانية الدولة بسيطة، وكان الفئ يقسم على المسلمين حاضري المواقع، ومن المهم الإشارة إلى أن رسول اله (صلي) أراد إحصاء الناس إلا أن الديوان لم ينشأ إلا في عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وكان الجيش في نفقته وتمويله في حياة الرسول، يعتمد على المسلمين بما يعدون من السلاح بأنواعه في تجهيز أنفسهم وما يتخذون من خيل وغيرها إضافة إلى ما كانوا يقدمون من نفقة وصدقة يتطوعون بها بين يدي الرسول في سبيل الإنفاق على من كانت الحاجة تقصر بهم عن النفقة وتقعدهم عن الخروج إلى القتال، وكان المسلمون يتدبرون المال مما كان بين أيديهم من زراعة أو تجارة أو أبل وماشية أو حظهم من الغنائم، وكان الجيش يعتمد من جهة أخرى على الرسول باعتباره ولي أمر المسلمين ويلي من الأموال ما كان يأتيه من خمس الغنائم أو يأخذه منها خالصا له. أو يدفعه إليه أهل الذمة على سبيل الجزية، فكان يخرج من ذلك في شراء السلاح والخيل والنفقة على من يرسلهم في تعلم صنعة السلاح واكتسابها وتجهيز الجند وحملهم في الخروج إلى القتال، إضافة إلى ما كان يصرف من أموال الزكاة في هذا السبيل.

اقتصر نصيب المسلم ابتداءً على حصته من غنائم الغزوات الناجحة التي يشارك فيها. وقد بدأ توزيع الغنائم في السنة الثانية للهجرة حيث نزلت سورة الأنفال[1] . وبناء على ما جاء في آية الغنائم. قال تعالى " واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"[2]. كانت الغنائم تقسم إلى خمسه أجزاء، خمسها لمن سمت الآية الكريمة والأربعة أخماس الأخرى توزع على المشاركين في الغزوة[3]. أما غير المشاركين فلم يكن يقسم لهم في العادة باستثناء حالات محددة قسم فيها لعدد من الرجال الذين لم يتمكنوا من المشاركة في الغزوات لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد كلفهم بواجبات أخرى، فاعتبرهم كالمشاركين وأسهم لهم؛ فقد أسهم الرسول لثمانية نفر لم يشهدوا بدرا في غنيمتها منهم عثمان بن عفان إذ خلفه على ابنته رقيه لأنها كانت مريضه، وطلحه بن عبيد الله وسعيد بن زيد، وقد بعثهما الرسول يتحسسان خبر العير.[4]

---

[1] الطبري، تاريخ، ج٢، ص٧٧٤.
[2] سورة الأنفال، آية: ٤١.
[3] أبو يوسف، الخراج، ص ١٨، يحيى بن أدم، الخراج، ص ١٨-١٩، أبو عبيد، الأموال، ص٢١.
[4] الواقدي، المغازي ، ج١، ص١٠١، ج٢، ص٦٨٣.

أما النساء والصبيان الذين يحضرون الغزوات فيساهمون في جلب الماء وإسعاف الجرحى، والعبيد الذين يساعدون سادتهم في القتال فلم يكن يضرب لهم بسهم في الغنيمة بل كان يرضخ لهم منها[٥] أي يعطون أشياء لا توازي في قيمتها سهم الرجل الحر. وقال محمد بن اسحق "شهد مع رسول الله خيبر نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن من ألفي، ولم يسهم لهن[٦]

وكان للشهداء نصيب من غنيمة الغزوة التي شاركوا فيها يعطى لذويهم فقد ضرب الرسول لأربعة عشر رجلا قتلوا معه في بدر بسهامهم في الغنيمة منهم سعد بن خيثمه. وفي ذلك يقول ابنه عبد الله بن سعد بن خيثمه " أخذنا سهم أبي الذي ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قسم الغنائم، وحمله إلينا عمير بن ساعده[٧]. وضرب الرسول لرجلين قتل أحدهما ومات الآخر لكل منهما بسهم في غنائم بني قريظة[٨]. واسهم الرسول أيضا لشهداء المسلمين في خيبر[٩].

وكان نصيب الرسول من الغنيمة يتمثل في صفيّه، ما يختاره من كل غنيمة وسهمه مع المسلمين في الأربعة أخماس هذا إضافة إلى نصيبه في الخمس فيذكر أبو يوسف أنه " كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل غنيمة صفّي يصطفيه: أما فرس وأما سيف وأما جارية، فكان صفيه يوم بدر سيف عاصم بن منبه. ويوم خيبر صفية بنت حيي، وكان نصيبه من الخمس ما قسمه في أزواجه من ذلك الخمس. وسهمه مع المسلمين في الأربعة أخماس" [١٠] بالإضافة إلى ذلك فقد جعل الله تعالى ما يؤخذ من المشركين بغير قتال خالصا للرسول دون غيره من المسلمين يتصرف فيه الرسول حسب ما يراه مناسبا ويضعه حيث يشاء، قال تعالى. وما أفاء الله على رسوله

---

(٥) مالك، المدونه، ج٢، ص٦، أبو يوسف، الخراج، ص ١٩٨، الشافعي، الأم، ح٤، ص١٦٥. (الرضخ: العطية القليلة).

(٦) ابن هشام، ج٣، ص:٣٥٧، الواقدي، ح٢، ص:٦٨٨.

(٧) الواقدي، ح١، ص١٠٢.

(٨) الواقدي، ح٢، ص :٥٢١.

(٩) الواقدي، ج٢، ص ٦٨٤.

(١٠) أبو يوسف، ص : ٢٢-٢٣.

منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء"[11].

ومما أفاء الله على رسوله بغير قتال أموال بني النضير[12]. وفدك [13] فقسم الرسول من أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين هما: أبو دجانه سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف[14].

وسبب توزيع أموال بني النضير على المهاجرين دون الأنصار هو حاجة المهاجرين وقله أموالهم[15] لم يقسم الرسول جميع أموال بني النضير بين المهاجرين بل أبقى شيئا منها لنفقاته فيذكر الكلبي " أن رسول الله قسم أموال بني النضير إلى سبعة حوائط أمسكها ولم يقسمها[16] فكان ينفق منها نفقه سنته وما بقى جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله[17]أما فدك فجعلها لأبناء السبيل ولم يقسمها[18]. وفي أواخر عهد الرسول ظهر مورد آخر غير الغنيمة وهو أموال الجزية التي فرضت على أهل الذمة، ففي السنة التاسعة للهجرة نزلت آية الجزية وفرضها الرسول بعد منصرفه من تبوك على عدد من القرى والمدن إذ صالح صاحب أيلة وأهل اذرح وجرباء وصاحب دومه الجندل على دفع الجزية [19] وعندما عاد إلى المدينة فرض الجزية على أهل الذمة في المدينة ومكة وعلى نصارى نجران[20]، وعلى مجوس ويهود ونصارى البحرين[21] وكانت الأموال التي ترد من هذه البلاد توضع في مسجد الرسول فيقوم بتوزيعها على المسلمين (٢٢)، وأكثر الإشارات التي تسمى مصدر الأموال التي وردت

---

(١١) سورة الحشر، آيه: ٦.

(١٢) يحيى بن آدم، ص: ٣٤، ٣٦.

(١٣) يحيى بن آدم، ص: ٣٦، الطبري، ج٣، ص:٢٠.

(١٤) يحي بن آدم، ص: ٣٤

(١٥) يحيي بن أدم، ص: ٣٥.

(١٦) يحي بن آدم، ص: ٣٨.

(١٧) يحيي بن آدم، ص: ٣٦.

(١٨) يحيي بن آدم، ص: ٣٦

(١٩) الواقدي، ج٣،ص:١٠٢٧،١٠٣٢، الصولي أدب، ص: ٢١٤، ابو عبيد ص ٤٦، الطبري، ج٣: ص. ١٠٨-١٠٩.

(٢٠) أبو يوسف، ص ١٧٢، ص: ٣٩، الطبري، ج٣، ص: ١٤٧، الصولي، ص ٣١٤.

(٢١) أبو يوسف، ص١٣١، أبو عبيد، ص : ٤٥-٤٦، الصولي ، ص ٢١٤.

إلى المدينة ووزعت بالفعل تذكر أنها من البحرين[٢٣] وقد أطلق على ما وزعه الرسول من هذه الأموال اسم العطاء[٢٤]. وذكر البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم " بعث إلى عمر بن الخطاب بعطائه فرده فقال له ما كان من غير مسأله فهو رزق رزقك الله . [٢٥] وذكر عبد الله بن عمر أن الرسول كان يعطي المحررين من العبيد العطاء[٢٦]

وهكذا يمكن القول بأن العطاء بدأ في أواخر عهد الرسول، وعلى وجه التحديد منذ السنة التاسعة للهجرة بعد فرض الجزية على أهل الذمة[٢٧].

إتبع الرسول (ص) مبدأ التسوية بين الناس في العطاء فيذكر اليعقوبي أن الرسول سوى بين الناس في العطاء ولم يفضل أحمر على أسود ولا عربيا على عجمي[٢٨]. وقال عوف بن مالك الأشجعي كان رسول الله إذا أتاه في قسمه من يومه فأعطى الأهل المتزوج- حظين وأعطى الأعزب حظا واحدا [٢٩] ويفهم مما ذكر أن الرسول ساوى بين الرجل والمرأة في العطاء. وأنه لم يعط الأطفال شيئا.

وساوى أبو بكر في خلافته بين الناس عامة في العطاء ذكر أو يوسف أن أبا بكر جاءه مال "فقسمه بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكر والانثى[٣٠]. وقال الواقدي كان أبو بكر يسوي بين الناس في القسم الحر والعبد والذكر والأنثى والكبير والصغير فيه سواء [٣١]. يفهم من قول أبي يوسف والواقدي أن أبابكر سوى بين الرجل والمرأة كما فعل الرسول وأنه أعطى العبد والحر بالسوية، ويؤيد ذلك

---

(٢٣) التسافعي، ج٤،ص: ١٤٠، البحاري: صحيح، ج٤، ص :١١٩، أبو هلال العسكري، الأوائـــل، ص ١٢٣، ١٣٣، الصولي، ص ١٨٩وابن الجوري، سيرة عمر بن الخطاب، ص ١١٩.

(٢٤) التسعاني المصنف، ج١١، ص: ١٠٤، البخاري ، صحيح، ج٢، ص:١٥٢ (المشرف: الذي يلح في المسالة).

(٢٥) البحاري. صحيح، ج٤، ص:٣٠٢، مسلم صحيح، ج٢، ص: ٧٢٣

(٢٦) البيهقي ، السنن، ج٦، ص:٣٤٩، البرهان فوري كنـــر، ج٤، ص:٥٢١.

(٢٧) العطاء في اللغة يعني الهبه أنظر ابن منظور لسان، ج١٩، ص: ٣٠٠ (مادة عطا).

(٢٨) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص ١٤٤.

(٢٩) أبو عبيد، ص : ٣٤٤، البيهقي، ج٦، ص: ٣٤٦، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٥، ص:١٥٢.

(٣٠) أبو يوسف، ص٤٢، التسافعي ، ج٤، ص١٤٨، أبو عبيد ص: ٣٧٣، الصـــولي، ص ١٨٩، أبـــو هـــلال العسكري، ص : ١٣٣، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص: ١٣٦، الماوردي الأحكام ص: ٢٠٠، البيهقي، ج٦، ص : ٣٨٤.

(٣١) ابن سعد الطبقات، ج٣، ص:٢١٢، البلاذري فتوح ، ص:٦٣٢.

قول عبد الرحمن بن أبي قرة وكان عبدا- " قسم لي أبـو بكـر كمـا قسـم لسـيدي"[٣٢] ويبدو أن سياسة التسوية المطلقـة دون نظـر إلى سـابقة أو قـدم أو فضـل في الإسـلام لم ترضى البعض فطالبوا بتفضيلهم على من هم دونهم منزلة، ذكر عبد الله من أبي نجيح المدني أن أناسا من الصحابة جاءوا إلى أبـي بكـر فقـالوا: يـا خليفـة رسـول الله أنـك قسمت هذا المال فسويت بين الناس فيه ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم فلـو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل.[٣٣] وأثار عمر بن الخطاب مثل هذا التساؤل حـين قال لأبي بكر " أتسوي بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف "[٣٤] يبدو إذاً أن أهل السابقة في الإسلام من مهاجرين وأنصار هم الذين طالبوا بالتفضيل، ولعل مطالبتهم بالتفضيل جـاءت للحفـاظ علـى مكانتـهم بعـد دخول أعداد كبيرة من الناس في الإسلام في خلافة أبي بكر.

وقد دافع أبو بكر عن رأية في التسوية بين الناس قائلا أما ما ذكرتم مـن السـوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك، وإنما ذلك ثوابه علـى الله جـل ثنـاؤه وهـذا معـاش الأسوة فيه خير من الأثر"[٣٥] وأجاب على تساؤل عمـر بقولـه " إنمـا عملـوا لله وإنمـا أجورهم على الله، وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب"[٣٦] أن انشغال المسلمين بحركـة الـردة ثم بالفتوحات حد من اتجاه المطالبة بالتفضيل على السابقة في زمن أبو بكر وقسم مـن خلافة عمر.

لم يكن نصيب الفرد من العطاء ثابتا إذ لا يوجد عطاء مقرر، بل اعتمد على مقدار الأموال الواردة إلى المدينة ذكر أبو يوسف "أن أبـا بكـر قسـم المـال في العـام الأول مـن خلافته فخرج على سبعة دراهم وثلث لكل إنسان، فلما كان العام المقبل، جـاءه مـال كثير هو أكثر من ذلك فقسمه بين الناس فأصاب كل إنسان عشرين درهما[٣٧]، وقالـت

---

[٣٢] أبو عبيد، ص: ٣٤٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص:٨٢٨، ابن حزم المحلي، ح٧، ص:٣٣٢، البيهقي، ج٦، ص:٣٤٨.

[٣٣] أبو يوسف، ص: ٤٢.

[٣٤] الماوردي، ص ٢٠١.

[٣٥] أبو يوسف، ص:٤٢، البيهقي، ج٦، ص:٣٨٤

[٣٦] الماوردي، ص:٢٠١، ابن قدامه "المغني" ج٦، ص:٤١٦، النويري، ج١٩، ص:١٠٩.

[٣٧] أبو يوسف، ص٤٢.

عائشة رضى الله عنها" قسم أبي أول عام الفئ فأعطى الحرّ عشرة، وأعطى المملوك عشرة، والمرأة عشرة وأمتها عشرة، ثم قسم في العام التالي فأعطاهم عشرين عشرين [٣٨]، وذكر الصولي أن أبا بكر جاءه مال من البحرين فقسمه "فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك، وجاءه في العام الثاني أكثر من ذلك فأصابهم عشرون درهما لكل واحد منهم .[٣٩]

واستمرت التسوية في العطاء فترة من خلافة عمر فيذكر أبو يوسف أن عمر اتبع رأي أبي بكر في التسوية بين الناس فلما جاء فتح العراق شاور الناس في التفضيل ورأي أنه الرأي [٤٠]. وقسم عمر مرة على أهل مكة عطاء، فأصاب كل واحد منهم عشرة دراهم[٤١]، وقال سفيان بن وهب الخولاني الشامي عندما زار عمر الجابية وقسم ألفي بين الناس" أصاب كل رجل نصف دينار إذا كان وحده فإذا كانت معه امرأته، أعطاه دينارا[٤٢].

يتبين من هذه الروايات أن عمر سوى ين الناس في العطاء قبل تدوين الديوان، وأن مقدار ما أخذه الفرد اعتمد على مقدار الأموال المتوفرة سواء في المدينة أو الأمصار.

وكانت الأموال التي ترد إلى المدبنة أيام الرسول توضع في المسجد حيث يتولى توزيعها على أهل المدينة، ذكر البخاري "أن رسول الله أتى بمال من البحرين فقال: انثروه في المسجد. فما قام من مجلسه حتى أمضاه"[٤٣]وكان التوزيع يتم بواسطة سجل تكتب فيه أسماء من يأخذون العطاء في المدينة، ذكر الجاحظ " أن حكيم بن حزام محا نفسه من الديوان بعد وفاة رسول الله[٤٤].

وكان أبو بكر في خلافته يوزع العطاء على أهل المدينة بنفسه يظهر ذلك في أخذه الزكاة ممن وجبت عليهم عند توزيع العطاء، فيذكر القاسم بن محمد بن أبي بكر أن

---

[٣٨] ابن سعد، ج٣، ص:١٩٣، البلاذري، أنساب مخطوط، ق٢، ص:٤٨٣، المقريزي ، خطط، ج١، ص:١٦٩.
[٣٩] الصولي، ص ١٨٩، أبو هلال العسكري، ص.١٣٣، وأنظر البيهقي، ج٦، ص:٣٤٨.
[٤٠] أبو يوسف، ص:٢٤.
[٤١] ابن سعد، ج٣، ص:٣٠٢
[٤٢] أبو عبيد، ص: ٣٧٥، ابن حزم، المحلى، ج٧، ص.٣٣٤.
[٤٣] البخاري: صحيح، ج٤، ص:١١٩
[٤٤] الجاحظ، العثمانية، ص ٢٣.

أبا بكر كان إذا أعطى الرجل عطاءه سأله هل عندك مال وجبت عليك فيه زكاة؟ فإن قال نعم، أخذ منه زكاة ذلك المال، وأن قال لا، أسلم إليه عطاءه ولم يأخذ منه شيئاً[45] ويفهم ذلك أيضا مما رواه الزهري " أن أبا بكر كان يدعو حكيم بن حزام ليعطيه عطاءه فيأبى أن يقبل من شيئا، فيقول: يا معشر المسلمين أني أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا ألفي فيأبى[46]. وساعد الخليفة في ذلك كتاب حاسبون ذكر الواقدي " كان جبار بن صخر وزيد بن ثابت هما قاسما المدينة وحاسباها[47].

وكان عمر بن الخطاب في خلافته يشرف على توزيع العطاء في المدينة يساعده في ذلك صاحب بيت المال وبعض الصحابة، ويتم التوزيع وفق سجل تكتب فيه أسماء أهل المدينة، ذكر مالك أنه أتى بمال من بعض النواحي في زمان عمر فوضعه في المسجد ودعا صاحب بيت المال عبد الله بن الأرقم فقال له "اكتب لي الناس، قال قد كتبتهم، ثم جاء بالكتاب، قال : فقال له: هل كتبت الناس؟ قال: نعم، كتبت المهاجرين والأنصار المهاجرين من العرب والمحررين يعني المعتقين- قال: ارجع فاكتب فلعلك قد تركت رجلا لم تعرفه[48]

وكان عمر أحيانا يوزع العطاء بنفسه على أهل المدينة[49]. وكان أمراء الأمصار ينوبون عن الخليفة في توزيع العطاء على المقاتلة هناك يشعر بذلك قول عمر في إحدى خطبه "اللهم أني أشهدك على أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا فيهم فيئهم"[50]. وكتب عمر إلى أهل البصرة " أني قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم.. ليحصى لكم فيئكم ثم ليقسمه بينكم"[51] واستخدم إمراء الأمصار

---

(45) مالك: المدونة، ج1، ص:271-272، الموطأ، ج1،ص:245-246، الصعناني، ج4، ص:76، أبو عبيد، ص:563.

(46) الزبير بن بكار، جمهرة ، ج1، ص:366، والبخاري: صحيح، ج4، ص:113، النووي، تهذيب الأسماء، ج1، ص:167.

(47) الواقدي، ج2، ص: 712.

(48) مالك، المدونة، ج1، ص:304.

(49) ابن الجوزي ، أخبار الظراف، ص:17.

(50) أبو يوسف، ص: 94.

(51) الطبري، ج4، ص:71.

بدورهم أناسا لهم معرفة بالحساب والكتابة ليساعدوهم في توزيع العطاء. ذكر المدائني أن أهل البصرة لم يجدوا قاسما في ولاية عتبة بن غزوان "فكان زياد قاسمهم ، فاجروا عليه كل يوم درهمين، وكان غلاما في رأسه ذؤابة[٥٢] وسبب اختيارهم لزياد على صغر سنه ليقسم بينهم هو المامه بالحساب والكتابة. قال عوانة بن الحكم " لم يكن في أهل البصرة أحد يحسب ويكتب إلا زياد، فولاه عتبه بن غزوان قسم ذلك المغنم وجعل له في كل يوم درهمين"[٥٣] ويشار إلى وجود سجلات بأسماء المقاتلة في الأمصار يوزع عليهم العطاء بموجبها، ففي حديثه عن قسمة غنائم جلولا سنة ١٦هـ. قال سيف "أن زياد بن أبي سفيان هو الذي كان يكتب للناس ويدونهم" [٥٤]. وقام المغيرة بن شعبة أثناء ولايته على البصرة (١٦-١٧هـ) بوضع سجل بأسماء المقاتلة فيها ليوزع عليهم العطاء بموجبه، يذكر ابن قتيبة "أن المغيرة بن شعبة هو أول من دون ديوان البصرة"[٥٥] ويقدم أبو الفرج الأصفهاني رواية أكثر تفصيلا فيذكر أن المغيرة بن شعبة " هو أول من وضع ديوان العطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان. ثم صار لهم رسما بعد ذلك يحتذونه"[٥٦].

لم يكن هناك موعد محدد لتوزيع العطاء في المدينة. ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الأموال توزع في موعد أقصاه ثلاثة أيام من تاريخ وصولها فيذكر الجهشياري أن الرسول (ص) قال لكاتبه حنظلة بن الربيع إلزمني واذكرني بكل شئ لثالثة، فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا ذكره فلا يبيتن رسول الله (ص) وعنده شئ منه[٥٧] ويقول أبو عبيد " أن رسول الله لم يكن يقبل عنده مال ولا يبيته[٥٨] ويروي البخاري " أن رسول الله أتي بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد... فما

---

(٥٢) الطبري، ج٤، ص:٧١.

(٥٣) ياقوت الحموي، معجم، ج١، ص:٦٤٠.

(٥٤) الطبري، ج٤، ص:٢٩، وأنظر البلاذري، فتوح ، ص ٤٢١.

(٥٥) ابن قتيبة: المعارف، ص:٢٩٥، النووي، تهذيب الأسماء، ج١، ص:١١٠، ابن حجر ، الإصابة ، ج٦، ص:١٣٢.

(٥٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص:٤٣.

(٥٧) الجهشياري، الوزراء، ص:١٣، ابن مسكويه، تجارب، ج١، ص:٢٩٢

(٥٨) أبو عبيد، ص: ٣٠٤.

قام من مجلسه حتى أمضاه"[٥٩] وكان آخر مال أتي به النبي ثمانمائه ألف درهم من البحرين فما قام من مجلسه حتى أمضاه [٦٠].

ولما ولي أبو بكر الخلافة كان يوزع ما يرد إلى المدينة من أموال عند وصولها فيذكر ابن سعد أنه " كان لابي بكر بيت مال بالسنح وكان يعطي كل ما فيه حتى لا يبقى فيه شئ."[٦١] واستمر توزيع الأموال عند وصولها إلى المدينة في خلافة عمر فيذكر أبو يوسف أنه " لما قدم على عمر رضى الله عنه بأخماس فارس قال: والله لا يجنبها سقف دون السماء حتى أقسمها بين الناس"[٦٢] فوضعت في المسجد وقسمها في اليوم التالي. ويذكر الشافعي أنه لما قدم على عمر بما أصيب بالعراق قال له صاحب بيت المال: ألا أدخله بيت المال؟ قال: لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى أقسمه.[٦٣] وبعث أبو عبيدة بخمس غنائم حمص إلى عمر فلما وصل المال إلى المدينة قسمه عمر لوقته[٦٤] وكذلك فعل بمال بعث به أبو موسى الأشعري وإليه على البصرة، إذ قسمه ورسول أبي موسى لم يغادر المدينة بعد [٦٥]

وفي الأمصار تم تحديد موعد لتوزيع العطاء بعد الفتح مباشرة ، فبعد انتصار المسلمين في اليرموك ثم القادسية في أواخر سنة ١٥ هـ أصدر عمر بن الخطاب تعليماته إلى أمراء الأمصار بأن يوزع العطاء مرة واحدة في السنة، قال سيف "كتب عمر في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم عطاء واحدا سنة خمسة عشرة"[٦٦] وشرع بتطبيق هذا القرار ابتداء من مطلع سنة ١٦ هـ، إذ صار العطاء في الأمصار يوزع في المحرم من كل سنة[٦٧].

---

[٥٩] البخاري ، صحيح، ج٤، ص:١١٩.

[٦٠] أبو هلال العسكري، ص: ١٢٣، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب: ص١١٩، المقريزي، خطط ، ج١، ص:١٦٩.

[٦١] ابن سعد، ج٣، ص:٢١٢.

[٦٢] أبو يوسف، ص ٤٧.

[٦٣] الشافعي، ج٤، ص:١٥٧، الصنعاني، ج١١، ص:١٠٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٨٨.

[٦٤] ابن اعثم، الفتوح، ج١، ص:٢١٦-٢١٧.

[٦٥] ابن عبد البر، ج٢، ص: ٧١٧.

[٦٦] الطبري ، ج٣، ص:٦١٥.

[٦٧] ابن سعد، ج٣، ص.٢٨٣، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:١٤٧، الطبري، تاريخ ، ج٢، ص٤٢، ٦٤-٦٥.

كان العطاء ابتداء يقتصر على أهل المدينة، المهاجرين والأنصار ومن يهاجر إليها من العرب يوضح ذلك قول ابن الأرقم صاحب بيت المال لعمر عندما طلب منه أن يكتب له الناس ليوزع عليهم العطاء "كتبت المهاجرين والأنصار والمهاجرين من العرب والمحررين " [٦٨]. وقد كانت الهجرة إلى المدينة والمشاركة في الجهاد شرطين أساسيين للمشاركة في ألفيء قبل مكة، هذا ما بينه الرسول (ص) لكل أمير كان يبعثه على جيش أو سرية"[٦٩]فكان الرسول لا يعطي أعراب المسلمين ومن يسلم من المشركين ولا يهاجر إلى المدينة ويشارك في الجهاد عطاء ويعطي الأعراب عند حاجتهم أو تعرضهم لحمل الدماء من مال الصدقة[٧٠].

بقيت الهجرة إلى المدينة ضرورية لينال المسلم نصيبا في ألفيء حتى فتح مكة وبعد ذلك نسخت الهجرة إلى المدينة واكتفى بالمشاركة بالجهاد إذ صار هو الأساس الذي يؤهل المسلم للمشاركة في أخذ العطاء قال صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا"[٧١]

ومع بدء حركة الفتوح اتخذت الهجرة مفهوما جديدا إذ صارت تعني الخروج من الجزيرة والمشاركة في الجهاد، وقد ربط عمر بن الخطاب بين الهجرة بهذا المفهوم وبين المشاركة في العطاء بقوله " من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء فلا يلومن رجل لا مناخ راحلته"[٧٢] لهذا فإن عمر عندما وزع العطاء على الناس في الجابية تردد في القسمة للخم وجذام قائلا: والله أني أعلم أن الهجرة لو كانت بصنعاء ما خرج إليها من لخم وجذام إلا قليل"[٧٣] وعندما فرض عمر العطاء لأهل الأمصار قال " ألفيء لأهل هؤلاء الأمصار.. ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم"[٧٤].

---

[٦٨] مالك، المدونة، ج١، ص:٣٠٤، وأنظر أبو عبيد، ص ، ٣٣٠.

[٦٩] يحيي بن آدم، ص:١٩-٢٠، أبو عبيد، ص:٣٥، مسلم، صحيح، ج٣، ص:١٣٥٧

[٧٠] أبو عبيد، ص: ٣٢٨ ٣٢٩.

[٧١] البخاري، صحيح، ج٤، ص:٩٢، مسلم، صحيح، ج٣، ص:١٤٨٧، الأزرقي، أخبار، ص ٣٩٣.

[٧٢] أبو عبيد، ص: ٣١٩، ابن عبد ربه، ج٤، ص:١٣٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٠

[٧٣] أبو عبيد ، الأموال، ص. ٣٧٤، ابن عساكر: تاريخ، مخطوط، ج١، ص:١٣٦

[٧٤] الطبري، ج٣، ص:٦١٥.

وسار عمر على نهج الرسول في معاملة الأعراب إذ لم يفرض لهم في العطاء وكان يعطي المحتاجين منه من مال الصدقة وهذا واضح في قوله " والأعراب الذي هم أصل العرب ومادة الإسلام أن تؤخذ منهم صدقاتهم على وجهها. ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم وأن ترد على فقرائهم ومساكينهم"[٧٥].

وهكذا يتبين أن العطاء قبل الديوان لم يوزع على جميع العرب المسلمين وإنما اقتصر في توزيعه ابتداء على أهل المدينة الذين قاموا بمهمة الدفاع عن الكيان الإسلامي الناشئ ، ثم الحق بهم من اشترك في الفتوحات من القبائل العربية. أما الأعراب الذين لم يشاركوا في الجهاد ولم يخرجوا من الجزيرة إلى الأمصار الجديدة فلم يدخلوا في العطاء، وكانوا يعطون من مال الصدقة عند حاجتهم فقط.

لم يفرض الرزق في المدينة قبل الديوان واقتصر الأمر على المساعدة عند الضرورة كما حصل في عام الرمادة [٧٦] في حين فرضت الأرزاق للمقاتلة في الجبهات من سنة ١٦ هـ أثناء زيارة عمر للجابية[٧٧] إذ فرض عمر للمقاتل ولكل فرد من أفراد أسرته رزقا شهريا محدداً يأخذه في مطلع كل شهر[٧٨].

وتبدو الأرزاق متماثلة في الأساس وأن حصل تباين في التفاصيل فكانت في الشام مديين من القمح وقسطي زيت وقسطي خل ذكر سفيان بن وهب الخولاني (توفي سنة ٨٢هـ) وكان في الجابية عندما زارها عمر، أنه سمع عمر يقول " أني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة وقسطي خل وقسطي زيت فقال رجل: والعبيد: قال عمر: والعبيد"[٧٩] وذكر ابن منظور أن المدي مكيال لا هل الشام يأخذ جريبا[٨٠].

---

[٧٥] الطبري، ج٤، ص:٢٢٧.

[٧٦] ابن سعد، ح٣، ص: ٣١٠-٣١١، اليعقوبي، تاريخ، ح٢، ص.١٤٠، الطبري ، ج٤، ص: ١٠٠، أبو هلال العسكري، ص:١٤٢، ابن خلدون، ج٢، ص.١١٤.

[٧٧] أبو زرعة، ص:١٧٨، الطبري، ج٤، ص:٦٥.

[٧٨] الازدى، فتوح الشام، ص:٢٥٧.

[٧٩] أبو عبيد، ص: ٣٥٢، ابن عساكر، تاريخ ، مخطوط، ح١، ص:١٣٦.

[٨٠] ابن منظور، ح١٥، ص:٢٧ (مادة مدي).

والجريب في صدر الإسلام يساوي ٢٢ر٧٥كغم قمح [٨١]. وكان القسط في صدر الإسلام يساوي نصف صاع من السوائل[٨٢]. أو ما يعادل ذلك ٢ر١٠٦ لترا[٨٣]. وبناء عليه يكون نصيب الفرد في الشام من الرزق ٥ر٤٥كغم قمح، ٤ر٢١٢ لترا من الزيت ومثلها من الخل.

ومقدار ما يأخذه الفرد في العراق من الرزق مساويا لما يأخذه مثيله في الشام إذ فرض عمر للفرد هناك جربيين من القمح وقسطين من الزيت وقسطين من الخل، في كل شهر[٨٤].

أما في مصر فنصيب الفرد من الرزق في الشهر يتألف من أردب من القمح[٨٥]. وقسطين من الزيت، وقسطين من الخل، وقسطين من العسل[٨٦] وكان الأردب يساوي ٢ر٦٩ كغم من القمح[٨٧] وعليه فإن مقدار ما أخذه الفرد في مصر من القمح يفوق ما أخذه مثيله في الشام والعراق ولعل ذلك يعود إلى وفرة إنتاج مصر من الحنطة في صدر الإسلام إذا كانت تزود الحجاز بها[٨٨]. ويلاحظ بأن الأرزاق في مصر اشتملت على مادة العسل ويبدو أن إنتاج مصر من هذه المادة كان كبيرا لدرجة أن يؤخذ منه الخراج.

يتبين مما مر أن الخلافة وجهت اهتمامها قبل الديوان إلى توفير الأرزاق للمقاتلة في الجبهات. فما أن استقر الفتح حتى قامت بفرض رزق شهري محدد للمقاتل ولأفراد أسرته. يشتمل على المواد الغذائية الرئيسية وهي القمح والزيت والخل وأحيانا العسل في المناطق التي توفرت فيها كمية كبيرة منه. هذا في حين أن الخلافة لم تفرض

---

[١١] فالترهنتس، المكاييل، ص:٦١.

[١٢] أبو عبيد، ص: ٦٩٢.

[١٣] فالترهنتس، ص٦٦.

[١٤] أبو يوسف، ص: ٤٧، أبو عبيد، ص: ٣٥١، ابن سعد، ج٣، ص: ٣٠٥، الطبري، ج٣، ص:٦١٥.

[١٥] ابن عبد الحكم، فتوح، ص: ١٥٢، البلاذري، فتوح، ص:١٧٠ ١٧١، الكندي، ولاة ص:١٠٤-١٠٥.

[١٦] البلاذري فتوح ، ص:١٥٢، البلاذري، فتوح، ص:١٧٠-١٧١، الكندي، ولاة ص: ١٠٤-١٠٥

[١٧] فالترهنتس، ص:٥٨٦.

[٨١] ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٤٢، البلاذري، فتوح، ص: ٣٠٤، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:١٥٤-١٥٥.

الرزق لأهل المدينة قبل الديوان واكتفت بتقديم المساعدة لأهل المدينة ومـن حولهـا مـن أهل البادية أثناء القحط في عام الرمادة وهي حالة طارئة.

سمح للرجال البالغين فقط بالاشتراك في الغزوات كمقاتلين لهم سـهم في الغنيمـة، أما الصبيان فلم يسمح لهم بذلك. وكان الأسـاس في التمييـز بـين الرجـل والصـبي هـو الاحتلام والانبات(٨٩). ويبدو أن سـن خمسـة عشـر عامـا كـان سن بلـوغ الصبيـان في الجزيرة، إذ سمح الرسول لمـن هـم في هـذا السـن مـن الذكـور بالاشـتراك في الغـزوات كمقاتلين، ولم يسمح لمن هو دون هذا السن بذلك. فقـد رد الرسـول (ص) عبـدالله بـن عمر يوم أحد لصغر سنه وأجازه يوم الخنـدق وهـو ابـن خمـس عشـرة سـنة. وعندمـا حدّث نافع مولى ابن عمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك اعتبر عمر بن عبـد العزيـز هذا السن الحد الفاصل بين الصغير والكبير وكتب إلى عمالـه أن يفرضـوا لابـن خمـس عشرة في المقاتلة ويلحقوا من دون ذلك في العيال(٩٠)وذكر ابـن هشـام أن الرسـول (ص) أجاز رافع بن خديج وسمرة بن جندب وهما ابنا خمس عشرة سنة في أحد ورد آخرين من أبناء الأنصار لصغر سنهم ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سـنة (٩١). وكان التمييز بين الصغار والبالغين يتم من خلال استعراضات دورية يقوم بها الرسـول (ص) للمشاركين قبيل كل غزوة فيرد الصغير ويجيز البالغ. فعندما خرج الرسول (ص) إلى بدر عرض المقاتلة بالبقيع فرد عددا منهم لصغرهـم(٩٢)وفعـل مثـل ذلـك في أحـد إذ عرض المقاتلة بالشيخين فأجاز من أجاز ورد من رد(٩٣). وذكر المدائني أن الرسول(ص) كان يستعرض غلمان الأنصار في كل مرة فيرد من يرد ويجيز من يجيز (٩٤).

لم يكن جميع القادرين على حمل السلاح يخرجـون في الغـزوات والبعـوث سـواء كان ذلك زمن الرسول أو الراشدين من بعده، قال تعالى: وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعـوا إليـهم

---

٨) يحيي بن آدم، ص :٧٢.

٩) الواقدي، ج١، ص:٢١٦، ابن هشام، ج٣، ص: ٧٠، الشافعي، ج٤، ص:١٥٦، ابن سعد، ج٤، ص:١٤٣.

٩) ابن هشام، ج٣، ص:٧٠.

٩) الواقدي، ج١، ص:٢١.

٩) الواقدي، ج١، ص:٢١٦، الطبري، ج٢، ص:٥٠٥.

٩) ابن عبد البر، ج٢، ص:٦٥٥.

لعلهم يحذرون.[٩٥]فكانت تخرج منهم جماعات تحددها الحاجة والهدف، ويبقى قسم منهم لتصريف شؤون الحياة الأخرى، قال الشافعي "لم يغز رسول الله غزاة علمتها إلا تخلّف عنه فيها بشر، فغزا بدر وتخلّف عنه رجال معروفون، وكذلك تخلف عنه عام الفتح وغيره من غزواته أناس من المسلمين وبعث رسول الله جيوشا وسرايا تخلّف عنها بنفسه"[٩٦] ويوضح ذلك قول الرسول (ص)، للمسلمين عندما أمرهم بالجهاز للخروج إلى تبوك " ليخرج من كل رجلين رجل وليخلف الباقي الغازي في أهله وماله"[٩٧].

يتبين من هذه الإشارات أن نسبة من خرج من الرجال القادرين على حمل السلاح لم تتعد النصف ، وأن الرسول لاحظ ضرورة بقاء جماعة من المسلمين للقيام بشؤون العيال وتصريف شؤون المسلمين، وبقى الحال كذلك أيام الراشدين إذا كانت نسبة معينة تخرج في البعوث وليس جميع المقاتلين[٩٨].

هذا في الحالات الاعتيادية، أما في حالات الضرورة القصوى فكان الخليفة أو الوالي يعلن النفير العام ويلزم كل قادر على حمل السلاح الخروج إلى الجبهة[٩٩].

وقد أعذر القرآن الكريم أصحاب العاهات الدائمة كالعمى والعرج وأعفاهم من الخروج إلى القتال بشكل نهائي، كما أعفى المرضى بمرض عارض من الخروج حتى يشفون من ذلك المرض. قال تعالى " ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج "[١٠٠] وقال تعالى " وليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج"[١٠١] وجاء عمرو بن الجموح وكان أعرجاً، إلى الرسول

---

(٩٥) سورة التوبة، آية : ١٢٢

(٩٦) الشافعي، ج٤، ص١٦٧

(٩٧) الشافعي، ج٤، ص ١٦٧.

(٩٨) الطبري، ج٣، ص:٣٢٢، ٦١٨ ٦١٩، الاردي، فتوح الشام، ص ٢٧٦

(٩٩) ابن اعثم، ج١، ص:٢٣٣، الطبري، ج٣، ص٤٧٨-٤٧٩.

(١٠٠) سورة النور، آية: ٦١.

(١٠١) سورة التوبة، آية: ٩١.

(ص) يريد الخروج معه إلى أحد فقال له " أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك"[١٠٢].

وأعفى الرسول في بعض الحالات بعض المسلمين من الخروج إلى القتال لأنه ليس هناك من يقوم برعاية أهلهم وذويهم، خاصة الأطفال والنساء وكبار السن منهم، فقد جاء شاب إلى الرسول وطلب منه أن يبعثه في سرية كان على وشك انفاذها فقال له " هل تركت في أهلك من كهل؟ قال لا، إلا صبية صغارا . قال : فارجع إليهم فإن فيهم مجاهدا حسنا"[١٠٣].

وكانت أسماء من يريدون الاشتراك في غزوة أو بعث تسجل قبل خروجهم. وعلى من يريد أن يتخلف بعد تسجيل اسمه لسبب طارئ أن يستأذن من الرسول أو خليفته، ذكر البخاري أن رجلا جاء إلى رسول الله فقال " يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وكذا وأمراتي حاجّة، فقال: اذهب فحج مع امرأتك"[١٠٥]

كان المقاتل هو المسؤول عن تجهيز نفسه بالسلاح والظهر اللازم لحمله والقتال عليه تشعر بذلك الآيات التي تحض المسلمين على أعداد السلاح والخيل مثل قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"[١٠٦] والآيات التي تدعوهم إلى الجهاد بالمال والنفر قال تعالى: "انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم"[١٠٧] ويلاحظ ذلك في توجيهات الرسول إلى المقاتلة إذ طلب منهم قبيل كل غزوة أن يجهزوا أنفسهم [١٠٨]، إلا أنه لم يكن باستطاعة كل مقاتل تجهيز نفسه فكان الرسول (ص) يعمل على توفير السلاح للمحتاجين. غير أن قلة الأموال بحوزته خاصة في بداية عهده بالمدينة، وقلة ذات يد الكثير من المسلمين، شكلت عبئا ثقيلا عليه خاصة في الغزوات التي تتطلب مشاركة أعداد كبيرة من المقاتلة كحنين وتبوك.

---

[١٠] ابن الحوزي، صفة الصفوة، ج١، ص:٢٦٦.
[١٠] الصنعاني، ج٥، ص:١٧٦.
[١٠] البخاري، صحيح، ج٤، ص: ٧٢، ٧٨، النويري، ح٨، ص:١٩٦، المقريري، خطط، ج١، ص:١٦٨.
[١٠] سورة الأنفال، آية: ٦٠.
[١٠] سورة التوبة، آية:٤١.
[١٠] الواقدي، ج٣، ص:٩٩١، ابن هشام، ج٤، ص:١٦١.

وقد عمل الرسول على التغلب على هـذه المشكلة فلجأ أحيانا إلى استعارة الأسلحة بضمان[١٠٩]

وكان لتبرعات أغنياء المسلمين ومن لم يخرج في الغزو منهم دور في تمويل وتجهيز المقاتلة المحتاجين خاصة في الغزوات الكبيرة، وقد شملت التبرعات الخيل والسلاح والمال ففي غزوة تبوك أمر الرسول الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله "فحمل أهل الغنى واحتسبوا وأنفق عثمان نفقة لم ينفقها أحد[١١٠] ذكر الواقدي أن عثمان جهز ثلث ذلك الجيش[١١١] وذكر ابن اسحق (توفي سنة ١٥ هـ) أن عثمان تبرع بالف دينار [١١٢] وحمل على ثلاثمائة بعير باقتابها وأحلاسها[١١٣] وتبرع أبو بكر بماله البالغ أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وقدم العباس وطلحة وعبد الرحمن بن عوف أمولا لتجهيز جيش العسرة وحمل عبد الرحمن بن عوف على خمسمائة فرس وتصدق بشطر ماله زمن الرسول[١١٥].

وأعان نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الرسول في حنين بثلاثة آلاف رمح[١١٦] وفي أحيان أخرى أعطى الرسول الغازي جهاز القاعد[١١٧] وخصص الرسول جانبا مهما من موارده لتجهيز المقاتلة المحتاجين، فقد باع قسما من خمس سبى بني قريظة وأشترى بثمنهم خيلا وسلاحا[١١٨] ووقف ما يتبقى بعد نفقته مما أفاء الله عليه بغير قتال على شراء الكراع والسلاح وجعلها عدة في سبيل الله[١١٩] وفي زمن الراشدين كان المقاتل يجهز نفسه بالسلاح، ففي أثناء حروب الردة قدم أبو بكر السلاح لمن احتاجه ليقاتل به المرتدين ذكر عروة بن الزبير أن بني سليم جاءت إلى أبي بكر فقالت أن

---

(١٠٩) ابن هشام، ج٤، ص:٨٣، الطبري، ج٣، ص:٧٣، ابن عساكر ، تهذيب، ج٦، ص ٤٢٨.

(١١٠) ابن هشام، ج٤، ص١٦١، الطبري، ج٣، ص١٠١.

(١١١) الواقدي ، ج٣، ص٩٩١.

(١١٢) ابن هشام، ج٢، ص:١٦١:النويري، ج١٧، ص :٢٥٣.

(١١٣) الاصبهاني، حلية، ج١، ص:٥٩.

(١١٥) الاصبهاني ، حلية، ج١، ص:٦٩٩

(١١٦) ابن عبد البر، ج٢، ص:١٥١٢.

(١١٧) الواقدي، ج٣، ص:٩٩١، مسلم ، صحيح، ج٣،ص:١٥٦.

(١١٨) الواقدي، ج٢، ص٥٢٣، الطبري، ج٢، ص:٥٩١-٥٩٢.

(١١٩) يحيى بن ادم، ص: ٣٩.

العرب قد كفرت فامدنا بالسلاح فأمر لهم بسلاح[١٢٠] وقدم عمر بن الخطاب في خلافته المساعدات للمقاتلة المحتاجين المتوجهين إلى الشام والعراق[١٢١].

وكان على المقاتل الذي تزوده الخلافة بفرس أو جمل أن يحافظ عليه ويرده سالما فهو بمثابة عهدة عليه إذا فقد بسبب إهماله غرمه، ولا يغرمه إذا فقد أثناء القتال ذكر أبو يوسف أن عمر كان إذا أعطى الرجل الفرس قال له " أن أعييته أو ضيعته من علق أو شرب فأنت ضامن وأن قاتلت عليه فأصيب أو أصبت فليس عليك شئ[١٢٢].

٢- العطاء بعد إنشاء الديوان:-

اختلفت المصادر في تحديد الأصول اللغوية لكلمة ديوان فذكر بعضا أنها فارسية معربة وتعني بالفارسية الشياطين أو المجانين وأنها استخدمت لوصف الكتاب الذين يعملون فيه على سبيل المجاز[١٢٣] وتبنت بعض الدراسات الحديثة هذا الرأي دون إشارة إلى أن هناك من يقول بأنه عربي[١٢٤].

وذكر البعض الآخر أن كلمة ديوان عربية أصيلة مشتقة من الفعل دون بمعنى أثبت ، قيّد، سجل أو جمع، وعقب المرزوقي (توفي ٤٢١هـ) على رأي من ذكر بأنها فارسية فقال " الديوان عربي من دونت الكلمة أن ضبطتها وقيدتها لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدّون، هذا هو الصواب وليس معّربا، ويطلق على الدفتر وعلى محلة وعلى الكتّاب ويخص بالمعرف بما يكتب فيه الشعر[١٢٦] وإليه يميل رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي والزمخشري إذ ذكر الخليل بأن الديوان مشتق من دون[١٢٧]. وذكر

---

[١٢٠] ابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص:١٠٧.

[١٢١] ابن سعد ، ج٣، ص:٣٠٥-٣٠٦.

[١٢٢] أبو يوسف، ص:٤٧.

[١٢٣] الصولي، ص:١٨٧، الجوهري، الصحاح، ج٥، ص:٢١١٥، الجواليقي، المعرب، ص:١٥٤، ابن منظور، ج١٣، ص:١٦٦، المقري، المصباح، ج١، ص:٢٧٨، الشهاب الخفاجي، شفاء، ص:١١٩، ابن سيدة، المخصص، ج١٣، ص:٨، ابن مظور، ح١٣، شفاء، ص:١٦٦، الماوردي، ص:١٩٩، البطليموسي، الاقتضاب، ص:٩٩.

[١٢٤] طوبيا العنيسي، تفسير، ص:٣٠.

[١٢٦] الشهاب الخفاجي، ص:١١٩.

[١٢٧] سيبويه، الكتاب، ج٢، ص:١١.

الزمخشري أن الديوان مشتق من دون بمعنى جمع[١٢٨]. وبناء عليه يكون معنى الديوان الكتاب والدفتر أو مجتمع الصحف[١٢٩].

وهناك إشارات تدل على وجود لفظ الديوان في العربية من وقت مبكر فقد استخدم للدلالة على الشعر الجاهلي بوصفه مجمع أخبار العرب وكنز لغتـهم قـال ابـن عبـاس (توفي سنة ٦٨هـ) إذا سألتموني عن شئ مـن غريـب القرآن فالتمسوه في الشعر فـإن الشعر ديوان العرب"[١٣٠]. ويوضح ذلك قول ابـن سـلام (تـوفي سـنة ٢٣١ هــ) " كـان الشعر في الجاهلية ديـوان علمـهم (أي العـرب) ومنتـهى حكمـهم بـه يـأخذون وإليـه يصيرون[١٣١] " كمـا ورد اللفظ في عـدد مـن الأقـوال والأشـعار بمعنـى سـجل أو مـادة للكتابة، قال ابن سلام" كان عند النعمان بن المنذر ديوان في أشعار الفحـول ومـا مـدح به وأهل بيته" ويضيف بأن ذلك الديوان انتقل إلى بـني مـروان[١٣٢] وجـاء علـى لسـان أحد المتخلفين عن غزوة تبوك أن المسلمين آنذاك " لم يكن يجمعهم ديوان حـافظ"[١٣٣] وروى الأصمعي عن أحد الحميريين قوله:

عداني أن أزورك أم عمرو   دياوين تشقق بالمداد [١٣٤]

وقد ناقش بعض الباحثين الرأيين وانتهوا إلى أن الكلمة استخدمت في العربية مـن وقت مبكر وأنـها غـير موجـودة بالفهلويـة وهـي لغـة السجلات بفـارس قبـل الفتـح الإسلامي والتي استمر العمل بها في الدواوين المالية بعد الفتح إلى أن عربـت الدواويـن زمن المروانيين[١٣٥] وعلى ضوء ما تقدم يمكـن القـول بـأن كلمـة ديـوان عربيـة وليسـت فارسية.

---

(١٢٨) الزمخشري، أساس، ج١، ص:٢٨٩.
(١٢٩) ابن سيدة، ج١٣، ص:٨، ابن منظور، ج١٣، ص:١٦٦، الشهاب، الخفاجي، ص:١١٩.
(١٣٠) البطليوسي، ص:٩٩-١٠٠، ابن منظور، ج١٣، ص:١٦٦، القلقشندي، صبح، ج١، ص:٨٩.
(١٣١) ابن سلام، طبقات، ص:١٠.
(١٣٢) ابن سلام، ص: ١٠.
(١٣٣) ابن منظور، ج١٣، ص: ١٦٦.
(١٣٤) الصولي، ص: ١٨٨، ابن دريد"جمهرة اللغة"، ج١، ص:٢٠٧، الجوهـــري، الصحـــاح، ج٥، ص:٢١١٥ (ملاحظة تجمع كلمة ديوان على دياوين ودواوين، أنظر ابن منظور، ج١٣، ص:١٦٦.
(١٣٥) وأنظر أدي شير " الألفاظ الفارسية المعربة، ص: ٦٣ وما بعدها، إذ لا يذكر كلمة ديوان من ضمنها ويذكـر كلمة دستور للدلالة على السجلات التي تكتب فيها أسماء الجند".

أما معنى الديوان في تنظيم عمر بن الخطاب فهو سجل بأسماء المقاتلة وعيالاتهم ومقادير أعطياتهم، فقد استخدم عمر نفسه تعبير الكتاب والدفتر للدلالة على ديوانه[١٣٦] وذكر ابن منظور " أن الديوان هو الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء " [١٣٧] وذكر النووي أن "ديوان الجند هو الدفتر الذي تكتب فيه أسماؤهم وقدر أرزاقهم"[١٣٨] وذكر ابن خلدون أن الديوان " كتاب تحصى فيه العساكر باسمائهم وصرف أعطياتهم في أبانَاتها "[١٣٩] وابتداء من خلافة مروان بن محمد (١٢٧ — ١٣٢هـ) صار يذكر في الديوان أوصاف المقاتل وأوصاف دابته أو ما يعرف بالحلى والشيات، وقد جاء ذلك أثر إسقاط الكتاب لمقاتل مغمور بسبب شكهم في حليته[١٤٠] ويختلف ديوان عمر عن السجلات التي سبقته بأن تلك السجلات اقتصرت على ذكر أسماء المقاتلة ولم تكن دائمة إذ كانت كتابة الناس قبل الديوان تجرى في أوقات نحو كتابة الناس عند حضور المال لتوزيع العطاء عليهم أو كتابة أسماء من يريدون المشاركة في إحدى الغزوات[١٤١].

يعتبر عمر بن الخطاب أول من دون الدواوين من العرب في الإسلام[١٤٢] وتعزو بعض الروايات السبب المباشر لإنشاء الديوان إلى كثرة الأموال الواردة إلى المدينة من البلاد المفتوحة ورغبة الخليفة في تنظيم توزيعها، وأكثرها تعتمد على رواية لابي هريرة (توفي سنة ٥٩هـ) مفادها أنه جاء بخمسمائة ألف درهم من البحرين فاستكثرها عمر وقام في الناس خطيبا فقال: "أنه قدم علينا مال كثير فإن شئتم أن نعده لكم عدا وإن شئتم أن نكيله لكم كيلا، فقال له رجل يا أمير المؤمنين أني قد رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديوانا يعطون الناس عليه. قال : فدون الديوان[١٤٣] وذكر الشافعي

---

(١٣٦) ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٥، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣١، الطبري، ج٤، ص٢١٠.

(١٣٧) ابن منظور، ج١٣، ص:١٦٦.

(١٣٨) النووي، معني المحتاج، ج٣، ص:٩٦.

(١٣٩) ابن خلدون، ج١، ص:٤٣٠.

(١٤٠) المخزومي، المنهاج، مخطوط، ص:١٠٧.

(١٤١) الخراعي، تخريج، ص٢٣٧-٢٣٨.

(١٤٢) ابن سعد، ح٣، ص:٢٨٢، الطبري، ح٤، ص:٣٠٩.

(١٤٣) ابن سعد، ح٣، ص:٣٠٠، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣٦.

"أن عمر دون الدواوين حين كثر المال[١٤٤] ويظهر ذلك في قول عمر لأبي سفيان، عندما قرر تدوين الديوان " لا بد من هذا فقد كثر فيء المسلمين[١٤٥].

وذكر الشعبي (توفي سنة ١٠٤هـ) أن عمر بن الخطاب " لما فتح الله عليه وفتح فارس والروم جمع أناسا من أصحاب رسول الله فقال: ما ترون فإني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المال فإنه أعظم للبركة، قالوا: أصنع ما رأيت فإنك إنشاء الله موفق[١٤٦] وذكر الواقدي (توفي سنة ٢٠٧هـ) أن عمر استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي بن أبي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئا، وقال عثمان أرى مالا كثيرا يسع الناس وأن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر"[١٤٧].

ويمكن الإشارة إلى أسبابا أخرى هامة منها أن عمر أراد أن يجعل من العرب أمة عسكرية ويوجهها للجهاد، فدون الديوان ليكون لديه سجل بأسماء المقاتلة وعيالاتهم وفرض لهم من الأعطية والأرزاق ما يكفيهم مؤونة العمل لكي يتفرغوا للجهاد، ذكر ابن عبد الحكم أن عمر أمر منادية " أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قائم وأن رزق عيالهم سائل فلا يزارعون ولا يزرعون " [١٤٨]وذكر الذهبي أن عمر وضع الديوان ورتب لرعيته ما يكفيهم وفرض للاجناد"[١٤٩]

وفي ضوء ذلك رفض عمر قسمة الأرض في البلاد المفتوحة على الفاتحين مخافة أن يؤثر ذلك على فكرة توجيههم للجهاد، ووقف وأرد الأرض على المقاتلة والذرية ومن يأتي بعدهم[١٥٠]. ولم يلتفت عمر إلى أصوات التجار الذين أبدوا مخاوفهم بأن تدوين الديوان سيصرف الناس عن الاشتغال بالتجارة، ذكر الجاحظ "لما فرض عمر الأعطية

---

[١٤٤] الشافعي، ج٧، ص:٣٣٨.

[١٤٥] البلاذري، فتوح، ص: ٦٤٢.

[١٤٦] أبو يوسف، ص٤٤.

[١٤٧] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٥، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٠، الطبري، ج٤، ص:٢٠٩.

[١٤٨] ابن عبد الحكم، فتوح، ص: ١٦٢، وأنظر الدوري، النظم الإسلامية، ص:١٨٧.

[١٤٩] الذهبي، دول الإسلام، ج١، ص:٨.

[١٥٠] أبو يوسف، ص:٢٥، ص:٢٦، يحيى ابن آدم، ص:٤٨، أبو عبيد ص:٨١-٨٣، ابن رجب الحنبلي، الاستخراج، ص:١١٤.

ودون الدواوين قام إليه أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حـزام فقالا يـا أمـير المؤمنـين ديوان كديوان بني الأصفر، أنـك أن فعلـت ذلـك اتكـل النـاس علـى الديـوان وتركـوا التجارات والمعاش. فقال عمر: فقد كثر ألفيء والمسلمون"[١٥١].

كما أن ازدياد أعداد المقاتلة وإنتشارهم في الأمصار جعل من الضـروري ضبطـهم في إطار تنظيم إداري عسكري، وهذا ما فعله عمر بإنشاء الديوان تشـعر بذلـك الإشـارات الـتي تربـط بـين إنشـاء الديـوان وتنظيـم الجنـد. فـيروى أن عمـر بعـث بعثـا وعنـده الهرمزان، أو الفيرزان، فقال لعمر " هذا البعث قد أعطيت أهله الأمـوال فـإن تخلـف منهم رجل وأخل بمكانه فما يدري صاحبك به. وأشار عليه بالديوان وفسره وشرحه. فوضع عمر الديوان [١٥٢] ويضيف عوانة بن الحكم (توفي سنة ١٤٧ هـ) أن الوليـد بـن هشام بن المغيرة قال لعمر " قد جئت الشام فرأيت ملوكـها قـد دونـوا ديوانـا وجنـدوا جنودا ، فدون ديوانا وجند جنودا. فأخذ بقوله"[١٥٤] وبعد التفكير والمشاورة قـرر عمـر إنشاء الديوان قائلا " أني مجند المسلمين على الأعطية ومدونهم ومتحر الحق"[١٥٥].

ورغم الإشارة إلى احتمال الإفادة من الغير [١٥٦] فـأن الأسـاس هـو شـعور الخليفـة بضرورة النظم التي كانت الدافع الرئيس لإنشاء الديوان فقد جاء تدوين الديوان كجـزء من سياسة عمر في إرساء القواعد لمؤسسات الدولة الإداريـة والماليـة حيـث مـهد لهـذا الإجراء بوقف وارد البلاد المفتوحـة علـى الأمـة لتوفـير مـورد مـالي ثـابت تدفـع منـه الأعطيات والأرزاق..

اختلفت الروايات في سنة إنشاء الديوان فذكر سيف بن عمر (توفي سنة ١٨٠ هـ) [١٥٧] ومحمد بن الساثب الكلبي (تـوفي سـنة ١٤٦هـ)[١٥٨] أن تدويـن الديـوان تم سـنة ١٥هـ. ومن المتعذر قبول هذا التاريخ إذ أن الفتح لم يكن قد تم بعد فقد كانت اليرموك

---

[١٥١] الحاحط، العثمانية، ص:٢١١، وأنظر البلاري، فتوح، ص.٦٤١.

[١٥٢] تاريخ الخلفاء، بجهول، ص:٦، الجهشياري، ص:١٧، الصولي، ص:١٩٠.

[١٥٤] ابن سعد ، ج٣، ص: ٢٩٥، البلاري، فتوح، ص: ٦٣٠، الطبري، ج٤، ص: ٢٠٩، الماوردي، ص:٢٠٠.

[١٥٥] ابن سعد ، ج٣، ص: ٢٩٥، الحاحظ، العثمانية ، ص: ٢١١، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٠، ٦٣١.

[١٥٦] الجهشياري، ص: ١٧، الصولي، ص: ١٩، أبو هلال العسكري، ص١٣٤، الماوردي، ص٢٠٠.

[١٥٧] الطبري، ج٣، ص:٦١٣.

[١٥٨] المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧٢

في رجب من سنة ١٥هـ[١٥٩]. والقادسية في نهاية تلك السـنة[١٦٠] والمعـروف أن تدويـن الديوان وفرض العطاء جرى بعد فتح العراق والشام وجباية الخراج[١٦١].

وذكر ابن الكازروني والقلقشندي وهما متأخران أن الديـوان دون سـنة ١٩ هـ[١٦٢] على أن جل الروايات المسندة إلى رواة قريبين من الحدث زمانا ومكانا تذكر بأن تدوين الديوان كان في المحرم من سنة ٢٠ هـ[١٦٣]. وهي السـنة الـتي أرجـح أن الديـوان دون فيها.

اتخذ عمر بن الخطاب النسب أساسا لترتيب الناس في الديوان قال الماوردي "كان الديوان موضوعا على دعوة العرب في ترتيب الناس فيه معتبرا بالنسب[١٦٤] وقد راعـى عمر ضمن إطار النسب أمرين، الأول: القرابة من الرسول (ص) فقد سجل الناس فيه متسلسلين حسب درجة القرابة من الرسول فبدأ ببني هاشم قـوم الرسـول ثـم الأقـرب فالأقرب منهم، ورفض عمر اقتراحا من قبل بعض الصحابة بأن يبدأ، السجل باسمـه وأصر على البدء بآل الرسول. ذكر الليث بن سعد أن عمر عندما دون الديوان استشـار الناس فقال" بمن نبدأ؟ قالوا بنفسك فابدأ، قال لا أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أمامنا فبرهطه نبدأ، ثم الأقرب فالأقرب"[١٦٥]. وذكر الشافعي أن عمر " استشار فقال. بمن نبدأ؟ فقال رجل بالأقرب فالأقرب بك، قال ذكرتموني بل أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله فبدأ ببني هاشم[١٦٦] وفي رواية أخرى أن عمر رد على من أشار عليـه أن يبدأ السجل باسمه قائلا" لا ولكني أضع نفسي حيـث وضعـها الله وأبـدأ بـآل رسـول الله[١٦١].

---

(١٥٩) الطبري، ج٣، ص. ٥٧٢،٥٧١.

(١٦٠) الطبري، ج٣، ص:٥٧٢،٥٧١.

(١٦١) أبو يوسف، ص:٢٤، أبو عبيد، ص: ٣٢٠، البلادري، فتوح، ص:٦٢٩.

(١٦٢) ابن الكازروني، ص: ٦٦، القلقشندي، مآثر الانافة، ج٣، ص:٣٣٥.

(١٦٣) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، البلادري، فتوح ص:٦٤١،٦٣١، الطبري، ج٤، ص:١١٢.

(١٦٤) الماوردي، ص. ٢٠٠.

(١٦٥) أبو عبيد ، ص: ٣١٩، البلادري، فتوح، ص: ٦٣٧، الطبري، ج٣، ص:٦١٤، الماوردي، ص: ٢٠٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٢.

(١٦٦) الشافعي، ج٤، ص:١٥٨، وأنظر البلادري، فتوح ، ص:٦٢٩، ٦٣٧.

(١٦١) البلاذري، فتوح ص: ٦٢٩.

كما رفض عمر اقتراحا آخر يأتي فيه ترتيب عمر وقومه (بني عدي) في المركز الثالث بعد بني هاشم، ثم بني تيم قوم أبي بكر، وقال للكتاب "أبدء بقرابةالنبي (ص) ثم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله "[١٦٨] وعندما لامه بنو عدي على رفضه الاقتراح الأخير، قال لهم عمر "ولا والله حتى تأتيكم الدعوة، وأن يطبق عليكم الدفتر، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجوا ما نرجوا من الثواب في الآخرة على عملنا إلا بمحمد، فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب"[١٦٩]. وبذلك حفظ الديوان مكانة بني هاشم الاجتماعية حيث سجلوا على رأس القبائل العربية فيه، تتلوهم سائر بطون قريش ثم الأنصار. ذكر الواقدي أن عمر بدأ ببني هاشم في الدعوة ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله، فكان القوم إذا استووا في القرابة قدم أهل السابقة، ثم انتهى إلى الأنصار فقالوا بمن نبدأ؟ فقال: ابدءوا برهط سعد بن معاذ ثم الأقرب فالأقرب لسعد "[١٧٠] وقد أورد الشافعي القرشي النسب تفصيلا وافيا بترتيب بطون قريش في الديوان فذكر بأن ترتيبهم كالآتي: بنو هاشم وبنو المطلب اعتبرهم بطنا واحدا، ثم بنو عبد شمس، ثم بنو نوفل، ثم بنو عبد العزى، ثم بنو عبد الدار ثم بنو زهرة، ثم بنو تيم، ثم بنو مخزوم، ثم بنو جمح، ثم بنو سهم، ثم بنو عدى وآخرهم بنو عامر بن لؤي[١٧١].

أما الأمر الثاني الذي راعاه في تنظيم الديوان فهو الإبقاء على القبيلة كوحدة اجتماعية، حيث اتخذت أساسا للتسجيل فيذكر ابن سعد أن عمر "كتب الناس على قبائلهم"[١٧٢] ويتضح ذلك من إشارات أخرى فيذكر محمد بن السائب الكلبي والواقدي " كان ديوان حمير على عهد عمر على حده"[١٧٣] وأن لخزاعة ديوانا خاصا بها [١٧٤].

وسجل في ديوان القبيلة حلفاؤها ومواليها، فمثلا كان بنو جعونة حلفاء للعباس بن

---

[١٦] ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٥، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣١، الطبري، ح٤، ص:٢١٠.

[١٦] ابن سعد، ج٣، ص: ٢٦٩، البلادري، فتوح، ص:٦٣١، الطبري، ج٤، ص: ٢١٠.

[١٧] ابن سعد، ج٣، ص:٢٦٩، البلاذري، فتوح ، ص: ٦٣٢.

[١٧] الشافعي، ج٤، ص: ١٥٨.

[١٧] ابن سعد، ح٣، ص:٢٨٢.

[١١] أبو يوسف، ص: ٤٦، ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٨، البلاذري ، فتوح، ص: ٦٣٤، الطبري، ج٤ ص:٢١٠.

[١١] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري ، فتوح، ص: ٦٣٤، الطبري، ج٤، ص:٢١٠.

عبد المطلب ففرض لهم عمر بن الخطاب مع العباس[١٧٥]. وذكر ابن سعد أن بني الصلت عندما هاجروا إلى المدينة "حالفوا بني جمح من قريش فلم يزل ديوانهم ودعوتهم معهم حتى كان زمن المهدي فأخرجهم من بني جمح وأدخلهم في حلفاء العباس بن عبد المطلب[١٧٦].

وكان بنو عمرو بن عامر حلفاء للأوس ودعوتهم في بني أمية بن زيد من الأوس[١٧٧]. وفرض عمر لحليفه واقد بن عبد الله التميمي مع قومه بني عدي فكانت دعوة آل واقد مع بني عدي[١٨٧]وذكر المقدسي أنه عندما سجل عمر الناس في الديوان بدأ بالعباس ثم علي، ثم الأقرب فالأقرب من بني هاشم وحلفائهم ومواليهم وأعدادهم[١٧٩] وكان سعد بن خولي مولى لحاطب بن بلتعة الأنصاري ففرض عمر لابنه عبد الله بن سعد خولي في الأنصار[١٨٠]. أما الذين لم يكن لهم قبائل في المدينة ولم يكونوا حلفاء أو موالي لقبائل أخرى فسجلوا ضمن قوائم إحدى القبائل، ولتمييزهم عن الحلفاء والموالي أطلق عليهم اسم "الأعداد" ذكر المقدسي أن عمر سجل مع بني هاشم حلفاءهم ومواليهم وأعدادهم [١٨١].

وانطلاقا من دور النسب في تسجيل الناس في الديوان فقد كلف عمر لجنة من النسابين بكتابة الناس فيه، ذكر الواقدي أن عمر بن الخطاب "دعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نساب قريش، قال: اكتبوا الناس على منازلهم"[١٨٢].

لقد سجل في الديوان المقاتلة وعيالاتهم ذكر الاوزاعي (توفي سنة ١٥٧هـ) وقف عمر والصحابة رضى الله عنهم الفيء وخراج الأرضين للمجاهدين ، ففرض منه للمقاتلة والعيال والذرية فصار ذلك سنة لمن بعده فمن افترض فيه ونيته الجهاد فلا بأس به [١٨٣] ذلك مما

[١٧٥] السدوسي، حذف، ص:١٩٨.
[١٧٦] ابن سعد، ج٥، ص١٣٠.
[١٧٧] ابن سعد، ج٥، ص:٢٨١.
[١٨٧] ابن حبيب، المنمق، ص:٣١٤.
[١٧٩] المقدسي، البدء ، ج٥، ص:١٦٨
[١٨٠] ابن عبد البر، ج٢، ص:٥٨٥ ٥٨٦.
[١٨١] المقدسي، البدء، ج٥، ص:١٦٨.
[١٨٢] ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٥، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣٠، اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص: ١٥٣.
[١٨٣] مالك المدونة "ج٢، ص:٤٣.

رواه الشعبي أنه بعد فتح العراق والشام وجباية الخراج جمع عمر الصحابة فقال " أني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله الذين افتتحوه" فقالوا: نعم الرأي رأيت يا أمير المؤمنين[184].

وهكذا يتبين أن عمر لم يسجل جميع العرب في الديوان، وإنما سجل أهل المدينة الذين تحملوا القسط الأكبر من أعباء الدفاع عن الكيان الإسلامي الناشئ ثم القبائل المقاتلة التي خرجت من الجزيرة. وشاركت في الفتوحات واستقرت في الأمصار. أما الأعراب الذين لم يخرجوا من الجزيرة ولم يشاركوا في الفتوحات فلم يسجلهم عمر في الديوان ولم يفرض لهم في العطاء، يتضح ذلك من قول أبي عبيد "فأما دور الأعطية على المقاتلة وإجراء الأرزاق على الذرية فلم يبلغنا عن الرسول ولا عن أحد من الأئمة أنه فعل ذلك إلا بأهل الحاضرة أهل الغناء عن الإسلام[185] وكان يقدم لهم المساعدات من مال الفيء عند الضرورة فقط كأن يحل الجدب بأرضهم. أو يحصل بينهم سفك دماء فيحتاج إصلاح ذات البين إلى حمل تلك الدماء بالمال[186].

ويعلق أبو عبيد على رأي عمر في الفيء "ليس أحد إلا له في هذا المال حق" ويقول أن عمر أراد بذلك " أن إجراء الأعطية والأرزاق إنما هو لأهل الحاضرة أهل الرد عن الإسلام والذب عنه، أما من سوى ذلك فإن حقوقهم عند الحوادث تنزل بهم [187] وكان عمر يعطي المحتاجين من هؤلاء الأعراب من مال الصدقة التي توخذ من أغنيائهم ويتبين ذلك من وصية عمر للخليفة من بعده. وأوصيه باعراب البادية فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تؤخذ صدقاتهم من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم [188] . واستثني عمر العبيد فلم يفرض لهم عطاء في الديوان وكانوا يعطون قبل ذلك، ذكر الشافعي أن عمر قسم فلم يجعل للعبيد شيئا [189] وسار أخلاف عمر على نهجه في عدم تسجيل العبيد في الديوان فقد قسم الخليفة علي فلم يجعل للعبيد شيئا[190] وكان عمر يسجل من يعتق منهم ويصبح حرا في الديوان ذكر الواقدي أن عمر عندما فرض العطاء لأهل المدينة في الديوان " فرض للمحررين معهم"[191]

(184) أبو عبيد، ص: ٣٢٠ البلاذري، فتوح، ص: ٦٢٩، الطبري، ج٣، ص٦١.

(185) أبو عبيد ، ص: ٣٣٠.

(186) أبو عبيد، ص: ٣٢٥.

(187) أبو عبيد، ص: ٣٣٢.

(188) الصنعاني ، المصنف، ج١١، ص:١٠٩، أبو عبيد ص: ٣٣٤.

(189) الشافعي، الأم، ج٤، ص:٤٨.

(190) الشافعي، ج٤، ص١٤٨.

(191) ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٧، ج٥، ص٨٦.

وكتب عمر إلى أمراء الأجناد " ومن اعتقتم من الحمـراء فاسـلموا فـالحقوهم بمواليـهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم، وأن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم اسوتكم في العطاء والمعروف"[١٩٢].

يتبين مما مر بأن عمر لم يسجل جميـع العـرب في الديـوان بـل سـجل أهـل المدينـة والقبائل المقاتلة التي شاركت في الفتوح ومن لحق بهذه القبائل من الروادف فيما بعد لتعزيز قوة المسلمين العسكرية، واستثنى عمر الأعراب والعبيد من التسجيل في الديوان.

سار عمر بن الخطاب ابتداء على خطة أبي بكر في التسـوية بـين النـاس في العطـاء، وعندما دون الديوان سار على خطة جديدة في تقدير العطاء وهي التفضيل. ذكر أبو يوسف " أن عمر بن الخطاب شاور أصحاب محمد في تدوين الديوان. وقد كان اتبع رأي أبي بكـر في التسوية بين الناس. فلما جاء فتح العـراق شـاور النـاس في التفضيـل ورأى أنـه الـرأي"[١٩٣] وذكر الماوردي أن عمر " لما وضع الديوان فضل بالسابقة"[١٩٤].

وقد بين عمر الأسس التي اتبعها في التفضيل فقال: "ما من أحد إلا له في هـذا المـال حق أعطيه أو أمنعه وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك وما أنا فيه إلا كأحدكم ولكنـا على منازلنا من كتاب الله وسنة نبيه وقسمنا من رسـول الله، فـالرجل وبـلاؤه في الإسـلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسـلام، والرجـل وحاجتـه في الإسـلام"[١٩٥] وبذلك فقد ميز عمر بـين المسـلمين في العطـاء حسـب خدماتـهم للإسلام والسـبق في دخـول الإسلام، والغناء في الإسلام، والحاجة. وذكر الواقدي أن عمر فضل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض"[١٩٦]أي الذين قدموا خدمات للإسلام، وشـهدوا الغـزوات مـع الرسـول، ومعـارك الفتح من بعده، وذكر المـاوردي " أن التفضيـل في العطـاء كـان معتـبرا بالسـابقة في الإسـلام

(١٩٢) أبو عبيد، ص: ٣٣٦، البلاذري، فتوح، ص:٦٤٢.

(١٩٣) أبو يوسف، ص: ٢٤.

(١٩٤) الماوردي، ص: ٢٠٢، القلقشندي، صبح، ج١٣، ص:١٠٧

(١٩٥) أبو يوسف، ص: ٤٦، ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٩

(١٩٦) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣٢. الماوردي، ص: ٢٠١

وحسن الأثر في الدين"[197] وذكر ابن طباطبا " أن عمر رأى أن يجعل العطاء حسب السبق إلى الإسلام، وإلى نصرة رسول الله في مواطن حروبه"[198].

أما الذين لم يدخلوا في الإسلام من وقت مبكر ولم تكن لهم سابقة في الإسلام فقد جرى التفضيل بينهم على أساس البسالة في القتال وحسن الأداء للأعمال التي تناط بهم، ذكر الماوردي أنه " روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقدم في الشجاعة والبلاء في الجهد [199] ويضيف الواقدي إلى ذلك حفظ القرآن فيذكر أن عمر بعد أن انتهى من أهل السابقة فرض للناس "على منازلهم وقرائتهم القرآن وجهادهم"[200]. ولم يلتفت عمر إلى شرف الأباء وكرم النسب، يتضح ذلك من قوله لصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو" إنما أعطيتكما على السابقة لا على الاحساب"[201] وذلك عندما احتجا عليه لأنه فرض لهما في مسلمة الفتح، أقل مما أخذ من قبلهم. كما لم يأخذ عمر القرابة من الرسول أو الصلة به كخليفة بعين الاعتبار في تقدير العطاء. وقال " فلا ينظر رجل إلى القرابة وليعمل لما عند الله فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه"[202].

كانت طبقة البدريين أولى طبقات العطاء في المدينة، وقد اختلفت الروايات في مقدار ما فرضه عمر لهم، فذكرت أن عمر فضل المهاجرين الذين شهدوا بدرا على من شهدها من الأنصار، فرض للبدريين من المهاجرين ٥٠٠٠ درهم بينما فرض للبدريين من الانصار ٤٠٠٠ درهم للرجل في السنة[203].

وانفرد اليعقوبي بذكر أن عمر بن الخطاب فضل الأنصار على المهاجرين، فرض للبدريين من الأنصار ٤٠٠٠ درهم، وللبدريين من المهاجرين ٣٠٠٠ درهم[204].

---

(197) الماوردي، ص:٢٠٢.

(198) ابن طباطبا، ص٨٤.

(199) الماوردي، ص: ٢٠٢.

(200) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٢.

(201) الطبري، ج٣، ص:٦١٥، ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص:٤٣٢.

(202) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، الطبري، ج٤، ص٢١٠.

(203) أبو يوسف، ص: ٤٥، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣٦-٦٣٨.

(204) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٣.

بينما روايات أخرى ذكرت أن عمر فرض لكافة من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار، العرب والموالي على حد سواء ٥٠٠٠ درهم للرجل في السنة[٢٠٥]. في حين أن بعض الروايات جاء فيها أن عمر فرض للمهاجرين والأنصار من البدريين ٦٠٠٠ درهم للرجل في السنة[٢٠٦]. وتبدو الروايات التي ذكرت أن عمر فرض للبدريين أجمعين ٥٠٠٠ درهم أكثر قبولا من سائر الروايات الأخرى، يؤيد ذلك روايات متفرقة عن عطاء بعض البدريين من المهاجرين والأنصار العرب والموالي، فمثلا ذكر الشعبي أن عطاء علي بن أبي طالب وهو من المهاجرين الذين شهدوا بدرا ٥٠٠٠ درهم[٢٠٧]. وذكر عوانه بن الحكم الكلبي أن عطاء بلال ابن رباح وهو من موالي العتاقة الذين شهدوا بدرا ٥٠٠٠ درهم[٢٠٨]. وذكر الطرطوشي أن عطاء عثمان بن حنيف الانصاري البدري ٥٠٠٠ درهم[٢٠٩] وقد سوى عمر بين العرب والموالي في كل طبقة من طبقات العطاء[٢١٠] لذلك فلا ينتظر أن يفضل المهاجرين على الأنصار ولهم فضلهم بنصرتهم للاسلام والذب عنه. ويشعر بذلك أيضا قول عمر لأهل القادسية الذين طالبوه بأن يفضل من بعدت داره منهم وتحمل مشاق السفر على من قربت داره من أرض المعركة وقاتلهم عن فنائه " هلا قال المهاجرين مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والأنصار. فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم، وهاجر إليهم المهاجرون من بعد[٢١١] والحق عمر بأهل بدر أربعة ليسوا من أهلها هم الحسن والحسين[٢١٢] وأبو ذر الغفاري وسلمان

---

[٢٠٥] أبو يوسف، ص:٤٢، البيهقي، ج٦، ص: ٣٥٠، وأبو عبيد، ص: ٣٢٠، والبلاذري ، فتوح، ص: ٦٣٢، وابن عساكر ، تهذيب، ج٧، ص:٢٥١.

[٢٠٦] الصنعاني، ج١١، ص:١٠٠، وأنظر الجاحظ، العثمانية، ص: ٢١١، ٢١٢، أبو عبيد ، ص: ٣٢١، وابن سعد، ج٣، ص:٣٠٤، البلاذري، فتوح، ص. ٦٣٧، ٦٣٩.

[٢٠٧] البلاذري، ص: ٦٣٠، ٦٣٧.

[٢٠٨] الصولي، ص: ١٩٠، أبو هلال العسكري، ص: ١٣٤.

[٢٠٩] الطرطوشي، ص١٣٣.

[٢١٠] أبو يوسف، ص: ٤٤، ، ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، والبلاذري ، فتوح، ٦٣٢، الطبري، ج٣، ص٦١٤، ابن الجوزي، سيرة عمر، ص:١٢٩.

[٢١١] الطبري، ج٣، ص: ٦١٤.

[٢١٢] ابن سعد، ج٣، ص.٢٩٧، والبلاذري، فتوح، ص ٦٣٢، ٦٣٧، أبو عبيد، ص: ٣٢٠، الطبري، ج٣، ص ٦١٤.

الفارسي[٢١٣]. ففرض لكل واحد منهم ٥٠٠٠ درهم. وفي روايات أخرى أن عمر فرض لكل من سلمان وأبي ذر ٤٠٠٠ درهم[٢١٤].

وفرض عمر لمن شهد المشاهد بعد بدر إلى الحديبية ٤٠٠٠ درهم لكل واحد منهم في السنة [٢١٥] ويدخل في هذه الطبقة من له اسلام كاسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد أحدا[٢١٦]. ومن أسلم من قبل ولم يشهد بدرا من المهاجرين والأنصار[٢١٧] إذ فرض عمر لكل واحد من هؤلاء ٤٠٠٠ درهم، وانفرد عوانه بن الحكم الكلبي بذكر أن عمر فرض لمن شهد أحد ٣٠٠٠ درهم[٢١٨]. كما انفرد علي بن رباح اللخمي الشامي بذكر أن عمر فرض لمن شهد الحديبية ٣٠٠٠ درهم [٢١٩]. والذي أرجحه هو ما ذهبت إليه أكثر الروايات القريبة من الحدث زمانا ومكانا بأن عمر فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية ٤٠٠٠ درهم. وقد ألحق عمر بهذه الطبقة أربعة من أبناء المهاجرين حيث فرض لكل واحد منهم ٤٠٠٠ درهم، وهم : أسامة بن زيد بن حارثة وذلك لمحبة الرسول (ص) له[٢٢٠] وفي روايات أخرى أن عمر فرض لأسامة ٥٠٠٠ درهم[٢٢١] و ٣٥٠٠ درهم[٢٢٢] و٢٥٠٠ درهم[٢٢٣] و٢٠٠٠ درهم[٢٢٤]. غير أن هذه الروايات وردت في مصادر متأخرة ، والروايات التي ذكرت أن عمر فرض لأسامة ٤٠٠٠ درهم وردت في مصادر متقدمة وباسانيد موثقة عن أكثر رواة أهل المدينة، وهي

---

(٢١٣) الطبري، ج٣، ص: ٦١٤، ابن سعد، ج٢، ص: ٨٦.

(٢١٤) أبو عبيد، ص: ٣٣٧، ابن سعد، ج٣، ص٨٦، ح٤، ٢٣٠، البلاذري، فتوح، ص: ٦٤١.

(٢١٥) تاريخ الخلفاء، مجهول، ص: ٦، وابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص: ١٢٩، وابن أبي الحديد، ج١٢، ص:٢١٤، والمقريزي ، خطط، ج١، ص:١٧١، الطبري، ج٣، ص٦١٤: والنويري، ج١٩، ص: ٣٣٥، وابن الوردي، تاريخ ج١، ص:١٤٥.

(٢١٦) أبي يوسف، ص٤٣-٤٤، والبيهقي ، ج٦، ص:٣٥٠، ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، والبلاذري، فتوح ، ص:٦٣٢.

(٢١٧) أبو يوسف، ص: ٤٢، ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧، ص: ٢٥١.

(٢١٨) الصولي، ص: ١٩١، أبو هلال العسكري، ص: ١٣٤.

(٢١٩) البيهقي، ج٦، ص:٣٤٩، وابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٨٠.

(٢٢٠) أبي يوسف، ص: ٤٣، البيهقي، ج٦، ص: ٣٥٠، ابن سعد، ج٣، ص :٢٩٧، والبلادري، فتوح، ص: ٦٣٣، الماوردي، ص:٢٠١.

(٢٢١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص:٦٥، ابن عبد البر، ج١، ص:٧٦.

(٢٢٢) البيهقي ، ج٦، ص:٣٤٩، وابن عساكر، تهذيب، ج٢، ص: ٣٩٨، والنووي، تهذيب الأسماء ، ج١، ص:١١٤.

(٢٢٣) الجاحظ ، العثمانية، ص: ٢١٦.

(٢٢٤) أبو عبيد، ص: ٣٢٤، والبلاذري، فتوح، ص: ٦٤٠.

الأرجح، والثاني من أبناء المهاجرين الذين ألحقهم عمر بهذه الطبقة عمر بن أبي سلمة لمكانة أمة أم سلمة زوجة الرسول[٢٢٥]، وانفرد أبو معشر (توفي سنة ١٧٠ هـ) بذكر أن عمر فرض له ٣٠٠٠ درهم[٢٢٦] والأرجح هو ما أجمع عليه رواة أهل المدينة بأن عمر فرض له ٤٠٠٠ درهم.

والثالث هو محمد بن عبد الله بن جحش إذ فرض له عمر ٤٠٠٠ درهم[٢٢٧] وفي رواية لأبي معشر أن عمر فرض لمحمد بن عبد الله بن جحش ٢٠٠٠ درهم[٢٢٨] والأرجح هو ما ذكره سعيد بن المسيب (توفي سنة ٩٤هـ) وأنس بن مالك (توفي سنة ٩٣هـ) إذ أنهما من أهل المدينة وأقرب زمانا إلى الحدث من أبي معشر.

وكان رابعهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، ذكر كل من أنس بن مالك وسعيد بن المسيب أن عمر فرض لابنه عبد الله ٤٠٠٠ درهم [٢٢٩]، وفي روايات أخرى أن عمر فرض لابنه عبد الله ٣٥٠٠٠ درهم [٢٣٠] و٣٠٠٠ درهم[٢٣١] و ٢٠٠٠ درهم[٢٣٢] و١٥٠٠ درهم[٢٣٣]، والارجح ما ذكره أنس بن مالك وسعيد بن المسيب بأن عمر فرض لابنه ٤٠٠٠ درهم.

ويلي هذه الطبقة من شهد المشاهد بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن حروب الردة، يدخل في ذلك من قاتل عن أبي بكر وولي الأيام قبل القادسية ومن هاجر قبل الفتح[٢٣٤]. إذ فرض عمر لكل رجل من هؤلاء ٣٠٠٠ درهم في السنة واختلفت الروايات في مقدار ما فرضه عمر للعباس عم النبي (ص)، فذكر سيف بن عمر وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عمر فرض للعباس ٢٥٠٠٠ درهم[٢٣٥] وذكر الشعبي وأبو معشر والزهري أن عمر فرض

---

(٢٢٥) أبو يوسف، ص:٤٤، ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣٣.

(٢٢٦) أبو يوسف، ص:٤٣، والبيهقى، ج٦، ص:٣٥٠.

(٢٢٧) البيهقي، ج٦، ص: ٣٥٠، وابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص. ١٢٩

(٢٢٨) أبو يوسف، ص: ٤٣، والبيهقي، ج٦، ص:٣٥٠.

(٢٢٩) البيهقي، ج٦، ص:٣٥٠، ابن الجوزي، سير عمر بن الخطاب، ص:١٢٩.

(٢٣٠) ابن سعد، ج٤، ص:٨٦، البخاري، صحيح ، ج٥، ص:٨١، والبيهقي، ج٦، ص٣٤٩.

(٢٣١) أبو يوسف، ص:٤٣، والبيهقي، ج٦، ص:٣٤٩.

(٢٣٢) الجاحظ ، العثمانية، ص:٢١٦، ابن عبد البر، ج١، ص٧٠٦

(٢٣٣) الطبري ، ج٣، ص:٦١٤.

(٢٣٤) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧.

(٢٣٥) الطبري، ج٣،ص:٦١٤، والنويري، ج١٩، ص:٣٣٥، وابن الوردي، تاريخ ، ج١، ص١٤٥.

للعباس ١٢٠٠٠ درهم[٢٣٦]. وذكر الزهري في رواية أخرى أن عمر فرض للعباس ١٠٠٠٠ درهم[٢٣٧]وذكر الواقدي أن عمر فرض له ٧٠٠٠ درهم[٢٣٨] و٥٠٠٠ درهم. ألحقه بأهل بدر[٢٣٩]. وذلك لقرابته برسول الله (ص) في حين ذكر اليعقوبي أن عمر فرض للعباس ٣٠٠٠ درهم[٢٤٠] ومن المتعذر قبول الأرقام التي تجعل عطاء العباس يتراوح ما بين ٢٥٠٠٠-٥٠٠٠ درهم، لأن عمر لم يتخذ القرابة من الرسول أساسا للتفضيل في العطاء. ولم يفضل أحدا على أهل بدر إلا أزواج الرسول[٢٤١]. فضلا عن أن ماضي العباس في الإسلام لا يؤهله لهذا التفضيل فهو لم يشهد بدرا مع المسلمين بل شهدها مع الطرف الأخر ضد الرسول ووقع أسيرا بيد المسلمين[٢٤٢] ولم يسلم إلا قبيل فتح مكة بقليل[٢٣٤].

وفرض عمر لكل من مسلمة الفتح الذين لم يشاركوا في قتال المرتدين ولم يشهدوا الأيام[٢٤٤] ولغلمان أحداث من أبناء المهاجرين [٢٤٥] منهم عبدالله بن حنظلة الغسيل. والنضر بن أنس بن النضر لبلاء والديهما في أحد[٢٤٦] وعدد من رؤساء طيء لحاجتهم وما ينوبهم من الحقوق بصفتهم مسؤولين عن عشائرهم[٢٤١] وعدد من الدهاقين الذين أسلموا في زمانة ٢٠٠٠[٢٤٨] درهم للرجل منهم في السنة. وذكر اليعقوبي أن عمر فرض لأبي سفيان بن حرب وابنه معاوية وهما من مسلمة الفتح ٥٠٠٠ درهم " لأنهما من أهل مكة من كبار قريش[٢٤٩]. وقد مر بنا أن عمر لم يتخذ شرف النسب أو المكانة الاجتماعية للشخص أساسا لتقدير

---

[٢٣٦] أبو يوسف، ص:٤٣، البيهقي، ج٦، ص٣٥٠.

[٢٣٧] ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩.

[٢٣٨] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح ص: ٦٣٢.

[٢٣٩] ابن سعد ، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٢.

[٢٤٠] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٣.

[٢٤١] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص٦٣٢، الماوردي، ص:٢٠١.

[٢٤٢] ابن سعد، ج٤، ص:١٢.

[٢٣٤] ابن سعد، ج٤، ص١٢.

[٢٤٤] ابن سعد ، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص: ٦٣٣، الماوردي، ص:٢٠١.

[٢٤٥] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح:ص: ٦٣٣، الماوردي، ص:٢٠١، أبو يوسف، ص.٤٣.

[٢٤٦] أبو يوسف، ص: ٤٣، والبيهقي، ج٦، ص: ٣٥٠، وابن حجر، الاصابة، ج٦، ص: ٢٦١.

[٢٤٧] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج١، ص: ١٩٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:٩١، ابن حجر الإصابة، ج٤، ص:٢٢٨.

[٢٤٨] الخطيب البغدادي، تاريخ ، ج١، ص: ١٩٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:٩١، ابن حجر الإصابة ، ج٤، ص:٢٢٨.

[٢٤٩] اليعقوبي، ج٢، ص١٥٣.

العطاء فأعطى صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وهما من كبار قريش في مسلمة الفتح لأنهما أسلما بعد الفتح ولم يشاركا في قتال المرتدين ولم يشهدا الأيام، وعندما احتجا عليه بشرفهما قال لهما عمر، إنما أعطيتكم على السابقة لا على الاحساب"[٢٥٠] وبناء عليه فإنه من المستبعد أن يكون عمر قد فضل أبا سفيان وابنه معاوية على سائر مسلمة الفتح ، خاصة وأن أبا سفيان لعب دورا كبيرا في مقاومة الدعوة الإسلامية وساهم بشكل كبير في الحروب التي شنتها قريش على المسلمين . والمعروف عن عمر أنه قال " لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه"[٢٥١] والأرجح أن عمر فرض لهما ٢٠٠٠ درهم كسائر مسلمة الفتح. وهناك إشارات إلى مقادير عطاء أخرى دفعت للرجال في المدينة، وهي تتراوح ما بين ٨٠٠ درهم– ٢٥٠ درهم للرجل منهم في السنة. ذكر أبو معشر (توفي سنة ١٧٠هـ) أن عمر فرض لأهل مكة والناس ثمانمائة ثمانمائة[٢٥٢] فجاء طلحة بن عبيد الله بأخيه ففرض له ثمانمائة وعندما احتج طلحة على قلة المبلغ رد عليه عمر قائلا " إن أبا هذا كان يرعى الشاه بمكان كذا وكذا"[٢٥٣] مما يشعر بأن فرض هذا المبلغ للمكيين الذين لم يهاجروا ولم يشاركوا في القادسية واليرموك. ويؤيد ذلك ما ذكره اليعقوبي أن عمر " فرض لأهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة[٢٥٤] ويحتمل أن عمر فرض لهم هذه المبالغ أثر اشتراكهم في المعارك التي تلت القادسية واليرموك، أي أنه عاملهم معاملة الروادف في الأمصار وذكر الشعبي أن عمر فرض للناس في المدينة ثلاثمائة ثلاثمائة وأربعمائة أربعمائة للعربي والمولي[٢٥٥] ويبد أن عمر فرض هذه المبالغ لأناس قدموا إلى المدينة في السنوات الأخيرة من خلافته إذ أن عمر فرض للناس حتى لم يدع أحد إلا فرض له حتى بقيت بقية لا عشائر لهم ولا موالي، ففرض لهم ما بين المائتين وخمسين إلى الثلاثمائة[٢٥٦]" وذكر الواقدي أن عمر " جعل من بقى من الناس بابا واحدا فالحق من جاءه من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين دينارا لكل رجل وفرض

---

(٢٥٠) الطبري ، ج٣، ص:٦١٤.
(٢٥١) أبو يوسف، ص:٤٢، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٢.
(٢٥٢) أبو يوسف، ص:٤٣، البيهقي، ج٦، ص:٣٥٠.
(٢٥٣) أبو يوسف، ص:٤٣، والبيهقي، ج٦، ص:٣٥٠.
(٢٥٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:١٥٣، وأنظر الطبري، ج٤، ص.٢٢١
(٢٥٥) أبو يوسف، ص:٤٤.
(٢٥٦) ابن سعد، ج٣، ص:٣٠٤

للمحررين معهم"[٢٥٧] وهكذا يبدو أن الحد الأدنى لعطاء الرجل في المدينة زمن عمر كان ٢٥٠ درهم للرجل الواحد في السنة.

ساوى عمر في الطبقات المذكورة بين العرب والموالي في العطاء. ذكر سيف بن عمر. وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عمر جعل الناس "سواء كل طبقة في العطاء ليسر بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم عربيهم وأعجميهم في طبقاتهم سواء"[٢٥٨] وذكر الشعبي والواقدي أن عمر سوى بين البدريين أجمعين ومواليهم[٢٥٩] وذكر الزهري وعوانه بن الحكم أن عمر سوى بين المهاجرين البدريين ومواليهم وبين الأنصار البدريين ومواليهم[٢٦٠] فكان عطاء عمر وعلي والزبير وبلال بن رباح مولى أبي بكر وسالم مولى أبي حذيفة وجميع الموالي الذين شهدوا بدرا سواء[٢٦١] وفرض عمر لآخر من جاءه من المسلمين في المدينة العرب والموالي بالسوية[٢٦٢] وقال أبو عبيد كانت سنة عمر في العطاء. أن يجعل الموالي والصليبية فيه سواء[٢٦٣].

أما العبيد فلم يسجلوا في الديوان باستثناء حالات محدودة فرض فيها للعبيد الذين قدموا خدمات للإسلام فقد فرض عمر لثلاثة مماليك لبني غفار شهدوا بدرا ٣٠٠٠ درهم لكل واحد منهم في السنة ويحتمل أن عمر خصهم بذلك دون سائر العبيد لشرفهم بشهودهم بدرا، كما يلاحظ بأن عمر أعطاهم أقل مما أعطى البدريين الأحرار إذ كان عطاء الرجل من البدريين ٥٠٠٠ درهم. وفرض عثمان بن عفان لعبد لزيد بن ثابت يدعى وهيب ١٠٠٠ درهم في السنة لأنه كان يعمل في بيت المال مع سيده زيد.[٢٦٤]

كان أعلى عطاء دفع للنساء في المدينة هو ما خصص لأزواج النبي. وقد اختلفت الروايات في مقدار ما فرض للواحدة منهن فذكرت أن عمر فرض لكل واحدة من أزواج النبي ١٢٠٠٠ درهم في السنة[٢٦٥].

---

(٢٥٧) ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٧، والبلاذري، فتوح، ص:٦٣٣.

(٢٥٨) الطبري، ج٣، ص:٦١٤، تاريخ الخلفاء، ص:٦، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص.١٢٩.

(٢٥٩) أبو يوسف، ص:٤٤، ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، والبلاذري، فتوح، ص:٦٣٢.

(٢٦٠) أبو عبيد ، ص: ٣٣٥، ابن سعد،ج٣، ص:٣٠٤، الصولي، ص:١٩٠، أبو هلال العسكري، ص:١٣٤.

(٢٦١) الجاحظ العثمانية، ص:٢١١.

(٢٦٢) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح،ص:٦٣٣.

(٢٦٣) أبو عبيد، ص: ٣٤٦.

(٢٦٤) الصنعاني، ج٥، ص:٢٩٧، ص: ٣٤٦، والبلاذري، فتوح، ص:٦٤٤، والبيهقي، ج٦، ص:٣٤٧-٣٤٨

(٢٦٥) أبو يوسف ، ص:٤٥، والبلاذري، فتوح، ص: ٦٣٦، البيهقي، ج٦، ص:٣٥٠.

وذكر الزهري أن عمر فرض لكل واحدة من أزواج النبي ١٢٠٠٠ درهم ، باستثناء جورية وصفية إذ فرض لكل منها ٦٠٠٠ درهم لأنهما كانتا في الأصل ملك يمين لرسول الله واعتقهن بعدما تزوجهن[٢٦٦] أي لأنهما كانتا من موالي العتاقة. وذكر مصعب بن سعد أن عمر فرض لعائشة ١٢٠٠٠ درهم ولسائر أزواج النبي ١٠٠٠٠ درهم باستثناء جورية وصفية حيث فرض لكل منهما ٦٠٠٠ درهم. لأنهما كانتا ملك يمين لرسول الله قبل زواجه بهما[٢٦٧]. في حين ذكرت روايات أخرى أن عمر فرض لسائر أزواج النبي بما فيهن حورية وصفية ١٠٠٠٠ درهم للواحدة في السنة، وفرض لعائشة ١٢٠٠٠ درهم، فضلها بألفي درهم لمحبة رسول الله لها[٢٦٨].

وانفرد اليعقوبي بذكر أن عمر فرض لعائشة وحفصة وأم حبيبة، أي القرشيات من أزواج النبي، ١٢٠٠٠ درهم للواحدة منهن في السنة، ولسائرهن ٦٠٠٠ درهم للواحدة في السنة جورية وصفية فيهن[٢٦٩].

وبناء على ما تقدم فالرأجح في عطاء أزواج النبي هو أن عمر فرض لسائرهن ١٠٠٠٠٠ درهم. ولعائشة ١٢٠٠٠ درهم فضلها عليهن بألفي درهم لمحبة الرسول لها، ويؤيد ذلك أيضا ما ذكره اليعقوبي أن عثمان نقص عائشة مما كان يعطيها عمر فجعلها أسوة غيرها من نساء الرسول[٢٧٠]، مما يدل على أن عائشة كانت تأخذ أكثر من سائر أزواج النبي زمن عمر. وأن سائر أزواج النبي كن يأخذن عطاء واحدا بما فيهن جورية وصفية.

ويلي أزواج النبي. المهاجرات الأول اللواتي هاجرن إلى الحبشة، وإلى المدينة قبل معركة بدر وقد اختلفت الروايات في مقدار ما فرضه عمر لهن، فذكر ابن سعد أن عمر فرض للنساء المهاجرات ٣٠٠٠ درهم للواحدة منهن في السنة[٢٧١] وفرض لصفية بنت عبد المطلب

---

[٢٦٦] الصنعاني، ج١١، ص:١٠٠، وأبو عبيد، ص:٣٢٠.

[٢٦٧] أبو عبيد ، ص: ٣٢٢، ابن سعد ج٣، ص:٣٠٤، البلاذري، فتوح ص. ٦٣٧، ٦٣٩، الخطيب البغدادي، تاريخ، ج٤، ص٦٢٠، ابن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب،ص: ٧٩.

[٢٦٨] أبو يوسف، ص:٤٤: وأبو عبيد، ص.٣٢٠، والبلاذري، فتوح،ص: ٦٣٠، وابن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٣١، الطبري، ج٣، ص:٦١٤، الصولي، ص١٩٠، أبو هلال العسكري، ص١٣٤، وابن أبي الحديد، شرح، ج١٢، ص:٢١٤، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧٢.

[٢٦٩] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٣.

[٢٧٠] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص.١٧٥.

[٢٧١] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨.

عمة الرسول ٦٠٠٠ درهم[٢٧٢]. وذكر اليعقوبي. أن عمر جعل النساء المهاجرات على ثلاث درجات، ٢٠٠٠ درهم وممن أخذ هذا المبلغ أسماء بنت عميس، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وخولة بنت حكيم بن الأوقص، و١٥٠٠ درهم وممن أخذ هذا المبلغ أم عبد الله بن مسعود و ١٠٠٠ درهم ولا يسمى واحدة ممن أخذته[٢٧٣]. وهناك روايات أخرى تذكر بأن عمر فرض لكل واحدة من النساء المهاجرات ١٠٠٠ درهم بما فيهن أسماء بنت عميس. وأسماء بنت أبي بكر. وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأم عبد الله بن مسعود[٢٧٤] ويبدو هذا أقرب للقبول في أعطيات النساء المهاجرات ومن ضمنهن صفية بنت عبد المطلب يؤيد ذلك ما ذكره مصعب بن الزبير (توفي سنة ٧٢هـ) أن عمر فرض لأسماء بنت أبي بكر ١٠٠٠ درهم في السنة[٢٧٥]

وفرض عمر لنساء أهل العطاء وفق طبقات أعطيات أزواجهن. حين فرض لكل واحدة منهن عشر عطاء زوجها . ذكر سيف بن عمر أن عمر فرض لنساء أهل بدر ٥٠٠ درهم. ونساء من بعد بدر إلى الحديبية ، ٤٠٠ درهم. ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ٣٠٠ درهم. ونساء أهل القادسية واليرموك ٢٠٠ درهم. جعل من بقي من النساء بعد ذلك طبقة واحدة. إذ فرض لكل واحدة منهن ١٠٠ درهم في السنة[٢٧٦] وروى مجالد بن سعيد الهمدان (توفي سنة ١٤٤هـ) عن الشعبي أن عمر فرض لنساء المهاجرين والأنصار ٦٠٠ درهم. ٤٠٠ درهم و ٣٠٠ درهم، و٢٠٠ درهم، للواحدة منهن في السنة[٢٧٧]. ويلاحظ أن رواية المجالد عن الشعبي تشير إلى وجود نساء يأخذن ٦٠٠ درهم، بينما ذكر الشعبي في ابن الجوزي أن الحد الأعلى لعطاء النساء في المدينة ٥٠٠ درهم، وأن الحد الأدنى لعطاء النساء ١٠٠ درهم للواحدة في السنة.

---

[٢٧٢] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، والبلاذري، فتوح ، ص: ٦٣٣.

[٢٧٣] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٣.

[٢٧٤] أبو عبيد، ص:٣٢٢، ٣٤٤، وابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، ٣٠٤، ج٨، ص.٢٥٤، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣٣٠، والبلاذري، فتوح، ص: ٦٣٤، ٦٣٧.

[٢٧٥] النووي، تهذيب الأسماء، ج٢، ص:٣٣٠.

[٢٧٦] الطبري، ج٣، ص:٦١٤، ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٤٥.

[٢٧٧] أبو يوسف، ص:٤٥.

ويلاحظ أن ما ورد في اكثر الروايات أدق وأشمل مما جاء في رواية الشعبي في أبي يوسف إذ لا يوجد في المدينة من يأخذ عطاء أكثر من البدريين لذا فمن المفترض أن نفضل نساؤهم على سائر النساء غير المهاجرات، وبالتالي فلا يوجد في المدينة نساء يأخذن ٦٠٠ درهم، كما اغفلت هذه الرواية نساء من جاء متأخرا إلى المدينة ونساء المحررين[٢٧٨]. وهؤلاء يكون عطاؤهن ١٠٠ درهم .

وبضوء ما تقدم فإن عطاء النساء في المدينة كما يلي:

أ- أزواج الرسول· عائشة ١٢٠٠٠ درهم، ولسائرهن ١٠٠٠٠ درهم للواحدة في السنة.

ب- النساء المهاجرات: ١٠٠٠ درهم للواحدة منهن في السنة.

ج- بقية النساء تدرجن في العطاء وفق اعطيات أزواجهن: نساء أهل بدر ٥٠٠ درهم للواحدة في السنة. ونساء من بعدهم إلى الحديبية ٤٠٠ درهم للواحدة في السنة. ونساء من بعدهم إلى أن أقلع أبوبكر عن حروب الردة ٣٠٠ درهم، ونساء من شهد القادسية واليرموك من أهل المدينة ومسلمة الفتح ٢٠٠ درهم . ونساء من جاء بعدهم ١٠٠ درهم للواحدة منهن في السنة، وهو الحد الأدنى لعطاء النساء.

وفرض عمر العطاء للأطفال في الديوان وكانوا لا يأخذون قبل ذلك، ويبدو أنه فرض للطفل الفطيم فقط في البداية. وعندما لاحظ أن بعض الناس يكرهون أولادهم على الفطام قبل أن يبلغوا السن المناسبة لذلك. عدل عمر عن رأيه وفرض للمولود من تاريخ ولادته: وأمر مناديا فنادى: "لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فأنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الأفاق: أنا نفرض لكل مولود في الإسلام"[٢٧٩] وقال سعيد بن المسيب (توفي سنة ٩٤هـ) " كان عمر يفرض للصبي إذا استهل "[٢٨٠] وجعل عمر الأطفال طبقة واحدة إذ

---

[٢٧٨] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص.٦٣٣.

[٢٧٩] مالك "المدونة، ج١، ص:٣٠٣، أبوعبيد، ص٣٣٨، ابن سعد، ج٣، ص:٣٥١، البلاذري، فتوح، ص.٦٣٣، الماوردي، ص:٢٠٢.

[٢٨٠] الصنعاني، ج٣، ص:٥٣٣، البيهقي، ج٦، ص:٣٤٧.

فرض لكل طفل ذكرا كان أم أنثى ١٠٠ درهم أو ما يعادلها بالدنانير ١٠ دنانير[٢٨١] .

وذكر سيف بن عمر، أن عمر بن الخطاب "جعل الصبيان سواء على مائة درهم"[٢٨٢]

وسار أخلاف عمر على نهجه في الفرض للمولود ١٠٠ درهم، أو ما يعادلها بالدنانير ١٠ دنانير. فيذكر سليمان بن حبيب الدمشقي أن عمر فرض لعيال المقاتلة وذريتهم العشرات، فامضى عثمان ومن بعده من الولاة ذلك[٢٨٣] وذكر أبو أسحق الهمداني أن جدة الخيّار مرّ على عثمان فقال له: كم معك من عيالك ياشيخ؟ قال : كذا وكذا. قال: قد فرضنا لك كذا وكذا ولعيالك مائة مائة[٢٨٤]. وفرض علي بن أبي طالب للمولود من تاريخ ولادته مائة درهم. ذكر سفيان الثوري (عن رجل من خثعم) قال : ولد لي غلام فأتيت عليا فاثبته في مائة"[٢٨٥] وقال عطية بن سعد الكوفي(توفي سنة ١١١هـ) لما ولدت أتى بي أبي عليا ففرض لي في مائة درهم[٢٨٦].

كما فرض عمر للطفل المجهول الأبوين (اللقيط) نفس العطاء مائة درهم أو عشرة دنانير في السنة، وجعل نفقات رضاعة اللقطاء ورعايتهم من بيت المال وتدفع لمن يتولى العناية بهم. ذكر الواقدي أن عمر " كان إذا أتي باللقيط فرض له في مائة درهم. وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر ما يصلحه، ثم ينقله من سنة إلى سنة. وكان يوصي بهم خيرا ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال[٢٨٧] وذكر الليث بن سعد (توفي سنة ١٧٤هـ) أن عمر بن الخطاب عثر على لقيط فدفعه إلى إمرأة لتعتني به وقال لها "قومي بشانه وخذي منّا نفقته"[٢٨٨] وكان عمر يجعل ولاء الطفل اللقيط لمن عثر عليه يفهم ذلك من قول عمر

---

[٢٨١] الطبري، ج٣، ص:٦١٤، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٣٠.
[٢٨٢] الطبري، ج٣، ص:٦١٤، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٣٠.
[٢٨٣] أبو عبيد ، ص٣٢٩، البلاذري، فتوح، ص٦٤٣.
[٢٨٤] أبو عبيد ، ص: ٣٢٩، ابن سعد، ج٦، ص: ٢١٩، البلادري، فتوح، ص:٦٤٤.
[٢٨٥] أبو عبيد، ص: ٣٣٩، البلاذري، فتوح، ص:٦٤٤.
[٢٨٦] ابن سعد، ج٦، ص:٣٠٤.
[٢٨٧] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري، فتوح، ص:٦٤٤.
[٢٨٨] ابن أبي الحديد، ج١٢، ص١٠٣.

للصحابي سنين أبي جميله عندما جاءه بلقيط " فهو حر وولاؤه ونفقته من بيت المـال"[٢٨٩] " وقال شريح الهمداني أن عمر جعل ولاء اللقيط لمن التقطه"[٢٩٠]

وكان عمر يزيد عطاء الأطفال بالتدريج إلى أن يصلوا سـن البلـوغ فيلحـق مـن يبلـغ منهم بعطاء المقاتلة، ذكر الكلبي والواقدي "كان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم فإذا ترعرع بلغ به مئتين فإذا بلغ زاده [٢٩١] وذكر عبد الله بن لهيعة المصري (توفي سنة ١٧٤هـ) كـان عمر يفرض للمولود إذا ولد عشرة، فإذا بلغ أن يفرض له ألحق بالفريضة[٢٩٢] يقصد بعشرة، عشرة دنانير. ويظهر ذلك بصورة أوضح في قول خالد بن عرفطة العذري لعمـر " ومـا يبلـغ لنا ذكر إلا الحق على خمسمائة أو ستمائة درهم[٢٩٣] وذكر الواقدي أن عمـر كـان يفـرض للقيط مائة. ثم ينقله من سنة إلى سنة[٢٩٤] مما يدل على أنه كان يزيده كغيره.

يبدو أن زيادة عطاء الطفل الذكر قد أوقفت في أواخر عهد الراشدين إذ صار عطـاؤه يبقى ثابتا مائة درهم، إلى أن يصل سن البلوغ فيلحق بعطاء المقاتلة وقد استمر العمل بذلك زمن الأمويين فيذكر الواقدي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله أن يفرضوا لابن خمـس عشرة في المقاتلة ويلحقوا من دون ذلك في العيال[٢٩٥].

تنسب بعض الروايات إلى عمر بن الخطاب أقولا علـى أنـها صدرت عنـه في آخر سنة من خلافته تشعر بأن فكر في إعادة النظر بفكرة التفضيل وبميله إلى التسوية بين الناس في العطاء. فيروي زيد بن اسلم المدني (مولى عمر توفي سنة ١٣٦هـ) أن عمر لما رأى المال قد كثر قال لئن عشت إلى هذه الليلة من قابل لا لحقن أخرى الناس بـاولاهم حتـى يكونـوا في العطاء سواء" قال. فتوفي رحمة الله قبل ذلك[٢٩٦] وهناك روايات أخرى تذهب إلى أبعد من ذلك فتحدد المبلغ الذي فكر عمر أن يفرضه للرجل في السنة، فيذكر الواقدي أن عمر قال "

---

[٢٨٩] الصنعاني، ج٩، ص:١٤، الشافعي، ج٤، ص:٧١، ابن حزم، المحلي، ج٨، ص. ٢٧٤، السرخسي، ج١٠، ص. ٢١، ابن قدامة ، المغني ، ج٥، ص:٦٧٩.

[٢٩٠] ابن حزم، المحلي، ج٨، ص:٢٧٤).

[٢٩١] أبو يوسف، ص:٤٦، ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري، فتوح ص. ٦٣٤.

[٢٩٢] أبو عبيد، ص: ٣٤٢، البلاذري، فتوح، ص٦٤٣.

[٢٩٣] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري، فتوح، ص٦٣٥.

[٢٩٤] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٤

[٢٩٥] الطبري، ج، ص: ٥٧٠، الواقدي، ج١، ص:٢١٦.

[٢٩٦] أبو يوسف ، ص.٤٦، أبو عبيد، ص:٣٧٥.

لئن كثر المال لافرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم"[٢٩٧] ويروي سيف ابن عمر التميمي الكوفي (توفي سنة ١٨٠هـ) أن عمر قال قبل وفاته " لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة ألاف فمات قبل أن يفعل"[٢٩٨] ويروي حارثة بن مضرب الكوفي (من التابعيين) أن عمر قال " لئن عشت لأجعلن عطاء المسلمين ثلاثة آلاف[٢٩٩].

هذا في حين يروي الأسود بن قيس البجلي الكوفي (من التابعين) عن شيخ لهم أن عمر قال " لئن عشت لا جعلن عطاء سفلة الناس ألفين[٣٠٠] والرواية الأخيرة تشير إلى أن عمر لم يفكر في التسوية المطلقة بين الناس وإنما فكر في تقليل الفوارق بين طبقات العطاء عن طريق رفع درجات العطاء المتدنية، وزيادة أصحاب العطاء القليل.

وتوفي عمر والعطاء على التفضيل، وتولى عثمان الخلافة من بعده فأبقى على سياسة التفضيل في العطاء[٣٠١] على الرغم من شكوى أصحاب العطاء القليل الذين كان عددهم في تزايد مستمر، ويبدو أنه حاول التخفيف من شكواهم بتقليل الفوارق بين طبقات العطاء فزاد بعض أصحاب العطاء القليل في أعطياتهم فمثلا كان عطاء رادفة قبيلة ربيعة في العراق متدنيا يصل في بعض الأحيان إلى ٢٥٠ درهما [٣٠٢]و٢٠٠ درهما للرجل في السنة. فزاد عثمان كل رجل منهم في عطائه ٥٠٠ درهم [٣٠٣].

وأنقص بعض الأعطيات المرتفعة ذلك أن سعيد بن العاص والي الكوفة لعثمان حط اشراف النساء فيها من عطائهن مائة درهم[٣٠٤].

وعندما تولى علي بن أبى طالب الخلافة سوى بين الناس في العطاء ولم يفضل أحد على أحد وأعطى الموالي كما أعطى العرب الصرحاء[٣٠٥]. وقد اتبع سياسة التسوية في العطاء منذ مطلع خلافته بالمدينة فيذكر ابن أبي الحديد أن عليا خطب أهل المدينة بعد توليه

---

[٢٩٧] ابن سعد، ج٣، ص: ٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص.٦٣٢.

[٢٩٨] الطبري، ج٣، ص: ٦١٥، والنويري، ج١٩، ص:٣٣٦.

[٢٩٩] ابن سعد، ج٣، ص:٣٠٤.

[٣٠٠] ابن سعد، ج٣، ص:٣٠٤.

[٣٠١] الطبري، ج٤، ص:٢٧٩، الماوردي، ص: ٢٠١، ابن طباطبا، ص:٨٤.

[٣٠٢] الجاحظ، العثمانية، ص: ٢١٢، المقدسي، البدء، ج٥، ص:١٦٨.

[٣٠٣] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص. ١٥٣، خليفة بن خياط، تاريخ ، ج١، ص:١٤٩.

[٣٠٤] أبو يوسف، ص:٤٥، الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص.١٣٦.

[٣٠٥] الشافعي، الأم، ج٤، ص:١٤٨، اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٨٣.

الخلافة مباشرة فقال" أنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد فيه على أحد[٣٠٦] ثم وزع على أهل المدينة أول عطاء في خلافته فأصاب كل رجل منهم عربيا كان أو مولى ثلاثة دنانير"[٣٠٧].

وقد أثرت سياسة التسوية في العطاء بشكل سلبي على موقف أهل السابقة وأشراف القبائل وأهل القادسية والأيام الذين اعتادوا على التفضيل زمن عمر وعثمان من علي بن أبي طالب أثناء صراعه مع معاوية على الخلافة، فكانت سببا في تخاذلهم في القتال ولحاق بعضهم بمعاوية [٣٠٨].

أما معاوية فأبقى العطاء على التفضيل، وكان يفضل أشراف القبائل وأهل البلاء على القتال في العطاء. فساعده ذلك في الحفاظ على تماسك الجبهة الشامية، والتفاف القبائل المقاتلة في الشام حوله. وربما ساعده ذلك في خلخة الجبهة العراقية واستمالة بعض أصحاب علي إلى جانبة. فمثلا فرض معاوية لالفي رجل من قبيلة عك ٢٠٠٠ درهم لكل منهم في السنة مكافئة لهم علي تفانيهم في القتال معه في صفين[٣٠٩].

كان العطاء في المدينة يوزع بواسطة العرفاء إذ كان لكل قبيلة عريف يقوم بتوزيع العطاء على أفرادها. ذكر مصعب الزبيري " أن العطاء كان يدفع إلى العرفاء وكان لكل قبيلة عريف يأخذ أعطياتهم ويدفعها إليهم[٣١٠]. وقام عمر بتعيين عريف لكل قبيلة بعد تدوين الديوان مباشرة. قال الصحابي جابر بن عبد الله (توفي سنة ٧٨هـ) أن عمر "دورن الدواوين وعرف العرفاء وعرفني على أصحابي[٣١١] ويدل على ذلك ما رواه الزهري عن سنين أبي جميلة (رجل من أهل المدينة) قال: وجدت منبوذا على عهد عمر فذكره عريفي له فدعاني [٣١٢] ويذكر سنين بأن عريفي شهد له عند عمر بأنه رجل صالح [٣١٣] . وكان

---

(٣٠٦) ابن أبي الحديد، ج٧، ص:٣٧.
(٣٠٧) ابن أبي الحديد، ج٧، ص:٣٨.
(٣٠٨) ابن أعثم، ج٤، ص.١٤٩.
(٣٠٩) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص: ٤٩٣.
(٣١٠) مصعب الزبيري، ص:١٥٤.
(٣١١) مصعب الزبيري، ص١٥٤.
(٣١٢) ابن سعد، ج٥، ص:٦٣.
(٣١٣) الشافعي، ج٢، ص٧١٠، ابن قدامه، المغني، ج٥، ٦٧٩، السرخسي، ج١٠، ص٢١٠.

الصحابي رافع ابن خديج الأنصاري (توفي سنة ٧٤هـ) "عريف قومه"[٣١٤]. وعبد الله بن وهب الأسدي "عريف بني أسد"[٣١٥].

استمر العطاء يوزع بواسطة العرفاء في المدينة زمن عثمان وعلي يتبين ذلك من قول أبي ذر الغفاري (توفي في خلافة عثمان سنة ٣٢هـ) في وصيته لمن حضر وفاته" أنشدكم الله لا يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا [٣١٦] فكفنه فتى من الأنصار.

وذكر أبو عبيد " أن عليا كان يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة فيقسمونه"[٣١٧] وصار العطاء يوزع مرة واحدة في السنة [٣١٨].

تطلق المصادر على الأرزاق التي كانت توزع في المدينة زمن الراشدين اسم طعام الجار نسبة إلى ميناء الجار قرب المدينة[٣١٩]. . إذا كانت الحنطة والزيت تحمل من مصر إلى المدينة عبر البحر الأحمر فتخزن هناك ثم توزع على الناس. ذكر اليعقوبي "أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يحمل إليه طعاما في البحر إلى المدينة يكفي عامة المسلمين حتى يصير به إلى الجار، فحمل طعاما إلى القلزم، ثم حمله في البحر عشرين مركبا، في المركب ثلاثة آلاف أردب وأكثر واقل حتى وافق الجار[٣٢٠] وبنى عمر مستودعات في الجار لخزن الطعام؛ ذكر اليعقوبي أن عمر بنى هناك قصرين وجعل الطعام فيهما"[٣٢١] وعين عمر مولاه سعد بن نوفل المعروف بسعد الجاري أمينا على تلك المستودعات ، يتولى قبض ما يرد من الطعام وحفظه[٣٢٢] واستمرت أرزاق أهل المدينة ترسل من مصر في البحر الأحمر فتخزن في الجار طيلة عهد الراشدين والأمويين ، فيذكر يزيد بن أبي حبيب (توفي سنة ١٢٨هـ) أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص. يأمره أن

---

[٣١٤] ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص:١٥١، النووي، تهذيب الأسماء، ج١، ص:١٨٧.

[٣١٥] ابن حجر، الإصابة ، ج٥، ص: ١٤٦.

[٣١٦] الأصبهاني، حليه، ج١، ص:١٧٠، ابن عبد البر، ج١، ص:٢٥٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص:٢٤٤.

[٣١٧] أبو عبيد، ص: ٦٢.

[٣١٨] أبو يوسف، ص: ٤٤

[٣١٩] مالك، الموطأ، ج٢، ص: ٦٤١، الصنعاني، المصنف، ج٨، ص:٢٩، ابن سعد، ج٣، ص:٢٨٢، ياقوت الحموي، ج٢، ص:١٥٤.

[٣٢٠] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص: ١٥٤.

[٣٢١] اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٤.

[٣٢٢] البلاذري، فتوح، ص: ٣٠٤، اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٤.

يحمل ما يقبض من الطعام في الخراج إلى المدينة في البحر، فكان ذلك يحمل معه الزيت، فإذا أورد الجار تولي قبضه سعد الجار، ويضيف يزيد بن أبي حبيب قائلا "فانقطع ذلك في الفتنة الأولى ثم حمل أيام معاوية ويزيد، ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان، ثم لم يزل يحمل إلى خلافة أبى جعفر[٣٢٣].

وكانت الأرزاق توزع زمن عمر بواسطة الصكاك ويكتب في الصك اسم الشخص المستفيد ومقدار رزقه، وكان الصك يختم منعا لأي تلاعب في مقدار الأرزاق، فبعد أن وصلت أول دفعة من الطعام إلى الجار، أمر عمر بن الخطاب زيد بن ثابت " أن يكتب للناس صكاكا من قراطيس ثم يختم اسفلها، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك[٣٢٤] ويبدو أن أهل المدينة كانوا يقبضون أرزاقهم من الجار مباشرة فيذكر البرهان فوري " أن عمر قسم ذلك الطعام على الناس في المدينة وكتب بالصكاك إلى الجار فكانوا يخرجون ويقبضون"[٣٢٥]، ولا ترد إشارات عن مقدار ما فرضه عمر لكل فرد في المدينة إلا أن أفلح بن حميد الأنصاري (توفي سنة ١٥٨هـ) يروي (أن عمر فضل بين الناس في طعام الجار"[٣٢٦] واستمر التفضيل في الأرزاق بين الناس في المدينة في العصر الأموي إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ) فأوقف التفضيل دون أن يتعرض إلى المقادير المقررة قبله، وسوى بين من فرض لهم في خلافته فيذكر محمد بن هلال المديني (توفي سنة ١٩٢هـ) أن عمر بن عبد العزيز سوى بين الناس في طعام الجار[٣٢٧]. ويقدم أفلح بن حميد رواية أكثر تفصيلا ووضوحا فيقول " إنما سوى عمر بن عبد العزيز بين من فرض له طعام الجار وأما من كان له شئ قبل ذلك فكان يأخذه "[٣٢٨] ويؤيد ذلك ما ذكره إبراهيم بن يحيي المدني " كان لي في طعام الجار عشرون أردبا فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أقرت وسوى بين من فرض

---

[٣٢٣] البلاذري، فتوح، ص:٣٠٤، قدامة بن جعفر، الخراج، ص:٣٣٨

[٣٢٤] ابن عبد الحكم، فتوح، ص: ١٦٦، اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص: ١٥٤، ابن منظور، ج١٠، ص: ٤٥٧.

[٣٢٥] البرهان، فوري ، كنز العمال، ج٤، ص:٥٧٢.

[٣٢٦] ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٧.

[٣٢٧] ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٧.

[٣٢٨] ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٧

له من أهل بيتي[٣٢٩] وكان عمر بن عبد العزيز يفرض أربعة أرداب ونصف لكل إنسان[٣٣٠]

يلاحظ من خلال المعلومات الواردة عن المقادير التي وزعت في العصر الأموي أن الفرق بين ما يأخذه شخص وآخر كان كبيرا. وأن المكيال المستخدم في توزيع الأرزاق بالمدينة هو المكيال المصري (الأردب) والذي يزن ٦٩ر٢ كغم قمح[٣٣١].

لم تقتصر أهمية الديوان على تنظيم دفع الأعطيات والأرزاق وتسجيل المقاتلة بل ساعد أيضا على تطبيق سياسة الخلافة بتشجيع انتقال العرب إلى الأمصار واستقرارهم فيها إذا كانت الهجرة إليها شرطا أساسيا للمشاركة في أخذ العطاء[٣٣٢]. ولم يسجل الأعراب الذين لم يهاجروا من الجزيرة إلى الامصار في الديوان. وفتح باب التسجيل أمام من يهاجر منهم قال الحسن البصري (توفي سنة ١١٠هـ) " هجرة الأعراب إذا ضمهم ديوانهم "[٣٣٣] فدفع ذلك الكثير منهم للخروج إلى الامصار للمشاركة في الأمجاد والاستفادة من المزايا الاقتصادية التي يحظى بها المهاجرون يفهم ذلك من تعريض الاشتر النخعي الكوفي (توفي سنة ٣٨هـ) بقبيصة بن جابر الأسدي وقومه حين قال " ما أسلم قومك إلا كرها ولا هاجروا إلا فقرا"[٣٣٤].

وكان التسجيل في الديوان يتطلب من المقاتل الإقامة في البلد الذي فيه ديوانه[٣٣٥]. وكان المقاتل إذا غاب عن مصرة فترة طويلة دون أن يعرض نفسه على العَراف يسقط من الديوان[٣٣٦] فساعد ذلك على استقرار العرب في الأمصار.

---

[٣٢٩] ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٧.

[٣٣٠] ابن سعد، ج٥، ص: ٣٤٧.

[٣٣١] فالترهنتس، ص: ٥٨.

[٣٣٢] أبو عبيد، ص: ٣١٩، ابن عبد ربه، ج٤، ص:١٣٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٠.

[٣٣٣] السيباني، ج١، ص:٩٤.

[٣٣٤] ابن اعثم، ج٢، ص:٤٣.

[٣٣٥] البلاذري، انساب، مخطوط، ق٢، ص:٨٨، محمد بن السائب الكلبي، جمهرة، ٨٩، ابن اعثم، ج٧، ص:٨٤، الاصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص:١٧٢، ابن عساكر ، تهذيب، ج٥، ص:٣٠٤، البغدادي، خزانة الأدب، ج٣، ص:٦٨.

[٣٣٦] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٨٨، الطبري، ج٧، ص:٢٧.

وأدى تسجيل الناس في الديوان على النسب إلى جعله سجلا للنسب حفظت فيه أنساب العرب، يفهم ذلك من قول عبد الملك لسور بن مخرمة الكلبي عندما خرج عليه مع ابن الأشعث، أثبت نسبك وفرضت لك [٣٣٧] ويتضح ذلك من قول قتيبة بن مسلم لقبائل خراسان" إني وليت أمركم فضممت الأخ إلى أخيه والأبن إلى أبيه وقسمت فيئكم ووفرت عليكم أعطياتكم[٣٣٨].

وقد استفادت كتب الأنساب والتراجم من الديوان في معرفة أنساب تراجمها وضبط أسمائهم. وكان تاريخ وفاة صاحب العطاء يسجل في الديوان وقد استفادت كتب التراجم والأنساب من ذلك في معرفة تواريخ وفاة تراجمها[٣٣٩].

كما اعتمدت كتب الأنساب والتراجم على الديوان في معرفة مكان إقامة بعض الأشخاص. والتمييز بين الأسماء المتشابهة[٣٤٠].

واستخدمت الدولة الديوان لتعقيب الخارجين عليها وملاحقة مرتكبي الجرائم والجنايات. فمثلا تعرف أبو مسلم الخراساني على قتلة يحيى بن زيد بن على عن طريق الديوان إذ تصفح الديوان فنظر إلى كل من كان في بعثه فقتله[٣٤١] وكانت الدولة إذ فر الجاني تأخذ بعض أقاربه المسجلين في الديوان بذنبه فتسجنهم أو تحرمهم من أعطياتهم لتجبرهم على إحضاره. ذكر الفرزدق أنه جنى جناية في البصرة أيام زياد بن أبيه وطلبه زياد فهرب منه فأخذ زياد عميه ذهيلا والزخاف وكان في الديوان على ألفين فحبسهما[٣٤٢]. وحرم سليك بن سلكة من عطائه وهدم منزله زمن الحجاج لأن أحد أبناء عشيرته كان من العصاة[٣٤٣].

وحملت الدولة العرفاء في الديوان مسؤولية ما يقع ضمن عرافاتهم من أعمال مناوئة لها وطالبتهم بابلاغها عن أي شخص من أفراد عرافاتهم يشتبه بأن له نشاطا معاديا لها ،

---

(٣٣٧) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص.٨٨، الطبري، ج٧، ص:٢٧.

(٣٣٨) ابن اعثم، ج٧، ص: ٢٦١.

(٣٣٩) أبو زرعة الدمشقي، ص: ٢٣٤.

(٣٤٠) ابن حجر ، الاصابة، ج٧، ص:١٥١.

(٣٤١) ابن حبيب، المحبر، ص:٤٨٤.

(٣٤٢) الطبري، ج٥، ص:٤٢.

(٣٤٣) ابن عبد ربه، ج٥، ص:٢٥٧، ابن عساكر، تهذيب، ج٤، ص ٦٤.

وهددت من لا يفعل ذلك من العرفاء بالعقــاب الشـديد[٣٤٥]. وبذلـك فقـد سـاهم الديـوان في الحفاظ على الأمن والاستقرار في الدولة.

وقد ساعد الديوان على ظهور أنمــاط جديـدة مـن المعـاملات الماليـة تشـبه الأئتمـان المصرفي في العصر الحديث، إذ صار من المفروض أن يـوزع العطـاء في موعـد محـدد. وكـان بعض أصحاب العطاء إذا احتاجوا للمال باعوا عطائهم لأجل الذي لم يستلموه بعـد. بمـال عاجل وبأقل من قيمة العطاء، أي مقابل دفع فائدة[٣٤٦].

وساعد الديوان على ظهور روابط اجتماعية بين المسـجلين فيـه لا تقـل أهميـة عـن رابطة النسب فيما يترتب عليها من الحقوق والواجبات، إذ كان أهل الديوان يرثون مـن لا وارث له منهم، قال الزهري " كتب عمر بن الخطاب أنـه إذا كـان الرجـل مـن العـرب لا يعرف أصله في ديوان قوم عقلوا عنه، فميراثه لهم"[٣٤٧].

وسهل الديوان على الدولة عملية جباية الزكاة والصدقـات مـن المسـجلين فيـه. إذ كانت تخصم ما توجب عليهم في زكاة أموالهم من أعطياتهم عند توزيع العطاء عليهم. ذكر أبو عبيد، "كان عمر وغيره من الخلفاء يأخذون الزكاة عند الأعطية"[٣٤٨].

---

[٣٤٥] ابن قتيبة، الشعر ، ج٢، ص:٥٤٥، البلاذري، أنساب، مخطوط، ق١، ص:٨٢٢، الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص:٦٠، ج١٢، ص:٢٩٤.

[٣٤٦] البلادري، فتوح، ص: ٦٥٧، وكيع، القضاة، ص: ٢٤٦،ابن عبد الحكم، فتوح، ص: ٢٧٧.

[٣٤٧] الصنعاني، ج٩، ص:١٢.

[٣٤٨] أبو عبيد، ص: ٧٠٨، وأنظر ص: ٥٦٤.

٣- الديوان في الامصار

أنشأ عمر بن الخطاب فروعا لديوان الجند في مراكز الأمصار مثل: البصرة، والكوفة، ودمشق والفسطاط، إذ يرد ذكر لأسماء عمال بعض هذه الدواوين زمن عمر، فمثلا يذكر أن أبا طلحة الطلحات عبد الله بن خلف الخزاعي كان على ديوان جند البصرة، وأن أبا جبيرة بن الضحاك كان على ديوان جند الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب[٣٤٩]. فكانت هذه الدواوين تعمل إلى جانب دواوين الخراج البيزنطية والفارسية التي استمرت تعمل كالسابق، ذكر الجهشياري " ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم وهذا الذي كان قد رسمه عمر، والآخر لوجوه الأموال بالفارسية"[٣٥٠]. وذكر الصولي أنه "كان بالبصرة والكوفة ديوانان لإعطاء الجند المقاتلة والذرية بكتاب بالعربية. وديوان بالفارسية. وبالشام ديوان بالعربية لمثل ذلك وديوان بالرومية"[٣٥١]. أما ديوان الجند في الفسطاط فقد أسس في أثناء ولاية عمرو بن العاص عليها لعمر بن الخطاب(٢١-٢٣هـ)[٣٥٢].

ولا تعطي الروايات تاريخا محددا لإنشاء هذه الدواوين، وتكتفي أحيانا بالإشارة إلى اسم الوالي الذي تم التدوين في عهده في هذا المصر أو ذاك، فهي مثلا تنسب إنشاء ديوان البصرة إلى المغيرة بن شعبة فيذكر ابن قتيبة أن المغيرة " هو أول من وضع ديوان البصرة"[٣٥٣] ويذكر الأصفهاني أن المغيرة ابن شعبة " هو أول من وضع ديوان العطاء بالبصرة ورتب الناس فيه فأعطاهم على الديوان ثم صار لهم رسما بعد ذلك يحتذونه"[٣٥٤]. وإذا ما علمنا أن ولاية المغيرة بن شعبة على البصرة كانت بين سنتي(١٦-١٧هـ)[٣٥٥]. فإنه يصبح من المتعذر قبول هذا التاريخ لتدوين الديوان فيها، إذ لا ينتظر أن يتم ذلك قبل تدوين

---

(٣٤٩) ابن حبيب، المحبر، ص.٣٧٧-٣٧٨، ابن قتيبة " المعارف"، ص:٢٩٥، اليعقوبي، البلدان، ص:٧٠، تاريخ الخلفاء ، ص:١٩، ابن مسكويه ج١، ص:٤٥٣، ٥٠٥، ابن حجر "الإصابة" ج٢ ص:٦٢.

(٣٥٠) الجهشياري، ص:٣٨، ٣٥١ الصولي، ص:١٩٢.

(٣٥١) الصولي، ص:١٩٢.

(٣٥٢) الكندي، ص:٩٢، المقريزي "خطط" ج١، ص:١٧٣.

(٣٥٣) ابن قتيبة" المعارف" ص.٢٩٥، النووي "تهذيب الأسماء" ج٢، ص:١١٠، ابن حجر " الإصابة " ج٦ ص.١٣٢.

(٣٥٤) الأصفهاني " الأغاني" ج١٦، ص.٤٣.

(٣٥٥) رماور، ص.٦٧.

الديوان في المركز سنة ٢٠هـ والأرجح أن هذه الروايات تعبر عن التغير الذي حصل على توزيع العطاء في العراق إذ صار العطاء يوزع مرة واحدة في السنة ابتداء من سنة ١٦ هـ. بعد أن كانت الأموال توزع عند قبضها قبل هذا التاريخ[٣٥٦]. وأنشئ ديوان الشام في خلافة عمر بن الخطاب ذكر البلاذري " لما دون عمر الدواوين في الشام سأله بلال أن يجعل ديوانه مع أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي[٣٥٧].

أما ديوان الفسطاط فيذكر الكندي والمقريزي " أن أول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه[٣٥٨]. وذكر اليعقوبي أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب يخبره بأنه قد اختط الفسطاط وأنه " جعل لكل قبيلة محرسا وعريفا[٣٥٩] مما يشعر بأن تدوين الديوان تم مع اختطاط المدينة في عام واحد، وبعد الفتح مباشرة.

وهكذا يبدو أن دواوين البصرة والكوفة والشام أنشئت مع ديوان المدينة سنة ٢٠هـ. في حين جرى تدوين ديوان الفسطاط بعد فتح مصر مباشرة سنة ٢١هـ.

وأنشئت دواوين أخرى للجند في العصر الأموي منها: ديوان خراسان الذي تم تأسيسه سنة ٥١هـ. في اثناء ولاية زياد بن أبيه على العراق[٣٦٠] وديوان القيروان الذي أنشئ في ولاية حسان بن النعمان على أفريقية (٦٩-٧٨هـ) فيذكر ابن عبد الحكم أن حسان بن النعمان قضى على الكاهنة ودانت له أفريقية " ودون الدواوين"[٣٦١]

وفي الامصار كان يجري إحصاء للقادمين الجدد وللولادات ويتم رفع قوائم بأسمائهم إلى الدواوين للنظر في إمكانية استيعابهم فيها، فمثلا عندما لاحظ الخليفة علي قلة من استجاب لندائه بالخروج لقتال معاوية بعد فشل التحكيم في صفين، طلب من رؤساء العشائر في الكوفة أن يرفعوا إليه أسماء أبنائهم ومواليهم الذين أدركوا سن القتال وغير مسجلين في الديوان قائلا " وإني أمركم أن يكتب إليّ كل رئيس قوم منكم ما في عشيرته من المقاتلة وأبنائهم الذين أدركو القتال والعبدان والموالي، وارفعوا ذلك إليّ لانظر فيه إن شاء الله "فكان

---

[٣٥٦] الطبري، ج٤، ص:٤٢.

[٣٥٧] البلادري " أنساب" ج١، ص:١٩٣.

[٣٥٨] الكندي، ص٩٢، المقريزي " خطط" ج١، ص:١٧٣.

[٣٥٩] اليعقوبي " البلدان" ص٨٦، وأنظر ابن حجر " رفع الأسر، ق٢ ، ص ٢٤٨.

[٣٦٠] البلادري، فتوح،ص: ٥٧٧، قدامة بن جعفر، ص:٤٠٥، النويري، ج٢، ص:٣٢٩.

[٣٦١] ابن عبد الحكم " فتوح" ص:٢٠١ ، المالكي، ج١ ص، ٣٦، ابن عذاري، ج١ ص:٣٨.

جميع ما رفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألف من الأبناء، وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم. فكانت العرب سبعة وخمسين ألف من أهل الكوفة، ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف[٣٦٢].

وعين معاوية لكل قبيلة في مصر رجلا مهمته تسجيل أسماء المواليد والمهاجرين الجدد ورفعها إلى الديوان، كان معاوية قد جعل عل كل قبيلة من قبائل العرب رجلا، فكان على المعافر رجل يقال له الحسن يصيح كل يوم فيدور على المجالس فيقول. هل ولد الليلة فيكم مولود؟ وهل نزل بكم نازل؟ فيقال: ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيقول، سموهم فيكتب، ويقال: نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله فيسمونه وعياله، فإذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان"[٣٦٣]. وكان العرفاء في المدينة مسئولين عن رفع أسماء الموتى والغائبين من قبائلهم إلى الديوان[٣٦٤] ومن المحتمل أنهم كانوا يرفعون أسماء المواليد.

ويشار عادة إلى إعادة تنظيم الديوان بالتدوين فمثلا يذكر اليعقوبي أن زياداً " أول من دون الدواوين"[٣٦٥] فالدواوين في الكوفة والبصرة أنشئت من زمن عمر بن الخطاب، وربما كانت هذه الرواية تشير إلى الدور الذي لعبه زياد في تنظيم ديواني الكوفة والبصرة في أثناء ولايته على العراق (٤٥-٥٣هـ) إذ جعل لكل عشيرة عريفا وأحدث وظيفة المنكب، وهو المسؤول عن العرفاء في كل قبيلة[٣٦٦]. وأضاف أعداد جديدة لمقاتلة المصريين المذكورين قال المدائني كان عدد مقاتلة البصرة عندما وليها زياد " أربعين ألف فبلغ بهم ثمانين ألف، وكانت الذرية ثمانين ألفا فبلغ بهمماية وعشرية ألف"[٣٦٧] وذكر العتبي أن زياد ابلغ بالمقاتلة من أهل الكوفة ستين ألفا، وكانوا قبل ولايته أربعين ألف[٣٦٨]. هذا فضلا عن إنشاء ديوان خراسان ونقل خمسين ألفا من مقاتلة الكوفة والبصرة إليهما[٣٦٩].

---

(٣٦٢) الإمامة والسياسة، ص:١٥١.

(٣٦٣) ابن عبد الحكم، فتوح، ص: ١٠٢، المقريزي، حطط، ح١، ص:١٧٣.

(٣٦٤) مصعب الزبيري، ص:١٥٤-١٥٥.

(٣٦٥) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص.٢٣٤.

(٣٦٦) البلادري، أنساب، ج٤، قسم١، ص:١٦٠، أبو هلال العسكري، ص:٢٢٤، ابن عبد ربه ، ج٥، ص.٢٥١.

(٣٦٧) البلادري، أنساب ، ج٤، قسم ١، ص:١٩٠، ابن عبد ربه، ج٥، ص:٢٥١.

(٣٦٨) البلادري، أنساب ، ج٤، قسم ١، ص:١٩٠، ابن عبد ربه، ج٥، ص:٢٥١.

(٣٦٩) البلادري، فتوح، ص:٥٧٧، قدامة بن جعفر، ص:٤٠٥.

وذكر اليعقوبي أن الوليد بن عبد الملك " أحصى أهل الديوان وألقى منهم خلقا كثيرا بلغت عدتهم عشرين ألف"[٣٧٠]. وذكر صاحب تاريخ الخلفاء أن هشام بن عبد الملك" أول من أحدث الدواوين لأنه فرض لعيال الاعاجم وأبناء الفرس من أهل بعلبك وانطاكية في خمسة دنانير ولم يفرض لهم أحد قبله[٣٧١].

وتتوفر معلومات أكثر تفصيلا عن عمليات التوسع وإعادة التنظيم التي جرت في ديوان مصر في صدر الإسلام فيذكر الكندي والمقريزي أن "أول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه، ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا. ودون قرة بن شريك التدوين الثالث، ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعاً. ثم لم يعد بعد تدوين بشر شئ له ذكر إلا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان "[٣٧٢] حيث ألحق هشام ثلاثة آلاف من قيس بديوان مصر سنة١٠٩هـ[٣٧٣]. ويبين الكندي ما جرى في عملية التدوين الرابع التي تمت في ولاية بشر بن صفوان على مصر (١٠١ - ١٠٢هـ) فيذكر أنه " لما رأى بشر بن صفوان افتراق قضاعة في القبائل كتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الإذن في استخراج من كان في القبائل منهم فيجعلهم دعوة منفردة. فأذن له يزيد بن عبد الملك في ذلك، فأخرج مهرة من كندة، وأخرج تنوخا من الأزد. وأخرج آل كعب بن عدي التنوخي من قريش، وأخرج جهينة من أهل الراية. وأخرج خشينا من لخم، فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة منفردة. وتدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع "[٣٧٤] فكانت عملية التدوين الرابعة في مصر تتمثل في تجميع قضاعة في قائمة واحدة بالديوان، بعد أن كانت بطون هذه القبيلة موزعة في قوائم القبائل الأخرى.

وكان الخلفاء والولاة يولون دواوين الجند عناية خاصة فيدققونها بأنفسهم ويراقبون سير العمل فيها ومجالات صرف الأعطيات لمنع التلاعب وتفادي الأخطاء ومعالجتها. وكانوا أحيانا يكلفون من ينوب عنهم في هذه المهمة، فمثلا لاحظ معاوية بن أبي سفيان أن

---

[٣٧٠] اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:٣٤٨.

[٣٧١] تاريخ الخلفاء، ص:٣٩٩.

[٣٧٢] الكندي، ص:٩٢، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧٣.

[٣٧٣] الكندي، ص:٨٩.

[٣٧٤] الكندي، ص:٩٢

العرفاء بالمدينة لا يرفعون أسماء الموتى والغائبين إلى الديوان ويستمرون في قبض عطائهم بالاتفاق مع ذويهم ويقتسمونه فيما بينهم، فأرسل عاصم بن عتبة إلى المدينة ليصحح الديوان ويمنع إخراج العطاء للموتى والغائبين [٣٧٥]. وذكر يوسف بن يعقوب الماجشون أنه سجل وهو لا يزال طفلا في عداد المقاتلة أيام سليمان بن عبد الملك" فلما ولي عمر بن عبد العزيز عرض الديوان فمر به أسمى فقال ما أعرفني بمولد هذا الغلام، هذا صغير ليس من أهل الفرائض فردني عيلا[٣٧٦].

وقد يكلف الخليفة أو الوالي أحد موظفيه بتدقيق الديوان في مصر من الأمصار[٣٧٧]. وكان الخلفاء يطلبون أحيانا من عمال دواوين في الأمصار أن يفدوا عليهم بحساب دواوينهم للاطلاع على سير العمل فيها وتدقيقها[٣٧٨] وكان عامل الديوان يحاسب على كل تلاعب أو تقصير يكتشف في الديوان، ذكر صاحب الأمامة والسياسة أن عبد الملك ولي أخاه بشرا العراق وبعث إليه بديوانها وكتب إليه" قد بعثت إليك بديوان العراق فادفعه إلى موسى بن نصير. وأعلمه أنه المأخوذ بكل خلل وتقصير"[٣٧٩]. وبالتالي فإنه كان بإمكان الخليفة أن يطلع على هذه الدواوين ويراجعها في الوقت الذي يريد، فيعرف ما يجري في كافة الدواوين.

وكان هشام بن عبد الملك أكثر خلفاء بني أمية مراجعة للدواوين وفحصا لها، حتى غدت الدواوين في عهده مثالا للدقة ذكر المدائني أن غسان بن عبد الحميد الكاتب قال " لم يكن أحد من بني مروان أشد نظرا في أمر اصحابه ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام" [٣٨٠]. وقد نالت دقة دواوين هشام اعجاب العباسيين وثناءهم قال عبد الله

---

[٣٧٥] مصعب الزبيري، ص ١٥٤-١٥٥.

[٣٧٦] ابن سعد، ج٥، ص:٤١٥.

[٣٧٧] الطبري، ج٧، ص:١٥-١٦.

[٣٧٨] الطبري، ج٧، ص:١٣، السخاوي، ج١، ص٦٧.

[٣٧٩] الامامة والسياسة، ص:٢٩٣.، ابن عساكر، تاريخ ، ج٢، قسم ١، ص.٣٥-٣٦

[٣٨٠] الطبري، ج٧، ص:٢٠٣، ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٩٧.

بن على العباسي والي الشام لأبي العباس السفاح "جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصة والعامة والسلطان"[٣٨١].

سجل المقاتلة العرب في دواوين الامصار حسب أنسابهم القبلية حيث كان لكل قبيلة ديوان أو سجل خاص يضم أسماء مقاتلتها وعيالهم. فمثلا كان هناك ديوان لخثعم بالشام زمن عمر بن الخطاب[٣٨٢]، وديوان للنخع [٣٨٣]، وأخر لكندة[٣٨٤]، في الكوفة. وفي مصر كان هناك ديوان لمراد[٣٨٥]، وديوان للمعافر[٣٨٦] وديوان للازد[٣٨٧] هذا بالنسبة للقبائل التي لها من العدد ما يسمح بتخصيص دعوة منفردة لها في ديوان المصر.

أما القبائل التي كانت قلة عدد مقاتلتها لا تسمح بتخصيص دعوة منفردة لها فكانت تسجل مع قبائل أخرى إلى أن يجمع لها من العدد ما يسمح بتخصيص دعوة منفردة لها فمثلا كانت قبيلة قضاعة في مصر موزعة في دواوين عدة قبائل إلى أن تم تجميعها في سجل واحد في ولاية بشر بن صفوان الكلبي على مصر (١٠١-١٠٢هـ)[٣٨٨].

وكان ديوان فهم وهي من جديلة قيس في مصر مع أهل اليمن لقلة عددها[٣٨٩].

كرهت بعض القبائل القليلة العدد في مصر أن تسجل في دواوين قبائل أخرى فخصصت لها دعوة منفردة ضمت جميع هذه القبائل وحملت اسم أهل الراية فيذكر المقريزي أن " أهل الراية جماعة من قريش والأنصار وخزاعة. وأسلم. وغفار. ومزينة وأشجع، وجهينة، وثقيف، ودوس، وعبس بن بغيض. وجرش بن كنانة. وليث بن بكر والعتقاء[٣٩٠].

---

[٣٨١] البلاذري، أنساب ، مخطوط، ق٢، ص٢٤٦، الطبري، ج٧، ص:٢٠٣، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص:٢٦٢، ابن كثير، ح٩، ص:٣٩٧،.

[٣٨٢] ابن قتيبة، المعارف، ص١٧٦، البلادري، أنساب،ج١، ص:١٩٣، ابن حجر، الاصابة، ج٧، ص:٧٠.

[٣٨٣] البلادري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٥٧٢.

[٣٨٤] ابن سعد، ج٦، ص:١٣٢.

[٣٨٥] ابن ماكولا، ج٢ ص:١٢١.

[٣٨٦] ابن ماكولا، ج٢، ص:٣٦

[٣٨٧] ابن دقماق قسم ١، ص: ١٢٥.

[٣٨٨] الكندي، ص.٩٢.

[٣٨٩] الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠-٣١.

[٣٩٠] المقريزي، خطط، ج١، ص٥٥٧.

أما الموالي الذين لم يكن يجمعهم النسب فكانوا يسجلون في دواوين القبائل التي يوالونها، وإذا ما رغبوا عن ذلك فإنهم يلحقون بدواوين القبائل التي يختارونها، أو تخصص لهم دعوة منفردة إذا كان عددهم يسمح بذلك يفهم ذلك من كتاب عمر بن الخطاب إلى إمراء الاجناد " ومن اعتقتم من الحمراء فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء والمعروف"[٣٩١]

ورفض الروم والفرس الذين شهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص أن يوالوا أحدا من العرب فخصصت لهم دعوات منفردة تحمل اسمهم، ذكر سعيد بن عفير المصري (توفي سنة ٢٢٦هـ) أن سنبخت الفارسي كان على عرافة الفارسيين بمصر[٣٩٢].

كان التسجيل في الديوان يتطلب من المقاتل الإقامة في البلد الذي فيه ديوانه لذا كان الأمويين لا يفرضون في الشام إلا للقبائل الموالية لهم، فمثلا كان معاوية في مطلع خلافته لا يفرض بالشام إلا للقبائل اليمانية، وعندما سأله مسكين الدارمي الشاعر القيسي أن يفرض له بالشام أبى عليه، ولم يزل معاوية على ذلك إلى أن كثرت اليمن وضعفت عدنان بالشام ففرض معاوية لأربعة آلاف من قيس بالشام وجعل مسكين الدارمي في شرف العطاء [٣٩٣] ولم يفرض المروانيون لأحد من تميم وبكر وائل في الشام[٣٩٤]. وقد بين عبد الملك سبب ذلك فقال: " إن بكر وائل وبني تميم حيان كثير شرهما وما أحب أن يكثروا بهذه البلاد"[٣٩٥]، والذي عناه عبد الملك بذلك أن الكثير منهم على رأي الخوارج، فقد رفض عبد الملك نقل اسم شبيب بن يزيد الشيباني وقومه من ديوان الكوفة إلى ديوان الشام وقال " إن رأيهم رأي الخوارج[٣٩٦] . يتبين من هذه الروايات أن نقل المقاتلة من ديوان مصر إلى آخر يحتاج إلى موافقة الخليفة شخصيا.

---

[٣٩١] البلاذيري، فتوح، ص:٦٤٢.

[٣٩٢] ابن ماكولا، ج٤، ص:٣٨٦، وأنظر المقريزي، خطط، ج١، ص:٥٥٨.

[٣٩٣] الاصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ١٧٢، وابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص٣٠٤، العدادي، خزانة الأدب، ج٣، ص:٦٨.

[٣٩٤] البلادري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٨٩.

[٣٩٥] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٨٨.

[٣٩٦] ابن أعثم الكوفي، ج٧، ص:٨٤-٨٥.

لم يكن في الأمصار أعداد كبيرة من أهل السابقة كما هو الحال في المدينة. عند تدوين الديوان في زمن عمر، لذا فإنه لم يجر التفضيل بين المقاتلة في الأمصار على هذا الأساس، وفضل بينهم على أسس أخرى منها: السبق إلى المشاركة في معارك الفتح الأولى. فكان أعلى عطاء دفع للمقاتلة في الأمصار هو ما خصص لأهل الأيام والقاديسة واليرموك[٣٩٧].

وكانت الشجاعة والبسالة في القتال من أبرز أسس التفضيل كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وإليه على مصر أن يفرض لخارجة بن حذافة في منتي دينار. شرف العطاء، بمصر، لشجاعته[٣٩٨]. وفضل أهل البلاء النازع في القادسية على غيرهم ممن شهدها بمقدار خمسمائة، فكان عطاؤهم ألفين وخمسمائة درهم وعطاء عامة من شهد القادسية ألفا درهم[٣٩٩] . وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن يعطي عمر بن معد يكرب الذي لا يحفظ من القرآن شيئا "على مقاماته في الحرب"[٤٠٠]. وكان عمر من أهل البلاء في القادسية . ذكر الأصفهاني أن بشر بن ربيعة الختعمي وعمرو بن معد يكرب وهما من قادة المرتدين سابقا شهدا القادسية وأبليا فيها بلاء حسنا. وعندما أراد سعد أن يفضل حفظة القرآن عليهما احتجا عليه ببلائهما في القتال فكتب سعد بأمرهما إلى عمر فرد عليه عمر " أن أعطهما على بلائمها"[٤٠١]. وذكر الماوردي أنه " روعي في التفضيل عند انقراض أهل السابقة بالتقدم في الشاجعة والبلاء في الجهد"[٤٠٢].

وكان الإقبال على حفظ القرآن وتعلمه سببا للتفضيل في بعض الأحيان. ذكر أبو عبيد أن عمر كتب إلى أحد عماله " أن أعط الناس على تعلم القرآن[٤٠٣] وذكر ابن عبّد ربه أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص " أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن"[٤٠٤]. وقال سعد بن أبي وقاص " من قرأ القرآن الحقته في ألفين"[٤٠٥] وذكر غنيم بن

---

[٣٩٧] الطبري، ج٣، ص.٦١٤٠، تاريخ الحلفاء، ص٦:اس الجوري، سيرة عمر بن الخطاب، ص١٢٩.

[٣٩٨] ابن سعد، ج٧، ص:٤٩٦، أبو عبيد، ص: ٣٢٢، ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٤٥، البلادري، فتوح، ص:٦٤٠، ابن حجر، الاصابة، ج٤، ص:١٢٤.

[٣٩٩] الطبري، ج٣، ص:٦١٤، تاريخ الخلفاء، ص:٦٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩.

[٤٠٠] ابن عبد ربه، ج١، ص:٢٦٦-٦٧.

[٤٠١] الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص:١٨٩-١٩٠.

[٤٠٢] الماوردي، ص: ٢٠٢

[٤٠٣] أبو عبيد، ص:٣٧٢.

[٤٠٤] ابن عبد ربه، ج١، ص:٢٦٦.

قيس الكعبي التميمي البصري أنه كان واحدا من بين سبعة رجال من أهل البصرة ختموا القرآن فأوفدهم أبو موسى الأشعري إلى عمر ففرض لهم في ألفين(٤٠٦). وذكر الواقدي أن عمر بعد أن انتهى من فرض العطاء لأهل السابقة وأبناء المهاجرين ومن شهد فتح مكة " فرض للناس على منازلهم وقرأتهم للقرآن وجهادهم"(٤٠٧) ويبدو من هذه الروايات أن الخلافة كانت تهدف من وراء تفضيل حفظة القرآن في العطاء إلى ترسيخ المفاهيم الإسلامية لدى حديثي العهد بالإسلام من الناس.

وللإسراع في الهجرة إلى الأمصار والمشاركة في الجهاد وقرب مكان الإقامة أو بعده من دار الهجرة دور في التفضيل في العطاء. فقد تدرج عطاء الروادف حسب الأسبقية في الهجرة فأخذت الرادفة الأولى عطاء أكثر من الثانية وهكذا حتى كانت آخر الروادف في خلافة عمر أقلها عطاء(٤٠٨). وذكر الجاحظ أن عمر فرض للناس على قدر بعد الدار وقربها من المهاجر، ففرض لأهل اليمن في السبعمائة إلى الألف وإنما أرغبهم وزادهم لبعد دارهم من المهاجر، وكانوا أهل قرى ومزارع فتركوا مطنبهم رغبة في الهجرة، وفرض لربيعة في مائتين وخمسين وقال" إنما هاجروا من أطناب بيوتهم"(٤٠٩). وكانت ربيعة تقيم في بادية العراق وهاجرت إلى الكوفة والبصرة القريبة منها(٤١٠).

واستمر وضع العطاء على التفضيل في الأمصار زمن عثمان(٤١١). وعندما ولي علي بن أبي طالب الخلافة ألغى التفضيل وسوى بين الناس في العطاء(٤١٢).

أبقى الأمويون العطاء على التفضيل كما كان أيام عمر وعثمان، أما الأسس التي جرى عليها التفضيل فبعضها استمر العمل به كالتفضيل على البلاء في القتال، وبعضها انتهى

---

(٤٠٥) ابو عبيد، ص:٣٧٢.

(٤٠٦) ابن سعد، ج٧، ص:١٢٣.

(٤٠٧) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٧، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٣.

(٤٠٨) الطبري، ج٣، ص٦١٥، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص.١٣٠.

(٤٠٩) الجاحظ، العثمانية، ص٢١٢، وأنظر المقدسي، البدء ج٥، ص.١٦٨.

(٤١٠) جمال جودة ، العرب، ص:٦٨، ٧٣.

(٤١١) الطبري، ج٤، ص٢٧٩، الماوردي، ص:٢٠١، ابن عساكر، تهذيب ، ج٦، ص:١٣٨، ابن طباطبا، ص:٨٤.

(٤١٢) الشافعي، ج٤، ص:١٣٨، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٨٣، المقدسي، البدء، ج٥، ص:١٦٨، المسعودي، مروج، ج٢، ص:٣٥٣، الماوردي، ص:٢٠١، ابن أبي الحديد، ج٧، ص:٣٧،٣٨،٤٠.

مثل التفضيل على أساس السابقة في الإسلام الذي عمل به في المدينة زمن عمر وعثمان، وأحدثت أسسا أخرى مثل الولاء للبيت الأموي وخدمته.

كان العطاء في الكوفة زمن الراشدين يتدرج بين أهل الأيام والقادسية والروادف، أما أهل الأيام وهم الذين شاركوا في المعارك التي سبقت القادسية فكان عطاء الرجل منهم في السنة ٣٠٠٠ درهم[٤١٣]. وعطاء عامة من شهد القادسية ٢٠٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٤١٤]. وبعضهم كان يأخذ ١٥٠٠ درهم يفهم ذلك من قول خالد بن عرفطة العذري (شهد القادسية وتوفي سنة ٦١هـ) لعمر " ما وطئ أحد القادسية إلا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة"[٤١٥].

كما فرض عمر لبعض الأعاجم الذين أسلموا وشهدوا القادسية مع سعد ٢٠٠٠درهم[٤١٦] وفضل عمر أهل البلاء النازع في القادسية على عامة من شهدها بمقدار ٥٠٠ درهم فكان عطاء الرجل منهم في السنة ٢٥٠٠درهم[٤١٧]. وكان عدد أهل البلاء في القادسية قليلا، ولا يتجاوز خمسة وعشرين رجلا قال الشعبي الكوفي . إن أهل البلاء يوم القادسية فضلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة في أعطياتهم خمسة وعشرين رجلا[٤١٨] .

ويلاحظ من تراجم أهل البلاء أنهم لم يكونوا شخصيات اعتيادية. بل كانوا رؤساء قبائلهم أو عشائرهم وأشرافها وقادتها في المعركة، ولعبوا دورا رئيسا في القتال[٤١٩].

---

(٤١٣) الطبري، ج٣، ص:٥٦٨، ٦١٤، تاريخ الخلفاء ، ص:٦، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩، ابن الوردي، تاريخ ،ج١، ص:١٤٥، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧١.

(٤١٤) ابن سعد ، ج٣، ص:٢٩٦، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٣، الطبري ج٣، ص:٦١٤، ج٤ ص، ٧٥، تاريخ الخلفاء، ص:٦، الماوردي، ص:٢٠١، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩، النويري، ج١٩، ص: ٣٥٥، ابن الوردي، تاريخ ، ج١ ص: ١٤٥، القلقشندي، صبح، ج١٢، ص:١٠٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧١.

(٤١٥) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري،فتوح ص:١٣٤، الطبري ج٤، ص:٤٩، وأنظر البرهان فوري ج٤، ص:٥٨٥.

(٤١٦) الطبري، ج٣، ص:٥٨٢.

(٤١٧) الطبري، ج٣،ص:٦١٤، تاريخ الخلفاء ، ص:٦، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧١.

(٤١٨) الطبري، ج٣، ص:٥٦٨، وأنظر ابن مسكويه، ج١، ص:٣٧٩.

(٤١٩) أنظر: الطبري، ج٣، ص:٥٦٧-٥٦٨. البلاذري، أنساب، ج٥، ص:٣٢. السمعاني، ج١، ص:٧٦، ابن حجر، الأصابة، ج٥، ص:١٢٥. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص:٣٨٤. ابن عساكر ، تهذيب، ج٥، ص:٩٣.

وتختلف الروايات في عدد الروادف التي لحقت بالأمصار زمن عمر بن الخطاب وفي مقادير أعطياتها فيذكر الواقدي أن عمر فرض لمن جاء بعد القادسية واليرموك من أهل اليمن وقيس بالشام والعراق ما بين "ألف إلى التسعمائة إلى الخمسمائة إلى الثلاثمائة ولم ينقص أحد من ثلاثمائة"[٤٢٠].

وذكرت المصادر أن عمر فرض للروادف الذين ردفوا بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم فرض للروادف الثليث ثلثمائة ثلثمائة، سوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم، وفرض للروادف الربيع مائتين وخمسين، وفرض لمن بعدهم من أهل هجر والعباد على مائتين"[٤٢١].

ويذكر الجاحظ أن عمر فرض لأهل اليمن في السبعمائة إلى الألف لبعد دارهم من المهاجر ولأنهم كانوا أصحاب قرى ومزارع فتركوها رغبة في الهجرة، وفرض لمصر وبلي وكلب وطيئ في الثلاثمائة إلى الأربعمائة وفرض لربيعة في مائتين وخمسين وقال " إنما هاجروا من أطناب بيوتهم"[٤٢٢]. وذكر اليعقوبي أن عمر " فرض لأهل اليمن في أربعمائة ولمضر في ثلاثمائة ولربيعة في مائتين[٤٢٣].

وفرض عمر لحمراء ديلم وهم جماعة من جند الفرس الذين أسلموا بعد القادسية ونزلوا الكوفة عطاء الرادفة الأولى ١٠٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٤٢٤]. وقد زاد عمر عطاء بعض الروادف لبلائهم في القتال فيذكر الطبري أن عمر " ألحق من شهد نهاوند فابلى من الروادف بلاء فاضلا في ألفين ألفين ألحقهم بأهل القادسية[٤٢٥].

كان أعلى عطاء في البصرة زمن الراشدين هو ما خصص لأهل الأيام ٣٠٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٤٢٦]. وكان عطاء أهل القادسية من سكن البصرة وعددهم خمسة آلاف

---

(٤٢٠) ابن سعد، ج٣، ص٢٩٦، والبلاذري، فتوح، ص:٦٣٣ وأنظر الماوردي، ص:٢٠١، القلقشندي، صبح، ج١٣، ص:١٠٩.

(٤٢١) الطبري، ج٣، ص:٦١٤، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص.١٢٩-١٣٠.

(٤٢٢) الجاحظ، العثمانية ، ص:٢١٢، وأنظر المقدسي، البدء، ج٥، ص١٦٨.

(٤٢٣) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص.١٥٣

(٤٢٤) البلاذري، فتوح، ص:٣٩٢.

(٤٢٥) الطبري، ج٣، ص:١٣٧.

(٤٢٦) الطبري، ج٣، ص:٥٦٨، ٦١٤.

رجل ٢٠٠٠ درهم لكل منهم في السنة. فيذكر سيف" أن أصحاب الألفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة ابن غزوان خمسة آلاف"[٤٢٧].

وفرض عمر للذين شهدوا فتح الأبلة وعددهم ثلاثمائة رجل ألفي درهم لكل منهم، ذكر داود بن أبي هند البصري (توفي سنة ١٣٩هـ). أن المسلمين أصابوا بالأبلة من الدراهم ستمائة درهم فأخذ كل رجل منهم درهمين درهمين، ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذها من فتح الأبلة في ألفين من العطاء، وكانوا ثلاثمائة رجل"[٤٢٨] و ألحق عمر جميع من شهد فتح الأهواز من أهل البصرة في ألفي درهم من العطاء أيضا[٤٢٩]. كما فرض عمر لأساورة البصرة الذين أسلموا قبيل فتح السوس في ألفي درهم لكل رجل منهم[٤٣٠].

كما ألحق عمر عددا من حفظة القرآن في البصرة بألفين من العطاء في أثناء ولاية أبي موسى (١٧-٢٣هـ)[٤٣١]. وهذا يعني أنه عندما وضع الديوان سنة ٢٠هـ كان أكثر مقاتلة البصرة قد شهدوا فتح الأبلة والأهواز والحقوا في ألفين من العطاء. الأمر الذي جعل وضع الروادف في البصرة أفضل من وضع روادف الكوفة. إذ كان هناك تباين واسع بين عطاء الروادف في الكوفة.

وربما كان للوضع الجيد لروادف البصرة دور في الازدياد السريع في عدد مقاتلتها حتى صار خراج فتوحهم لا يكفيهم سنة ٢٢ هـ،ذكر سيف بن عمر التميمي الكوفي (توفي سنة ١٨٠هـ)" كتب عمرو بن سراقة وهو يومئذ على البصرة إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ما سبذان". [٤٣٢]

لكن استمرار الفتوح في فارس وكرمان في أواخر خلافة عمر بن الخطاب. وفي خراسان زمن عثمان بن عفان حال دون حدوث تباين كبير بين عطاء الروادف في البصرة. فقد فرض

---

[٤٢٧] الطبري، ج٤، ص:٧٥.
[٤٢٨] الطبري، ج٣، ص:٥٩٤.
[٤٢٩] الطبري، ج٤، ص:٧٥.
[٤٣٠] البلاذري، فتوح، ص:٥١٩، الطبري، ج٤، ص:٩٠-٩١.
[٤٣١] ابن سعد، ج٧، ص:١٢٣.
[٤٣٢] ابن سعد ، ج٧، ص١٢٣.

عمر لمن شهد فتح أصطخر من أهل البصرة سنة ٢٣هـ في سبعمائة درهم (سبعين دينارا) لكل رجل منهم في السنة[٤٣٣].

تدرج العطاء في الشام بين من شهد اليرموك والروادف، وكان عطاء من شهد اليرموك ٢٠٠ دينار أو ٢٠٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٤٣٤] وتراوح عطاء الروادف فيها بين ١٠٠ دينار أو ١٠٠٠ درهم و٣٠ دينارا أو ٣٠٠ درهم

وكان شرف العطاء في مصر زمن الراشدين ٢٠٠ دينار أو ٢٠٠٠ درهم قال يزيد بن أبي حبيب المصري أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص: أن افرض لكل من بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء وأبلغ ذلك لنفسك بامارتك، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته، وافرض لعثمان بن قيس السهمي في الشرف لضيافته[٤٣٥]. قال أبو عبيد يعني بمائتين "مائتي دينار في السنة[٤٣٦] وليس هناك معلومات عن طبقات العطاء الأخرى في مصر زمن الراشدين، وينتظر أن تكون مشابهة للأعطيات في الشام لأن بعض مقاتلتها قدموا إليها من الشام مع عمرو بن العاص.

وفرض عمر العطاء لنساء المقاتلة. وجعلهن على طبقات وفق أعطيات أزواجهن، وقد تدرج عطاء النساء في الأمصار بين نساء أهل الأيام، ونساء أهل القادسية واليرموك ونساء الروادف. حيث فرض عمر لنساء أهل الأيام ٣٠٠ درهم، ولنساء أهل القادسية واليرموك ٢٠٠ درهم. وجعل عطاء نساء من جاء بعدهم من الروادف طبقة واحدة حيث فرض لكل منهن ١٠٠ درهم[٤٣٧].

استمر عطاء النساء في خلافتي عثمان وعلي، وأنقص سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة (٣٠-٣٤هـ) أعطيات نساء أهل القادسية مائة درهم وساواهن بنساء الروادف.

---

(٤٣٣) ابن حجر، الاصابة، ج١، ص:٢٧٢.

(٤٣٤) الواقدي في ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، والبلاذري، فتوح، ص:٦٣٣. الطبري، ج٣، ص:٦١٤، ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص:٥٠٣.

(٤٣٥) ابن سعد ، ج٧، ص.٤٩٦، أبو عبيد، ص:٣٢٢، ٣٢٣، ابن عبد الحكم، فتوح، ص:٤٥، البلاذري، فتوح، ص:٦٤٠، ابن عساكر، تاريخ ، ج١٠، ص:٩، ١٠، وابن حجر الإصابة، ج٤، ص٢٢٤.

(٤٣٦) أبو عبيد، ص:٣٢٣.

(٤٣٧) الطبري، ج٣، ص:٦١٤-٦١٥، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩، ص:١٣١، ابن أبي الحديد، ج١٢، ص٢١٥، المقريزي: خطط، ج١، ص:١٧١.

فيذكر المجالد بن سعيد الهمداني أن عمر فرض لعمة له مائتي درهم " فلما أمّر سعيد بن العاص على الكوفة ألغى أحدهما[٤٣٨] ويوضح ذلك بصورة أفضل ما ذكره عمر بن شبة كان سعيد قد أبغضه أهل الكوفة لأمور منها: أن عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فخطه سعيد إلى مائة[٤٣٩].

وكان الخليفة علي يفرض للنساء في خلافته ١٠٠ درهم. قال محمد بن قيس الأسدي الكوفي (من التابعين)، حدثتني والدتي أم الحكم أن عليا ألحقها في مائة من العطاء[٤٤٠]

---

[٤٣٨] أبو يوسف، ص:٤٥.

[٤٣٩] الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص: ١٣٦-١٣٧.

[٤٤٠] البلاذري، فتوح، ص:٦٣٩.

الفصل الثاني

الديوان في العصر الأموي

الفصل الثاني

الديوان في العصر الأموي

١- الديوان في المركز:-

كان التدوين الأول للدواوين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد أسس ديوان الجند في المدينة سنة ٢٠ هـ، وذلك لكثرة الأموال الواردة وضرورة تنظيم توزيعها وازدياد عدد المقاتلة وانتشارهم في الأمصار والحاجة إلى سجل بهم ورغبة الخليفة عمر في جعل العرب أمة عسكرية مجاهدة. كذلك استقرار الفتح في الشام والعراق. وقد تطلب إنشاء ديوان الجند تأسيس بيت المال لتأمين رزق ثابت للجند.

وفي العصر الأموي توسعت الأعمال تدريجيا، وتعددت الحاجات بتطور الأحوال فأدى هذا إلى أحداث تغيير في هيكلية ديوان الجند، وفي ظهور دواوين جديدة.

وديوان الجند هو نفس الديوان الذي أسسه عمر بن الخطاب لتحديد العطاء للمسلمين وخاصة الجند، غير أنه مرّ بتطورات عديدة وتعديلات على أيدي الأمويين.

كان المسجلون في الديوان في العصر الأموي أهل المدينة والقبائل المقاتلة في الأمصار[1]. أما الأعراب الذين لم يهاجروا إلى الأمصار، ولم يشاركوا في الجهاد فلم يسجلوا في الديوان، يتضح ذلك من كتاب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن الحصين عامله على جند حمص " أن مر للجند بالفريضة وعليك بأهل الحاضرة وإياك الأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدهم"[2] وهنا يلاحظ بأن باب التسجيل في الديوان لم يعد مفتوحا أمام جميع المهاجرين إلى الأمصار كما كان الحال أيام الراشدين[3].

ويبدو أن بعض الأعراب قد شكا من ضعف الصلة بين الهجرة والتسجيل في الديوان في العصر الأموي، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله يعلن تجديد الصلة بين الهجرة والتسجيل في الديوان قائلا " وأما الهجرة فأنا نفتحها لمن هاجر من أعرابي

---

(١) الأصبهاني، حلية، ج٥، ص:٣٢٨.

(٢) أبو عبيد، ص: ٣٢٥، البلاذري، فتوح، ص:٦٢٤.

(٣) الشيباني، ج١، ص:٩٥، ابن اعثم، الفتوح، ج٧، ص١٤٧.

فباع ماشيته وانتقل من دار اعرابيته إلى دار الهجرة، وإلى قتال عدونا، فمن فعل ذلك فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم"[٤] وكان الأمويون يقدمون المساعدات إلى أعراب البادية عند حاجتهم فقط، ذكر ابن عساكر أن وفوداً من أهل البادية قدموا على هشام بن عبد الملك فشكو إليه جدبا أصابهم وأضّر بهم ضررا شديداً فأمر هشام أن يقسم في أهل البوادي ثلاثمائة ألف درهم[٥].

واستثنى عمر بن عبد العزيز التجار من التسجيل في الديوان ويبدو أنهم سجلوا قبل ذلك، فيذكر الواقدي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أمير المدينة أبي بكر بن حزم " أن أفرض للناس إلا لتاجر"[٦] ويعزو سليمان بن يسار سبب اتخاذ عمر لهذا الإجراء إلى انشغال التجار بتجارتهم عن المشاركة في القتال والبعوث[٧]. ولم يسجل العبيد سيراً على خطة الراشدين منذ إنشاء الديوان، ذكر ابن لهيعة" أن عمر بن عبد العزيز كتب بعزل العبيد من أن يقسم لهم شئ"[٨] أما الموالي فقد سجلوا في الديوان في العصر الأموي وكانوا يسجلون ضمن قوائم القبائل التي يرتبطون معهما برابطة الولاء، أو في قوائم مستقلة.

وفي المقابل رفض بعض الأشخاص التسجيل بالديوان في العصر الأموي لأسباب متعددة منها: كرهم للبيت الأموي[٩].

ويبدو أن قلة مقدار العطاء وقطع عطاء الذرية حينا، وتحديد من يفرض له منهم أحيانا أدت إلى عدم إقبال البعض على التسجيل في الديوان[١٠].

ويبدو أن قلة مقدار العطاء جعلت بعض العرب يفضلون ممارسة المهن الحرة لا سيما التجارة على التسجيل في الديوان، ذكر ابن سعد أن قيس بن يزيد العجلي كان يشتغل بالتجارة وكان أخوه معضد في الديوان. فكان معضد يقول " قيس خير مني.

---

[٤] ابن عبد الحكم، سيرة، ص: ٩٥.
[٥] ابن عساكر، تهذيب، ج٥،ص:٢٢٥
[٦] ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٥. النووي، تهذيب الأسماء، ج٢، ص:٢١.
[٧] ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٦.
[٨] مالك، المدونة، ج٢، ص:٣٤، ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٢١٤.
[٩] ابن سعد، ج٦، ص:٣٣٦.
[١٠] الصنعاني، المصنف، ص١٠٣.

يبيع ويشتري وينفق علي"[١١] ويتضح ذلك من قول رجل من بني سليم للحجاج عندما جاءوا به إليه على أنه عاص " والله ما شهدت عسكر قط، ولا أثبت لي اسم في ديوان، وإنما أنا نسّاج"[١٢] وعزف بعض الأشخاص عن التسجيل في الديوان لتجنب ما يقاسيه المقاتلة من مشاق عند الخروج في البعوث والمشاركة في القتال[١٣].

حدد الأمويون أعداد المقتلة في الديوان بما يتناسب مع حاجة الدولة وإمكانياتها المالية، وجاء هذا الإجراء نتيجة لتزايد أعداد المهاجرين وبقاء الوارد ثابتا الأمر الذي جعل من المتعذر ترك باب التسجيل في الديوان مفتوحا أمام الجميع[١٤].

على أن تحديد أعداد المقاتلة لم يحدث في خلافة عمر بن عبد العزيز بل بدأ من زمن معاوية (٤١–٦٠هـ) عندما سمح لولد واحد من أبناء المقاتل المتوفى أن يحل مكان أبيه في عطاء المقاتلة[١٥].

كما أن لجؤ الخلفاء الأمويين ابتداء من معاوية إلى دفع جزء من أعطيات أهل المدنية من مال الصدقة بسبب عجز مال ألفئ عن الوفاء بذلك يشعر بثبات الواردات من أيام معاوية[١٦].

وتوحي بذلك الأرقام التي وردت عن عدد المقاتلة في بعض دواوين الأمصار، فمثلا كان عدد مقاتلة الكوفة في ولاية الوليد بن عقبة (٢٥–٣٠هـ) ٤٠٠٠٠ مقاتل[١٧]. وأضاف إليهم زياد بن أبيه أثناء ولايته على الكوفة (٥٠–٣٠هـ) ٢٠٠٠٠ فأصبح عدد مقاتلها ٦٠٠٠٠[١٨] ثم تراجع هذا الرقم في ولاية الحجاج بن يوسف على العراق والمشرق (٧٥–٩٥هـ) إذ كان عدد مقاتلة الكوفة سنة ٧٧هـ ٤٠٠٠٠ مقاتل[١٩]. كما أن أقصى ما بلغه

---

[١١] ابن سعد، ج٦، ص:١٦١.
[١٢] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٥، المبرد، الكامل، ج٣،ص:٣٦٨.
[١٣] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٢٩٠.
[١٤] ابن سعد، ج٥، ص: ٣٤٨، ابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص:٢٨.، الأزدي، تاريخ الموصل، ص:٣٠، الكندي، ولاة مصر، ص:٩٨.
[١٥] المسعودي، مروج، ج٣،ص:٣٠، ٨٦، نصر بن مزاحم، ص:٤٣٠، ٤٩٢، الدينوري، الأخبار، ص:١٨٦.
[١٦] أبو عبيد، ص:٣٦٨، الشافعي، ج٢، ص:٩٢، الزبير بن بكار، الأخبار، ص:٥٧٣، المسعودي، مروج، ج٣، ص:١٢١.
[١٧] الطبري، ج٤، ص:٢٤٦.
[١٨] البلاذري، فتوح، ص:٤٨٨، ابن عبد ربه، ج٥، ص:٢٥١، ياقوت الحموي، ج١، ص:٦٤٤.
[١٩] الطبري، ج٦، ص:٢٦٢، ابن كثير، البداية، ج٩، ص:١٥

عدد مقاتلة البصرة ٨٠٠٠٠ مقاتل في ولاية زياد عليها أيام معاوية (٤٥-٥٤هـ)[٢٠] وقد بقي هذا الرقم ثابتا في ولاية أبنه عبيد الله بن زياد (٥٥-٦٤هـ)[٢١] ويحتمل أن ذلك الرقم تراجع في ولاية الحجاج بسبب أضرار حركات الخوارج بخراج البصرة[٢٢] وإسقاط الحجاج لعدد من مقاتلها لخروجهم عليه مع ابن الأشعث[٢٣]. وهذا فضلا عمن قتل في تلك الثورة. فهذه الأرقام تشير إلى عدم ازدياد أعداد المقاتلة في ديواني الكوفة والبصرة بعد خلافة معاوية بل أنها تشعر بتراجع تلك الأعداد، وذلك لأن الدولة لم تعد تفرض لأعداد جديدة في الديوان إلا عند الحاجة التي تتمثل في عدة وجود، منها: تعويض النقص الحاصل في عدد المقاتلة بسبب الوفيات الطبيعة والاستشهاد في القتال هذا ما وضحته الإشارات التي ذكرت بأن معاوية كان إذا مات المقاتل أو استشهد فرض لأبنه أو أبن عمه مكانه، ومنها أيا تعويض ما ينقص من أعداد المقاتلة بسبب الإصابة بالعاهات الدائمة من جراء الحروب والأمراض وحاجة الدولة لأعداد إضافية من المقاتلة أثناء الحروب الداخلية والفتوحات.

ولعل تحديد أعداد المقاتلة في الديوان يفسر لنا سبب وجود عرب وموالي على حد سواء غير مسجلين في الديوان في العصر الأموي على الرغم من رغبتهم بذلك بل لقد بدت بوادر هذه الظاهرة في المناطق التي توقفت فيها الفتوحات من وقت مبكر، فمثلا ظهر بالكوفة في أواخر خلافة علي بن أبي طالب (٣٥-٤٠هـ) ١٧٠٠٠ في الديوان من أبناء أهل الكوفة الذين بلغوا سن القتال، و٨٠٠٠ من الموالي غير مسجلين في الديوان[٢٤].

يبدو أن توقف الفتوحات في خراسان في الفترة نفسها أدى إلى وجود وضع مشابه في البصرة إذ ظهر فيها عدد من الشباب العرب والموالي غير مسجلين بالديوان[٢٥] وقد مكن استئناف الفتوحات في خراسان زياد بن أبيه من إضافة أعداد جديدة في الكوفة

---

(٢٠) البلاذري، فتوح، ص:٤٨٨، البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص:١٩٠.
(٢١) أبو عبيد، النقائض، ص:٧٢٢، الجاحظ، البيان، ج٢، ص:١٣٠.
(٢٢) المبرد، ج٣، ص:٢١٢، أبن أبي الحديد، ج٤، ص:١٤٥،١٤٦.
(٢٣) ابن عبد ربه، ج٣، ص:٣٢٩.
(٢٤) الأمامة والسياسة، ص:١٥١.
(٢٥) الأمامة والسياسة، ص:١٥١.

والبصرة إلى الديوان ونقل خمسين ألفا من مقاتلة البلدين إلى خراسان سنة ٥١هـ[٢٦] لتخفيف الضغط السكاني في البصرة والكوفة، ومتابعة الفتوحات.

وفي خلافة معاوية (٤١–٦٠هـ) كان هناك عدد من أبناء المدينة البالغين غير مسجلين في الديوان، يوضح ذلك الخبر التالي: وفد عبد الله بن صفوان الجمحي أحد أشراف قريش على معاوية فسأله عن حوائجه فقال " تخرج العطاء وتفرض للمنقطعين فإنه حدث في قومك نابتة لا ديوان لهم"[٢٧]. وفي أثناء ولاية الحجاج على العراق وبالتحديد في سنة ٧٧هـ كان هناك ١٠,٠٠٠ من أبناء أهل الكوفة غير مسجلين في الديوان فيذكر أبو مخنف الكوفي (توفي سنة١٥٧هـ) أنه عندما اشتدت هجمات الخوارج بقيادة شبيب بن يزيد الشيباني على الكوفة أمر الحجاج أهل الكوفة جميعا المسجلين وغير المسجلين في الديوان بالخروج لقتال الخوارج[٢٨]

وذكر المدائني أنه كان بخراسان زمن عمر بن عبد العزيز(٩٩–١٠١هـ) عشرون ألف من الموالي غير مسجلين بالديوان[٢٩]. وهذا يفيد بوجود عدد غير قليل من العرب والموالي فيها غير مسجلين في الديوان، ويرجع ذلك إلى تحديد الدولة لأعداد المقاتلة بما يتناسب مع حاجتها وإمكاناتها المالية إذ لم يكن بمقدورها ترك باب التسجيل في الديوان مفتوحا أمام كل من يرغب في ذلك.

وعندما استعانت الدولة بالموالي غير المسجلين في الديوان في القتال أعطتهم من غنائم الغزوات التي شاركوا فيها[٣٠] ولم يكن هذا الأمر مقصورا على الموالي بل جرى على العرب أيضا فقد استعان الحجاج بشباب أهل الكوفة العرب غير المسجلين في الديوان لقتال الخوارج عندما دعت الحاجة إلى ذلك، فضلا عن أن الشكوى من عدم التسجيل في الديوان لم تقتصر على الموالي بل صدرت عن العرب والموالي على حد سواء[٣١].

---

(٢٦) البلاذري، فتوح، ص٥٧٧، الطبري، ج٥، ص:٢٢٦، قدامة بن جعفر ص:٤٠٥.

(٢٧) مصعب الزبيري، نسب، ص:٣٨٩.

(٢٨) الطبري، ج٦،ص:٢٦٢، ابن كثير البداية، ج٩، ص:١٩.

(٢٩) الطبري، ج٦، ص:٥٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص:٥٠.

(٣٠) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص ٤٢.

(٣١) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٢٣٠، الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص١٨٣.

كان الباب مفتوحا أمام كل من يرغب في التسجيل بالديوان زمن الراشدين،وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين حددوا أعداد المقاتلة في الدواوين وصار تسجيل أعداد جديدة من المقاتلة في الديوان يعتمد على حاجة الدولة ووفرة وارد المصر. فمثلاً كان الخلفاء الأمويون يفرضون لأعداد جديدة في ديوان الشام عندما يحتاجون لأعداد إضافية من المقاتلة لاستخدامهم في الفتوحات أو قمع الثورات[٣٢].

وفرض الخلفاء الأمويون لبعض من وفد عليهم تحببا إليهم بقضاء حاجاتهم[٣٣]

أدى توقف حمل فضول الأموال إلى المدينة وانتقال مركز الخلافة عنهم عجز ديوانها عن استيعاب أعداد جديدة ونجم عن ذلك ظهور جماعات من شبابها غير مسجلين في الديوان زمن معاوية وعندما استولى ابن الزبير على الحجاز وحملت إليه فضول أموال العراق، واحتاج إلى المقاتلة لمواجهة جيوش الأمويين التي ترسل لاخضاعه، أخذ يفرض لمن يأتيه في الديوان[٣٤].

وتوقف عبد الملك بعد استعادة الحجاز عن الفرض لأعداد جديدة من أهلها في العطاء عقابا لهم على مشاركتهم في موقعة الحرة وخروجهم عليه مع ابن الزبير[٣٥]، ومع ذلك استمر عبد الملك والوليد بالفرض للموالين لهم من أهل المدينة في العطاء[٣٦].

أن توقف عبد الملك والوليد من بعده عن الفرض للمشكوك في ولائهم للأمويين في المدينة وتحديد الأمويين لأعداد المقاتلة أدى إلى وجود أعداد كبيرة من أهل المدينة غير مسجلين بالديوان في مطلع خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) فقام سليمان بالحاق ثمانية آلاف من قريش ومواليها بالديوان[٣٧]، ويظهر أن حاجة سليمان للمقاتلة

---

(٣٢) الأمامة والسياسة، ص:٣٢٦، الطبري، ج٧، ص٢٤٧، خليفة بن حياط ، تاريح، ص٣٩١.

(٣٣) ابں حجر، الإصابة، ج٣، ص:٣٩.

(٣٤) مصعب الربيري، ص:٣٨٩، ابن حجر، الإصابة ، ج٣، ص:٢٤٧، البلاذري، أنساب ، ج٥، ص١٩٤، ٣٥٦، ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص٤٣.

(٣٥) الأصبهاني، حلية، ج٣، ص:٣٦٨.

(٣٦) الربير بن بكار، الأحبار، ص:٢٢٣.

(٣٧) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:٢٩٨.

بسبب استمرار الفتوحات في خلافته جعله يفرض لمثل هذا العدد الكبير من المقاتلة. كما يلاحظ بأن الفرض اقتصر على قريش وحلفائها ومواليها ولم يشمل الأنصار.

أن اعتماد المدينة في دفع أعطيات مقاتلتها على الأموال التي ترسل إليها من بيت المال المركزي بالشام جعل الفرض لأعداد جديدة فيها لا يتم إلا بأمر من الخليفة مباشرة، فكان الخلفاء الأمويون إذا توفر لديهم فائض من الأموال في الشام يصدرون أوامرهم لولاتهم على المدينة أن يلحقوا أعدادا جديدة من أهلها في الديوان(٣٨).

ومن بين أسباب الفرض لأعداد جديدة في المدينة حاجة الدولة إلى المقاتلة لقمع الثورات التي قامت بالحجاز(٣٩)، وفرض الخلفاء الأمويون لبعض من وفد إليهم من أهل المدينة كسبا لودهم وقضاء لحاجاتهم(٤٠).

وفرض زياد بن أبيه في أثناء ولايته على العراق(٤٥-٥٣هـ) لعشرين ألف مقاتل من أهل الكوفة وأربعين ألف مقاتل من أهل البصرة في العطاء. ونقل خمسين ألف من مقاتلة المصرين إلى خراسان، وبعد ولاية زياد لم تطرأ أية زيادة على عدد مقاتلة العراق. واكتفى الولاة بعده بالفرض لأعداد جديدة عند الحاجة إلى المقاتلة لقمع الثورات أو لاستخدامهم في الفتوحات(٤١).

وفرضت الدولة أحيانا لأشخاص بادروا بتقديم خدمات هامة لها في العطاء تقديرا منها لجهودهم، فمثلا قامت جماعة من قبيلة عنزة بقتل جماعة من الخوارج وجاءوا برؤوسهم إلى عبد الملك " فأنزلهم بانيقيا وفرض لهم، ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض إلا قليلة"(٤٢) وقتل رجل من أهل الكوفة جماعة من الخوارج مروا بحيه ففرض له الحجاج في العطاء(٤٣). وفرضت الدولة لبعض المحتاجين لسد خلتهم فمثلا فرض زياد لرجل من

---

(٣٨) ابن الأثير، أسد، ج٣، ص:١٣٢.

(٣٩) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص:٢٤٩.

(٤٠) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص:٣٥٠.

(٤١) الطبري، ج٥، ص٦٢١، ج٦، ص٦٢١، أبو عبيدة، ص٣٥٩.

(٤٢) الطبري، ج٦، ص:٢٢٤، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص:٣٩٧.

(٤٣) أبو عبيدة، ص:٨٩٧.

ضبة لحاجته وكثرة عياله(٤٤). واستخدمت الدولة الفرض في العطاء أحيانا وسيلة لاستمالة الخارجين عليها(٤٥).

وفرض المفضل بن المهلب والي خرسان من قبل الحجاج لعدد من أهلها في العطاء لحاجته إلى المقاتلة لقتال أحد الخارجين عليه(٤٦). واحتاج الجنيد بن عبد الرحمن والي خراسان زمن هشام بن عبد الملك إلى المقاتلة في حربه مع الترك، فخوله هشام بالفرض لخمسة عشر ألف مقاتل(٤٧)

وفي مصر فرض عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته عليها (٦٥-٨٤هـ) لأعداد جديدة من أهلها في الديوان(٤٨). كما فرض عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ لخمسة آلاف من أهل مصر في العطاء(٤٩). وفرض هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥ هـ) لثلاثة آلاف من قيس ونقلهم إلى مصر وأنزلهم فيها(٥٠). وفرض حفص بن الوليد والي مصر سنة ١٢٦هـ لثلاثين ألفا من المقامصة والموالي في العطاء بأمر من الخليفة يزيد بن الوليد(٥١).

أبقى الأمويون العطاء على التفضيل كما كان منذ تدوين الديوان غير أن بعض الأسس التي اعتمدها عمر في التفضيل بين الناس قد تلاشت، فمثلا لم نعد نسمع بالتفضيل على أساس السابقة في الإسلام أو حضور المشاهد مع الرسول(ص) وذلك نتيجة لاختفاء أهل السابقة بمرور الزمن(٥٢).

ومن أبرز الأسس التي روعيت في تقدير العطاء زمن الأمويين البلاء في القتال والخدمة للبيت الأموي. فقد ألحق معاوية الذين أبلوا معه في صفين في شرف العطاء(٥٣).

---

(٤٤) ابن قتيبة، عيون، ج٣، ص:١٢٨.

(٤٥) البلاذري، أنساب، ج٥، ص:٩٩، الطبري، ج٧، ص١٣٧، ابن عساكر، تهذيب، ج٤، ص:٦٦-٦٧، البغدادي، خزانة ، ج٧، ص:٤٦٥.

(٤٦) الطبري، ج٦، ص:٤١٠.

(٤٧) الطبري، ج٧، ص:٧٩-٨٠.

(٤٨) الكندي، ص:٧٠-٧١.

(٤٩) الكندي، ص:٩٠

(٥٠) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٣٠، الكندي، ص:٩٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٤٦.

(٥١) الكندي، ص:١٠٦، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٤٦، ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص:٢٩٢.

(٥٢) أبو زرعة الدمشقي، ص:٣٠٩، ٥٢٢.

(٥٣) نصر بن مزاحم، ص:٤٩٢، الجاحظ، التاج،(منسوب له) ، ص:٥٧، الدينوري، ص:١٨٦.

كما أن بعض القبائل التي قدمت خدمات متصلة للبيت الأموي وساعت في تثبيت دعائم حكمه فضل أفرادها في العطاء على غيرهم[٥٤] . أن تفضيل الأمويين للذين أبلوا معهم في القتال سواء في مساعدتهم للوصول إلى الخلافة أو في قمع الثورات واعتمادهم في ذلك على الشاميين جعل عطاء الشاميين أفضل من عطاء الأمصار الأخرى[٥٥].

وفضل الخلفاء ورؤساء القبائل على غيرهم إذ كانوا يلحقون في شرف العطاء. وكان العلم والفقه والمعرفة بالأنساب والفصاحة وقول الشعر وروايته سبباً في تفضيل بعض الأشخاص على غيرهم[٥٦].

- جعل معاوية بن أبي سفيان بعد توليه الخلافة شرف العطاء- الحد الأعلى للعطاء في جميع الأمصار على حد سواء ٢٠٠ دينار أو ما يعادلها بالدراهم ٢٠٠٠ درهم، قال ميمون بن مهران (مولى لبني أمية وكان من عمال الدواوين توفي سنة ١١٧هـ) "أول من وضع شرف العطاء ألفين معاوية"[٥٧]. ومن المتوقع أن ينحصر ضرر هذا الإجراء في منطقتين: المدينة المنورة، والعراق، إذ كان لا يزال بعض أهل السابقة في المدينة الذين يزيد عطاؤهم على ٢٠٠٠ درهم على قيد الحياة، فمثلا كان سعد بن أبي وقاص وهو من طبقة البدريين التي يأخذ الفرد فيها ٥٠٠٠ درهم في السنة ما يزال حيا[٥٨]. وعبد الله بن عمر ورافع بن خديج وهما من الطبقة التي تلي طبقة البدريين ويأخذ الرجل فيها ٤٠٠٠ درهم في السنة لايزالان على قيد الحياة[٥٩].

أما العراق فكان فيها زمن الراشدين جماعة من طبقة أهل الأيام الذين يأخذ الرجل منهم ٣٠٠٠ درهم في السنة[٦٠]. هذا بالإضافة إلى أهل البلاء النازع ممن شهد القادسية، وعطاء الرجل منهم ٢٥٠٠ درهم في السنة[٦١]

---

(٥٤) المسعودي، مروج، ج٣، ص:٨٦.

(٥٥) الطبري، ج٦، ص:٣٤٧.

(٥٦) البلاذري، أنساب، ح٥، ص:٣٥٣، الطبري، ج٦، ص:١٦٣، ابن أعثم، ج٧، ص:١٦١، الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص:٩٦.

(٥٧) بن عبد ربه ، ح٥، ص:١٠٥.

(٥٨) الطبقات، ص: ١٥ (ترجمة سعد ووفاته).

(٥٩) خليفة بن خياط، الطبقات، ص:٢٢، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص: ١٩٠.

(٦٠) الطبري، ج٣، ص:٥٦٨، ٦١٤.

(٦١) الطبري، ح٣، ص٥٦٨،٦١٤.

يبدو أ ن طبقة أهل الأيام قد اختفت عند تطبيق هذا الإجراء، إذ لم ترد معلومات عما فعله معاوية بهم، في حين يشار إلى أن معاوية ألغى علاوة أهل البلاء النازع ي القادسية البالغة ٥٠٠ درهم يشعر بذلك ما ذكره السجستاني "كانت أعطيات الناس ألفين وخمسمائة فكتب معاوية إلى زياد أن ينقص الخمسمائة[٦٢] ففعل ، ولم يستثن زياد من ذلك إلا رجلا واحدا هو الشاعر الكوفي لبيد بن ربيعة العامري حيث دفع له ٢٥٠٠ درهم ولمرة واحدة فقط لأن لبيد توفي بعد ذلك بقليل[٦٣].

ولا ينتظر أن يؤثر هذا الإجراء على أعطيات المقاتلة في مصر حيث أن الحد الأعلى للعطاء فيها زمن الراشدين ٢٠٠ دينار، أو ما يعادلها بالدراهم ٢٠٠٠ درهم[٦٤]. ولا على الشام التي شرف العطاء فيها لأهل اليرموك ٢٠٠ دينار أو ما يعادلها بالدراهم[٦٥] إذ لا توجد إشارات عن رجال شهدوا اليرموك يأخذون علاوة أهل البلاء النازع ٥٠٠ درهم كما هو الحال بالنسبة لمن شهد القادسية. وهذا يرجح أن ما ذكره أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عمر (فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة"[٦٦] أن أهل البلاء النازع في هذا الخبر من أهل القادسية فقط، إذ لا ترد إشارة واحدة تسمي رجلا ممن شهدوا اليرموك يأخذ عطاء أهل البلاء النازع، في حين هناك إشارات كثيرة تسمي رجالا ممن شهدوا القادسية يأخذون عطاء أهل البلاء النازع[٦٧]. ويحتمل أن عمر خص أهل القادسية دون أهل اليرموك بذلك تشجيعا لهم وذلك لتردد العرب في الخروج إلى العراق بعد معركة الجسر.

---

(٦٢) السجستاني، ص:٧٦.
(٦٣) السجستاني ، ص:٧٧، ابن قتيبة، الشعر، ج١، ص:١٩٥.
(٦٤) أبو عبيد، ص:٣٢٢، ٣٢٣، ابن سعد، ج٧، ص:٤٩٦.
(٦٥) ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٦، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٣.
(٦٦) الطبري، ج٣، ص:٦١٤، تاريخ الخلفاء ، ص، ٦، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٩.
(٦٧) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص:٢٣٣، ج٥، ص:٣٢، الطبري، ج٣، ص:٥٦٧، ابن مسكويه، ج١، ص٣٧٩.

وتزداد الصورة وضوحا إذا علمنا أن معاوية ألحق من أبلى معه من أهـل الشـام في صفين في شرف العطاء[٦٨]. ومن هنا كان عطاء أهل الشام أكـثر ارتفاعـا مـن عطـاء أهـل الأمصار الأخرى زمن الأمويين، حيث أخذ الكثيرون منهم شرف العطاء[٦٩].

وكان ثلاثون ألفا مـن المقاتلـة الشـاميين المرابطـين في العـراق زمـن الحجـاج(٧٥-٩٥هـ) عطاء الرجل منهم١٢٠٠ درهم في السنة[٧٠]. ووصل الحـد الأدنـى لعطـاء المقاتلـة العرب في الشام في العصر الأموي ٣٠ دينار أو ٣٠٠ درهم[٧١]. في حين أن الحـد الأدنـى لعطاء المقاتلة العرب في الكوفة على سبيل المثال ٢٠٠درهم[٧٢]. واعتمـد الامويـون علـى الشاميين في تثبيت دعائم حكمهم وقمع المناوئين لهم وكانوا يزيدونهم في أعطياتهم كلما قاموا بقمع ثورة، أو القضاء على طامع بالخلافة، الأمر الذي جعل إمكانية ارتفاع عطاء المقاتل إلى درجات أعلى مهيأة في الشام أكثر من بقية الأمصار الأخـرى. وفي ضـوء ذلـك يمكن فهم عرض عبد الملك على أهل العراق عندما خرجوا عليـه مـع عبـد الرحمـن بـن الأشعث" أن يجري عليهم اعطياتهم كما تجري على أهل الشام"[٧٣].

والخلفاء وأبناؤهم في مقدمة الرجال الذين يأخذون شرف العطاء فمثلا عطـاء عمـر بن عبد العزيز ٢٠٠ دينار[٧٤]. وعطاء هشام بن عبد الملك ٢٠٠ دينار.[٧٥].

كما أن رؤساء العشائر وقادة الجيوش والولاة وخاصة الخليفة من الأشراف وضعوا في شرف العطاء[٧٦]، وفضلا عن ذلـك فـإن تقديـم خدمـات حربيـة مهمـة للدولـة وإبداء بسالة نادرة في القتال كانت سببا في الوصول إلى شرف العطاء[٧٧].

---

(٦٨) نصر بن مزاحم، ص:٤٩٢، ص، الجاحظ، التاج(منسوب للجاحظ) ص:٥٧،

(٦٩) نصر بن مزاحم، ص:٤٩٢، الدينوري، ص١٨٦، المسعودي، مروج، ج٣، ص:٨٦، البلاذري، أنساب، ج٥، ص:١٣٦، الطبري، ج٥، ص:٥٣٧.

(٧٠) الطبري، ج٦، ص:٣٩٠.

(٧١) أخبار الدولة العباسية، ص:٣٧٦، تاريخ الخلفاء، ص:٥٧١، الامامة والسياسة، ص:٣٠٣.

(٧٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢،ص:١٦١.

(٧٣) الطبري، ج٦، ص:٣٤٧.

(٧٤) ابن عبد الحكم، سيرة، ص:٦٣.

(٧٥) البلاذري، أنساب، مخطوط، ص٢٤٣، الطبري، ج٧، ص٢٠٢.

(٧٦) الطبري، ج٧، ص٢٠٢، البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٦، الامامة والسياسة ، ص٣٠٣، ٣٢٦.

(٧٧) نصر بن مزاحم، ص٤٩٢، الجاحظ، التاج، ص٥٧، المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٦.

وكان العلم والفقه والفصاحة والبلاغة سببا في وصول الشخص إلى شرف العطـاء في بعض الأحيان[٧٨]، وقد يفرض للشخص في شرف العطـاء لقولـه الشـعر[٧٩]، وربمـا أدى توسل المقاتل بشخصية معروفة لدى الخليفة إلى الحاقه بشرف العطاء[٨٠]، واسـتخدمت الدولة شرف العطاء في بعض الأحيان وسيلة إغراء لتفريق أنصـار خصومـها والخـارجين عليها، واستمالتهم إلى جانبها، إذ وعدت من يرجع إلى حظيرة طاعتها منـهم بإلحاقـه بشرف العطاء[٨١].

استمر شرف العطاء طيلة العصر الأموي ٢٠٠ دينار في المناطق التي تتعامل بالدينار وهي الشام ومصر، أو ٢٠٠٠ درهم في المناطق التي تتعامل بالدرهم وهي العراق وخراسان والمدينة. ذكر اليعقوبي أن عمر بن عبد العزيز أبقى "العطاء في الشرف لم ينقصه ولم بزد فيه"[٨٢]. فكان شرف العطاء في خلافته ٢٠٠ دينار أو ما يعادلها بالدراهم ٢٠٠٠ درهم. ذكر الواقدي "أن عمر بن عبد العزيز فرض لرجال الفين ألفين شـرف العطـاء"[٨٣] وبقـى الحال كذلك إلى خلافة هشام بن عبد الملك الذي جعل شرف العطاء على درجتين، ذكر صاحب تاريخ الخلفاء "أن هشام بن عبد الملك هو أول من شرف الأعطية فجعل الشـرف الأعلى مائتي دينار، والشرف الأدنىماية وسبعين دينار"[٨٤].

والحد الأدنى لعطاء المقاتلة العرب في الشـام زمـن الأمويـين ٣٠ دينـارا أو ٣٠٠ درهما. يدل على ذلك قول أبي سلمة الخلال في خطبته بجند العباسين بعد اسـتيلائهم على الكوفة، أن أهل بيت اللعنة كانوا يفرضون لجندهم في السنة ثلاثمايـة درهـم وأنـي

---

(٧٨) ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص:٣٩٠، الحريري، الجليس، ج١، ص:٢٨٦، ابـــن عســاكر، تهذيـــب، ج٧، ص:١٤٩، وأنظر ابن الجوزي، الأذكياء، ص:٧١، ابن أبي الحديد، ج٣٠، ص٣٠٤، ج٢، ص٥٠١.

(٧٩) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص:١٧٢، ابن عساكر ، تهذيب، ج٥، ص:٣٠٤، البغدادي، خزانة الأدب، ج٣، ص٦٨، الزبير بن بكار، الأخبار، ص:٥٠٦.

(٨٠) ابن عبد ربه، ج١، ص:١٨٩.

(٨١) الأمامة والسياسية، ص:٢٥٩-٢٦٠.

(٨٢) اليعقوبي، تاريخ ،ج٢، ص:٣٠٦.

(٨٣) ابن سعد، ج٥، ص:٣٦٤.

(٨٤) تاريخ الخلفاء، ص:٣٩٩.

جعلت رزق الرجل منكم في الشهر ثمانين درهما"(٨٥)، وكان هذا المبلغ يدفع لمن يلتحق بالديوان لأول مرة(٨٦).

وترد إشارات إلى مقادير عطاء أخرى دفعت للمقاتلة الشاميين زمن الأمويين منها: ١١٠ دنانير (١١٠٠ درهم)(٨٧)، ١٠٠ دينار (١٠٠٠ درهم)(٨٨)، ٧٠ دينار (٧٠٠ درهم)(٨٩)، زمن معاوية بن أبي سفيان. و١٢٠ دينار (١٢٠٠ درهم) (٩٠)، ١٠٠ دينار (١٠٠٠ درهم)(٩١)، زمن عبد الملك بن مروان، و١٨٠ دينار ـ١٨٠٠ درهم)(٩٢). ١٦٠ دينار (١٦٠٠ درهم)(٩٣)، ٦٠ دينار(٦٠٠ درهم)(٩٤). أيام الوليد بن عبد الملك. و٥٠ دينار (٥٠٠ درهم)(٩٥) زمن عمر بن عبد العزيز، و١٠٠ دينار(١٠٠٠ درهم)(٩٦). ٦٠ دينار (٦٠٠ درهم)(٩٧) زمن الوليد بن يزيد.

شارك الموالي إلى جانب العرب في القتال وسجلوا في الديوان من وقت مبكر. فعندما دون عمر بن الخطاب الديوان سنة ٢٠ هـ سجل الموالى فيه ضمن سجلات القبائل التي ينتمون إليها. وساوى بين العرب والموالي في كل طبقة من طبقات العطاء. وبقي باب التسجيل في الديوان مفتوحا أمام الموالي في خلافتي عثمان وعلى. وعندما ألغى علي بين أبي طالب التفضيل في العطاء وسوى بين الناس فيه، جعل عطاء المولي كعطاء العربي.

---

(٨٥) تاريخ الخلفاء، ص:٥٧١، أخبار الدولة العباسية، ص:٣٧٦(يقصد بأهل بيت اللعنة: البيت الأموي).
(٨٦) الأصفهاني، حلية، ج٥، ص:٣١٥، ابن كثير، سيرة، ص:٨٥.
(٨٧) ابن عبد ربه، ج١، ص:١٨٩.
(٨٨) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص:٩٦-٩٧.
(٨٩) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص:٩٦-٩٧.
(٩٠) الطبري، ج٦، ص:٣٩٠.
(٩١) . الأمامة والسياسة، ص:٣٠٣.
(٩٢) الأصفهاني ، الأعاني، ج٢٣، ص:٤٦٠ — ٤٦١.
(٩٣) الأصفهاني ، الأغاني، ج٢٣، ص:٤٦٠ — ٤٦١.
(٩٤) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:١٠٩.
(٩٥) ابوزرعة الدمشقي، ص:٣٥٤، الأصبهاني، حلية، ج٦، ص:٨٣.
(٩٦) الطبري، ج٧، ص:٤٧، ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج١٧، ص:٤٦٧.
(٩٧) الطبري، ج٧، ص:٤٧، ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج١٧، ص:٤٦٧.

وفي الأمصار فتح الباب أمام من يسلم ويرغب في الالتحاق بالديوان من الموالي يتضح ذلك من كتاب عمر إلى أمراء الأجناد " ومن اعتقتم من الحمراء فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وأن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء والمعروف"[98]. وذكرت المصادر أن عمر بن الخطاب وأصحاب رسول الله أجمع رأيهم على أن من أسلم من الأعاجم " فرضوا له في ديوان المسلمين وصار من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم"[99]. ويلاحظ أن الأحباش كانوا مسجلين في ديوان الشام في خلافة عمر بن الخطاب وكان ديوانهم مع خثعم لأن بلال بن رباح الحبشي مولي أبو بكر الصديق مسجل فيهم[100].

وجعل ديوان الأحباش في مصر مع الأزد[101]. وسجل جماعة من الفرس والروم في الشام الذين أسلموا عند الفتح وشهدوا مع عمرو بن العاص فتح مصر في ديوانها[102].

وسجل من رغب من موالي العراق في الديوان زمن الراشدين ، فاشركوا في الغنيمة وفرضت لهم فرائض أهل القادسية: ألفين ألفين[103].

وأسلم عدد من أساورة الأهواز عند فتحها على أن يلحقوا في شرف العطاء فكتب أبو موسى الأشعري أمير البصرة إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر " الحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شئ أخذه أحد من العرب ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين ولستة منهم في الفين وخمسمائة[104]، ويذكر المدائني أن جماعة من السيابجة والزط والأندغار الذين كانوا في جيش الفرس عندما سمعوا بما كان من أمر الأساورة مع أبي موسى أسلموا فأنزلهم أبو موسى البصرة كما أنزل الأساورة[105]. كما

---

(98) أبو عبيد، ص:٣٣٦، والبلاذري، فتوح، ص:٦٤٢.

(99) ابن عساكر، تاريخ ، ج١، ص:٥٩٣.

(100) البلاذري، أنساب ، ج١، ، ص:١٩٣، ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج١٩، ص:٢٦، ابن حجر، الإصابة ، ج٧،ص: ٧٠.

(101) الطبري، ج٤، ص:١٠٦.

(102) ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٢٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:٢٢٨، ابن ماكولا، ج٤، ص: ٢٨٠.

(103) الطبري، ج٣، ص:٥١٢.

(104) البلاذري، فتوح، ص:٥١٩، ٥٢٢، الطبري، ج٤، ص: ٩٠، ابن مسكويه، ج١، ص:٤١٢، ياقوت الحموي، ج٤، ص:٨٣٤.

(105) البلاذري، فتوح، ص:٥٢٢، ٥٢٣.

فرض عمر بن الخطاب لعدد من الدهاقين الذين أسلموا في زمانه[١٠٦]. وسجل المحررون من العبيد في ديوان الكوفة في خلافة عثمان[١٠٧]. كما فرض علي بن أبي طالب لبعض الدهاقين الذين أسلموا في زمانه في العطاء[١٠٨]. وفرض ليهودي أسلم وشهد معه صفين[١٠٩].

يتبين مما تقدم أن الموالي سجلوا في الديوان سواء في المدينة أو في الأمصار. وأنهم أخذوا عطاء مساويا لعطاء العرب في عهد الراشدين. ويلاحظ بأنهم كانوا يسجلون مع القبائل التي يوالونها أو يتحالفون معها، وسجلوا أحيانا في قوائم خاصة بهم كما هو الحال بالنسبة للروم والفرس الذين شهدوا فتح مصر.

لم يتوقف تسجيل الموالي في الديوان زمن الأمويين إذ ترد اشارات إلى موالي مسجلين في الديوان وياخذون العطاء[١١٠].

وازداد اعتماد الأمويين على الموالي في القتال في الفترة المروانية المتأخرة. وظهر هناك اتجاه لتشكيل فرق عسكرية عامة أفرادها من الموالي فيشار إلى فرقة من الصقالبة. ذكر المؤرخ ميخائيل السوري أنه بعد المعركة التي نشبت بين المسلمين والجيش البيزنطي قرب قيسارية سنة ٧٤هـ انحاز عشرون ألف من الصقالبة الذين كانوا في الجيش البيزنطي إلى المسلمين، فأسكنهم عبد الملك أنطاكية. وكان قسم من هؤلاء الصقالبة يرابط في الثغور زمن مرون بن محمد[١١١]. وشارك الصقالبة في اخضاع ثورة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ[١١٢].

---

(١٠٦) الشافعي، ح٧، ص: ٣٥٧، أبو عبيد، ص:٣٣٧، ابن سعد، ح٥، ص:٩٠، البلاذري، فتوح، ص:٦٤٢، اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص:١٥٣، ابن مسكويه ، ج١، ص:٤١٠، ابن أبي الحديد، ج١، ص:١١٤.

(١٠٧) الطبري، ح٤، ص:٢٨١.

(١٠٨) الشافعي، ج٧، ص.٣٥٧، يحيى بن آدم، ص٦١.

(١٠٩) الأصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص:١٤٩، الأصفهاني، حلية، ج٤، ص:١٣٩.

(١١٠) البلاذري، أنساب، ج٥، ص٩٩، ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٤٨، الطبري، ج٧، ص٢٠٢-٢٠٣، ابن عبد الحكم، سيرة ، ص١٣٤، ابن عبد ربه، العقد، ج٢، ص٢١٧، ابن الأثير، الكامل، ح٤، ص٣٠٤.

(١١١) عدة الخماش، الشام في صدر الإسلام، ص:٢٩٧.

(١١٢) الجاحظ، البيان، ج١، ص:٢٩٣، الطبري، ج٧، ص٣١٣.

وهناك فرقة أخرى من الموالي يرد ذكرها في أواخر العصر الأموي هي الذكوانية نسبة إلى مسلم بن ذكوان مولى يزيد بن الوليد الناقص، وكان مسلم هذا مولى عتاقة[١١٣]. وقد شاركت هذه الفرقة بقيادة مسلم بن ذكوان في إخضاع أهل حمص عندما رفضوا البيعة ليزيد بن الوليد[١١٤]. وشاركت في إخضاع أهل فلسطين عندما خرجوا على يزيد بن الوليد أيضا[١١٥]. وشاركت إلى جانبه في معركة الزاب مع فرق أخرى من الموالي. فيذكر المدائني أنه كان مع مروان بن محمد في الزاب" ثلاثة آلاف من المحمرة، ومعه الذكوانية، والصحصحية؛ والراشدية"[١١٦]. ومن المتوقع أن هذه الفرق سجلت في الديوان، وأن أفرادها أخذوا العطاء شأنهم في ذلك شأن الحفصية في مصر التي أسسها حفص بن الوليد وإليها ليزيد بن الوليد والتي كان عامة أفرادها من الموالي ويأخذون العطاء[١١٧].

بل أن هناك اشارات تفيد بأن الأمويين فرضوا العطاء لبعض النصارى المقيمين في الشام عند الضرورة[١١٨].

وفي الحجاز كان عبيد الله بن أبي رافع مولى الرسول في العطاء زمن معاوية، وقد زاده عمرو بن سعيد الأشدق والي المدينة لمعاوية في عطاءه لأنه مولى لرسول الله[١١٩]. واشترك موالي بني أمية بالمدينة في البعث الذي أرسله عمرو بن سعيد الأشدق أمير المدينة لقتال ابن الزبير في مكة وكانوا مسجلين في الديوان[١٢٠]. وشكل الموالي ربع مقاتلة أهل المدينة في موقعة الحرة، وكان عليهم أمير منهم يدعى يزيد بن هرمز[١٢٢]. ويستدل على كثرة عددهم في ديوان المدينة من نسبة قتلاهم في موقعة الحرة. فيذكر ابن اعثم أنه من بين ستة آلاف وخمسمائة قتيل مجموع قتلى أهل المدينة في موقعة الحرة " هناك

---

(١١٣) الطبري، ج٧، ص:٢٨٣.
(١١٤) الطبري، ج٧، ص.٢٦٥.
(١١٥) الطبري، ج٧، ص:٢٦٧.
(١١٦) الطبري، ج٧، ص:٤٣٣.
(١١٧) الكندي، ص:١٠٦.
(١١٨) البلاذري، فتوح، ص:٢١٩، لامس، ص:٤٦.
(١١٩) البخاري، التاريخ، ج٣، قسم ٢، ص:٢٣٤.
(١٢٠) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص:٢٥.
(١٢٢) ابن سعد، ج٧، ص:٢٢٠.

ثلاثة آلاف وخمسمائة من العبيد والموالي وسائر الناس"[١٢٣]. وشارك الموالي في الحجاز في ثورة عبد الله بن الزبير بعد وفاة يزيد بن معاوية، واحتجوا عليه لأنه لم يجعل الأمر شورى كما وعد[١٢٤]. وهذا يدل على دور موالي الحجاز المتنامي في الحياة السياسية والعسكرية فيها خلال العصر الأموي الأمر الذي جعلهم يشعرون بأن لهم الحق بالمشاركة في اختيار الخليفة.

قسم من هؤلاء الموالي مسجل في الديوان ويأخذ العطاء كما يبدو من بعض الاشارات، فيذكر أن عبد الملك فرض لأبناء محمد بن الحنفية ومواليه في العطاء[١٢٥]. وفرض سليمان بن عبد الملك لأربعة آلاف من قريش، ولأربعة آلاف من حلفائها ومواليها في العطاء[١٢٦].

وفي مصر سجل الموالي في الديوان بأعداد كبيرة بحيث شكلوا عرافات مستقلة[١٢٧]. وبقي الفرس والروم الذين أسلموا وشهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص مسجلين في الديوان ويشكلون جماعات مستقلة لكل منها عريفا[١٢٨] وقد ازدادت أعداد الموالي المسجلين في ديوان مصر في الفترة المروانية المتأخرة. وهذا يوحي بأن موالي بني أمية كانوا من الكثرة بحيث شكلوا قائمة مستقلة في ديوان مصر.

وفي شمال أفريقية سجل بعض الموالي في الديوان، فيذكر الدباغ أنه عندما تمكن حسان بن النعمان والي أفريقية(٦٩-٧٨هـ) من القضاء على الكاهنة ودانت له أفريقية دون الدواوين وأسلم أثنا عشر ألف فارس من البربر فكان حسان يقسم ألفئ والأرض بينهم وبين العرب[١٢٩]. وفرض عبد الملك بن مروان لخمسمائة من موالي موسى بن نصير

---

(١٢٣) ابن اعثم، ج٥، ص:٢٩٥.

(١٢٤) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق١، ص:٨٥٢، ١٠٢٥.

(١٢٥) ابن سعد ، ج٥، ص:٢٨٤.

(١٢٦) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:٢٩٨، العيون والحدائق، ج٣، ص:٢٤، وأنظر الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص:١٩٥.

(١٢٧) ابن ماكولا، ج٢، ص:١٢١، ابن عساكر، تاريخ، ج١، ص:٤٨٣، ٤٨٤. الكندي، ص:٧٢، ابن ماكولا، ج١،ص:١٠.

(١٢٨) ابن ماكولا، ج٤، ص:٣٨٦.

(١٢٩) الدباغ، ص:٦٧.

والي أفريقية (٧٨-٩٦هـ) في العطاء[١٣٠] وأكثرية المقاتلة الذين أرسلهم موسى بن نصير مع مولاء طارق لفتح الأندلس من الموالي البربر[١٣١]. وترد إشارات تفيد بوجود موالي مسجلين في الديوان في العراق وخراسان فيشار إلى أن بعض الموالي سجلوا في ديوان الكوفة زمن معاوية[١٣٢].

وفي البصرة جلب عبيد الله بن زياد أثناء ولايته عليها (٥٥-٦٤هـ) ألفين من سبى بخارى كلهم جيد الرمي بالنشاب، وفرض لهم في العطاء[١٣٣]. وبلغ مجموع مقاتلة العراق الذين اشتركوا في ثورة ابن الأشعث" مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم"[١٣٤]. وضم ديوان خراسان سبعة آلاف من الموالي برئاسة حيان النبطي عند مقتل قتيبة بن مسلم سنة ٩٦هـ[١٣٥].

يتبين مما مر إن أعدادا من الموالي سجلوا في الديوان في العصر الأموي سواء في الشام أو الأمصار الأخرى وأخذوا العطاء. أما مقادير العطاء التي أخذها الموالي زمن الأمويين فكانت أقل من عطاء العرب في أكثر الأحيان[١٣٦].

وعندما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وفي محاولة منه لتوحيد عناصر الأمة الإسلامية ساوى بين العرب والموالي في العطاء. ذكر محمد بن سعد "أن عمر بن عبد العزيز جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء، غير أنه جعل فريضة المولى المعتق خمسة وعشرين دينارا[١٣٧]. وهذه الرواية تبين بأن موالي العتاقة أخذوا بشكل عام أقل من أعطيات موالي الإسلام الأحرار أصلا.

---

(١٣٠) الأمامة والسياسة، ص:٣٠٣.

(١٣١) ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص:٢٠٤، المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣١.

(١٣٢) الدينوري، ص:٢٩٩٢،-٣٠٠، ابن سعد، ج٦، ص٢٥٦، ٢٨٠، ابن اعثم ، ج٧، ص١٦١.

(١٣٣) البلاذري، فتوح، ص:٥٩٥، الطبري، ج٦، ص:٥١٢، ياقوت الحموي، ج١، ص:٥٢٠.

(١٣٤) الطبري، ج٦، ص:٣٤٧، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص:٤٩٦، ابن كثير، البداية، ج٩، ص:٤٥.

(١٣٥) البلاذري، فتوح، ص:٥٩٥، الطبري، ج٦، ص:٥١٢.

(١٣٦) الامامة والسياسية، ص٣٠٣، ابن سعد، الطبقات ، ج٥، ص٢٨٤، ٣٧٥، ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ٨٤، ١٢٠، ١٣٩، الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص١٣٧.

(١٣٧) ابن سعد، ج٥، ص:٣٧٥.

لم تستمر إجراءات عمر بن عبد العزيز بعده طويلا، إذ عاد الخلفاء الذين تلوه إلى التميز بين العرب والموالي في العطاء[١٣٨] ، وبذلك نجد أن عطاء عامة الموالي كان أقل من عطاء العرب في العصر الأموي باستثناء فترة حكم عمر بن عبد العزيز القصيرة(٩٩-١٠١هـ).

ومع ذلك، فإن بعض الموالي الذين قدموا خدمات حربية مهمة للدولة منحوا عطاء مساويا لعطاء العرب والحقوا بشرف العطاء[١٣٩]، وألحق بعض الموالي المعروفين باخلاصهم وخدمتهم للبيت الأموي في شرف العطاء، فمثلا كان أشرس بن جبير النخعي وهو من موالي العتاقة في الكوفة عينا لعبد الملك في العراق ففرض له عبد الملك ٢٠٠٠ درهم[١٤٠]. يبدو أن لموالي بني أمية وضع خاص وأنهم أخذوا عطاء مساويا لعطاء العرب، يدل على ذلك أن عطاء يعقوب مولى هشام ٢٠٠ دينار. شرف العطاء[١٤١] . ويشعر بذلك ما ذكره الكندي أن الحوثرة بن سهيل الباهلي والي مصر (١٢٨-١٣١هـ) فرض لأحد شيعة مروان بن محمد في موالي بني أمية ١٠٠٠ درهم[١٤٢]. وكذلك موالي ولاة الأمصار أخذوا عطاء مساويا لعطاء العرب، فمثلا كان بعض موالي مسلمة بن مخلد والي مصر لمعاوية يأخذون ٢٠٠ دينار في السنة[١٤٣].

يستخلص مما تقدم أن الموالي سجلوا في الديوان في عهد الراشدين وأنهم أخذوا عطاء مساويا لعطاء العرب، وسجل بعضهم في الديوان في العصر الأموي في المركز والأمصار على حد سواء، إلا أن عطاءهم بشكل عام أقل من عطاء العرب باستثناء فترة حكم عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) التي ساوى فيها بين العرب والموالي في العطاء. بالإضافة إلى الحالات النادرة في عهود الخلفاء الأمويين الآخرين التي أخذ فيها عدد قليل من الموالي عطاء مساويا لعطاء العرب. وهذا ينفي ما ذهب إليه بعض المؤرخين

---

(١٣٨) تاريخ الخلفاء، ص٣٩٩، الكندي، ولاة، ص١٠٦.
(١٣٩) ابن ماكولا ، ج٢، ص:١٢١، ابن عساكر، تاريخ، ع ج١، ص:٤٨٣، ٤٨٤.
(١٤٠) ابن حبيب، المنمق، ص:٣٤١.
(١٤١) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٢٤٢، الطبري، ج٧، ص:٢٠٢.
(١٤٢) الكندي، ص:١١٢.
(١٤٣) ابن حجر ، رفع الأصر، قسم ١، ص:١٨١.

المحدثين وعلى رأسهم فإن فلوتن وولهاوزن[144]. بأن الموالي لم يكونوا مسجلين في ديوان الجند ولم يأخذوا العطاء.

أحدث الأمويون بعض التغيرات على ديوان عمر فيما يخص أعطيات ذراري المقاتلة، فقد أبطل معاوية الفرض للمولود من وقت ولادته واكتفى بالفرض للفطيم، وكان عمر بن الخطاب يفرض للمولود إذا ولد في عشرة، فإذا بلغ أن يفرض له ألحق بالفريضة، فلما كان معاوية فرض ذلك للفطيم" [145] . ويبدو أن معاوية لم يكن يلحق جميع أبناء المقاتلة وزوجاتهم في العطاء يدل على ذلك أن عدد مقاتلة البصرة أيام معاوية كان ثمانين ألفا وعيالاتهم ماية وعشرين ألفا، وعدد مقاتلة الكوفة في الفترة نفسها كان ستين ألفا وعيالاتهم ثمانين ألفا [146] إذ ينتظر أن يكون لهؤلاء المقاتلة أكثر من هذا العدد من الذرية، وبناء عليه، فإنه يحتمل أن معاوية فرض لطفل أو طفلين من أبناء المقاتل فقط، ويؤيد ذلك أن المقدام بن معدي وفد على معاوية فألحق له طفلا في العطاء[147] . وفرض السفيانيون في حالات نادرة لجميع أبناء المقاتل في العطاء فقد فرض زياد لرجل فقير من ضبة ولبناته السبع لكل واحدة منهن مائة درهم لمساعدته على اعالتهن[148] .

استمر عطاء الذرية زمن السفيانيين يدل على ذلك ما ذكره المدائني أن مقدار عطاء الذرية في البصرة أيام زياد بن أبيه (٤٥- ٥٣هـ) ١٦ مليون درهم في السنة[149]. ويشعر بذلك ما ذكره الحسن البصري من أن زيادا كان يدفع أعطيات الذرية في ذي الحجة[150]. وذكر ابن لهيعة المصري أن مسلمة بن مخلد والي مصر لمعاوية " كان يعطي أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم"[151]. ثم يبعث ما يفضل من الوارد بعد سد

---

[144] فان فلوتن، ص: ٤٠، ولها ورن، ص: ٤٧١.

[145] أبو عبيد، ص: ٣٤٢، البلاذري، فتوح، ص: ٦٤٣.

[146] البلاذري، فتوح، ص: ٤٨٨، أنساب، ج٤، قسم١، ص: ١٩٠، ابن عبد ربه، ج٥، ص: ٢٥١، ياقوت الحموي، ج١، ص: ٦٤٤.

[147] ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج١٩، ص: ١٤٩.

[148] التوحي، المستحاد، ص: ٢٣٥.

[149] البلاذري، أنساب، ج٤، قسم ١، ص: ١٨٩-١٩٠، ابن اعثم، فتوح، ج٤، ص: ١٨١.

[150] البلاذري، أساب، ج٤، قسم١، ص: ١٩٠.

[151] ابن عبد الحكم ، فتوح، ص: ١٠٢، المقريزي، خطط، ج١، ص: ١٤٥، ١٧٣.

نفقات الولاية الأخرى، إلى معاوية. وقد هدد عبيد الله بن زياد والي العراق ليزيد بن معاوية أهل الكوفة بحرمان ذريتهم من العطاء إذا خرجوا عليه مع مسلم بن عقيل[١٥٢].

وفي زمن المروانيين قام عبد الملك بن مروان بقطع عطاء الذرية بشكل كلي وصار لا يفرض إلا لأبناء معارفه والمقربين منه[١٥٣].

استمر قطع عطاء الذرية في خلافتي الوليد وسليمان، فقد فرض الوليد بن عبد الملك لعيال الجراجمة في الشام رزقا في القمح والزيت ولم يفرض لهم في العطاء[١٥٤]. وفرض الخليفة لمعارفه والمقربين منه فقط[١٥٥].

. وقام عمر بن عبد العزيز في خلافته (٩٩-١٠١هـ) بإعادة عطاء الذرية. وفرض للفطيم فقط، ذكر شهاب بن شريعة المجاشعي البصري "أن عمر بن عبد العزيز الحق ذراري الرجال الذين في العطايا أقرع بينهم، فمن أصابته القرعة جعله في مائه. ومن لم تصبه القرعة جعله في الأربعينن قال: وأراه رزق الفطم". ورواية شهاب تشير إلى أن عمر بن عبد العزيز فاضل بين الأطفال الذين بلغوا سن الفطام على أساس القرعة فجعلهم على درجتين مائة درهم، وأربعين درهما، والأرجح أن عمر بن عبد العزيز لم يفاضل بين الذراري على أساس القرعة، بل سوى بينهم جميعا في العطاء، فقرض لكل فطيم منهم ١٠ دنانير، أو ١٠٠ درهم[١٥٦].

ودخل الشاعر الأموي نصيب على عمر فسأله عن حاجته فقال نصيب " بنيات لي نفضت عليهن سوادي فكسدن، أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان. قال: تريد ماذا؟ قال : تفرض لهن، ففعل"[١٥٧]. وجاءت امرأة من العراق إلى عمر بن

---

(١٥٢) الطبري، ج٥، ص: ٣٧٠.

(١٥٣) البلادري، فتوح، ص:٦٤٣، أنظر أبو عبيد، ص:٣٤٢، الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص: ٧٠-٧١، ابن عساكر ، تاريخ، ع ج٣، ص:٢٢٣. الطبري، ج٦، ص: ٣١٠، التوخي، المستحاد، ص٢٣٣.

(١٥٤) البلادري، فتوح، ص: ٢٢٠.

(١٥٥) ابن سعد، ج٥، ص: ٤١٥، ج٧، ص٤١، البخاري، التاريخ، ج٢، قسم٢، ص٢٦.

(١٥٦) الطبري، ج٦، ص: ٥٦٩- ٥٧٠، أبو عبيد، ص٣٣٩-٣٤٠، ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص: ٩١، ابن كثير سيرة، ص: ٨٥.

(١٥٧) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص: ٣٢٧، ج٦، ص: ١١٧.

عبد العزيز فذكرت له بأن بناتها كسل كسد وسألته حسن النظر لهن فالحق عمر بناتها في العطاء[١٥٨].

يلاحظ من هذه الإشارات أن الفرض للبنات تم بعد طلب أولياء أمورهن لسد الفاقة، ولم يكن عاما، كما يلاحظ من خلال ذلك أن عمر بن عبد العزيز لم يفاضل بين الأطفال على أساس القرعةن بل فرض لكل واحد من الذرية عشرة دنانير أو مائة درهم. ويعزز ذلك ما جاء في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن" وأنظر من أراد الحج من الذرية فعجل له مائة يحج بها"[١٥٩]. فكتاب عمر يدل على أن عطاء كل واحد من الذرية مائة درهم، وأن عمر طلب تعجيل عطاء من يريد الحج منهم ليتجهز به وذلك على سبيل الرفق بالرعية ويوضح ذلك ما ذكره اليعقوبي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله " من أراد الحج فعجلوا عليه عطاءه حتى يتجهز به"[١٦٠].

وقام عمر بن عبد العزيز بمراجعة الدواوين وأوقف بعض عمليات التلاعب التي كانت تجرى من قبل، منها على سبيل المثال أن بعض الخلفاء كانوا يلحقون أطفالا صغارا من أبناء المقربين منهم في عطاء المقاتلة، فيذكر يوسف بن يعقوب الماجشون المدني ولدت في زمن سليمان بن عبد الملك وفرض لي سليمان حين ولدت، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عرض الديوان فمر به أسمى فقال" ما أعرفني بمولد هذا الغلام، هذا صغير ليس من أهل الفرائض، فردني عيلا"[١٦١].

يبدو أنها لم تكن الحالة الوحيدة التي يفرض فيها لطفل في عطاء المقاتلة، الأمر الذي دفع عمر بن عبد العزيز لتحديد سن معين للتفريق بين الأطفال الذين يأخذون عطاء الذرية، مائة درهم، وبين الذكور البالغين الذين يأخذون عطاء المقاتلة، فكتب إلى عماله " أن يفرضوا لابن خمس عشرة في المقاتلة ويفرضوا لمن دون ذلك في العيال"[١٦٢].

---

(١٥٨) ابن عبد الحكم، سيرة، ص:١٧٧، وأنظر الطرطوشي، ص:١٣٥.

(١٥٩) الطبري، ج٦، ص:٥٦٩.

(١٦٠) اليعقوبي، ج٢، ص:٣٠٥.

(١٦١) ابن سعد، ج٥، ص:٤١٥.

(١٦٢) ابن سعد ، ج٥، ص:٣٥٠، ابن الجوزي ، سيرة عمر بن الخطاب، ص:٩١، وابن قدامة، المغني، ج٤، ص:٤٦١.

استمر عطاء الذرية بعد عمر بن عبد العزيز، فيذكر المدائني أن الشاعر البصري علباء بن منظور الليثي وفد على هشام بن عبد الملك ومدحه بقصيدة، فأعجب هشام بها وأمر له بخمسمائة درهم " وألحق له عيلا في العطاء"[١٦٣]. ويبدو أن هشام لم يكن يفرض لجميع أبناء المقاتل في العطاء، وأنه اكتفى بالفرض لطفل أو لطفلين فقط، كما فعل السفيانيون من قبل[١٦٤].

ويبدو أن هشام لم يفرض العطاء إلا للأطفال الذكور، ذكر المدائني "أن هشام زاد رجلا في عطائه مائة درهم، فقال له: اجعلها يا أمير المؤمنين لابنتي، قال: إنما حاولت الجريبين وكان لكل واحد من الذرية في كل عام مائة درهم وفي كل شهر جربيان، وإنما ذلك لعيال أهل الديوان[١٦٥]. وقد استمر عطاء الذرية حتى نهاية العصر الأموي يؤكد ذلك ما جاء في رسالة مروان بن محمد آخر خلائف بني أمية إلى أهل دمشق والتي يعتذر فيها عن تأخير اعطياتهم ثم يقول وقد أمرت لكم " بعطائكم وعطاء عيالكم"[١٦٦].

لم يكن العطاء يورث زمن الراشدين[١٦٧]. وربما يعود ذلك إلى أن جميع أبناء المقاتلة وزوجاتهم كانوا مسجلين في الديوان ويأخذون العطاء وأن عطاء الأرامل والذرية لم يكن يقطع بعد وفاة المقاتل، بل كان يبقى مستمر[١٦٨] الأمر الذي يمكن اسرته من إعالة نفسها من عطائها.

ودفع الراشدون لأسرة المقاتل عطاءه عن السنة التي توفي فيها فقط، فإذا أمضى السنة كاملة دفعوا لهم كامل عطائه، ذكر ابن قدامة أنه "إذا توفي صاحب العطاء بعد حلول وقت العطاء دفع حقه إلى ورثته"[١٦٩]. وإذا توفي قبل أن يتم السنة دفعوا لأسرته بمقدار ما أمضى من تلك السنة، ذكر سماك بن حرب الذهلي الكوفي (توفي سنة ١٢٣هـ). "أن رجلا مات بعد ثمانية أشهر فأعطى عمر بن الخطاب ثلثي

---

[١٦٣] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٢٣٧، الطبري، ج٧، ص:٢٠٦.

[١٦٤] الطبري، ج٧، ص١٧٥، التنوخي، المستجاد، ص١٠٠.

[١٦٥] البلادري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٢٣٧، ٢٣٨.

[١٦٦] الأردي، تاريخ الموصل، ص:٦٥.

[١٦٧] مصعب الزبيري، ص.٢٥٤.

[١٦٨] أبو يوسف، ص:٢٥، أبن قدامة، المغني، ج٦، ص:٤١٨.

[١٦٩] ابن قدامة، المغني، ج٦، ص٤١٨.

عطائه"[١٧٠] وكانوا إذا حبسوا عطاء الرجل في حياته لسبب ما ، ثم توفي، يدفعون لأسرته عطاءه عن السنوات التي حبسوه فيها، فمثلا حبس عثمان بن عفان عطاء عبد الله بن مسعود لمدة ثلاث سنوات بسبب معارضته لسياسة عثمان المالية، وكان عطاء عبد الله بن مسعود ٥٠٠ درهم لأنه من البدريين، ولما توفي دفع عثمان لأبنائه عطاء أبيهم عن الثلاث سنوات ١٥٠٠ درهم[١٧١].

ويبدو أن العطاء لم يكن يورث زمن السفيانيين، فعندما بلغ معاوية أن العرفاء بالمدينة يتلاعبون بالعطاء فيأخذون عطاء للموتى والغائبين بالاتفاق مع أهلهم " فلا يغيبون غائبا ولا يميتون ميتا ويصدقون أهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا". أرسل عاصم بن عتبة بن ربيعة من بني عبد شمس إلى المدينة للحيلولة دون دفع عطاء للموتى والغائبين عن طريق دفع العطاء مباشرة إلى أصحابه دون وساطة العرفاء، فقد خاطب عاصم أهل المدينة قائلا " أمرني أمير المؤمنين أن أدفعه إلى الحاضر دون الغائب والحي دون الميت ولا أعطى أحدا إلا في يده"[١٧٢]. فانكار معاوية لأخذ أهل المدينة العطاء لموتاهم يشير إلى أن العطاء لم يكن يورث زمن السفيانيين، ونظرا لأن السفيانيين لم يلحقوا جميع ذراري المقاتلة في العطاء، واقتصروا على الفرض لواحد أو اثنين من ذرية المقاتل، فإنه لا يتوقع أن يكفي عطاء طفل أو طفلين لإعالة أسرة المقاتل بعد وفاته، لذا كان معاوية عندما يموت المقاتل يفرض لواحد من أبنائه في العطاء المقاتلة ليحل مكان أبيه في رعاية الأسرة والإنفاق عليها[١٧٣]. وفي حالة كون جميع ذرية المقاتل من الإناث، فإنه يفرض لابن عمه مكانه[١٧٤]. ويتوقع أن يساهم ابن عمه مقابل ذلك في الإنفاق على أسرته ورعايتها.

وحين قطع عطاء الذرية أيام عبد الملك وولديه الوليد وسليمان. تقرر أن يستمر صرف عطاء المقاتل لذريته بعد وفاته، إذ أن لا ينتظر أن تترك أسرة المقاتل بدون مورد نعيش منه، يوضح ذلك قول ابن قدامة " ومن مات من أحناد المسلمين دفع إلى زوجته

---

(١٧٠) أبو عبيد، ص:٣٧١، البلاذري، فتوح، ص:٦٤٦.

(١٧١) أبو عبيد، ص:٣٧١، البلاذري، أنساب، ج٥، ص:٣٧، البلادري، فتوح، ص.٦٤٦، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:١٧٠، أبو هلال العسكري، ص:١٥٢.

(١٧٢) مصعب الزبيري، ص:١٥٤.

(١٧٣) نصر بن مزاحم، ص:٤٣٠، الدينوري، ص.١٨٦، المسعودي، مروج، ج٣، ص:٣٠.

(١٧٤) نصر بن مزاحم، ص:٤٩٢ــ٤٩٣، الدينوري، ص:١٨٦، المسعودي، مروج ، ج٣، ص:٨٦.

وأولاده قدر كفايتهم لأنه لو لم تعط ذريته بعده لم يجرد نفسه للقتال لأنه يخـــاف علـــى ذريته الضياع، وإذا بلغ ذكور أولادهم واختاروا أن يكونوا في المقاتلة فرض لهـــم"[١٧٥]. ومما يؤيد ذلك أنه عندما أعاد عمر بن عبد العزيز عطاء الذرية قرر إيقاف وراثة العطـــاء، فيذكر سليمان بن حبيب "أن عمر بن الخطاب فرض لعيال المقاتلة وذريتهم العشـــرات، قال: فأمضى عثمان ومن بعده من الولاة ذلك، وجعلوها موروثة يرثها ورثة الميت ممـــن ليس في العطاء والعشرة، حتى كان عمر بن عبد العزيز. قال سليمان: فسألني عمر عـــن ذلك فأخبرته بهذا، فأنكر الوراثة وقال أقطعها وأعم الفريضة"[١٧٦]. وقد ربط عمر بن عبد العزيز بين إعادته عطاء الذرية وقطع وراثة العطاء قائلا " لا يحل لكم أن تأخذوا لموتـــاكم فارفعوهم إلينا، واكتبوا لنا كل منفوس نفرض له"[١٧٧]. وكتب عمر بقـــراره هـــذا إلى الأمصار. إن ربط عمر بن عبد العزيز بين إعادة عطاء الذرية وإنهاء وراثة العطاء يؤكد بأن وراثة العطاء بدأت في خلافة عبد الملك عندما قطع عطاء الذرية واستمرت في خلافـــتي الوليد وسليمان حيث بقي عطاء الذرية مقطوعا.

ودفع عمر بن عبد العزيز لأسرة المقاتل عطاءه عن السنة التي توفي فيها فقط، كمـــا فعل الراشدون من قبل، قال عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الشامي (توفي سنة١٥٧هـــ) أن عمر بن عبد العزيز كتب " أن أنظر في أهل الدواوين فمن كان عمل على عطائه ســـنة كاملة وغرم ما نابه من الحمائل، أو قال الجعائل شك أبو عبيد- وأجزأ بعوثه ثم يقبـــض بعد ما يؤمر للناس بأعطياتهم فمرّ بأهله بعطائه حقا واجبا "[١٧٨]، وذكر أبو عبيـــد " أن عمر بن عبد العزيز كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته"[١٧٩]. هـــذا إذا أمضى السنة كاملة، أما إذا أمضى قسما منها و لم يتمها، فإنه كان يدفع لورثته مس عطائـــه بمقدار ما أمضى من السنة. ذكر اليعقوبي " أن عمر بن عبد العزيز رد العطاء على قدر مـــا

---

(١٧٥) ابن قدامة، المغني، ج٦، ص:٤١٨.
(١٧٦) أبو عبيد ، ص:٣٤٣، البلادري، فتوح، ص:٦٤٣.
(١٧٧) ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٦.
(١٧٨) أبو عبيد، ص:٣٧٠.
(١٧٩) أبو عبيد، ص:٣٧٠، البلادري، فتوح، ص:٦٤٦.

استحق الرحل من السنة"[١٨٠]. وسجل تاريخ وفاة المقاتل في الديوان[١٨١]، ومن المتوقع أن الدولة استفادت من ذلك في منع تلاعب العرفاء وذوي الموتى بأخذ عطاء لهم.

وزع العطاء في الشام بواسطة العرفاء، حيث جعل لكل قبيلة عريف يقوم بتوزيع العطاء على أفرادها من أيام الراشدين[١٨٢].

ويبدو أن ذلك استمر زمن الأمويين إذ يرد ذكر عرفاء لبعض القبائل في الشام[١٨٣]، أما المساجين من أصحاب العطاء فيوزع عليهم العطاء في السجن، قال أبو بكر بن حزم (أمير المدينة لعمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٢٠هـ) "كنا نخرج ديوان أهل السجون فيخرجون إلى أعطياتهم بكتاب من عمر بن عبد العزيز"[١٨٤] ودفع عطاء الغائبين إلى ذويهم أو من يوكلونه بقبضه، أما المفقودون أو الغائبون الذين يجهل مصيرهم ومكان إقامتهم، فيحجز عطاؤهم، في بيت المال إلى أن يعرف مصيرهم، فأما أن يدفع لهم إذا حضروا أو يدفع إلى من يوكلونه بذلك[١٨٥]. وصرف الخليفة عمر بن عبد العزيز عطاء المقاتلة الأسرى لذويهم[١٨٦] ومن المتوقع أن أسلاف عمر بن عبد العزيز فعلوا الشئ ذاته فيما يتعلق بعطاء الأسرى، إذ لا يتظر أن تترك الدولة أسرة المقاتل بلا مورد تعيش منه حلال فترة أسره.

وقبض المقاتلة التابعون لكل جند من أجناد الشام أعطياتهم من مركز جندهم[١٨٧].

اعتمد العطاء أساسا على أموال الخراج والجزية، لذلك فقد تأثر موعد توزيع العطاء بموسم الجباية[١٨٨]، ويؤكد الماوردي على الصلة بين موعد توزيع العطاء وموسم الجباية فيقول "ويكون وقت توزيع العطاء معلوما يتوقعه الجيش عند الاستحقاق، وهو

---

(١٨٠) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:٣٠٦.
(١٨١) أبو زرعة الدمشقي، ص:٢٣٤.
(١٨٢) ياقوت الحموي، ج٤، ص:٢١٤، ابن حجر ، الإصابة، ج١، ص:١٩٠، ابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص:٢٥.
(١٨٣) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٢٧٩، -٢٨٠، الطبري، ج٧، ص:٢٠٧، ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص:١٤٨.
(١٨٤) ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٨.
(١٨٥) ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٨.
(١٨٦) ابن عبد الحكم، سيرة ، ص:١٤٠، الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص:٢٥٧.
(١٨٧) ابن عساكر، تهذيب، ج٣، ص:٤١٠، ياقوت الحموي، ج١، ص:١٣٦، الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص:٧، ابن عبد البر، ج٤، ص:١٤٩٨، ابن الأثير، أسد، ج٥، ص:٢٣، ابن كثير، البداية ، ج٨، ص:٢٦٤.
(١٨٨) حروهمان، أوراق البردي العربية، ج٣، ص:١٢-١٣.

معتبر بالوقت الذي تستوفي فيه حقوق بيت المال، فإن كانت تستوفى في وقت واحد جعل العطاء في رأس كل سنة، وإن كانت تستوفى في وقتين، جعل العطاء في كل سنة مرتين[189]. ونظرا لهذا الارتباط بين موسم الجباية وموعد توزيع العطاء، فقد بات من الضروري التعرف على أوقات الجباية تمهيدا للحديث عن موعد توزيع العطاء.

كان العطاء بوزع حسب السنة الهجرية، وكان يصرف في أيام عمر بن الخطاب في بداية شهر محرم. وبما أن العطاء والأرزاق تعتمد على موعد الجباية فمن المتوقع أن يرتبط توزيع العطاء فيما بعد بموعد الجباية من كل سنة. ففي أيام زياد بن أبيه كانت أعطيات الذرية نوزع في بداية محرم، وعطاء المقاتلة في شهر شعبان[190]. وكان محرم في فترة زياد (٤٥-٥٣هـ) يأتي في الأشهر ١٢،١،٢،٣ وشهر شعبان في ١٠، ٩، ٨، ٧ من السنة الميلادية [191] أي أن أعطيات المقاتلة كانت توزع بعد جباية الخراج وهي الأكثر مقدارا، ويوزع عطاء الذرية في بداية السنة الهجرية. ولعل هذا وفر الأموال خلال السنة لدى الناس مما أوجد رضى لدبهم، فقيل أن زيادا أدر العطاء وحافظ على أعطائه في مواعيد واحدة من كل سنة[192] . ويذكر الهيثم بن عدى أن الأعطيات زمن يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) كانت توزع في بداية محرم من كل سنة[193]، وهذا مفهوم إذا لاحظنا أن بداية السنوات الهجرية في فترته كانت تقع في الشهرين ٦،٧ من أشهر السنة الميلادية أي عند موسم الجباية.

وهكذا ارتبط توزيع العطاء كما يبدو بموسم الجباية مما يؤخره أحيانا عن الموعد المحدد في التقويم الهجري فيؤدي إلى شكوى من تأخر موعد العطاء. ويلاحظ أن أول احتجاج على ذلك كان في ولاية المغيرة بن شعبة(٤١-٥٠هـ)، وإذا لوحظ أنه منذ فرض العطاء سنة ٢٠هـ وحتى ولاية المغيرة كان شهر محرم يأتي ما بين شهر ١٢ إلى ٥ السنة الميلادية وأن بداية السنة الهجرية في ولاية المغيرة كانت تأتي في شهر ٤أي قبل موعد الجباية بشهربن، كان من الضروري تأخير توريع الأعطيات لمدة شهرين في هذه الفترة،

---

(١٨٩) الماوردي، ص:٢٠٦.

(١٩٠) البلادري، أنساب، ج٤، قسم١، ص١٩٠.

(١٩١) أنظر زمباور، ص٤٠٤، (حدول السوات الميلادية والهحرية).

(١٩٢) الطبري، ج٥، ص٥٢٢، أنظر البلاذري، انساب، ح٤، قسم١، ص١٨٨، أبو هلال العسكري، ص١٤١.

(١٩٣) تاريخ الخلفاء، مجهول، ص٣٨١.

لذا احتج حجر بن عدي على المغيرة بن شعبة " مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا، فإنك قد حبستها عنا، و لم يكن ذلك ولا لمن كان قبلك"[١٩٤] ولما ولي زياد بن أبيه العراق بعد المغيرة وعدهم أن لا يؤخر عطاء ولا رزقا عن موعده[١٩٥]. ووعد الوليد ابن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ) الجند عندما بويع بالخلافة بقوله:

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم   به يكتب الكتاب شهرا وتطبع[١٩٦]

وعندما ثار أهل حمص بعد موت الوليد، اشترطوا على من سيبايعون "أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم"[١٩٧].

وكانت مواعيد توزيع الأعطيات تتأخر أو تحبس أحيانا بسبب وضع الخراج وعمارة الأرض[١٩٨]، ويعبر عن ذلك أحد شيوخ بني أمية عندما ذكر أنه من أسباب زوال ملكهم قلة الخراج " فتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، فاستدعاهم عدونا فظاهروه على حربنا[١٩٩]. وظهر هذا في وعد الوليد بن يزيد الجند عندما تولي الخلافة " ولكم عندي أدرار أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر"[٢٠٠]

الديوان في الأمصار:-

كانت مقادير عطاء المقاتلة بالكوفة زمن الأمويين تتراوح ما بين ٢٠٠٠ درهم و ٢٠٠ درهم للمقاتل في السنة، ذكر السجستاني أنه كان بالكوفة رجال يأخذون ٢٠٠٠ درهم زمن معاوية[٢٠١]. كما تسمي الروايات رجالا من أهل الكوفة كانوا يأخذون هذا المبلغ زمن المروانيين، ذكر ابن حبيب أن أشرس بن جبير النخعي الكوفي كان في ألفين من العطاء زمن عبد الملك بن مروان[٢٠٢]. وذكر الزبير بن بكار أن الحجاج فرض لجحدر بن

---

(١٩٤) الطبري، ج٥، ص٢٥٤، الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص١٣٤.

(١٩٥) الجاحظ، بيان، ج٢، ص٦٤، الزبير بن بكار، ص٣٠٨، ابن قتيبة، عيون ، ج٢، ص٢١١، الطبري، ج٥، ٢٢٠.

(١٩٦) الطبري، ج٧،ص٢١٨.

(١٩٧) الطبري، ج٧، ص٢٦٣.

(١٩٨) انظر الطبري، ج٨، ص١٠٣.

(١٩٩) ابن أبي الحديد، ج٧، ص١٣٦.

(٢٠٠) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص٢٤٨، العيون والحدائق، ج٣، ص١٥٠، تاريخ الخلفاء، مجهول، ص٤٥٦.

(٢٠١) السجستاني، ص:٧٦-٧٧، وانظر ابن عبد ربه ، ج٥، ص:٢٥٤-٢٥٥.

(٢٠٢) ابن حبيب، المنمق، ص:٣٤١.

مالك العجلي في شرف العطاء لشجاعته[٢٠٣]. وكان عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي في ألفين من العطاء زمن عبد الملك وولاية الحجاج على العراق(٧٥-٩٥هـ)[٢٠٤]. وكان أنس بن معقل الهمداني الكوفي في ألفين من العطاء في مطلع ولاية الحجاج على العراق[٢٠٥].

وترد إشارات إلى مقادير عطاء أخرى فيذكر الشعبي أن عبد الله بن مروان فرض لعشرين رجلا من ولده وأهل بيته ألف درهم لكل منهم[٢٠٦] وكان رجل من جديلة عدوان في الكوفة في سبعمائة درهم من العطاء زمن عبد الملك بن مروان، وفد حط عبد الملك من عطائه ٣٠٠درهم لجهله بأنساب قبيلته وأشعارها[٢٠٧]. وفرض عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز والي الكوفة سنة ١٢٦هـ لرجال من بني شيبان في سبعين وفي ستين دينارا أو ٧٠٠ درهم و ٦٠٠ درهم للرجل منهم في السنة[٢٠٨].

وكان خالد بن معبد الجدلي الكوفي في أربعمائة درهم من العطاء زمن عبد الملك وزاده عبد الملك في عطائه ٣٠٠ درهم فصار عطاؤه ٧٠٠ درهم[٢٠٩]. وكان في الكوفة زمن الحجاج رجال يأخذون ٣٠٠ درهم، ذكر البلاذري"أن الحجاج كان يفرض في ثلاثمائة، ففرض للحرنفش أحد بني ثعلبة من سلامان وكان يأخذ من فرض له بفرس جواد وسلاح شاك[٢١٠].

والحد الأدنى لعطاء المقاتلة في الكوفة زمن السفيانيين والمروانيين ٢٠٠ درهم للمقاتل في السنة، ذكر الأصفهاني أن الشاعر الكوفي عبد الله بن المتوكل الليثى وفد على

---

[٢٠٣] الزبير بن بكار، الأخبار، ص:١٧٥.

[٢٠٤] ابن عبد ربه، ج٢، ص:٤، الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص:٢٣، ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص:١٥٣، ابن الجوزي، الأذكياء، ص:٧١.

[٢٠٥] الهمداني، الأكليل، ج١٠، ص:٤٢٥.

[٢٠٦] الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص:٢٣، ابن أبي الحديد، ج٢٠، ص:٥٠١.

[٢٠٧] البلاذري، أنساب، ج٥، ص:٣٥٣، الطبري، ج٦، ص:١٦٤، المرتضى ، ص:٢٥٠.

[٢٠٨] البلاذري، أنساب، مخطوط ، ق٢، ص:١٧٠.

[٢٠٩] البلادري، أنساب، ج٥، ص:٣٥٣، الطبري، ج٦، ص:١٦٤.

[٢١٠] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٤.

يزيد بن معاوية ومدحه وشكا إليه تدني عطائه[٢١١]، وكان الجعد بن قيس الهمداني الكوفي في مائتي درهم من العطاء زمن عبد الملك بن مروان[٢١٢].

وتراوحت مقادير عطاء مقاتلة البصرة في العصر الأموي بين ٢٠٠٠ درهم، و٣٠٠ درهم للمقاتل في السنة، يفهم ذلك من الروايات التالية: ذكر ابن عبد ربه أن زيادا أعطى في يوم واحد ألف رجل من أهل البصرة عطاءهم ألفين ألفين[٢١٣]. وذكر الفرزدق أن عميه ذهيلا والزحاف كانا في ألفين من العطاء في أثناء ولاية زياد على البصرة[٢١٤].

كان أحد مقاتلة البصرة يأخذ ٧٠٠ درهم زمن عبيد الله بن زياد فحط عبيد الله من عطائه ٤٠٠ درهم لحمقه فأصبح عطاؤه ٣٠٠ درهم[٢١٥]. وفرض زياد لرجل فقير من ضبّة في ٣٠٠ درهم[٢١٦]، وكان الحجاج والي العراق (٧٥-٩٥هـ) يفرض لمن يسجله في الديوان لأول مرة ٣٠٠ درهم[٢١٧]. ومن المتوقع أن تكون أعطيات مقاتلة خراسان مماثلة لدرجات العطاء في البصرة حيث أن أكثرية مقاتلتها نقلوا إليها من البصرة وبعضهم من الكوفة[٢١٨]. ووردت إشارة في الطبري تدل على وجود ثلاث درجات من العطاء في أثناء ولاية أشرس بن عبدالله الحكمي على خراسان لهشام بن عبد الملك وهي: ١٠٠٠ درهم و ٦٠٠ درهم و٣٠٠ درهم[٢١٩]، ولا بد أنه كان في مقاتلة خراسان من يأخذ شرف العطاء كما هو الحال في البصرة.

وتراوح العطاء في المدينة خلال العصر الأموي بين ٢٠٠٠ درهم شرف العطاء و٣٠٠درهم كما يبدو من بعض الروايات، أخذ أبناء المهاجرين زمن معاوية في ألفين من العطاء[٢٢٠]، وكان التقدم في السن سببا لالحاق الشخص أحيانا في شرف العطاء بالمدينة.

---

(٢١١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص:١٦١.

(٢١٢) ابن حبيب، المنمق، ص:٣٤١.

(٢١٣) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص:٢٥٤-٢٥٥.

(٢١٤) الطبري، ج٥، ص:٤٢.

(٢١٥) ابن قتيبة، عيون، ج٢، ص٤٤. ابن كثير، البداية ج٨ ص:٣٠٦.

(٢١٦) التنوخي، المستجاد، ص:٢٣٥.

(٢١٧) أبو عبيدة، ج٢، ص:٨٩٧، البلاذري أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٤.

(٢١٨) البلاذري، فتوح، ص:٥٧٧، الطبري، ج٦، ص:٥١٢، قدامة بن جعفر، ص:٤٠٥.

(٢١٩) أنظر: الطبري، ج٧، ص:٦١.

(٢٢٠) التاج في أخلاق الملوك، منسوب للجاحظ، ص:٥٧.

ذكر جويرية بن أسماء(توفي سنة ١٧٣هـ) أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبد العزيز كتب إليه "أن قوما من الأنصار قد بلغوا أسنانا ولم يبلغ عطاؤهم الشرف فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر باثباقم في شرف العطاء فليفعل"[٢٢١] وكان عطاء علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ألف درهم زمن يزيد بن معاوية[٢٢٢] وفرض عمر بن عبد العزيز لمولى لعلي بن أبي طالب في المدينة ٣٠٠ درهم[٢٢٣] .

وكان عطاء مقاتلة مصر في العصر الأموي يتراوح بين ٢٠٠ دينار (٢٠٠٠ درهم) و٢٠ ديناراً (٢٠٠ درهم) ذكر ابن لهيعة أنه كان في ديوان مصر زمن معاوية أربعون ألف مقاتل منهم أربعة آلاف في مائتي دينار من العطاء . [٢٢٤]يفهم من ذلك أن عشر مقاتلة مصر كانوا في شرف العطاء زمن معاوية بن أبي سفيان.

ويلحق في شرف العطاء من يبدي بسالة نادرة في القتال، أو يتولى بعض الأعمال الإدارية كالقضاء فمثلا وفد عامر جمل على معاوية بخبر مقتل محمد بن أبي بكر " فبلغ به معاوية الشرف في العطاء فكان في مئتين، وعرفه على موالي مذحج كلها"[٢٢٥]. واشترك عبدالرحمن بن يحنس مولى بني أبذى من تجيب في قتل عبد الله بن الزبير ففرض له عبد الملك في الشرف، وعرفه على موالي تجيب[٢٢٦]. وهذه الروايات تشعر بأن العرفاء يوضعون في شرف العطاء. ويدل على ذلك أيضا سنبخت الفارسي عريف الفارسين بمصر ويأخذ شرف العطاء.[٢٢٧].

وكان عطاء القاضي في مصر زمن عبد العزيز بن مروان ٢٠٠ دينار، شرف العطاء[٢٢٨]. ومن بين القضاة الذين أخذوا شرف العطاء عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني

---

(٢٢١) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢،ص:١٣٩.

(٢٢٢) بن أعثم، ج٥، ص:٣٠٠.

(٢٢٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص:٢٥٤-٢٥٥، وأنظر ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص:٩١-٩٢.

(٢٢٤) ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٠٢، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٤٥، ١٧٢-١٧٣.

(٢٢٥) ابن عساكر، تاريخ، ع ج ١، ص:٤٨٣-٤٨٤.

(٢٢٦) الكندي، ص: ٧٢، ابن ماكولا، ج١، ص:١٠، الهمداني، عجالة المبتدي، ص:٩، ابن دقماق، قسم ١، ص:٢٤.

(٢٢٧) ابن ماكولا، ج٤، ص:٣٨٦.

(٢٢٨) ابن عبد الحكم ، فتوح، ص٢٣٥، ابن حجر، رفع الأصر، قسم١، ص١٣٩.

(توفي سنة٨٣هـ)[٢٢٩]. وبشر بن النضير المزني(توفي سنة ٦٩هـ)[٢٣٠]. وبالإضافة إلى شرف العطاء ، يرد ذكر مقادير عطاء أخرى دفعت للمقاتلة في مصر منها:

١٠٠ دينار (١٠٠٠ درهم) زمن المروانيين، ذكر صاحب الامامة والسياسة أن عبد العزيز بن مروان فرض لزرعة بن أبي مدرك في مائة دينار من العطاء[٢٣١]. وفرض الحوثرة بن سهيل الباهلي والي مصر (١٢٨-١٣١هـ) لزبّان بن عبد العزيز ألف درهم[٢٣٢].

و٣٠ دينار (٣٠٠ درهم) في الفترة المروانية المتأخرة، فرض الحوثرة بن سهيل الباهلي لزيد بن أبي أمية المعافري في ثلاثمائة درهم[٢٣٣].

و٢٥، ٢٠ ديناراً (٢٥٠، ٢٠٠ درهم) زمن المروانيين، فرض حفص بن الوليد والي مصر (سنة ١٢٦هـ) لثلاثين ألفا من المقامصة والموالي في عشرين وخمسة وعشرين ديناراً[٢٣٤].

وكانت مقادير العطاء في ديوان القيروان الذي أنشئ في خلافة عبد الملك، تتراوح بين ٢٠٠ دينار و٣٠ ديناراً، ذكر صاحب الامامة والسياسة أن عبد الملك فرض لموسى بن نصير والي أفريقية (٧٨-٩٦هـ) مائتي دينار، ولكل واحد من أبنائه مائة دينار، ولخمسمائة من مواليه في ثلاثين دينارا للواحد منهم في السنة[٢٣٥]. وألحق الوليد بن عبد الملك أبناء موسى بن نصير ووجوه قبائل العرب وقريش الذي وفدوا عليه من القيروان مع موسى بن نصير في شرف العطاء[٢٣٦] أي جعل عطاءهم ٢٠٠ دينار.

كان توزيع العطاء في الكوفة على العرافات، قال سيف بن عمر بعد حديثه عن تقسيم الناس في الكوفة إلى أسباع " وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من

---

(٢٢٩) ابن عبد الحكم، فتوح، ص:٢٣٥، وكيع، ج٣، ص:٢٢٥، الذهبي، الكاشف، ج٢، ص:١٦١، ابن حجر، رفع الأصر، قسم٢،ص:٣١٦.

(٢٣٠) ابن حجر ، رفع الأصر، قسم١، ص:١٣٩.

(٢٣١) الامامة والسياسة، ص:٣٠٣.

(٢٣٢) الكندي، ص:١١٢

(٢٣٣) الكندي، ص:١١٢.

(٢٣٤) الكندي، ص١٠٦.

(٢٣٥) الامامة والسياسة، ص:٣٠٣.

(٢٣٦) المصدر نفسه، ص:٣٢٦.

أهل القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا، وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال، لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا، على ثلاثة آلاف، وعشرين امراة، وكل عيل على مائة ، على مائة ألف درهم، وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة واربعين من العيال، ممن كان رجالهم الحقوا على ألف وخمسماية درهم على مائة ألف درهم، ثم على هذا الحساب"(٢٣٧).

يفهم من رواية سيف أن أفراد كل عرافة كانوا من طبقة عطاء واحدة وأن العرافات لم تكن متساوية من حيث عدد المقاتلة، ولكنها منساوية في مجموع العطاء، حيث خصص لجميع العرافات مبلغا واحد، ١٠٠ ألف درهم وبالتالي فإن عدد أفراد العرافة يزيد أو يقل بحسب طبقة عطاء رجال تلك العرافة.

ويقوم بتوزيع العطاء على أفراد العرافة ثلاثة أشخاص هم: النقيب، والعريف، والأمين. ذكر عطية بن الحارث" كان العطاء يدفع إلى امراء الأسباع، وأصحاب الرايات، والرايات على أيادي العرب. فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه إلى أهله في دورهم(٢٣٨).

وهذه الرواية لا تبين من هو أعلى مرتبة النقيب، أم العريف أم الأمين، وهي لا توضح دور كل منهم أو فيما إذا كانوا يقومون بنفس العمل. ويفهم مما ذكره الماوردي وأبو يعلى أن النقيب أعلى من العريف حيث يذكر أن على أمير الجند " أن يعرف عليهم العرفاء، وينقب عليهم النقباء"(٢٣٩) ويفهم ذلك أيضا مما ذكره النووي " وينصّب الأمام صاحب الجيش، وهو ينصب النقباء، وكل نقيب ينصب العرفاء، وكل عريف يحيط بأسماء المخصوصين به فيدعوا الامام صاحب الجيش، وهو يدعوا النقباء، وكل نقيب يدعو العرفاء الذين تحت رايته"(٢٤٠).

ويبدو أن مهمة النقيب حمل الأموال إلى العرفاء التابعين له ليقوم العرفاء بمساعدة الأمناء بتوزيعها على أفراد عرافاتهم، ومن المحتمل أنه ساعد العرفاء على التعرف على أفراد

(٢٣٧) الطبري، ج٤، ص:٤٨-٤٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧٢.

(٢٣٨) الطبري، ج٤، ص:٤٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧٢.

(٢٣٩) الماوردي، ص:٣٦، أبو يعلى، ص:٤٠.

(٢٤٠) النووي، مغني المحتاج، ج٣، ص:٩٦.

عرافاتهم الذين لا يعرفونهم جيدا بسبب انتمائهم لعدة عشائر في أغلب الأحيان[٢٤١]. ويشعر بذلك قول عبادة بن الصامت (توفي سنة ٣٤هـ) أن النقيب " كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم.[٢٤٢]

ويبدو أن النظام الذي اتبع في توزيع العطاء في الكوفة قد إتبع في البصرة قال عطية بن الحارث بعد حديثه عن توزيع العطاء في الكوفة على عرافات بمجموع عطاء كل منها مائة ألف درهم " وعلى مثل ذلك كان أهل البصرة" [٢٤٣]. وهكذا يلاحظ أن العرافات في الكوفة والبصرة نظمت على أساس مجموع ما يدفع لكل عرافة، في حين نظمت العرافات في الشام والمدينة ومصر على أساس عدد الأفراد إذا اعتبرت كل قبيلة عرافة لها عريف منها يوزع العطاء على أفرادها زمن الراشدين.

وفي العصر الأموي أعيد تنظيم العرافات بالعراق إذ صارت العرافة تضم عشيرة واحدة وعريفها منها، فيذكر اليعقوبي أن زيادا جعل لكل عشيرة عريفا خاصا بها يقوم بتوزيع العطاء على أفرادها[٢٤٤]. ويشعر بذلك أيضا ما ذكره بعض المؤرخين " أن زياد أول من عرف العرفاء"[٢٤٥] فكان هناك عرفاء للنخع[٢٤٦]. وعرفاء للازد[٢٤٧]. وكان لبني سلول زمن عبيد الله بن زياد عريف يدعى مالكا[٢٤٨]. وكان رافع بن أبي رافع الطائي الكوفي عريف قومه[٢٤٩]. وعبيدة السلماني من مراد الكوفة عريف قومه، يوزع العطاء عليهم[٢٥٠]، وزياد بن شريك التميمي الكوفي عريف قومه[٢٥١]. ويسير بن عمرو النهدي الكوفي عريف قومه زمن الحجاج[٢٥٢] وكان هناك عريف لبني نمير في البصرة [٢٥٣]. وكان

---

(٢٤١) جمال جوده، العرب، ص:٢٠٢.

(٢٤٢) ابن منظور، ج١، ص:٧٧٠.

(٢٤٣) الطبري، ج٤، ص:٤٩، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧٢.

(٢٤٤) اليعقوبي، تاريخ ،ج٢، ص:٢٣٥.

(٢٤٥) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص:١٩٠، ابن عبد ربه، ج٥، ص:٢٥١.

(٢٤٦) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق١، ٥٧٢.

(٢٤٧) البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ١٩٦

(٢٤٨) ابن قتيبة، الشعر، ج٢، ص.٥٤٥، البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢،ص:٨٢٢،٨٢٣.

(٢٤٩) ابن سعد، ج٦، ص٦٨

(٢٥٠) ابن سعد، ج٦، ص٦٨.

(٢٥١) ابن سعد، ج٦، ص:١٠٤.

(٢٥٢) ابن سعد، ج٦، ص:١٤٦.

(٢٥٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٦،ص:١٨٥.

عبد الله بن شعبة بن العلقم عريف بني مارن حاضرتهم وباديتهم زمن الحجاج [٢٥٤]. وعين الحجاج الشعبي عريفا على الشعبيين في الكوفة[٢٥٦]. ويقدر صالح العلي ما خصص لكل عرافة في تنظيمات زياد بنصف مليون درهم[٢٥٧].

وقد أحدث زياد وظيفة حديدة هي المنكب[٢٥٨]. وذكر أبو زيد عمر بن شبة " إن زياد أول من عرف العرفاء، وجعل عليهم المناكب، وقال، العرفاء كالأيدي والمناكب فوقها"[٢٥٩] ويفهم من ذلك أن وظيفة المنكب كانت أعلى من العريف، ويبدو أنه كان مسؤولا عن العرفاء في كل قبيلة ذكر الليث ابن سعد " منكب القوم رأس العرفاء، على كل كذا وكذا عريف منكب" [٢٦٠] . ويتضح ذلك أيضا مما ذكره الشعبي ان الحجاج جعله عريفا على الشعبين، ومنكبا على جميع همدان[٢٦١]

وفي خرسان كان الوضع مشابها لما هو عليه الحال في الكوفة والبصرة حيث كان لكل عشيرة عريف يقوم بتوزيع العطاء على أفرادها[٢٦٢].

وفي مصر كان توزيع العطاء منذ البداية بواسطة العرفاء فقد جعل عمرو بن العاص بعد اختطاط الفسطاط لكل قبيلة عريفا[٢٦٣] فيذكر أن زيد بن الحرث الحجري كان عريف العتقاء بمصر[٢٦٤]. وأن الملامس بن جذيمة عريف حضرموت كلها[٢٦٥]. وعمران بن ربيعة الصدفي عريف الصدف في مصر، ثم تولي ابنه العرافة من بعده[٢٦٦]. وأن أبا مريم عبد الله بن عبد الرحمن عريف بني زبيد في مصر[٢٦٧]. وأن أوس بن بشير المعافري عريف

---

[٢٥٤] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص:٦٠.

[٢٥٦] ابن سعد، ج٦، ص:٢٤٩، الجريري، ج١، ص:٢٨٥، ابن عساكر، تهذيب ، ج٧، ص:١٥٢.

[٢٥٧] صالح العلي، التنظيمات ، ص:١٦٤.

[٢٥٨] البلادري، أنساب، ج٤، قسم ١، ص:١٩٠، ابن عبد ربه، ج٥، ص:٢٥١.

[٢٥٩] أبو هلال العسكري، ص:٢٣٤.

[٢٦٠] ابن منظور، ج١، ص:٧٧٢.

[٢٦١] الجريري، ج١، ص:٢٨٥-٢٨٦، ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص:١٥٢-١٥٣.

[٢٦٢] الطبري، ج٦، ص:٤٧٤.

[٢٦٣] اليعقوبي، البلدان، ص١٦، وأنظر ابن حجر، رفع الأصر قسم ٢، ص:٢٤٨.

[٢٦٤] ابن عبد الحكم، فتوح ، ص:١٢٠.

[٢٦٥] المصدر نفسه، ص:١٢٤

[٢٦٦] ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٢٣. ابن ماكولا، ج٢، ص:٣٣٣، السمعاني، ج٨، ص:٤٤.

[٢٦٧] ا الطبري، ج٤، ١٠٦.

بني أنعم من المعافر(٢٦٨). وعبد الله بن محمد بن حكيم الدهني عريف دهنة هـــو وأبـــوه وجدّه(٢٦٩). هذا فضلا عن وجود عرفاء للموالي، فمثلا كان عامر جمل مولى مراد مـــن مذحج عريف موالي مذحج كلها زمن معاوية(٢٧٠) وعبد الرحمن بن يخنس مولى بني أبـذي من تجيب عريف موالي تجيب زمن عبد الملك بن مروان(٢٧١). وسنبخت الفارسي عريـف الفرس في مصر(٢٧٢).

وفي المدينة استمر العطاء يوزع بواسطة العرفاء في العصر الأموي حيث كان لكـل قبيلة عريف يأخذ أعطياتهم ويدفعها إليهم زمن معاوية(٢٧٣). وكان بشـير بـن عمـرو الأنصاري عريف قومه زمن الحجاج(٢٧٤).

وبالإضافة إلى توزيع العطاء على أفراد عرافته كان العريف مسؤولا عـن أمـور أخرى مثل جمع الجند عند ارسال البعوث، وكتابة قوائم باسماء المشتركين فيها، فقد طلب الحجاج من العرفاء في الكوفة أن يلحقوا الناس بالمهلب وأن يأتوه بالـبراءات بموافـاتهم، فأخرج العرفاء الناس إلى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموفاة(٢٧٥).

وكان العريف مسؤولا عن معرفة الكفاءة القتالية لكل مقاتل من أفـراد عرافتـه لاطلاع القادة عليها عندما تدعوا الحاجة، فيذكر المدائني أن قتيبة بن مسلم عند الاستعداد لفتح سمر قند أراد انتخاب أهل الباس والنجدة من المقاتلة ليهاجم بهم المدينـة " فجلـس يعرفهم بنفسه، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل فيقول: ما عندك؟ فيقول العريـف: شجاع، ويقول: ما هذا؟ فيقول: مختصر، ويقول: ما هذا؟ فيقول جبان (٢٧٦).

وكان العرفاء مسؤولين أيضا عن حفظ الأمن والنظام في عرافاتهم، وهذا يتطلـب منهم معرفة ميول أفراد عرافاتهم وانتماءاتهم السياسية، ورفع أسماء المشبوهين والمشكوك في

---

(٢٦٨) ابن عساكر، تهذيب، ج٣،ص:١٥٨.
(٢٦٩) ابن ماكولا، ج٣، ص:٣٩٩، السمعاني، ج٥، ص٣٨٣.
(٢٧٠) ابن عساكر، تاريخ، ٤ ج، ص:٤٨٣-٤٨٤.
(٢٧١) الكندي، ص:٧٢، ابن ماكولا، ج١، ص:١٠، الهمداني عجالة ، ص:٩، ابن دقماق، قسم١، ص٢٤.
(٢٧٢) ابن ماكولا، ج٤، ص:٣٨٦.
(٢٧٣) مصعب الزبيري، ص:١٥٤-١٥٥
(٢٧٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص:١٩٧، ابن حجر، الاصابة، ج١، ص:١٨٨.
(٢٧٥) الطبري، ج٦، ص:٢٣٠ ٢٣١.
(٢٧٦) الطبري، ج٦، ص:٤٧٤.

ولائهم للدولة إلى الأمير لاتخاذ الإجراءات المناسبة بحقهم، وكان من يتخلف عن القيام بهذه المهمة من العرفاء يعرض نفسه للعقوبة الشديدة[٢٧٧].

وإذا ما فر أحد أفراد العرافة بعد أن ارتكب جرما جنائيا أو سياسيا فعلى عريفه احضاره وإلا عرض نفسه للعقوبة[٢٧٨]. وكلف العريف أحيانا بالإشراف على أموال اليتامى في عرافته، ذكر ابن لهيعة أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضي مصر زمن عبد العزيز بن مراون "أول من نظر في أموال اليتامى، وضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيلة، وكتب بذلك كتابا وأشهد في" [٢٧٩]. وكان للعرفاء دور في زيادة العطاء وحطه أو قطعه نهائيا، فمتلا وقع بين امراة من أهل المدائن وعريفها مشاجرة فاسقط أسمها من الديوان[٢٨٠]. وقد سبقت الإشارة إلى أنهم كانوا يسمون التسجعان والجبناء من أفراد عرافاتهم للأمير عندما يطلب منهم ذلك، ومن بين أسباب زيادة العطاء الشجاعة والبلاء في القتال وهذا يعني أن لهم دورا في زيادة العطاء أو حفضه أيضا. ويبدو أن بعض العرفاء كانوا يفتقرون إلى الأمانة والورع ويسيئون استخدام وظيفتهم، فكانوا أحيانا لا يرفعون أسماء الموتى والغائبين من أفراد عرافاتهم إلى الديوان ويأخذون عطاءهم بالاتفاق مع أهلهم ويقتسمونه فيما بينهم، فيذكر مصعب الزبيري أن العرفاء في المدينة زمن معاوية" كانوا لا يغيبون غائبا ولا يميتون ميتا ويصدقون أهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا"[٢٨١] وبعضهم كان يستغل ضعف الأرامل واليتامى فلا يدفعون إليهم عطاءهم ويأخذونه لأنفسهم، فقد جاءت امرأة من أهل الكوفة إلى عمر بن عبد العزيز تشكو إليه بأنها لم تأخذ ولا بناتها في خلافته من عطائهن شيئا وعندما سألها: من بك؟ قالت: العرفاء والمناكب"[٢٨٢].

ونظرا لأهمية الدور الذي كان يلعبه العرفاء فعد جرى تعيينهم من قبل الخليفة أو الوالي مباشرة في أكثر الأحيان فمثلا عين معاوية عامر جمل مولى مراد من مذحج في مصر

---

[٢٧٧] الطبري، ج٥، ص:٣٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص:٢٤، النويري، ج٢٠، ص:٣٩٠

[٢٧٨] ابن قتيبة، الشعر، ج٢، ص:٥٤٥.

[٢٧٩] ابن حجر، رفع الأصر، قسم ٢، ص:٣٤٨.

[٢٨٠] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:١٥٨.

[٢٨١] مصعب الزبيري، ص:١٥٤-١٥٥.

[٢٨٢] ابن عبد الحكم ، سيرة، ص:٤٢.

عريفا على موالي مذحج[٢٨٣]. وعين عبد الملك عبد الرحمن بن يحنس عريفا على موالي تجيب[٢٨٤]. وعين سعساع بن خداش العامري عريفا على بني عامر[٢٨٥].

وعندما ولي الحجاج العراق أسقط العرفاء القدامى في الكوفة عندما رأى أنهم غير مناسبين وعين مكانهم عرفاء جدد[٢٨٦]. ومن بين العرفاء الذين اختارهم الحجاج عامر الشعبي عريف الشعبيين[٢٨٧]. وطفيل بن حكيم الطائي[٢٨٨]. وفي بعض الأحيان سمحت الدولة لرجال العشيرة باختيار عريفهم[٢٨٩]. كان يراعى في اختيار العريف أن يكون شجاعا حازما حوادا يهتم بقضاء حاجات أفراد عرافته. ويفترض في العريف أن يتحلى بمزايا ومؤهلات مثل الألمام بمبادئ العربية والحساب والقرآن والفقه والسير، فضلا عن التحلي بالأمانة والتقوى[٢٩٠].

وكان العريف يبقى في عرافته ما دام يحظى برضى الوالي لقيامه بواجباته وأمانته، وأن الوالي يستبدله بمن هو خير منه إذا لا حظ أن العريف يفتقر إلى الأمانة ولا يقوم بواجباته.

ونظرا لأن العرفاء موظفون في الدولة يعملون على تنفيذ أوامرها فيما يتعلق بجمع الجند وارسالهم في البعوث، وإبلاغ الدولة عن المشبوهين من أفراد عرافاتهم وتعقب المطلوبين منهم للدولة والقاء القبض عليهم فضلا عن تلاعب بعض العرفاء بعطاء أفراد عرافاتهم وظلمهم للأرامل واليتامى، جعلت الناس خاصة في المناطق التي تكثر بها حوادث الاخلال بالأمن والتقصير في القيام بالواجب، يكرهون العرفاء ويعملون على تشويه سمعتهم[٢٩١].

---

[٢٨٣] ابن عساكر، تاريخ، ع ج١، ص:٤٨٣-٤٨٤.

[٢٨٤] الكندي، ص:٧٢. ابن ماكولا، ح١، ص:١٠.

[٢٨٥] ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص:١٤٨.

[٢٨٦] الجريري، ج١، ص:٢٨٥، ابن عساكر، تهذيب، ح٧، ص.١٥٢.

[٢٨٧] ابن سعد، ج٦، ص:٢٤٩، الجريري، ح١، ص:٢٨٧، ابن عساكر تهذيب، ح٧، ص:١٥٣.

[٢٨٨] أنظر البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٥٢-٥٣.

[٢٨٩] أبو هلال العسكري، ص:٢٩٨.

[٢٩٠] الجريري، ح١، ص٢٨٥-٢٨٦، ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص١٥٢-١٥٣.

[٢٩١] ابن سعد، ج٦، ص:٢٧٦، الأصبهاني، حلية، ح١، ص٧٩، ح٥، ص٣٤٥، ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٢٩٤، ابن منظور، ج٩، ص٢٣٨.

استمر صرف الأرزاق للمقاتلة في الأمصار ولعيالاتهم وعبيدهم بعد تدوين الديوان وكانت هذه الأرزاق متماثلة في الأساس وأن حصل تباين في التفاصيل بين مصر وآخر، فنصيب الفرد في الشام مديين من الحنطة وقسط من الزيت وقسطين من الخل في الشهر، ذكر سفيان بن وهب الخولاني الشامي أنه سمع عمر يقول " أني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مديي حنطة وقسطي زيت. فقال رجل: والعبيد؟ قال عمر: والعبيد"[٢٩٢] وقال أبو الدرداء الصحابي الشامي " رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر في أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، المديان والقسطان"[٢٩٣].

ونصيب الفرد من الرزق في العراق يتألف من جريبين من الحنطة وقسطين من الزيت، وقسطين من الخل، ذكر حارثة بن مضرب الكوفي أن عمر " كان يرزق الناس المرأة والرجل والمملوك: جريبين في كل شهر"[٢٩٤]. وقال خالد بن عرفطة العذري أن عمر كان يجري على كل مولود ذكرا كان أم أنثى جربيين من الحنطة في كل شهر[٢٩٥]. وهكذا فإن ما أخذه الفرد في العراق مساو لما أخذه الفرد في الشام٥ر٤٥ كغم قمح، ومن الزيت ومن الخل ٢١٢ر٤ لترا في الشهر من كل صنف.

وليس هناك ما يشير إلى حدوث تعديلات أخرى على مقادير الأرزاق في خلافتي عثمان وعلي.

وكان الأرزاق في مصر تشتمل على الحنطة والزيت والخل والعسل، ويبدو أن إنتاج مصر من العسل كان كبيرا لدرجة تسمح بصرفه في أرزاق المقاتلة ذكر عبد الله بن عمرو بن العاص أن والده عندما فتح مصر ألزم كل ذي أرض ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل رزقاً للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيها، وأحصى المسلمين"[٢٩٧]، وكان قسم من الحنطة والزيت التي تجبي في خراج مصر ترسل إلى المدينة لدفع أرزاق الناس فيها وقد استمر ذلك منذ الفتح وحتى سقوط الدولة

---

[٢٩٢] ابو عبيد، ص:٣٥٢، ابن عساكر، تاريخ، ج١٠، ص:٤٨٧.

[٢٩٣] ابن عبيد، ص:٣٥٢.

[٢٩٤] ابو يوسف، ص:٤٧، أبو عبيد، ص:٣٥١، ابن سعد، ج٣، ص:٣٠٥، الطبري، ج٣، ص:٦١٥، الماوردي، ص:٢٠٢، النويري، ج١٩، ص:٣٣٦، المقريزي، خطط، ج١، ص:١٧١.

[٢٩٥] ابن سعد، ج٣، ص:٢٩٨، البلاذري، فتوح، ص:٦٣٥.

[٢٩٧] البلاذري، فتوح، ص:٣١.

الأموية[٢٩٨] ويزن الأردب ٢ر٦٩ كغم من القمح[٣٠٠]، هذا بالإضافة إلى قسطين من الزيت وقسطين من الخل وقسطين من العسل في كل شهر[٣٠١].

وبذلك فإن مقدار ما أخذه الفرد في مصر من مادة القمح يفوق مقدار ما أخذه مثله في الشام والعراق، ويرجع ذلك إلى وفرة إنتاج مصر من الحنطة في صدر الإسلام، ويلاحظ أيضا اشتمال الأرزاق في مصر على مادة العسل في حين لم توزع هذه المادة في أرزاق أهل العراق والشام.

استمر الأمويون في دفع الأرزاق للمقاتلة وأفراد أسرهم[٣٠٢]. لكنهم قطعوها عن عبيدهم[٣٠٣]. ويبدو أن التغيرات التي حصلت على عطاء الذرية في العصر الأموي: من تحديد عدد من يفرض لهم من أبناء المقاتل بطفل أو طفلين في الفترة السفيانية والفترة المروانية الثانية، وقطع أعطاء الذرية في الفترة المروانية الأولى، لم تشمل الأرزاق التي بقيت تصرف لجميع أفراد أسرة المقاتل سواء أكانوا في العطاء أم لم يكونوا، ويدل على ذلك وجود أشخاص يأخذون رزقا في القمح والزيت ولا يأخذون عطاء[٣٠٤]

وبقيت مقادير الأرزاق في الشام ثابتة من زمن الراشدين مديان من الحنطة وقسطان من الزيت، ذكر البلاذري أن الوليد بن عبد الملك أجرى على الجراجمة في الشام العطاء" وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت، وهو مديان من القمح وقسطان من الزيت"[٣٠٥]

وفي مصر بقي مقدار ما يأخذه الفرد من الحنطة ثابتا إثني عشر إردبا في السنة بمعدل أردب واحد كل شهر باستثناء فترة وجيزة أنقص نصيب الفرد فيها أردبين في

---

[٢٩٨] ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٦٥، ١٦٦، ابن سعد، ج٥، ص:٣٤٧، البلاذري، فتوح،ص:٣٠٤، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص:١٥٤-١٥٥، ابن قدامة، ص:٣٣٨، البرهان فوري، ج٤، ص:٥٧٢.

[٣٠٠] فالترهنتس، ص:٥٨.

[٣٠١] البلاذري، فتوح، ص:٣١، الصولي، ص:٢١٧.

[٣٠٢] ابن عبد الحكم، فتوح، ص:١٠١، ١٠٢، البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص:١٨١، ١٩٠، البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢،ص١٩٤، ٢٣٧، الطبري، ج٥، ص:٢٥٥، ٢٨٨، ج٦، ص:١٢٠، ١٩٣، ج٧، ص:١٩١.

[٣٠٣] أبو عبيد، ص:٣٥٣.

[٣٠٤] الصنعاني، ج٤، ص:١١٧، البلاذري، فتوح، ص٢٢٠.

[٣٠٥] البلاذري، فتوح، ص:٢٢٠ .

السنة، فصار يأخذ عشرة أرادب، تم أعيدت الأرزاق إلى سابق عهدها ١٢ أردبا للفرد في السنة.

ذكر عبد الله بن لهيعة "أن أرزاق المسلمين كانت أثني عشر أردبا في كل سنة فنقص أردبين أردبين، فصار كل رجل إلى عشرة فلما ولي حفص بن الوليد صيرهم أثني عشر أثنى عشر" [٣٠٦] وربما كان هذا النقص الذي طرأ على الأرزاق في مصر مرتبطا بمحاولة هشام بن عبد الملك توحيد مقادير الأرزاق في كافة الأمصار باستخدام مكيال واحد في توزيعها هو المكيال الشامي (المدي)، ونظرا لتساوي الجريب العراقي مع المدي الشامي فقد اتجه هشام إلى مصر[٣٠٧]، وتوقفت محاولة هشام بعد أن لقيت معارضة من قبيلة المعافر[٣٠٨].

وفي العراق بقى مقدار ما يأخذ الفرد من الحنطة ثابتا من أيام الراشدين حريبين في كل شهر يدل على ذلك أن رزق العيل في ولاية زياد بن أبيه على العراق (٤٥-٥٣هـ) كان جريبين من الحنطة في الشهر[٣٠٩]. ووزعت أحيانا بالإضافة إلى القمح مواد أخرى مما كان يؤخذ من أهل الجزية على سبيل التسهيل عليهم في الدفع، فيذكر سيرة بن نخف أحد مقاتلة البصرة أيام زياد " أن زياد كان يأخذ في الجزية ممن عجز عن الدراهم عروضا فكانت خزائننا مملوءة من ذلك "[٣١٠] وكان من بين المواد الإضافية التي وزعت السكر والزبيب.

وكان في كل مصر من الأمصار دار تجمع فيها المواد التي تدفع في أرزاق المقاتلة وعيالاتهم تعرف بمدينة الرزق، أو دار الرزق، فمتلا هنالك درا للرزق في الفسطاط[٣١١]. وأخرى في البصرة[٣١٢]. وكان المقاتلة يأتون إلى دور الرزق فيستلمون أرزاقهم وأرزاق عيالهم، ذكر ابن عبد البر أنه بعد استيلاء طلحة والزبير على البصرة قبيل معركة الجمل"

---

(٣٠٦) الكندي، ص:١٠٤ ١٠٥

(٣٠٧) الكندي، ص:١٠٠-١٠١.

(٣٠٨) الكندي، ص:١٠١.

(٣٠٩) البلادري، انساب، ج٤، قسم ١، ص:٢٠٦.

(٣١٠) البلاذري، أساب، ج٤، قسم ١،ص:١٩٠.

(٣١١) البلاذري، فتوح، ص:٣١.

(٣١٢) خليفة بن حياط، تاريخ، ج١، ص:١٦٣، الطبري، ج٥، ص:٢٢٢، أبو هلال العسكري، ص:٢٤١. ابن عبد البر، ج١، ص:٣٦٨، النويري، ج٢٠، ص:٣١٦.

غدا عبد الله بن الزبير إلى الزابوقة وهي مدينة الرزق وفيها طعام يرزقونه، فأراد أن يـرزق أصحابه"[٣١٣].

(٣١٣) حليفة بن حياط، تاريح ، ج١، ص:١٦٣، اس عبد البر، ج١، ص٣٦٨.

الفصل الثالث

الدواوين في العصر الأموي

الفصل الثالث

الدواوين في العصر الأموي

خطت الإدارة العربية في العهد الأموي خطوات سريعة، وذلك بفضل امتداد الدولة الإسلامية، وإطلاع المسلمين على معطيات الحضارات القديمة الأخرى ونقل أفكارهم. بالإضافة إلى ما اكتسبوه وطوره، فابتكروا وأبدعوا في هذا المجال. ولقد أدى اتساع الدولة وصعوبة إدارتها بديوان مركزي واحد إلى وجود دواوين مستقلة في كل مصر.

تشير الروايات إلى أن بداية الدواوين في الإسلام، كانت على يد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ) فهو أول " من دون الدواوين من العرب في الإسلام" وكان الديوان الأول هذا ديوان الجند[١].

ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب اتسعت الفتوح، وشملت الشام والعراق فكثرت الأموال، كما كثر عدد المقاتلة، وتوزعوا على الجبهات، وأصبح من العسير ضبطهم لمعرفة أعدادهم وتوجيههم[٢]، كما كثرت الواردات، وبات تنظيم العطاء للمقاتلة ضروريا. ولذا أنشأ عمر الديوان.

تذكر الروايات أن إنشاء هذا الديوان، يعود إلى كثرة الأموال الواردة من البلاد المفتوحة، ورغبة الخليفة عمر بن الخطاب في تنظيم توزيعها، حيث يروى أن أبا هريرة (ت٥٩ هـ) قدم على عمر بن الخطاب من البحرين بمال كثير، وشاور عمر في تنظيم قسمته فأشار عليه بعض الحاضرين بعمل الديوان[٣].

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص١٦، وأنظر ابن سعد، الطبقات، ح٣، ص٢٨٢، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩. ابن رسته، الأعلاق، ص١٩٩. مسكويه، تجارب، ج١، ص٤٥٤. الماوردي، الأحكام، ص١٩٩. ابن عبد البر، الاستيعاب، ح٣، ص١١٤٥.

(٢) ابن طباطبا، الفخري، ص٨٣.

(٣) أبو يوسف، الخراج، ص٤٩. ابن سعد، الطبقات، ح٣، ص٣٠٠، البلاذري، فتوح، ص٤٣٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٧.

كانت كثرة الأموال ، وتنظيم توزيعها، والحاجة إلى تنظيم المقاتلة، وراء تأسيس الديوان. ويحسن أن ينظر للموضوع في إطار السياسة العامة، ورغبة الخليفة في أن يجعل العرب أمة عسكرية، يوجهها للجهاد، وهذه أساسية في إنشاء ديوان الجند.

ولما استقر رأي الخليفة عمر على تدوين الديوان، دعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة ابن نوفل، وجبير بن مطعم، وأمرهم أن يكتبوا الناس على منازلهم، وأن يبدأو بقرابة الرسول صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب، فكان القوم إذا استووا في القرابة، قدم أهل السابقة، ثم انتهى إلى الأنصار، فبدأ بجماعة سعد بن معاذ ثم الأقرب فالأقرب لسعد، وفرض عمر لأهل الديوان، ففضل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض(٤).

كان الديوان الذي رسمه عمر هو ديوان الجند بشكله الأول، وأطلق عليه ذلك الوقت الديوان، لأنه الديوان الرئيسي في المدينة(٥).

كان هذا الديوان يتألف من سجلات، كتب فيها أسماء المسلمين الذين يستحقون العطاء وأنسابهم على قبائلهم مع ذكر مبلغ عطائهم، وكان عمر ربما حمل بعض السجلات التي رتبت على الأسر والقبائل، فيطوف على أصحابها، ويسلم كل واحد منهم عطاءه بيده(٦).

كان إنشاء الديوان يتطلب أن يؤسس بيت المال، لتنظيم الوارد والنفقات. ولم يكن للرسول (ص) بيت مال بهذا المعنى، ولا لأبي بكر، وأول من اتخذ بيت مال هو عمر بن الخطاب(٧).

وكانت الظروف التي أدت إلى نشأة ديوان الجند، هي نفسها التي دفعت إلى إنشاء بيت المال في الوقت ذاته(٨).

---

(٤) البلاذري، فتوح، ص٤٣٧.
(٥) الدوري، النظم، ص١٨٩.
(٦) البلاذري، فتوح، ص ٢٨، ٤٣٩، الطبري، تاريخ، ج٤، ٢١٠.
(٧) أبو هلال العسكري، الأوائل ، ص٢٥، الذهبي، دول، ج١، ص٨. المقريزي، الخطط ج١، ص١٦٩.
(٨) أبو يوسف، الخراج، ص٤٩، ابن سعد، الطبقات ج٣، ص٣٠٠، البلاذري، فتوح، ص٤٣٩. الجهشياري، ص١٥-١٧.

وفي العصر الأموي توسعت الأعمال تدريجيا، وتعددت الحاجات بتطور الأحوال فأدى هذا إلى ظهور دواوين جديدة، ويصعب في كثير من الأحيان تحديد زمن إنشاء الديوان، وتكفي الإشارة إلى الخليفة الذي ورد اسم الديوان في زمنه أول مرة.

ففي عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠ هـ) أحدث ديوان الخاتم[٩]. وذلك على أثر تزوير وقع في إحدى رسائله، إذ أمر لعمرو بن الزبير بمائه ألف درهم، وكتب بها إلى زياد وهو على العراق، ففض عمرو الكتاب، وجعل المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكره معاوية. فأمر عمرو بردها وحبسه، واداها عنه أخوة عبد الله بن الزبير، فاتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم[١٠]، وحزم الكتب ولم تكن تحزم[١١].

وقلد معاوية عبيد الله بن أوس الغساني رئاسة هذا الديوان، وسلم الخاتم إليه[١٢]، وعلى فصه مكتوب " لكل عمل ثواب"[١٣]. وفي رواية أخرى أن معاوية قلده، عبيد الله بن محصن الحميري[١٤].

لم يقتصر هذا الديوان على المركز بل عرف في العراق كذلك، إذ يذكر البلاذري أن زياد بن أبيه- والي العراق زمن معاوية- أول من نظم هذا الديوان، وتطور في عهد عبد الملك[١٥].

ومن الجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتم من فضة، ونقش عليه "محمد رسول الله"، وكان يختم به الكتب التي كان يبعث بها إلى الملوك والأمراء[١٦]، وختم الخلفاء بخاتمه من بعده. حتى سقط من يد عثمان في بئر أريس، فصنع عثمان آخر

---

(٩) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٢٨، الطبري، تاريخ، ج٥ ص٣٣ الجهشياري، الوزراء، ص٢٤، ٢٥. السيوطي، تاريخ ص١٤٣.

(١٠) الجهشياري، الوزراء، ص٢٤. أبو هلال العسكري، الأوائل ، ص١٤٣.

(١١) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٣٠، ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٠.

(١٢) الصولي، أدب، ص١٤٣. أبو هلال العسكري، الأوائل ص١٤٢.

(١٣) أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٤٢، السيوطي، تاريخ، ص١٣٤.

(١٤) الجهشياري، الوزراء، ص٢٤، ٣٥، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٣٠.

(١٥) البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٢٠٢.

(١٦) الخزاعي، تخريج ، ص١٨٠،١٨١، الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٧٧.

مثله[١٧]. غير أن ما عرف في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين، هو استعمال الخاتم لا ديوان الخاتم الذي رسمه معاوية.

والديوان الثاني الذي نشأ في عهد معاوية، هو ديوان البريد، قال القلقشندي: "أن أول من وضع البريد في الإسلام معاوية بن أبي سفيان، وذلك حين استقرت له الأمور، فوضع البريد لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها"[١٨]

ومن الدواوين التي كانت في عهد معاوية ديوان الرسائل[١٩]، وقد أرجع القلقشندي نشأته إلى العصر النبوي، فيقول: "اعلم أن هذا الديوان، ديوان الإنشاء، أول ديوان وضع في الإسلام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب امراءة وأصحاب سراياه من الصحابة، ويكاتبونه، وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء"[٢٠].

لقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا لحاجاته، ولم يكن له ديوان رسائل لعدم ظهور الحاجة، وأول إشارة واضحة لديوان الرسائل، ترجع زمن معاوية بن أبي سفيان. يقول الجهشياري: "وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد الله بن أوس الغساني "[٢١].

ومن الدواوين المركزية في العصر الأموي: ديوان الخراج، ويرد ذكره لأول مرة في عهد معاوية. يقول الطبري: "وكان يكتب له على ديوان الخراج منصور الرومي"[٢٢] كما يشار لهذا الديوان بالعراق زمن معاوية يروي البلاذري: " وكان سليم مولى زياد على ديوان خراجه"[٢٣].

وديوان الخراج من الدواوين الموروثة عن العهود السابقة، فقد كان هذا الديوان موجوداً من قبل، وبقي بعد الفتح الإسلامي، وبلغة البلاد الموجود فيها، فقد أشير إلى هذا الديوان في عهد عمر بن الخطاب، إذ كان في الكوفة والبصرة والشام ومصر ديوانا، أحدهما

---

(١٧) القلقشندي، صبح، ج١٤. ص٢٩٧. وأنظر أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٤٤.

(١٨) القلقشندي، صبح، ج١٤. ص٣٦٧. وأنظر أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٤٤.

(١٩) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٢٨، الجهشياري، الوزراء، ص٢٤.

(٢٠) القلقشندي، صبح، ص٩١-٩٢.

(٢١) الجهشياري، الوزراء، ص٢٤. وأنظر خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٢٨.

(٢٢) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، وأنظر خليفة بن خياط، تاريخ ص٢٨٨.

(٢٣) البلاذري، أنساب ق٤، ج١، ص٢٧٧.

بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم. والأخر لوجود الأموال بالفارسية في العراق، والقبطية في مصر، والرومية في الشام ومصر [٢٤]

بقيت دواوين الخراج بلغاتها المحلية، حتى قطع المسلمون شوطاً في مضمار الثقافة والمعارف الإدارية، وظهر من المسلمين عرب وموال مهرة في الكتابة، وأعمال الخراج، وإدارة أموره[٢٥]، فبدأت الدولة حركة تعريب تدريجية لهذه الدواوين[٢٦]. ففي الشام أمر الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٨١هـ واليه على الأردن سليمان بن سعد، أن يعرب ديوان الشام ففعل[٢٧]، وفي العراق أمر الحجاج بن يوسف كاتبه صالح بن عبد الرحمن، أن يقوم بتعريب ديوان الخراج، فتم ذلك[٢٨]. وفي مصر تم التعريب عام ٨٧هـ. بأمر واليها عبد الله بن عبد الملك في خلافة الوليد بن عبد الملك[٢٩](٨٦-٩٦هـ) ونقل اسحق بن طليق ديوان خراج خراسان إلى العربية سنة ١٢٤ هـ في ولاية نصر بن سيار، على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك[٣٠] (١٠٥-١٢٥هـ)

وأصبح ديوان الخراج المركزي من أهم الدواوين في العهد الأموي، يتولى تنظيم الخراج وجبايته، والنظر في مشكلاته، وهو عماد المالية، وتظهر أهميته الأولى في أنه صار يطلق عليه اسم الديوان[٣١].

ولا يشار إلى تطورات جديدة حتى خلافة الوليد بن عبد الملك، حين ترد إشارات إلى دواوين مستحدثة لأول مرة في عهده، مثل: ديوان المستغلات، يذكر الطبري" " وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه، وعلى المستغلات بدمشق نفيع بن ذؤيب مولاه [٣٢] كما يرد في

---

(٢٤) الجهشياري، الوزراء، ص٣٨، المقريزي، الخطط، ح١، ص١٨١.

(٢٥) ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٣.

(٢٦) الكتاني، التراتيب، ج١، ص٢٢٩، ٢٣٠.

(٢٧) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٢٩، البلاذري، فتوح ص١٩٦. الجهشياري، الوزراء، ص٤٠.

(٢٨) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨.

(٢٩) الكندي، الولاة، ص٥٨، ٥٩.

(٣٠) الجهشياري، الوزراء، ص٦٧، المقريزي، الخطط، ج١، ص١٨١.

(٣١) خليفة بن خياط، تاريخ، ص٢٢٨، الجهشياري، الوزراء، ص٣٢.

(٣٢) الطبري، تاريخ، ح٦، ص١٨١.

الجهشياري: " ويكتب له على المستغلات بدمشق نفيع بن ذؤيب مولاه، واسمه مكتوب في لوح في سوق السراجين"[٣٣].

ويبدو أن هذا الديوان تأسس للأشراف على المباني والأسواق الحكومية المؤجرة والطواحين[٣٤].

ويشار إلى ديوان الزمنىّ في عهد الوليد، فقد ذكر ابن عساكر في ترجمة اسحق بن قبيصة بن ذويب الخزاعي أنه كان على هذا الديوان في دمشق، حيث يقول: " اسحق بن قبيصة.. كان على ديوان الزمنى بدمشق، وهو من أهلها، وسكن الأردن ووليها لهشام بن عبد الملك.. وقال له الوليد لما ولاه: " لا دعن الزمن أحب إلى أهله من الصحيح، وكان يؤتي بالزمن حتى توضع في يده الصدقة"[٣٥].

ويبدو أن هذا الديوان كان مجرد سجل استحدث في عهد الوليد بن عبد الملك، الذي فرض للفقهاء والأيتام والزمنىّ والضعفاء[٣٦]. وجعل للزمنىّ سجلا خاصا بهم يثبت فيه أسماؤهم وما ينفق عليهم.

وترد الإشارة إلى ديوان النفقات في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ)، يقول الجهشياري: " وكان يكتب على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقيق عبد الله بن عمرو الحارث[٣٧] ومع أن الجهشياري يذكر هذا الديون لأول مرة في عهد سليمان، إلا أنه كان موجوداً من قبل، إذ أن الجهشياري يراه من الدواوين الموروثة من العهد الساساني[٣٨].

ويشار إلى ديوان القاضي في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)، فيذكر وكيع: "وجد في ديوان القضاء بسوق الأهواز كتابا فيه هذا ما قضى به سالم بن أبي سالم سنة مائة، أو إحدى ومائه"[٣٩] ويحتمل أن هذا الديوان كان موجودا قبل هذا التاريخ، فوجدوه في الولايات يشعر بوجود ديوان مركزي قبل هذا التاريخ، ولا يتبين متى صار للقاضي

---

(٣٣) الجهشياري، الوزراء، ص٤٧.

(٣٤) الريس، الخراج، ص٢٢١. Duri., Diwan 2 Vol. 2.p. 324.

(٣٥) ابن عساكر، تهذيب، ج٢، ص٤٥٢، ابن حجر، تهذيب، ج١، ص٢٤٧.

(٣٦) الذهبي، سير، ج٤، ص٣٤٨.

(٣٧) الجهشياري، الوزراء، ص٤٩.

(٣٨) المصدر نفسه، ص٣.

(٣٩) وكيع، أخبار، ج٣، ص٣٢٠.

ديوان، ولكن الإشارات إلى اتخاذ القاضي كاتبا، ترد في وقت مبكر. فقد أورد وكيع: "كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، أن كاتبك الذي كتب إليّ لحن. فاضربه سوطاً"[٤٠]، كما أن أول قاضي اتخذ سجلا بقضائه، كان سليم بن عتر. يذكر ابن حجر: "اختصم إلى سليم بن عتر في ميراث، فقضى بين الورثة، ثم تناكروا، فعادوا إليه فقضى بينهم، وكتب كتابا بقضائه، وأشهد فيه شيوخ الجند[٤١] وكان "أول القضاة بمصر سجل سجلا بقضائه[٤٢]، ويلاحظ أن سليم بن عتر تولى القضاء سنة ٤٠ هـ إلى وفاة معاوية[٤٣]. ولعل وجود الكاتب ثم السجل كان بمثابة نواة للديوان.

ويشار في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) لأول مرة إلى عدة دواوين. ويبدو أن لطول فترة حكمه، بالإضافة إلى اهتمامه بأمور دولته ودواوينه. دورا في ذلك. يروي غسان بن عبد الحميد: لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابه ودواوينه. ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام[٤٤].

فيشار إلى ديوان الصدقات في عهدة، قال الجهشياري: "وقلد اسحق بن قبيصة بن ذويب الصدقة لهشام"[٤٥].

ويرد ذكر ديوان للطراز في عهد هشام[٤٦]، ويبدو أنه أنشئ في خلافة عبد الملك أو بعده، حين عرب الطراز ومؤسسات الدولة[٤٧].

وأنشئ ديوان للأحباس في هذه الفترة، يروي الكندي عن ابن لهيعة (ت ١٧٤هـ) قوله: "أول قاضي بمصر وضع يده على الأحباس توبة بن نمر في زمن هشام. وإنما كانت الأحباس في أيدي أهلها، وفي أيدي أوصيائهم، فلما كان توبة قال: ما أرى مرجع هذه

---

[٤٠] المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٦.
[٤١] ابن حجر، رفع ق٢، ص٢٥٤.
[٤٢] المصدر نفسه، ص٢٥٤
[٤٣] المصدر نفسه، ص٢٥٤
[٤٤] الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٣.
[٤٥] الجهشياري، الوزراء، ص٦٠.
[٤٦] الدوري، النظم، ص١٩٧.
[٤٧] الدوري، النظم، ص١٩٧.

صدقات إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظا لها، ولم يمت توبة حتى صار للأحباس ديوانا عظيماً"[٤٨]. وكان ذلك في سنة ١١٨هـ[٤٩].

وفي أواخر العصر الأموي يرد ذكر للحسبة، في ترجمة عاصم بن سليمان الأحول (ت ١٤٢هـ)، فقد كان " بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان"[٥٠]. ومع أن اللفظة استعملت في أواخر العهد الأموي، فإن المنصب قد عرف قبل هذا التاريخ، فيبدو أنها حلت محل وظيفة العامل على السوق التي عرفت في فترة مبكرة[٥١].

وظهرت في فترة الخلافة الأموية ما يسمى بدار الاستخراج[٥٢] وهي مكان يوضع فيه الموظفون الذين يختلسون أموال الجبايات ولا يؤدونها، كما صودرت أموال الأشخاص الذين يقومون بثورة أو تمرد على الدولة[٥٣].

وقد اتجهت الدراسة إلى تصنيف الدواوين في مجموعات حسب الاختصاص وحقول العمل لإعطاء صورة شاملة عنها إلى جانب الصورة التفصيلية ولذا قسمت إلى : الدواوين المركزية، الدواوين المختصة بالشؤون المالي، والدواوين المعنية بالقضاة والأحكام.

١- الدواوين المركزية

أ- ديوان الرسائل:

يذكر القلقشندي أن ديوان الرسائل يسمى أيضا ديوان الإنشاء، وهو أول ديوان وضع في الإسلام ذلك أن النبي (ص) استعمل كتابا يكتبون عنه إلى إمرائه وأصحاب سراياه وإلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ويكتبون له العهود والاقطاعات والأمانات إلى غير ذلك، فهؤلاء وأن لم يطلق عليهم اسم الديون، فقد كانوا يقومون بشئ من متعلقات ديوان الرسائل[٥٤]، لكن وجود ديوان بمعنى الديوان غير صحيح، فلا تلازم بين ديوان الإنشاء وهذه الكتابات. فقد توجد هي ولا يوجد هو، كما أننا لم نسمع عن

---

[٤٨] الكندي، الولاه، ص٣٤٦، ابن حجر، رفع، ص١٦١.
[٤٩] الكندي، الولاه، ص٣٤٦.
[٥٠] ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣١٩، ٢٥٦.
[٥١] الشافعي، الأم، ج٤، ص٤٢٢٥، البلاذري، أنساب، ج٥، ص٤٣، وكيع، أخبار، ج١، ص٣٥٣.
[٥٢] الجاحظ، البيان، ح٢، ص٣٢.
[٥٣] البلاري، أنساب، ج٤، قسم ٢، ص٩، ٨١.
[٥٤] القلقشندي، صبح، ج١،ص٩١، الكتاني، التراتيب، ج١،ص١١٨.

كتاب احترفوا الكتابة. وإنما كان الرسول (ص) يملي على من يجده أمامه ممن يحسن الكتابة، فيكتب كما يملي عليه. وقد بالغ القلقشندي في هذا الإدعاء مبالغته في ادعائه أن ديوان الجيش والدواوين الأخرى: أسست في عهد الرسول أيضا، غير أنها لم تلق مثل شهرة ديوان الإنشاء.

ويشير ابن خلدون أن الذي أكد الحاجة إلى هذا الديوان في الدولة الإسلامية قضية اللسان العربي والبلاغة في العبارة، فصار الكاتب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر، وكان الخلفاء في العهد الراشدي والأموي كذلك يختارون لهذا المنصب من يثقون بأمانتهم واخلاصهم أو من عظماء القبائل فلما فسد اللسان وصارت الكتابة صناعة أصبحت تسند هذه المهمة إلى من يحسن الكتابة(٥٥)، وكان الرسول (ص) الرئيس الأعلى تجتمع في شخصيته السلطات العليا كلها، التشريعية (وهي مستوحاة من الله) والتنفيذية والقضائية وكان يساعده في عمله عدد من الكتاب منهم من اختص بكتابة الوحي، ومنهم من اختص بكتابة حوائجه ومنهم من يكتب بين الناس، ومنهم من يكتب القوم في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار وبين الرجال والنساء، ومنهم من يكتب إلى الملوك واختص أحد الكتاب بالنيابة عن كل كاتب يغيب، وحفظ خاتمه(٥٦).

ومن الأمور المسلم بها أن الكتابة في العصر الجاهلي وفجر الإسلام كانت على قدر ضئيل من الانتشار في المدن وبين رجال القبائل.وذكر أهل الأخبار أن قوما من أهل يثرب من الأوس والخزرج كانوا يكتبون ويقرأون عند ظهور الإسلام، وذكروا فيهم: سعد بن زرارة والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان يكتب بالكتابين العربية والعبرية والسريانية، ورافع بن مالك، واسيد بن حضير، ومعن بن عدي البلوي، وأبو عبس بن كثير، وأوس بن خولي، وبشير بن سعيد ، وسعد بن عبادة، والربيع بن زياد العبسي وعبد الرحمن بن جبر، وعبد الله بن أبي، وسعد بن الربيع، وقد رجعوا أصل علمهم بالكتابة إلى قوم من يهود يثرب مارسوا تعليم الصبيان القراءة والكتابة دعوهم (بني ماسكه)(٥٧)، ويظهر

---

(٥٥) ابن خلدون ، تاريخ ، ج١،ص٤٣٦.

(٥٦) الجهشياري، الوزراء، ص١٢.

(٥٧) القلقشندي، صبح، ج٣، ص١١.

أن صحت هذه الرواية، فإن يهود يثرب كانوا يكتبون بالعربية وأنهم كانوا يعلمونها للعرب. وتعرض البلاذري لهذا الموضوع فقال. "كان الكتّاب من الأوس والخزرج قليل. وكان بعض اليهود قد علم كتّاب العربية وكانت تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة أشخاص يحسنون الكتابة منهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وزيد بن ثابت ورافع بن مالك واسيد بن حضير ومعن بن عدي وبشير بن سعد، وسعد بن الربيع وأوس بن خولي وعبد الله بن أبي المنافق.[٥٨]

فالحجازيون والمضريون عموما كانوا أشد بدواة وأكثر أمية ويروي لنا البلاذري أيضا، "أن الاسلام دخل وفي قريش سبعة رجلا كلهم يكتب عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وحاطب بن عمرو، وأبو سلمه بن عبد الأسد المخزومي، وأبان بن سعيد وخالد بن سعيد، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وحويطب بن عبد العزى وأبوسفيان بن حرب ومعاوية بن أبي سفيان، وجهيم بن الصلت، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي.[٥٩]

وكان من النساء من يحسن القراءة والكتابة، منهن: الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية. من رهط عمر[٦٠]، أسلمت قبل الهجرة وهي من المهاجرات الأول. وكانت من عقلاء النساء وكان عمر بن الخطاب يقدمها في الرأي. وكان رسول الله يزورها في بيتها. وكانت قد اتخذت له فراشا وأزارا ينام فيه.

وقد أمرها رسول الله أن تعلم حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة[٦١]، وقد تعلمت الكتابة في الجاهلية[٦٢]. وكانت حفصة زوج النبي وابنه عمر تكتب، وكانت أم كلثوم بنت عقبة تكتب، وكذلك كانت عائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد[٦٣]، وشميلة.[٦٤]

---

[٥٨] البلاذري، فتوح، ص٤٥٩.

[٥٩] البلاذري، فتوح ، ص٤٥٩. انظر ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٢ الثعالي لطائف المعارف، ص٥٥-٥٦.

[٦٠] البلاذري، فتوح، ص٤٥٩.

[٦١] ابن حجر، الاصابة، ج٤، ص٣٣٣.

[٦٢] البلاذري، فتوح، ص ٤٥٩.

[٦٣] البلاذري، فتوح، ص٤٥٩.

[٦٤] ابن حجر، الاصابة ، ج٤، ص٣٣٥.

وورد أن عائشة زوج الرسول كانت تقرأ المصحف ولا تكتب[٦٥]، ولا شك في أنها تعلمتا القراءة في الإسلام. وأن هذا العدد الذي ذكرناه يمثل بلا شك أقل مما ذكر من أن العرب كانوا يعنون بتسجيل الأحداث اليومية المهمة التي لها علاقة وثيقة بسواد الناس كتسجيل العهود وكتابة المواثيق وتثبيت الأحلاف.[٦٦]

ونرى من أغلب النصوص التاريخية كذلك أن رسول الله كان يشجع النساء على القراءة والكتابة.[٦٧] لكن نرى أن كتّاب كانوا في يثرب قليلين حتى جاء الإسلام فانتشر بها، وأنه لو كانت الكتابة منتشرة عندهم، لما كلف الرسول القارئين الكاتبين من الأسرى في معركة بدر بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة فداء لنفسه من الأسر[٦٨].

وذكر أن أمية بن أبي الصلت كان فيمن قرأ الكتب ووقف عليها[٦٩]. وأن عدد من كان يعرف الكتابة والذي لم يكن يتجاوز البضعة عشر شخصا شئ بعيد الاحتمال. حيث أن بلدا تجاريا قديما كمكة يدل بوضوح على أن معرفة الكتابة كانت منتشرة.

لم تصل إلينا كتابات من زمن الجاهلية ، وقد ذكر لنا ابن النديم أنه كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول (ص) في جلد من أدم. فيذكر دَين لعبد المطلب على أحد رجال اليمن[٧٠]، ومعنى هذا أن كتابات الجاهلية قد بقيت وتوارثتها الأجيال اللاحقة حتى القرن الثالث الهجري على الأقل، ولا مجال للشك في كتابة هذا الدين، فقد كانوا في الجاهلية يكتبون الديون والأحلاف والهدنة أي العهود والمواثيق.[٧١]

---

(٦٥) البلادري، فتوح، ص٤٥٩.

(٦٦) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص٦٧.

(٦٧) البلادري، فتوح، ص٤٥٩.

(٦٨) ابن سعد، الطبقات، ج٢،ص٢٢. المقريزي، أمتاع، ج١،ص١.

(٦٩) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٨.

(٧٠) ابن النديم، الفهرست، ص٨.

(٧١) الجاحظ، الحيوان ج١، ص٦٩-٧٠.

وللدلالة على انتشار الكتابة يذكر القلقشندي أنه كان للنبي عليه الصلاة والسلام نيف وثلاثون كاتبا[٧٢]، وأن للدين الإسلامي وللنبي أثراً عظيماً في انتشار الكتابة نتيجة للاهتمام الزائد في ذلك الوقت في تعليم ونشر الكتابة بين الناس عامة.

فقد قال الله سبحانه وتعالى: "اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"[٧٣].

وقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز " ن والقلم وما يسطرون"[٧٤]، وقال الرسول (ص): "قيدوا العلم بالكتاب"[٧٥]، وجاء عن ابن عباس عن رسول الله أن أول ما خلق الله من شئ القلم[٧٦] ، أن ذلك الحرص الشديد من الرسول الكريم على نشر تعلم الكتابة بين الناس كان نتيجة لدرايته الثقافة بأهميتها في نشر المعرفة، كما كان يدرك تماما الأهمية القصوى للكتابة في تحديد علاقات الناس بعضهم ببعض، وتثبيت ما لهم وما عليهم. إضافة إلى أهميتها لتدوين القرآن الكريم وتثبيت العقود والصكوك،وتبيان الاتفاقيات والمعاهدات، وقد نصت على ذلك الآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل"[٧٧]، ثم كانت الحاجة إلى تثبيت أموال الزكاة والغنائم[٧٨].

لقد جاء في المدونات التاريخية الإسلامية أن النبي قد أرسل عددا من الرسائل إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام.[٧٩]

---

[٧٢] أنظر أسماء الأشخاص الذين كاتبوا للرسول(ص) في كل من: القلقشندي، ص٦٩. الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢،ص٢٠١-٢٠٢، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٣١٥-٣١٦.

[٧٣] سورة العلق، آية (٤٨)، وهي أول سورة نزلت على النبي (ص)، ابن سعد، الطبقات، ح١، ص١٩٦.

[٧٤] سورة القلم، آية (١) لقد اختلف في تفسير (ن) فيروي الزمخشري أنها ربما كانت الدواة . الزمخشري، ص٤١٣،٤١٤.

[٧٥] الدارمي، السنن، ج١،ص١٢٧.

[٧٦] أبو داود، السنن، ج٥، ص٧٦.

[٧٧] سورة البقرة، آية، (٢٨٢).

[٧٨] السعودي، التبيه، ص٢٤٥-٢٤٦.

[٧٩] انظر أسماء الرسل وأسماء الملوك والأمراء الذين بعث لهم الرسول الرسائل في كل من، اليعقوبي، تاريخ، ح٢،ص٦٦-٦٧. ابن هشام، السيرة ، ج٤، ص١٨٧-١٨٨. أبو عبيد، الأموال، ص٣٢-٣٤. ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٥٨. خليفة، تاريخ، ص٧٩،٩٨. المقريزي، امتاع ، ج١، ص٣٠٧-٣٠٨. القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٦. ابن الكازروني، مختصر، ص٥٦.

وكتب رسول الله (ص) أيضا لعمرو بن حزم عهدا حين وجهه إلى اليمن. وكتب لتميم الداري وأخواته باقطاعه بأرض الشام وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية وكتب الأمانات أحيانا[٨٠] .

وقد اتخذ الرسول لنفسه بضعه كتاب منهم على بن أبي طالب، عثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق. وخالد بن سعيد بن العاص وحنظلة بن الربيع ويزيد بن أبي سفيان، ومعاوية ين أبي سفيان وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وكان زيد الزم الناس لذلك ثم تلاه معاوية بعد الفتح فكانا ملازمين الكتابة بين يدي رسول الله في الوحي وغير ذلك[٨١].

وروى أن أول من كتب للرسول عليه السلام " أبي بن كعب. وكان إذا غاب أبي كتب له زيد بن ثابت" وكان يكتب في الجاهلية[٨٢]، وأبي أول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان. وهو من كتاب الوحي والرسائل. وكان أبي بن كعب الأنصاري وزيد بن ثابت يكتبان الوحي ويكتبان كتبه إلى من كاتبه من الناس.[٨٣]

وكان على بن أبي طالب وعثمان بن عفان يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبي ابن كعب وزيد بن ثابت.[٨٤]

وأول من كتب له من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم كتب له عثمان بن عفان، وشرحبيل بن حسنة، وابان بن سعيد وخالد بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، ومعاوية بن أبي سفيان[٨٥]، ويروى الواقدي أن حنظلة بن الربيع كتب بين

---

(٨٠) أبو يوسف، الخراج، ص٢٣٤. القلقشندي، صبح، ج١، ص٩١.

(٨١) السهيلي، الروض، ج٢، ص٩٢. خليفة، تاريخ، ص٩٩. الجاحظ، البيان، ص١٢٨، اس قتيبة، المعارف، ص١١٣. البلاذري، أنساب، ج١، ص٥٣٢، الطبري، تاريح، ج٣،ص١٧٣.اس عبد ربه، العقد، ح٤، ص٢١٥، ابن العربي، العواصم، ص١٨١. الكتاني، التراتيب، ح١، ص١٢٠-١٢٤.

(٨٢) الطبري، ح٣، ص١٧٣. ابن قتيبة، المعارف، ص١١٢.

(٨٣) البلاذري، الأنساب، ج١، ص٥٣١-٥٣٢، ابس عبد السر، الاستيعاب، ح١، ص٦٨، الطـري، تاريخ، ج٦،ص١٧٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٢، ابن سعد، الطبقات، ج٢،ص٣٥٥-٣٥٦.

(٨٤) الجهشياري، الورراء، ص١٢،الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩، اس عبد ربه، العقد، ج٤. ص٢١٥، الثعالي، لطائف المعارف،ص٥٧.

(٨٥) البلادري، فتوح، ٤٥٨-٤٥٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١،ص٦٨-٦٩، ابن سيد الناس،عيون، ج٢،ص٣١٦.

يدي رسول الله مرة فسمى حنظلة الكاتب[٨٦]، وكتب للرسول (ص) أنس بن مالك تسع سنين.[٨٧]

وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يدي رسول الله في حوائجه[٨٨]، وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات[٨٩]، وذكر أن عبد الله بن الأرقم الزهري، كان من المواظبين على كتابه الرسائل عن النبي[٩٠]، ويظهر أن كتاب الرسول قد وزعوا الأعمال الكتابية فيما بينهم أو أن الرسول هو الذي وزع تلك الأعمال عليهم، بحيث خصص كل واحد منهم بعمل من الأعمال. فقد روى أن المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس. وأن عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء. وأن زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي. وأن معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله وكان على خاتم النبي، وأن حنظلة بن الربيع الأسدي، خليفة كل كاتب من كتاب النبي إذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب، وكان يضع عنده خاتمه. وقال له: الزمني واذكرني بكل شئ لثالثه. فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره، فلا يبيت رسول الله وعنده شئ منه[٩١]، فهو كاتب عام يكتب للرسول في كل أموره، لهذا غلبت عليه لفظ الكاتب. وقد كانت وفاته في خلافة عمر بن الخطاب[٩٢]. وحذيفة بن اليمان كان يكتب له خرص النخل[٩٣]، وخصص المسعودي عمله بخرص الحجاز[٩٤]، وكان الزبير بن

---

[٨٦] البلادري، فتوح، ص٤٥٩.

[٨٧] البلادري، أنساب، ج١،ص٥٠٦.

[٨٨] الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٢، ابن عبد ربه، العقد،ج٤،ص٢١٥، الثعالبي، لطائف المعارف،ص٥٧.

[٨٩] المسعودي، التنبيه، ص٢٤٥، الكتاني، التراتيب، ج١،ص٢٧٥.

[٩٠] ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢،ص٨٦٥.

[٩١] الجهشياري، الوزراء،ص١٢-١٣. ابن عبد ربه، العقد، ج٤. ص٢١٥-٢١٦. المسعودي، التنبيه، ص٢٤٥-٢٤٦. ابن قتيبة، المعارف ، ص١٣٠. التعالبي، لطائف المعارف، ص٥٦-٥٧. الجاحظ، البيان، ص١٢٨-١٢٩. ابن الكازروني، مختصر،ص٥٥. الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٤٧. الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٧٨.

[٩٢] المسعودي، التنبيه، ص٢٤٦، ابن قتيبة ، المعارف، ص١٣٠.

[٩٣] ابن قتيبة، المعارف،ص١١٤، النويري، نهاية، ج١٨، ص٢٣٦.

العوام، وجهيم بن الصلت كانا يكتبان للنبي (ص) أموال الصدقات[٩٥]. وذكر عبد الله بن زيد الضمري في جملة كتاب رسول الله إلى الملوك[٩٦].

وأما الكاتب لعهوده إذا عهد وصلحه إذا صالح، فعلي بن أبي طالب[٩٧]. وقد وردت في أواخر بعض كتب الرسول أسماء كتاب تلك الكتب. وفي طبقات ابن سعد صورة كتاب أمر بتدوينه رسول الله لنشهل بن مالك الوائلي من باهله. كتبه عثمان بن عفان[٩٨].

وكان عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم من كتاب الرسول يجيب عنه الملوك. وبلغ من أمانته أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته عنده،[٩٩]، وكذلك كان خالد بن سعيد بن العاص من كتاب الرسول. يكتب إلى القبائل ورؤسائها[١٠٠]، وكان ابان بن سعيد بن العاص وهو أخو خالد بن سعيد ممن أسلم بعد هجرة الرسول إلى يثرب، وهو الذي تولى إملاء مصحف عثمان بن عفان على زيد بن ثابت في خلافة عثمان[١٠١]، والزبير بن العوام في جملة من كتب للرسول[١٠٢] وكذلك معاوية بن أبي سفيان من كتبة الرسول، وذكر أنه من الكتبة والحسبة الفصحاء[١٠٣] ومعنى هذا أنه كان يتقن الكتابة والحساب، وذكر المسعودي أن معاوية كتب للرسول قبل وفاته بأشهر[١٠٤].

---

(٩٤) المسعودي، التنبيه، ص٢٤٥.

(٩٥) القلقشندي، صبح، ج١،ص٩١، المسعودي، التنبيه، ص٢٤٦، الثعالبي، لطائف المعارف، ص٧٥.

(٩٦) ابن حجر، الإصابة، ج٢،ص٣٠٥.

(٩٧) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٦٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٣.

(٩٨) ابن سعد، الطبقات، ج١،ص٢٨٤.

(٩٩) ابن حجر ، الإصابة، ج٢،ص٢٦٥، الطبري، تاريخ، ج٦،ص١٧٩، ابن عبد ربه، العقد، ج٣، ص٢١٦، الثعالبي، لطائف المعارف،ص٥٧.

(١٠٠) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٦٥،٢٧٠-- ٢٧٩، الجهشياري، الوزراء، ص١٢.

(١٠١) ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٢٤.

(١٠٢) ابن سعد، الطبقات، ج١،ص٢٦٩

(١٠٣) ابن حجر، الإصابة، ج٣،ص٤١٢. الجهشياري، الوزراء،ص١٢.

(١٠٤) المسعودي، التنبيه، ص٢٤٦.

وكان عقبة بن عامر بن عبس الجهني الصحابي المشهور من الكتاب وصف بأنه " كان قارئا عالما بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعرا كاتبا وهو أحد من جمع القرآن"[١٠٥].

وروى أنه في السنة الرابعة من الهجرة أمر الرسول(ص) زيد بن ثابت أن يدرس كتب اليهود ويتعرف ديانتهم. وقال لا آمن أن يبدلوا كتابي. فتعلم زيد بن ثابت فكان يكتب عنه إلى اليهود، وإذا كتبوا إليه قرأ كتابهم[١٠٦]، ونسب إليه اتقانه الكتابة بلغات أخرى. وذكر المسعودي منها: الفارسية واليونانية والقبطية والحبشية وأنه تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن، وكان يكتب إلى الملوك ويجب بحضرة النبي ويترجم له[١٠٧].

وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك[١٠٨]، وكانت الكتابة في عهد الرسول تشمل شيئين: أولهما (وهو الأهم) كتابة الوحي والثاني تدوين الرسائل التي كان الرسول يكتبها إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام. وأيضا كتابة العهود والمعاهدات. ولعل أقدم معاهدة إسلامية هي تلك التي تمت بين المسلمين وبين غير المسلمين من سكان المدينة أثر هجرة الرسول.[١٠٩]

وتميز عمل الكاتب في ذلك الوقت بالتدوين لا الإنشاء فمهمة الكاتب التدوين دائما. فهو يدون كلام الله ويضعه حيث أمره الرسول، وفيما يتعلق بالمعاهدات فالغالب أنها كانت من إنشاء الرسول. ولم تدع الحاجة للكتابة الحسابية أو المالية في عهد الرسول، فالزكاة والغنائم والفئ كانت توزع بطريقة سهلة دون الحاجة إلى تدوين وعمليات حسابية ولم يكن هناك بين مال ولا مرتبات ولا جيوش ثابتة ولا غيرها مما يحتاج إلى تدوين وحساب[١١٠]، وذكر بن عبد ربه بأن هناك عشرة من الكتاب الأشراف الذين كتبوا لرسول الله(ص)[١١١].

---

(١٠٥) ابن حجر، الإصابة، ج٢،ص٤٨٢.

(١٠٦) البلاذري، فتوح، ص٤٦٠، المقريزي، امتاع، ح١،ص١٨٧

(١٠٧) المسعودي، التنبيه، ص٢٤٦.

(١٠٨) الكتاني، التراتيب، ج١،ص١٢٤.

(١٠٩) أنظر هذه المعاهدة في ابن هشام، السيرة، ج٢، ص١٠٦-١٠٧، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٤.

(١١٠) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٢٠.

(١١١) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٢٣، الثعالبي، لطائف، ص٦٠.

وروى زيد بن ثابت أنه قال: كنت اكتب لرسول الله يوما، فقام لحاجة فقال: ضع القلم على إذنك فإنه أذكر للمملئ، وأقضى للحاجة[112]، وأن معاوية بن أبي سفيان كان يكتب للنبي فكان إذا رأى من النبي أعراضا وضع القلم في فيه فنظر إليه النبي وقال يا معاوية، إذا كنت كاتبا فضع القلم على إذنك فإنه اذكر لك وللمملئ.[113]

وكان رسول الله يفتتح أكثر كتبه بلفظ "من محمد رسول الله إلى فلان" وربما افتتحها بلفظ أما بعد، وكان يصرح باسم المكتوب إليه في أول المكاتبات وربما اكتفى بشهرته[114]، وكان ابن عمر بن الخطاب إذا كتب إلى أبيه كتب "من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب"[115]، وهذا يدل على انتشار عملية الكتابة تشجيعا وإشرافا من رسول الله وعلى تقدم الكتابات والبلاغة في المخاطبات والمراسلات سواء مع الأفراد أو مع ملوك الدول المجاورة.

أما عن الكتابة في العهد الراشدي، فقد تغيرت الأحوال فيما يختص بالكتابة بعد عهد رسول الله وخاصة ابتداء من عهد عمز بن الخطاب، ومرجع ذلك أن الأمور تعقدت والمسؤولية زادت زيادة كبيرة عما كانت عليه.

سار أبو بكر الصديق على نهج رسول الله (ص) في الإدارة الإسلامية واحتفظ بالعمال الذين استعملهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، والأمراء الذين أمرهم ومن العمال من أبى ورفض أن يعمل لغير رسول الله فاعتزل العمل، ولما أسندت الخلافة إلى أبي بكر الصديق قال له أبو عبيدة أنا أكفيك المال، وقال عمر، وأنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان، ولم يخاصم إليه أحد.[116]

---

(112) الجهشياري، الوزراء، ص١٢، ابن قتيبة، ج١، ص٤٢، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٦.

(113) الكتاني، التراتيب، ج١،ص١٢٥.

(114) القلقشندي، صبح، ج٦، ص٣٦٥، الصولي، أدب، ص٢٢٤-٢٢٥.

(115) القلقشندي، صبح، ج٦، ٣٣٠.

(116) الطبري، تاريخ ، ج٣،ص٤٢٦.

كتب أبو بكر الصديق لرسول الله كما أسلفنا سابقا ولما أصبح خليفة كتب له عثمان بن عفان وكان يكتب له الكتب إلى العمال والقواد[١١٧]، وكتب لأبي بكر أيضا علي بن أبي طلب وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وحنظلة بن الربيع.[١١٨]

وصارت الكتابة منصبا من مناصب الحكومة لا يستغنى عنه. ولأن السواد الأعظم من العرب لا يعرف القراءة والكتابة، لذا كان الخليفة يختار كاتبه من بين الذين يجيدون الخط وذلك لأن أغلبهم كان يعبر عن رأيه بأبلغ العبارات وأفصحها.

ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة كتب له زيد بن ثابت. وكتب له عبد الله بن الأرقم[١١٩]، وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري[١٢٠]. وكتب أيضا للخليفة عمر على ديوان البصرة عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات[١٢١]. فكان هم الخليفة عمر بن الخطاب أن يدعو قومه للعمل ويبعدهم عن حياة الكسل ولطالما أنه قال لعماله "أن القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد فإنكم أن فعلتم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدأون ولا بأيها تأخذون"[١٢٢]. وما كان يرى أبعاد العامة عن المجالس العالية لئلا تفوتهم الفوائد ويوزع الأعمال بين الكفاءة وأرباب التخصص.

---

(١١٧) الجهشياري، الوزراء، ص١٥، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩-١٨٠، ابن عبد ربه، ج١، ص٤٠، ٩٢، النويري، نهاية ، ج١٩، ص٤٤. السيوطي، حسن ، ج٢، ص١٢٩.

(١١٨) الجهشياري، الوزراء، ص١٥، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩-١٨٠، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٨٦٥، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٧. المسعودي، التنبيه، ص٢٤٩، القلقشندي، صبح، ج١، ص٤٠، ٩٢.

(١١٩) الجهشياري، الوزراء، ص١٦، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩-١٨٠، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٨٦٥، خليفة، تاريخ، ص١٥٦، ابن قتيبة، المعارف، ص١١٣، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، ج٥، ص٢٣، المسعودي، التنبيه، ص٢٥١، القلقشندي، صبح، ج١، ص٤٠، ٩٢، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٢٩.

(١٢٠) الجهشياري، ص١٦، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩-١٨٠، خليفة، تاريخ، ص١٥٦، ابن قتيبة، المعارف، ص١١٣، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، ج٥، ص٢٣، المسعودي، التنبيه، ص٢٥١، القلقشندي، ج١، ص٤٠، ٩٢، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٢٩، الكازروني، مختصر، ص٦٩.

(١٢١) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٩-١٨٠، ابن قتيبة، المعارف، ص١٨٥، الثعالبي، لطائف، ص٥٩-٦٠.

(١٢٢) الطبري، تاريخ ، ج٦، ص١٧٩- ١٨٠، الجهشياري، الوزراء، ص١٦.

وكان عمر بن الخطاب أول من قرر التاريخ الهجري بعدما كان الناس تؤرخ بعام الفيل[١٢٣]، ولا يحتاج إلى تدليل أن أذكر أن التراسل انتظم واتسع نطاقه بقيام الدولة الإسلامية وامتداد رقعتها شرقا وغربا، كما هو معروف ولكن الأمر يحتاج إلى ذكر وتأكيد العمل الذي قام به عمر بن الخطاب، فقد أنشأ نظاماً ثابتا لنقل الرسائل سمي بالبريد. ولم يقصره على البريد الرسمي، بل أباحه لأفراد الشعب، ولا شك أن هذا العمل يسر الاتصال، ودفع الناس إلى كتابة الرسائل وتبادلها، فازداد عددها، واتسع مجالها.[١٢٤]

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان فقد كتب له مروان بن الحكم[١٢٥]، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة، وأبو جبيرة الأنصاري على ديوان الكوفة[١٢٦]، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان، من قبس عيلان، يكتب له أيضا، وكان يكتب له أهيب مولاه، وحمران بن ابان مولاه.[١٢٧]

ويمكن القول أن ديوان الإنشاء وضع أساسه في زمن الخليفة عثمان بن عفان وذلك لأن الأعمال قد كثرت والمشكلات تضاعفت، وكان الخليفة متقدما في السن، لا يستطيع وحده أن يستقل بقراءة سجل الكتب والرد عليها. وكان له كتاب كما كان للرسول عليه السلام ولأبي بكر وعمر بن الخطاب ولكن عثمان أعطى للكتاب سلطة لم تكن لهم من قبل. فقد أصبح من عمل الكاتب أن يقرأ الرسائل الواردة من الأقاليم ويلخصها للخليفة.

---

(١٢٣) الجهشياري، الوزراء، ص٢٠، ابن رسته، الأعلاق، ج٧، ص١٩٢. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١، أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٢٢. السخاوي، الإعلان، ص١٤١-١٤٢، ابن الكازروني، مختصر.ص٦٧.

(١٢٤) حسين نصار، أدب المراسلات في العصر الأموي، مجلة عالم الفكر،م١٤،ص٣١.

(١٢٥) خليفة. تاريخ، ص١٧٩، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، الجهشياري، الوزراء، ص٢١،التعالبي، لطائف، ص٥٩. ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، المسعودي، التنبيه، ص٢٥٥، القلقشندي، صبح،ج١، ص٩٢، السيوطي، حسن ، ج٢، ص١٣٩، الكازروني، مختصر،ص٧٣.

(١٢٦) خليفة، تاريخ، ص١٧٩، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، الجهشياري، الوزراء، ص٢١، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، المسعودي، التنبيه، ص٢٥٥ التعالبي، لطائف المعارف، ص٥٩، القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٢، القلقشندي، صبح، ج١،ص٩٢، السيوطي، حسن ، ج٢،ص١٣٠، الكازروني، مختصر،ص٧٣.

(١٢٧) خليفة، تاريخ، ص١٧٩، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، الجهشياري، الوزراء، ص٢١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢١٨، المسعودي، التنبيه، ص٢٥٥، التعالبي، لطائف المعارف، ص٥٩، القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٢، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٣٠، الكازروني، مختصر، ص٧٣

وأن يكتب الرد عليها ويطلع الخليفة عليه ليجيزه ويوقع عليه بإمضائه وكان مروان بن الحكم على رأس كتبة عثمان بن عفان[١٢٨].

وعندما أسندت الخلافة لعلي بن أبي طالب كتب له سعيد بن نمران الهمداني، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن جبير، وعبد الله بن أبي رافع.[١٢٩]

وكان علي بن أبي طالب يقول لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع: يا عبد الله فرج بين السطور، وقرمط بين الحروف (والقرمطة الدقة في الكتابة والتقريب بين الحروف).[١٣٠]

وكتب للحسن بن علي عبيد الله بن أبي رافع كاتب أبيه[١٣١].

وفي فترة الخلفاء الراشدين أصبحت الرسائل بالغة الإيجاز واضحة الغرض ولم يعمد إلى اطالتها وتنميقها والإسهاب فيها.

وظلت الأعمال الكتابية في الأمصار التي فتحها المسلمون بأيدي العمال المحليين وفي اللغات المحلية القبطية والفارسية واليونانية، ولم يبدأ استعمال اللغة العربية إلا في نهاية القرن الأول الهجري[١٣٢].

وهناك من كتب لغير الخليفة منهم المغيرة بن شعبة فكان كاتبا لأبي موسى الأشعري، وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود[١٣٣]، وكان زياد بن أبيه مع رأيه ودهائه يكتب للمغيرة بن شعبة، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ثم لعبد الله بن عباس، ثم لأبي موسى الأشعري[١٣٤]، وكان أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان يكتب ليحيى بن الحكم بن العاص وهو والي المدينة[١٣٥].

---

(١٢٨) خليفة، تاريخ، ص١٧٩، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، الجهشياري، الوزراء، ص٢١، الثعالبي، لطائف المعارف، ص٥٥، ابن عبد ربه العقد، ج٤، ص٢١٨، المسعودي، التنبيه، ص٢٥٥، القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٢، السيوطي، حسن ، ج٢، ص١٣٩.

(١٢٩) الجهشياري، الوزراء، ص٢٣.

(١٣٠) الجهشياري، الوزراء، ص٢٣.

(١٣١) المسعودي، التنبيه، ص٢٦١، القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٣، السيوطي، حسن، ج٢،ص١٣١.

(١٣٢) ف. بارتولد، تاريخ، الحضارة، ص٦٦.

(١٣٣) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص١٦٤، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٣١، الثعالبي، لطائف المعارف، ص٦٠، ابن قتيبة، المعارف، ص١٥١، ابن مماتي، قوانين، ص٦٥.

(١٣٤) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص١٦٤، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٣١، الثعالبي، لطائف المعارف، ص٦٠.

(١٣٥) الجهشياري، الوزراء، ص٢٠.

وفي العهد الأول للدولة الإسلامية كانت الرسائل تكتب على الرق أو الجلد المهيأ للكتابة وذلك كما يقول ابن خلدون "تشريفا للمكتوبات وميلا بها إلى الصحة والإتقان وكانوا في ذلك العهد يكتبون أيضا على الأخشاب وسعف النخل والعظام وقطع الخزف والأحجار الرقيقة وقد استعملت هذه الأشياء كلها أو أكثرها في كتابة القرآن[١٣٦].

وكتب على الأدم أي الجلود، وعلى الأدم كتب عهد يهود خيبر ، وعهد الرسول إلى تميم الداري، وقد تكون هذه الجلود حمرا، فاسقف نجران جاء عليا ومعه كتاب في أديم أحمر[١٣٧] ولما قدم النبي صلي الله عليه وسلم إلى تبوك وفد إليه مالك بن أحمر فأسلم وسأله أن يكتب له كتابا يدعوه إلى الإسلام فكتب له في رقعة من أدم " جلد"[١٣٨] وكتب أيضا على الرق. وعلى الرق كتبت مصاحف عثمان وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم: (والطور وكتاب مسطور، في رق منشور)[١٣٩]، وأجمع الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم حينئذ إلى زمن الرشيد فأمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغد[١٤٠]، وكانت آيات القرأن تكتب على عهد رسول الله على حجارة رقيقة. قال زيد بن ثابت حينما أمر أبو بكر أن يجمع القرآن فجعلت اتتبعه من الرقاع والعسب واللخاف.[١٤١]

وكتب أيضا على القرطاس فكان أقدم ما كتب به العرب وورد اللفظ في القرآن الكريم " ولو نزلنا عليك كتابا من قرطاس فلمسوه بأيديهم)[١٤٢]، وذكر البلاذري أنه لما كان يوم دار عثمان، ضرب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فسقطا، فوثبت فاطمة بنت شريك بن سمحاء فأدخلت مروان بيتا كانت فيه قراطيس[١٤٣]، وهذا يدل على أنه كانت للقراطيس بيوت خاصة لحفظها من أجل الكتابة عليها.

---

(١٣٦) ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٧٥٥.

(١٣٧) أبو يوسف، الخراج، ص٢٣٤، الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٢٢-١٢٣

(١٣٨) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١، ص١٢٢-١٢٣

(١٣٩) سورة الطور، آية ٥٢، الآية، ٣.

(١٤٠) الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٢٢-١٢٣.

(١٤١) ناصر الدين الأسد، مصادر، ص٨٧.

(١٤٢) سورة الأنعام، ٦ الآية٧.

(١٤٣) البلاذري، الأنساب، ج١، ص٢٢، النويري، نهاية، ج٧، ص٢١.

وكانت الأقلام القصبية أسرع في الكواغد وأمر في الجلود، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف وأشد لتعريف الخط فيها[١٤٤].

وذكر البلاذري أن أم هاني كانت تحدث وتقول ما رأيت أحدا كان أحسن ثغرا من رسول الله، وما رأيت بطن رسول الله إلا ذكرت القراطيس المثنية بعضها فوق بعض[١٤٥]، فمن هنا نلاحظ أن القراطيس لها ميزة وأهمية على جميع مواد الكتابة الأخرى في تلك الفترة.

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب وسأله أن يكتب له كتاب في أمر، فقال: اذهب إلى منزلنا فأتني بدواة وقرطاس[١٤٦]، وهذا دلالة على انتشار الكتابة ووجود القراطيس عند الخلفاء وحتى عند الأشخاص الذين يعرفون الكتابة.

وازدهرت حركة التراسل في العصر الأموي ازدهارا رائعا، فقد توطدت سلطة الدولة، وأمن الناس، وبرزت طموحاتهم ، وتعددت حاجاتهم في عهود كثير من الخلفاء الأمويين، وخاصة معاوية وعبد الملك وابنيه الوليد وهشام[١٤٧]، فأصبح الكاتب في العهد الأموي يقرأ الكتب الواردة على الخليفة وكان هذا الواجب هو واجب الخليفة نفسه، ولما كان هذا متعذرا لكثرتها واتساع الدولة وكثرة المكاتبين فقد فوض الخليفة هذا الأمر إلى صاحب ديوان الرسائل واضطر هذا بدوره عندما ازدات اعباؤه لإنشغاله بمراقبة ما يكتب في الديوان والمقابلة اضطر إلى أن يستعين بكاتب يقوم مقامه ويتصفح ما يكتب في الديوان من الولايات والمناشير والمكاتبات[١٤٨] ، فأصبح ديوان الرسائل يتولى مكاتبات الخليفة مع الولاة والقواد في الأمصار كما يتولى الأشراف على المكاتبات مع الدول الأجنبية، وكان كتاب هذا الديوان في العصر الأموي من العرب والموالي، ولكن الجهشياري لا يسمى هذا الديوان صراحة إلا عند حديثه عن عبد الملك بن مروان[١٤٩]، ذلك لأنه بلغ درجة من التنظيم في عهده فيما يبدو.

---

(١٤٤) الصولي، أدب، ج١،ص٦٨-٦٩.

(١٤٥) البلاذري، أنساب ، ج١، ص٣٩٣.

(١٤٦) الطرطوشي، سراج الملوك، ص٢٦١.

(١٤٧) حسين نصار، أدب المراسلات في العصر الأموي، مجلة عالم الفكر، م١٤، ص٣٢.

(١٤٨) القلقشندي، ج١، ص٥٣.

(١٤٩) الجهشياري، الوزراء، ص٣٥، الدوري، النظم، ص١٩٥-١٩٦.

ويشير ابن خلدون أن الذي أكد الحاجة إلى هذا الديوان في الدولة الإسلامية قضية اللسان العربي والبلاغة في العبارة، فصار الكاتب يؤدي كنه الحاجة في أكثر الأحيان. وكان الخلفاء في العهدين الراشدي والأموي يختارون لهذا المنصب من يثقون بأمانتهم واخلاصهم أو من عظماء القبائل فلما فسد اللسان وصارت الكتابة صناعة أصبحت تسند هذه المهمة إلى من يحسن الكتابة بالدرجة الأولى[١٥٠]، وفي بيان رتبة صاحب ديوان الإنشاء فكان لقبه الجاري عليه صاحب ديوان الرسائل أو متولي ديوان الرسائل وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات أو متولي ديوان المكاتبات. وكما كان الديوان مشهورا بديوان الإنشاء في الديار المصرية لقب متوليه بصاحب ديوان الإنشاء وربما أجمعوا على لفظ الديوان تعظيما لمتوليه. فقالوا صاحب دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية[١٥١].

ويذكر ابن خلدون " أن ديوان الرسائل غير ضروري في كثير من الدول لاستغنائهم عنها كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدول الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة من المقاصد فصار الكتّاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر. وكان كاتب الأمير لابد أن يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيلته كما كان الخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق أمانتهم وخلوص أشرارهم"[١٥٢].

فلما انتقلت الخلافة إلى بني أمية تعدد الكتّاب لتعدد مصالح الدولة وأصبح الكتّاب خمسة: كاتب الرسائل، وكاتب الخراج، وكاتب الجند، وكاتب الشرطة، وكاتب القاضي. وأهم هؤلاء الكتاب في الرتبة كاتب الرسائل[١٥٣]، وأصبح في العصر الأموي كتاب مختصون بالرسائل منذ بدء الدولة الأموية[١٥٤]، وقد تحرر الكتاب في هذا العصر من نظام الإملاء. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده يملون على كتّابهم ما يريدون تدوينه ولا يعطونهم حرية صياغته كما يهوون، ولذلك جاءت رسائل كل منهم نمطا واحدا

---

[١٥٠] اس خلدون، تاريح ، ح١، ص٤٣٦

[١٥١] القلقشندي، صبح، ج١، ص١٠٣.

[١٥٢] اس حلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٣٦.

[١٥٣] صبحي الصالح، النظم، ص٣٠٤.

[١٥٤] الدوري، النظم، ص١٩٥.

على اختلاف كاتبها، ولم يصرح المؤرخون بانفراد أحد بما كتب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا عبد الله بن الأرقم الذي استقل أحيانا بما كتب وأجاز الرسول كتابته[١٥٥]، ولكن بعض الكتاب المتميزين فيما يبدو- أخذوا يستقلون عن الإملاء في عهد الراشدين فلما جاء العصر الأموي تتابعت الدلائل على استقلال الكتاب برسائلهم ومنذ عهد مبكر، وهذا الاستقلال هام لأنه يتيح للكاتب أن يتأني ويزيد النظر في تعميق الأفكار وتجويد العبارة وتحسينها.

وكان في كل ولاية ديوان للرسائل خاص بالوالي، وكان يكتب لزياد بن أبيه على الرسائل في البصرة عبد الله بن أبي بكرة، وجبير بن دحية، وكان يكتب له أيضا مرداس مولاه[١٥٦]، وكان زياد يؤكد على أن يكون الكتّاب ممن يحسنون اللغة العربية جيدا حتى لا يفسدوا الدواوين[١٥٧]، ولقد ذكر الطبري رواية فيها ما يفيد أن الكتّاب كانوا يختارون من ذوي الفصاحة والبلاغة حيث روى أنه ورد الحجاج رسالة من يزيد بن المهلب فيها بشرى فتح قلعة نيزك وكانت قلعة هامة. وقد جاء في الرسالة فيما جاء: "أنا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم، فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة، ولحقت طائفة برؤوس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان فسأل الحجاج عمن يكتب ليزيد فقيل له يحيى بن يعمر فأحضره فوجده أفصح الناس ، وسأله عن سبب فصاحته فقال له كان أبي فصيحا فحفظت منه، وسأله عن أناس معروفين بالفصاحة فقال له أنهم يلحنون كثيرا وسأله عن نفسه فقال أنه يلحن قليلا ويضع (أن) محلي (إن) و(إن) محل (أن) فعظم في نفسه"[١٥٨]

وكان لمتولي ديوان الرسائل مكانة رفيعة، يكاد أن لا يكون عند الخليفة من أخص منه ولا الزم لمجالسته. وكان في العصر الأموي يدعى بالكاتب، فلما جاءت الدولة العباسية واستقر أبو العباس أول خلفائهم في الخلافة لقب كاتبه أبا سلمه الخلال بالوزير[١٥٩].

---

[١٥٥] الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٢٠.

[١٥٦] الجهشياري، الوزراء، ص٢٦.

[١٥٧] البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص١٧٦، الجهشياري، الوزراء، ص٢٥.

[١٥٨] الطبري، تاريخ ، ج٦، ص ٣٨٧-٣٨٨.

[١٥٩] القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٣.

وكانت رسائل الخلفاء الأوليين بالغة الإيجاز واضحة الغرض ولم يعد إلى اطالتتها وتنميقها والإسهاب فيها، فكانت المراسلات السياسية والإدارية قصيرة جدا لانهم قلدوا دواوينهم عددا من الكتاب الذين امتازوا بالفصاحة والبلاغة وحسن الأسلوب فكتب لمعاوية بن أبي سفيان لما ولي الشام فنان بن متى(١٦٠). وكتب له سرجون الرومي(١٦١)، وكتب له على الرسائل عبيد بن أوس الغساني(١٦٢). وأن معاوية بن أبي سفيان استكتب النصارى(١٦٣). فكانت سنة العرب بالبدء بأنفسهم في كتبهم فكانت العرب إذا كتبت إلى أحد شريفا كان أو مشروفا بدأ الكاتب بنفسه إلى المكتوب إليه، وكتبت من فلان إلى فلان(١٦٤).

وكتب ليزيد بن معاوية عبيد الله بن أوس الغساني كاتب معاوية ثم عمر العذري(١٦٥)، وكتب ليزيد بن معاوية أيضا سرجون بن منصور الرومي(١٦٦). وكتب لمعاوية بن يزيد (معاوية الثاني) زمل بن عمر العذري(١٦٧)،الريان بن مسلم(١٦٨). وذكر الطبري أن أبو الزعيزعة كتب لمعاوية الثاني(١٦٩)، وكتب لمروان بن الحكم سرجون بن منصور الرومي. وحميد بن عبد الرحمن بن عوف(١٧٠)، وكتب لمروان أيضا عبيد الله بن أوس الغساني وسفيان الأحول(١٧١)، وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب وله مكانة خاصة. وأمر عبد الملك حجابه أن يدخل عليه قبيصة متى شاء في الليل أو النهار فكان الخاتم إليه وكانت السكة إليه تأتيه الأخبار قبل عبد الملك ويتلقى الرسائل الخاصة(١٧٢). وكتب له على

---

(١٦٠) ابن النديم، الفهرست، ج٣، ص١٣٦.

(١٦١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١

(١٦٢) خليفة ، تاريخ، ص٢٢٨، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، الجهشياري، الوزراء، ص٢٤، الثعالبي، لطائف المعارف، ص٥٩، السيوطي، حسن ،ج٢، ص١٣٠، الديار بكري، تاريخ، ج٢، ص٣٣١.

(١٦٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٠.

(١٦٤) الجهشياري، الوزراء، ص٢٥.

(١٦٥) الجهشياري، الوزراء، ص٣١ السيوطي، حسن، ج٢، ص١٣٠.

(١٦٦) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، ٢٢٤.

(١٦٧) السيوطي، حسن، ج٢، ص١٣٠.

(١٦٨) الجهشياري، ص٣٢.

(١٦٩) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠.

(١٧٠) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، ٢٢٤، ج٥، ص١٣٨.

(١٧١) الجهشياري، ص٣٣، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٣٠.

(١٧٢) الطبري، تاريخ،ج٦، ص٤١٢، الجهشياري، ص٣٤.

ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه[١٧٣]، وكتب لعبد الملك أيضا روح بن زنباع وكان يقول عنه عبد الملك: أن روح بن زنباع شامي الطاعة، عراقي الخط، حجازي الفقه، فارسي الكتابة[١٧٤]، ويبدو أن الخليفة عبد الملك قد وجد في شخص روح بن زنباع المستشار الذكي والوزير النابه[١٧٥]، وكتب للوليد بن عبد الملك القعقاع بن خليد العبسي[١٧٦]، وقبيصة بن ذؤيب، والضحاك بن زميل ويزيد بن أبي كبشة[١٧٧]، وكاتب رسائله جناح مولاه[١٧٨]. وبدأ الوليد بن عبد الملك يتجه إلى العناية بأسلوب الرسائل، وبنوع الورق، وبشكل الخطوط وفي ذلك يقول القلقشندي: "ولم يزل الأمر في المكاتبات في الدولة الأموية جاريا على سنن السلف، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك فجود القراطيس، وحلل الخطوط وفخم المكاتبات وتبعه من بعده الخلفاء على ذلك، إلا أن عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد فإنهما جريا في ذلك على طريق السلف، ثم جرى الأمر بعدهما على ما سنه الوليد بن عبد الملك إلى أن صار الأمر لمروان بن محمد آخر خلفائهم، وكتب له عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان من اللسن والبلاغة على ما اشتهر ذكره- فأطال الكتب وأطنب فيها، حيث اقتضى الحال تطويلها والأطناب فيها[١٧٩]، وكان الوليد بن عبد الملك يقول " تكون كتبي والكتب إلي خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض"[١٨٠]، وأن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس، امتيازا لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان وذاك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، والي الأمراء من نصف طومار، وإلى العمال والكتاب من ثلث وإلى التجار وأشباههم من ربع وإلى الحساب والمساح من سدس فهذه مقادير لقطع الورق[١٨١] وكانت الطوامير " الأوراق الديوانية" التي تكتب فيها رسائل الدولة من صنع الأقباط النصارى في مصر، وكانت مرسومة في أعلاها باسم المسيح وعبارة التثليث فأمر عبد الملك بأن يصنع للدواوين الأموية

---

[١٧٣] خليفة ، تاريخ، ص٢٩٩. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٠، الجهشياري، ص٣٥.

[١٧٤] الجهشياري، ص٣٥-٣٦، الدبار بكري، تاريخ، ج٢، ص٣٤٧. ابن الكازروني، مختصر، ص٩٠.

[١٧٥] صالح الحمارنة، روح بن زنباع، ص٩٤.

[١٧٦] الجهشياري، ص٤٧.

[١٧٧] ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٢٤، النويري، نهاية، ج٢١. ص٣٣٦.

[١٧٨] خليفة، تاريخ، ص٣١٢، ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢١٨، السيوطي، حسن، ج٢،ص١٣٠.

[١٧٩] القلقشندي، صبح، ج٦، ص٣٩١.

[١٨٠] الجهشياري، ص٤٧.

[١٨١] القلقشندي، صبح، ج٦، ص١٨٩.

طوامير متوجه بالآية · (قـل هـو الله أحـد)[١٨٢] وقـال محمـد بـن حـزم وأول مـن كتـب في القراطيس الحجاج بن يوسف[١٨٣]، وعند مقتل عمر بن سعيد الأشدق اختلف الوليد بن عبـد الملك ويحيى بن سعيد، فضرب يحيى الوليد بالسيف على اليته فاحتمله ابراهيم بـن عـدى وأدخله بيت القراطيس[١٨٤]. وهذا يوضح لنا أن عملية الكتابة واستخدام موادها من قراطيس وغير ذلك قد انتشرت في الفترة الأموية وكان هناك بيت خاص للقراطيس منـذ زمـن عثمـان بن عفان وامتد إلى زمن الدولة الأموية.

وإن الوليد بن عبد الملك منع الكتاب النصارى مـن أن يكتبـوا الدفـاتر بالروميـة لكـن بالعربية[١٨٥].

ويحتاج المتولي إلى ديوان الرسائل أن يكون متصرفا في جميع فنون المكاتبات واضعا لما ينشئه إذ كان للوزير أن يأمر بالمكاتبة في كل فن من الفنون المعروفة والغريبة والـواردة[١٨٦]. وكان زياد بن أبيه أول من وضع النسخ للكتـب وأفـرد كتـاب الرسـائل مـن العـرب والموالي المتفحصين[١٨٧].

فكتب لسليمان بن عبد الملك على ديوان الرسائل ليث بن أبي رقية مـولى أم الحكـم بنت أبي سفيان[١٨٨]، وكتب لسليمان أيضا سليم بن نعيم الحمـيري[١٨٩]. وعبـد العزيـز بـن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، *وابن بطريق النصراني*[١٩٠].

وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بـن أبـي رقيـة ، مـولي أم الحكـم بنـت أبـي سفيان، وكتب له أيضا رجاء بن حيوه وخص به، وكان من كتابه إسماعيل بن أبي الحكـم مولى الزبير، والهيثم بن عدي كان من جلة كتابه[١٩١]، وقد عمل عمر بن عبـد العزيـز علـى

(١٨٢) البلاذري، فتوح، ص٢٤١، عمر فروح، تاريخ صدر الإسلام، ص١٥٠.

(١٨٣) الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٨٣.

(١٨٤)الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٤٤.، مروح، ج٣، ص١٠٤، النويري، هاية، ح٢١، ص١٠٣.

(١٨٥) ابن العبري، مختصر، ص١١٣.

(١٨٦) قدامه ، الحراج، ص٣٧.

(١٨٧) اليعقوبى، تاريح ، ج٢، ص٢٢٢.

(١٨٨) حليفة، تاريح، ص٣١٩، الجهشياري، ص٤٨.

(١٨٩) الجهشياري، ص٤٨، المسعودي، التنبيه، ص٢٧٥.

(١٩٠) المسعودي، التنبيه، ص٢٧٥. ٥ـ

(١٩١) الطبري، ج٦، ص١٨١. الجهشياري، ص٥٣. ابن عبد ربه، ج٥، ص ١٧٩، المسعودي، التنبيـه، ص٢٧٦. ابن الكازرونى، مختصر، ٩٧.

توسيع ديوان الرسائل وعلى توجيه الكتاب في الولايات. فكان فرات بن مسلم يعرض على عمر بن عبد العزيز كتبه في كل جمعه فعرضها عليه فأخذ منها قرطاسا قدر شبر أو أربع أصابع بقي فكتب فيه حاجة له(١٩٢)، وكان عمر بن عبد العزيز يحرص على الاقتصاد في القراطيس، فكان عمر يأمر كتابه بجمع الخط كراهية استعمال الطوامير، فكانت كتبه إنما هي شبر أو نحوه(١٩٣)، فهنا يظهر لنا مدى اهتمام الخليفة عمر بن عبد العزيز بالقراطيس لأنه شاع استعمالها في العصر الأموي أكثر من غيرها من مواد الكتابة الأخرى. ويروى عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم: "أن أباه كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله قراطيس. فكتب إليه: أن دقق القلم ، وأوجز الكتابة فإنه أسرع للفهم، "وكتب إلى عامل آخر كتب إليه يطلب منه قراطيس ويشكو قلتها عنده، أن دقق قلمك، واقلل كلامك، تكتف بما عندك من القراطيس(١٩٤).

وكتب لعمر بن عبد العزيز الصّباح بن المثنى سنة تسع وتسعين وكان من جلة كتاب عمر وعليتهم(١٩٥).

وكانت الأقلام الصحرية(١٩٦)، أجرى في الكواغد وأمر في الجلود كما أن البحرية منها اسلس في القراطيس والين في المعاطف وأشد لتعريف الخط فيها(١٩٧)، فاستعملت القراطيس أفضل من غيرها من الجلود والرق لسهولة الكتابة عليها. وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس إلى سر من رأى مع تربتها ومائها وأمرهم باتخاذه هناك.(١٩٨)

وقد احتاج الوالي إلى كتبة كثيرين ليستعين بهم في تحرير رسائله إلى مختلف الجهات وإلى الخليفة نفسه ولذا نرى في آخر الكتب التي كان يرسلها الولاة أسماء الكتبة الذين كانوا يحررونها، فكان يتولى هذا الديوان عدد من الكتاب امتازوا بالفصاحة وحسن الأسلوب، فنرى الحجاج قد عين يزيد بن أبي مسلم الذي كان يتقاضى على عمله راتبا شهريا قدره

---

(١٩٢) ابن سعد، ج٥، ص٣٣٧.
(١٩٣) الجهشياري، ص٥٣.
(١٩٤) الجهشياري، ص٥٣. ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٦٤.
(١٩٥) الجهشياري، ص٥٤.
(١٩٦) الصحرية، نسبة إلى الصحرة، وهي حوبة تنحاب وسط الحرة. وتكون أيضا لينه تطيف بها حجارة
(١٩٧) النويري، نهاية، ج٧، ص٢١.
(١٩٨) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٥٣.

ثلاثمائة درهم رئيسا على الكتاب[١٩٩]، وظل يشغل هذا المنصب طوال فترة حكم الحجاج للعراق حيث عينه قبيل وفاته على خراج هذا الإقليم لامانته، وكان يثنى عليه ويقول عنه أنه "أبو عبيدة هذا القرن"[٢٠٠]، وهناك كتاب آخرون أقل درجة بينهم نافع مولى مصعب ابن الزبير الذي دخل في خدمة الحجاج حين ولي العراق والمهاجرين جابر وحسان النبطي[٢٠١]، وكانت رواتبهم أقل بطبيعة الحال[٢٠٢]. وكان هؤلاء الكتاب يعدون الرد المناسب على الرسائل وفقا لرغبات الحجاج وراية. أما الرسائل الهامة خاصة تلك التي بعث بها إلى الخليفة فيقوم الحجاج نفسه بتسطيرها[٢٠٣]. وذكرنا أن الحجاج أول من استخدم القراطيس إذ كان هذا النوع من الورق ينتج في مصر ويرسل منها إلى دمشق حيث يوزع على العمال. ويبدو أن تداوله كان على نطاق ضيق لارتفاع تكاليفه مما جعل عمر بن عبد العزيز يطلب من عماله الاقتصاد في استعماله[٢٠٤]. وكانت الرسائل العادية تنقل بواسطة البريد وأما الرسائل الهامة فيقوم بنقلها مبعوث خاص[٢٠٥]

واختار الولاة كتابهم ممن يحسن الكتابة والبلاغة. فأخرج زياد بن أبيه كاتبا أخطأ وقال اخرجوه من ديواننا لئلا يفسده[٢٠٦]، وكتب لعبد العزيز بن مروان يناس بن خمايا من أهل الرها وكان غالبا عليه[٢٠٧]، وكتب المغيرة بن أبي قرة ليزيد بن المهلب . وشيبة بن أيمن كتب ليوسف بن عمر وسعيد بن عطية كتب لعمر بن هبيرة. ومروان بن أياس كتب لخالد القسري[٢٠٨]، وكتب لعبد الله بن مطيع عامر الشعبي[٢٠٩].

استمر بعض الكتاب كما رأينا في منصبه كاتبا لأكثر من خليفة وهذا يدل على مدى أهمية هذا الكاتب وشهرته في عاصمة الخلافة ودوره في إدارة الأمور والدولة للخليفة وأن

---

(١٩٩) الجهشياري، ص٤٢.

(٢٠٠) ابن عبد ربه، ج٤، ص٢١٨.

(٢٠١) ابن سعد، ج٦، ص٣٣١.

(٢٠٢) صالح العلي ، التنظيمات، ص١٦٧.

(٢٠٣) ابن عبد ربه ، ج٥، ص٢٤.

(٢٠٤) البلاذري، فتوح، ص٢٤١، الجهشياري، ص٥٣.

(٢٠٥) الجهشياري، ص٢٦، ٢٥،٢٤،٣٩

(٢٠٦) الجهشياري، ص٢٦، ٢٥،٢٤،٣٩

(٢٠٧) الجهشياري، ص٢٦، ٢٥،٢٤،٣٩

(٢٠٨) الجهشياري، ص٢٦، ٢٥،٢٤،٣٩.

(٢٠٩) الثعالبي، لطائف المعارف، ص٦٠.

بعض الخلفاء اتخذ عدة كتاب في وقت واحد. وأحيانا يتولى صاحب الرسائل بالإضافة إلى منصبه هذا منصباً آخر، فكان على الرسائل والجند ليزيد بن عبد الملك صالح بن جبير الهمداني(٢١٠)، ثم عزله وولى أسامة بن زيد مولى لأهل اليمن(٢١١)، وكتب ليزيد بن عبد الملك زيد بن عبد الله(٢١٢)، وعمر بن هبيرة وإبراهيم بن جبله(٢١٣)، وكتب لهشام بن عبد الملك سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش، ومن كتابه بالرصافة شعيب بن دينار(٢١٤)، وعلى الرسائل سالم مولاه(٢١٥)، وكاتب الرسائل للوليد بن يزيد سالم مولى سعيد بن عبد الملك، ثم كتب له ابنه عبد الله بن سالم(٢١٦)، وبكير بن الشماخ(٢١٧)، وعياض بن مسلم(٢١٨). وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم، وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشني(٢١٩)، وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة، وكان يتقلد له الديوان بفلسطين(٢٢٠)، وكتب لمروان بن محمد عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ومصعب بن الربيع الخثعمي، وزياد بن أبي الورد، وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس موى خالد القسري وكان من كتابه مخلد ابن محمد بن الحارث(٢٢١).

ويتبين من قائمة الكتاب، أن بعضهم وردت أسماؤهم على ديوان الرسائل وبعضهم ذكرت المصادر أنهم كتبوا للخلفاء دون أن تحدد أشغالهم لديوان الرسائل.

والراجح أن قسما منهم كان يتولى المراسلات التي تتعلق بمصالح الدولة والقسم الأخرى كان يحرر المراسلات الخاصة بالخليفة، أن بعض الرؤساء شغل الديوان لفترة

---

(٢١٠) خليفة، ص٣٣٥، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨١، المسعودي، التنبيه، ص٢٧٧.
(٢١١) خليفة، ص٣٣٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨١، المسعودي، التنبيه، ص٢٧٧.
(٢١٢) ابن عبد ربه ، ج٥، ص١٧٦، المسعودي، التنبيه، ص٢٧٧.
(٢١٣) النويري، نهاية، ج٢١، ص٤٠٢، الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص٢٦ الطبري، تاريخ ، ج٦، ص١٨١، الجهشياري، ص٥٩.
(٢١٤) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص١٧٩.
(٢١٥) خليفة، ص٣٦٧، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨١.
(٢١٦) خليفة ، ص٣٦٧، الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨١.
(٢١٧) الطبري، تاريخ ،ج٦، ص١٨١-١٨٢، الجهشياري، ص٥٩.
(٢١٨) الأصفهاني الأغاني، ج٧، ص١١.
(٢١٩) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨١-١٨٢، الجهشياري، ص٦٩. ابن عبد ربه، ج٥، ص١٩٤.
(٢٢٠) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٢، الجهشياري، ص٧١.
(٢٢١) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨٢، الجهشياري، ص٧٢، خليفة ، تاريخ، ص٤٠٨.

طويلة، ولأكثر من خليفة ، كعبيد الغساني ، الذي شغله لمعاوية الأول، ولابنه يزيد، وزمل العذري الذي شغله أيضا لمعاوية الأول وليزيد.

وسالم أبو الزعيزعة شغله لمروان ولعبد الملك. وسالم مولى سعيد كتب لهشام، وللوليد بن يزيد. والليث بن أبي رقية كتب لسليمان، ولعمر الثاني.

أن هؤلاء الكتاب تعود أصولهم إلى فئتين: من العرب، ومن الموالي.

من العرب: من قبائل مختلفة: من قبيلة غسان، ومن جذام ، ومن كنده، ومن كلب، ومن بني جرش، ومن عبس، ومن حمير، ومن لخم، ومن خثعم ومن بني عذرة.

والكتاب من العرب كانوا يشكلون الغالبية العظمى من رؤساء الديوان. ولعل ذلك يرجع لكونهم يتقنون اللغة العربية، أو لأهمية هذا الديوان. بدليل أن معظمهم كانوا من المقربين، والمستشارين للخلفاء[٢٢٢].

فعبيد الله الغساني، كان يطلق عليه اسم سيد أهل الشام[٢٢٣]. وروح بن زنباع كان من أخص الناس بعبد الملك[٢٢٤]، وكان يقول فيه: أن روح شامي، الطاعة، عراقي الخط، حجازي الفقه، فارسي الكتابة"[٢٢٥]. أي أنه كان يخلص له، وكان يجيد الكتابة، ويحسن الخط، ويعرف فقه اللغة ، ويتقن ما تتطلبه المراسلات. وربيعة الجرشي كان من مستشاري عبد الملك، فقد استشاره عندما عزم على تولية الوليد العهد[٢٢٦].

والصباح بن المثنى كان من جلة كتاب عمر الثاني، وعليتهم[٢٢٧]. ورجاء بن حيوة كان الخلفاء الأمويون يستشيرونه، ويأخذون برأيه، فهو الذي أشار على سليمان بأن يعهد بالخلافة إلى عمر بن عبد العزيز[٢٢٨].

وكان رجاء فقيها، وزاهدا ، وموصوفا بالحكمة، ومن أصحاب الفتايا، وموثوقا من الخلفاء الأمويين[٢٢٩]، وكان بشير بن أبي دلجة فطنا في كتابة الرسائل[٢٣٠] وكان عمرو بن

---

(٢٢٢) ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٣٦.

(٢٢٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٧.

(٢٢٤) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٦، اليعقوبي، تاريخ، ج٦، ص٢٨١.

(٢٢٥) الجهشياري، ص٣٥.

(٢٢٦) الجهشياري، ص٣٧.

(٢٢٧) الجهشياري، ص٥٤.

(٢٢٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٩٩، المسعودي، مروج، ج٣، ص١٩٣.

عتبة من مستشاري الوليد بن يزيد[٢٣١]. وكان برد بن سنان مستشارا للخليفة يزيد بن الوليد، وقد أشار عليه بالعهد بالخلافة[٢٣٢].

أما الفئة الثانية، فموالي خلفاء، أو موالي قبائل، أو موالي أشخاص، فسالم أبو الزعيزعة[٢٣٣]، وشمعل النصراني[٢٣٤]. ودينار بن دينار[٢٣٥] من موالي عبد الملك.

وابن البطريق ـ نصراني.. من أهل فلسطين ، كان مولى سليمان ، اعتمد عليه ببناء مدينة الرملة.[٢٣٦].

وشعيب بن دينار الحمصي من موالي هشام. وسالم يكنى أبو العلاء، مولى سعيد بن عبد الملك ، وكان أحد الموالي البلغاء[٢٣٧]، وعبد الحميد - مولى- العلاء بن وهب العامري[٢٣٨]، وهو شيخ الكتاب في العهد الاموي[٢٣٩]، وكان كاتبا ومستشارا لمروان بن محمد[٢٤٠]. ورغم كونهم من الموالي، غير أنه كانت تتوفر فيهم الشروط المتطلبة في كتابة الرسائل كجودة الخط، والوضوح، والإلمام بقواعد اللغة، وحسن التعبير، إضافة إلى أن بعضهم كان يتقن غير العربية كالفارسية والسريانية[٢٤١]، وهذه المؤهلات مكنتهم من العمل في الديوان، وأصبحوا على الديوان في خلافة هشام بعد- أن كان بأيدي العرب في بداية نشأته.

وكانت رسائل الخلفاء الأمويين بالغة الإيجاز واضحة الغرض ولم يعمد إلى إطالتها وتنميقها وقد ذكر ابن خلكان أن أول من أطالها عبد الحميد الكاتب البليغ المشهور، وبه

---

(٢٢٩) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤٥٤، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٩٢.

(٢٣٠) الجهشياري، ص٦٢.

(٢٣١) الجهشياري، ص٦٨.

(٢٣٢) الجهشياري، ص٦٩.

(٢٣٣) البلاذري، أنساب ، ج٤، ف٢، ص١٣٩.

(٢٣٤) الجهشياري، ص٤٠.

(٢٣٥) الجهشياري، ص٥٤.

(٢٣٦) الجهشياتري، ص٤٨.

(٢٣٧) ابن النديم، الفهرست، ص١٧٧، ابن الآبار، أعتاب الكتاب، ص٦٢.

(٢٣٨) الجهشياري، ص٧٢.

(٢٣٩) الطبري، ج٦ن ص١٨١-١٨٣.

(٢٤٠) ابن النديم، ص١٧٦، الجهشياري، ص٧٢-٢٩-٨٢.

(٢٤١) ابن قتيبة ، عيون، ج١، ص٤٦.

يضرب المثل في البلاغة، حتى قيل بدئت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كل من العلم والأدب أماما، وهو من أهل الشام، وكان أولا معلم صبيه يتنقل في البلدان، وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا . وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب[٢٤٢].

وتشير رسالة عبد الحميد إلى الكتاب إلى المكانة الهامة التي أصبحت لهم، إذ أن رسالته لم تكن موجهة إلى شخص معين أو كاتب بعينه. وإنما هي موجهة إلى طائفة الكتاب، وقد وصف فيها عبد الحميد صناعة الكتابة وأهمية الكتاب في تسيير الحكم. وما ينبغي أن يتحلوا به من آداب ثقافية وأخرى خلقية وسياسية. تتصل بالخلفاء والولاة والرعية [٢٤٣] .

ونرى أنه أصبح للخلفاء كتاب عظام يعتمد عليهم في إدارة الدولة وفي تلبية حاجات الناس، فكان الناس زمن هشام بن عبد الملك يدخلون على الكتاب فيسألون حوائجهم. فإذا إنهى الخليفة صلاة الظهر دعى بكتابه فناظرهم فيما ورد من أمور الناس.[٢٤٤]

ومن الموالي كتاب في الدواوين، بل أن الكتاب كانوا في الغالب من الموالي حتى تعريب الدواوين. ومع ذلك فقد بقي كتاب الخراج عادة من الموالي حتى بعد التعريب. وقبل نهاية العصر الأموي صار الكتاب فئة لها مكانتها[٢٤٥].

وأصبح للموالي مكانة خاصة في عملية الكتابةِ، وكان أشهرهم على الإطلاق عبد الحميد بن يحيى مولي العلاء بن وهب العامري[٢٤٦]، والذي تتلمذ على سالم مولى سعيد بن عبد الملك كاتب الرسائل في خلافة هشام بن عبد الملك[٢٤٧]، إذ أن عبد الحميد التحق بديوان هشام بن عبد الملك وأعجب به سالم فأصهر إليه، وما زال حتى خرجه كاتبا لا يبارى، وعرفه مروان بن محمد وكان عاملا لهشام على أرمينية، فاتخذه كاتبا له. ولعلنا لا نخطئ في الحكم إذا قلنا أن ما أثبته الطبري من رسائل لمروان في ولايته إلى هشام ومن تلاه

---

[٢٤٢] ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٢٨.

[٢٤٣] الجهشياري، ص٦٨.

[٢٤٤] الأربلي، خلاصة، ص٣١.

[٢٤٥] الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص٤٣

[٢٤٦] الجهشياري، ص٧٢، الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٨٢.

[٢٤٧] ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص٥٧.

من الخلفاء وإلى أبناء عمومته إنما كان بقلم عبد الحميد، وعندما تولى مروان الخلافة أصبح عبد الحميد الكاتب المستشار والغالب عليه، وعندما هزم مروان في موقعة الزاب، ولى وجهه معه إلى مصر حيث قتلا معا في بوصير (٢٤٨)، ولعل مما يدل على أنه قتل في مصر أننا نجد أبناؤه وأحفاده وقد استخدمهم بعض الولاة في دواوينهم(٢٤٩)، ولا يلفتنا كما يقول الدكتور شوقي ضيف براعته الأدبية في صنع رسائله فحسب، وإنما يلفتنا أنه تحول بطائفة منها إلى رسائل أدبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة محاكيا في ذلك ما كان يعرفه من رسائل الفرس الأدبية التي أثرت عن الساسانيين والتي يقال أنه كان أحد نقلتها إلى العربية(٢٥٠).

وقد جاء في بعض الكتب الصفات الواجب توافرها في الكاتب أو المتولي لديوان الإنشاء وكان زياد بن أبيه يقول أربعة أعمال لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذه "الثغر، والصائفة والشرط والقضاء وينبغي أن يكون في الكاتب خمس خلال: بعد غور، وحسن مداراة، وأحكام للعمل، وأن لا يؤخر عمل اليوم لغد، والنصيحة لصاحبه(٢٥١).

وقال عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجهه إلى مصر: تفقد كاتبك وحاجبك وجليسك فإن الغائب يخبره عنك كاتبك، والمتوسم يعرفك بحاجبك والداخل عليك يعرفك بجليسك"(٢٥٢)

ويقول القلقشندي ليس بين الصناعات ما يلحق بصناعة الكتابة ولا يكسب ما تكسبه من الفوائد مع الحصول على الرفاهية والتنزه عن دناءة المكاسب. ثم مع ما توصل إليه من مشاركة الملوك والرؤساء. وكفى بهذه الصناعة شرقا أن صاحب السيف يزاحم الكاتب ي قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سيفه(٢٥٣).

ولا بد من إلقاء نظرة على أحد الفنون الأدبية وهو فن التوقيعات فقد ألف الخلفاء والولاة وكتابهم أن يردوا على بعض الرسائل التي تصل إليهم في جمل حاسمة، امتازت بالإيجاز الشديد ونالت إعجابا متزايدا على مر الزمن.

---

(٢٤٨) ابن خلكان، وفيات ، ج٣، ص٢٢٩.

(٢٤٩) الجهشياري، ص٨٢

(٢٥٠) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص٤٧٤.

(٢٥١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٣.

(٢٥٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٤٤.

(٢٥٣) القلقشندي، صبح، ج١، ص٣٨.

وقد كان الكاتب بجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه، وفصله للتوقيع في الرقاع، وهو تعليق الخليفة على القصص أو المعروضات عليه لطلب، أو شكوى أو نحو ذلك.

فيكتب عليها بما يجب اجرؤه، أو ما يفيد الجواب على فحواها، أما أن يوقع الخليفة بنفسه[٢٥٤]، وأما أن يأمر كاتبه بتدوينه والغالب في التوقيع أن يكون من مقتبسات القرآن الكريم أو الحديث، أو الحكم المشهورة نثرا أو شعرا وأخذوا بعضها من الأمثال. فمن توقيعات معاوية بن أبي سفيان، أن عبد الله بن عامر كتب إليه يسأله أن يقطعه مالا بالطائف، فوقع "عش رحبا ترى عجبا"، واعتمدوا في بعضها على التاريخ وكتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه، فوقع في أسفل الكتابة: بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام، فأنت تراه"[٢٥٥]

وكتب زياد بن أبيه إلى سعيد بن العاص يخطب إليه، فوقع في كتابه: كلا أن الإنسان ليطغي أن رآه استغنى"[٢٥٦].

ووقع يزيد بن معاوية في أسفل كتابه إلى عبيد الله بن زياد: أنت أحد أعضاء ابن عمك، فاحرص أن تكون كلها"[٢٥٧].

ووقع الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز: قد رأب الله بك الداء وأوذم بك السقاء"[٢٥٨].

وكتب مسلمة بن عبد الملك إلى أخيه سليمان بما كان منه من حسن الأثر في بلاد الروم، فوقع في كتابه: " ذلك بالله لا بمسلمة"[٢٥٩]، ومن توقيعات عمر بن عبد العزيز في كتاب لأحد عماله، يستأذنه في بناء مدينة : "أبنها بالعدل ونق طرقها من الظلم ". وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها فوقع له"" ارض لهم ما ترضى لنفسك وخذهم بجرائمهم بعد ذلك"[٢٦٠].

---

[٢٥٤] القلقشندي، صبح، ج١، ص٩٣، اس حلدون، ج١، ص٤٣٧.

[٢٥٥] ابن عبد ربه، العقد ، ج٤، ص٢٥٧.

[٢٥٦] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٢، ص٥٧٦.

[٢٥٧] ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٥٧، أحمد زكي صفوت ، جمهرة، ج٢، ص ٥٧٧.

[٢٥٨] أحمد زكي صفوت، جمهرة ، ج٢، ص٥٧٩

[٢٥٩] الجهشياري، ص٤٨.

[٢٦٠] ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٥٩.

وطال كثير من الخلفاء التوقيعات فتألفت من جملتين مثل توقيع مروان بن محمد إلى ابن هبيرة أمير خراسان: "الأمر مضطرب وأنت نائم وأنا ساهر"[٢٦١].

وكان لديوان الرسائل أساليب وصيغ تراعى في كتابة الرسائل، في عناوينها وتصديرها وفيما يتخللها من أدعية وما تختم به.

كان المتبع في توجيه الرسائل أن يقدم اسم المرسل إليه على اسم المرسل إذا كان المرسل إليه أعلى مرتبة فإذا كتب أحد الولاة إلى الخليفة بدأ باسم الخليفة فقال " إلى الخليفة فلان بن فلان".

كانت عناوين المكاتبات الصادرة عن الخليفة تحتل الجانب الأيمن من الرسالة وتبدأ بالبسملة وذكر اسم الخليفة واسم أبيه وكنيته، وفي يسار الرسالة يذكر المرسل إليه وكل ذلك في سطر واحد، أما تصدير الكتاب فيبدأ " بسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.."، ثم يكتب اسم الكاتب والتاريخ الذي كتب فيه الكتاب، ومن الرسوم والآداب التي احتوت عليها المكاتبات استخدام الدعاء وكان سرد الدعوات في المكاتبات الصادرة من الخلافة خاضعا لنظام دقيق.

كانت الكتب والعهود الصادرة عن الخليفة لعمال الخراج والحرب والقضاة خالية من الدعاء إليهم فلا يكتب الخليفة لأحد منهم دعاء الأولى عهده فإنه يدعى له بعد التصدير بالحفظ والحياطة[٢٦٢].

ولم ترد معلومات عن مقادير أرزاق الكتاب زمن الراشدين سوى ما ذكر من أن زياد بن أبيه كان يكتب لعتبة بن غزوان والي البصرة (١٤-١٥هـ) فأجرى عليه عتبة درهمين في كل يوم[٢٦٣]. أما في العصر الأموي فقد أخذ كتاب الدواوين أرزاقا شهرية محددة، وأخذ رئيس الكتاب في كل ديوان ٣٠٠ درهم في الشهر[٢٦٤]. فمثلا كان يزيد بن أبي مسلم المكني بأبي العلاء يتقلد ديوان الرسائل للحجاج، يجري عليه في كل شهر ٣٠٠ درهم[٢٦٥]. ويذكر

---

(٢٦١) ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٢٦٠.

(٢٦٢) أنظر: القلقشندي، صبح، ج١، ص١٣٦، ١٣٧، الصولي، أدب، ص ٤٠،٤١،١٦٤،٢٢٤، الصابي رسوم، ص١٠٤-١٠٥، ابن وهب، البرهان، ص٣٣٧، ٣٣٨.

(٢٦٣) الجهشياري، ص:١٢٦، التعالبي، لطائف المعارف، ص:٢٢-٢٣.

(٢٦٤) الجهشياري، ص:٤٢، الثعالبي، لطائف المعارف، ص٦١، ٦٢.

(٢٦٥) الجهشياري، ص١١٣

الثعالبي بأن الحجاج عادة مرة من مرض الم به فوجد بين يديه كانونا من طين فقال له " يا أبا العلاء (ما أرى أرزاقك تكفيك؟ فقال: أيها الأمير أن كانت ثلاثمائة لا تكفيني فثلاثون ألفا لا تكفيني[٢٦٦]. وكان بقية الكتاب في الديوان يأخذون أرزاقا أقل من رزق رئيسهم وهي تتدرج من ٤٠ درهما[٢٦٧]، إلى ٣٠ درهما[٢٦٨].إلى ٢٠ درهما[٢٦٩] . إلى عشرة دراهم[٢٧٠] في الشهر ، وهو الحد الادنى لأرزاق الكتاب في العصر الأموي، ويبدو أنه يعطى للكاتب عند تعيينه لأول مرة في الديوان وكانت رواتب الكتاب قابلة للزيادة بعد الخدمة والحصول على الخبرة والمعرفة بأعمال الدواوين، فيذكر يوسف بن صبيح مولى بني عجل أنه كتب في ديوان الكوفة لبني أمية ثم لعبد الله بن علي العباسي وكان يأخذ رزقا شهريا مقداره ١٠ دراهم، ثم كتب لأبي جعفر المنصور فزاده عشرة دراهم فصار رزقه ٢٠ درهما في الشهر[٢٧١].

وصرف للولاة والعمال شمع للاضاءة وصحف وأقلام لكتابة حوائج الناس والكتب الرسمية [٢٧٢]ويبدو من الإشارات الواردة أن تكلفة القراطيس كانت مرتفعة لدرجة جعلت بعض الخلفاء يحدون من استعمالها، قال ميمون بن مهران (كان يعمل لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة وتوفي سنة ١١٧هـ، "مازلت وعمر بن عبد العزيز ننظر في أمور الناس حتى قلت يا أمير المؤمنين، ما شأن هذه الطوامير يكتب فيها بالقلم الجليل يمد فيها وهي من بيت مال المسلمين؟ قال فكتب في الآفاق: أن لا يكتب في طومار بقلم جليل ولا يمدن فيه. فكتب كتبه إنما هي شبر أو نحوه"[٢٧٣]. وعندما طلب منه وإليه على المدينة أبو بكر بن حزم أن يجري عليه ما كان يجري على من قبله من امراء المدينة من القراطيس، رد عليه عمر " أدق قلمك واجمع الخط، واجمع بين الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر بيت مالهم"[٢٧٤]. ويدل على ارتفاع ثمن تلك الصحف

---

(٢٦٦) الثعالبي، لطائف المعارف، ص:٦٢.

(٢٦٧) الجهشياري، ص:١١٣.

(٢٦٨) المصدر نفسه، ص: ١٣١.

(٢٦٩) المصدر نفسه، ص:١٣١-١٣٢.

(٢٧٠) المصدر نفسه، ص:١٣١-١٣٢

(٢٧١) المصدر نفسه، ص:١٣١-١٣٢.

(٢٧٢) ابن عبد الحكم، سيرة ، ص٦٣-٦٤، الجهشياري، ص٥٣، الأصفهاني، حلية، ج٥،ص:٣٠٨.

(٢٧٣) ابن سعد، ج٥، ص:٤٠٠، الجهشياري، ص:٥٣. ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٨٨.

(٢٧٤) ابن عبد الحكم، سيرة ، ص:٦٣-٦٤.

التي تطلق عليها المصادر أحيانا اسم الطومير وأحيانا أخرى القراطيس ما ذكره البلاري، أن هشام بن عبد الملك كتب بخط يده، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى رباح مولى مسلمة بن أمير المؤمنين، أما بعد : فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك بما ذكرت من تكلفك ما تتكلف من المؤونة في القراطيس وسيرى أمير المؤمنين في أمر القراطيس لك ولغيرك رأيه إن شاء الله"[٢٧٩].

ب- ديوان الخاتم:-

الخام هو تلك الحلية المعروفة من الذهب أو الفضة أو غيرها يلبسها الناس في أصابعهم. وعلى رأس هذا الخاتم من الخارج كانت تحفر في العادة عند المسلمين عبارة مثل" محمد رسول الله" ويغلب أن يكون حفرها مقلوبا أي أن تكتب الكلمات من الشمال لليمين حتى إذا ختم ظهرت الكلمات معتدلة.

والذي يهمنا في دراستنا هنا معنيان يستعمل لأجلهما هذا الخاتم:

أولا: ختم الخطاب بعد تمامه، وذلك بعد عمس الخاتم في مداد أو نحوه. ومدلول الختم صحة ذلك المكتوب ونفاذه.

ثانيا: عند نهاية الخطاب يطوى، أو يوضع في غلاف بعد الطي، أو يخزم ثم توضح مادة لينة كالشمع أو الطين على مواضع الطي أو فتحة الغلاف أو الخزم وتختم هذه المادة فتظهر الكتابة عليها، فلا يفتح هذا الخطاب إلا المرسل إليه، فإن فتح بدونه فسدت الأختام، وضاعت قيمة المكتوب، والخاتم هنا معناه السداد والقفل حتى لا يطلع إنسان على ما هو مكتوب[٢٧٦].

والخاتم بالمعنى الأول كان أسبق في الظهور، فيروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى ملك الروم قيل له أنهم لا يقرأون الكتاب إلا أن يكون مختوما. فأخذ خاتما من فضة ونقش عليه" محمد رسول الله".[٢٧٧]

---

[٢٧٩] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٢٤٩.

[٢٧٦] ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٦٨-٤٦٩.

[٢٧٧] ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٤٧١، البلاذري، فتوح، ص٤٤٨، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٢، الصولي، أدب، ص١٤٠، ابن خلدون، ج١، ص ٤٦٧، القلقشندي، صبح، ح٦، ص٣٧٣، الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٧٧-١٧٨.

ومن استعمال الخاتم بهذا المعنى أي بالاعتراف بصحة المكتوب ونفاذه ما روى أن معاوية حينما تم الصلح بينه وبين الحسن بن علي بن أبي طالب أرسل له صحيفة بيضاء ختم أسفلها، وكتب إليه أن أشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك[٢٧٨].

وراسل معاوية بن أبي سفيان قيس بن سعد بن عبادة للدخول في طاعته وأرسل إليه بسجل وختم أسفله، وقال اكتب فيه ما شئت فهو لك. فاشترط لنفسه ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال.[٢٧٩]

أما الخاتم بالمعنى الثاني فقد ظهر في عهد معاوية. ويروى أن السبب في ذلك أن معاوية أحال عمرو بن الزبير على زياد بن أبيه عامله على الكوفة بمائة ألف درهم فمضى عمرو بالكتاب ولم يكن مقفلا أو مخزوما، وفي الطريق قرأ عمرو الكتاب فجعل المائة مائتين، فلما دفع زياد الحساب إلى معاوية قال معاوية: أني ما أحتله إلا بمائة ألف. فاستدعاه وسجنه حتى رد عبد الله بن الزبير المائة ألف عن أخيه. ووضع معاوية منذ ذلك الحين نظام طي الرسائل وختمها[٢٨٠].

وقد نشأ بعد ذلك ديوان الخاتم حيث ترد إليه كل الكتب الواردة للخليفة ليتأكد موظفوا الديوان أنها سليمة لم تفتح.

ويقال أن في ختم الكتاب تعظيما للمكتوب إليه، وذكر القلقشندي أن بزرجمهر أحد ملوك الفرس ذكر: من لم يختم كتابا فقد استخف بصاحبه، وجهل في رأيه[٢٨١]. فمن كلام عمر بن الخطاب "طينه خير من ظنة تقع في الكتاب بالنظر فيه أو زيادة أو نقص. والظنة التهمة يعني أن ختم الكتاب بطينة خير من ظنة في الكتاب[٢٨٢].

---

(٢٧٨) الطبري، ح٥، ص١٦٢، ابن خلدون، تاريخ، ح١، ص٤٦٩.

(٢٧٩) الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٦٤.

(٢٨٠) ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٢، أبو هلال العسكري، الأوائل، ٨٠ ٨١، ابن خلدون، تاريخ، ح١، ص٤٧٠.

(٢٨١) القلقشندي، صبح، ج٦، ص٣٥٢-٣٥٣

(٢٨٢) القلقشندي، صبح، ح٦، ص٣٥٢-٣٥٣.

ويروى عن ابن عباس أنه قال كل كتاب غير مختوم فهو افلق[٢٨٣] ، وقال أهل التفسير " إني الق إلي كتاب كريم " أي مختوم، إذ كانت كرامة الكتاب ختمه[٢٨٤]، والذي عليه الكتاب الحذاق أن الرئيس والنظير يختم رقاعة وتوقيعاته. وان من دونهم لا يختم وأن ختم وهو دون الرئيس والنظير لزمه إثبات اسمه على جانب كتابه الأيسر، وكتب بعض الكتاب إلى رئيس له: " أنت أيدك الله تختم رقاعك لأنها مطايا بر "[٢٨٥].

من هنا نلاحظ أن الروم أو الفرس لا يقبلون أي كتاب من طرف آخر إلا أن يكون مختوما لأنهم يعتبرون الختم اجلالا لصاحب الكتاب، ومن هنا اتفق المؤرخون على أن رسول الله اتخذ خاتما من فضة وجعل فصه في باطن كفه[٢٨٦].

وروى أنس بن مالك " اصطنع رسول الله خاتما ونقشه ثلاثة أسطر : " محمد رسول الله " محمد في سطر ورسول في سطر، وكلمة الله في سطر"[٢٨٧]، وأول ختم عرف في الاسلام هو ختم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي عمل من الفضة، يبلغ وزنه مثقالين[٢٨٨].

ويتق المؤرخون على أن رسول الله اتخذ خاتما من فضة، ولم يتخذ رسول الله الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبة الملوك عند منصرفه من الحديبية سنة ست للهجرة[٢٨٩].

وبقى الخاتم في أصبع رسول الله يتختم به حتى قبضه الله، وحين استخلف أبو بكر تختم به حتى قبضه الله، ثم ولي عمر بن الخطاب فجعل يتختم به حتى قبضه الله،

---

(٢٨٣) الصولي، أدب، ص١٤٠.

(٢٨٤) ابن عبد ربه، العقد، ح٤، ص٢١٣-٢١٤.

(٢٨٥) الصولي، أدب، ص١٤٠-١٤١.

(٢٨٦) ابن سعد، ج١، ص٤٧٢. البلاذري، فتوح، ص٤٤٧-٤٤٨. ابن عبد البر، ج٢، ص٤٢٢، ابن الأثير، الكامل، ح٣، ص١١٣. ابو الفداء، المختصر، ج١، ص١٦٨. ابن كثير، البداية، ج١، ص١٥٥. الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٧٧.

(٢٨٧) ابن سعد، ج١، ص٤٧٥. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٢. ابن عبد ربه، ج٥، ص٧. قدامه، الخراج، ص٥٦. ابن خلدون، ج١، ص٤٦٨. الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٨٠.

(٢٨٨) ناصر النقشبندي، الأختام الإسلامية، ص١١.

(٢٨٩) الصولي، أدب الكتاب، ص١٩٩.

ثم ولي من بعده عثمان بن عفان فتختم به ست سنوات فوقع في بئر اريس[٢٩٠]. فأمر عثمان بصنع خاتما غيره على شاكله من فضة ونقش عليه" محمد رسول الله"[٢٩١].

من هنا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت له البداية الأولى في ختم الكتب عند المسلمين الأوائل من أهل قريش وأهل الحجاز[٢٩٢]، وسار على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في اتخاذ الخاتم رجاله من الولاة والأمراء الذين كان يبعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المناطق أما لجبي الصدقات وتقسيمها وأما لغير ذلك. فمعاذ بن جبل اتخذ خاتما من ورق نقشه محمد رسول الله لما بعثه رسول الله إلى اليمن[٢٩٣].

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يلبس الخاتم إلى أمير أو ذو مال[٢٩٤]، ومن هنا يتضح لنا أن رسول الله اتخذ خاتما لختم كتبه ومراسلاته وسار على منواله هذا امراؤه وأصحابه وذوي المال والجاه تبركا بما عمله الرسول. وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفي بن أخي أكثم بن صيفي الأسيدي يحل محل كل كاتب من كتاب النبي إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب، وكان يصغ عنده خاتمه[٢٩٥]، وكان بصورة دائمة على خاتم النبي معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي من الأزد[٢٩٦]، مما يدل على أن هناك شخص يختم المراسلات والكتابات المرسلة إلى القواد والأمراء في النواحي المختلفة من الدولة الإسلامية. والختم عادة قديمة يقصد منها معرفة صاحب الكتاب. واحتلت الأختام أهمية بالغة حيث كان لكل خليفة ووال وقاض وكثير من الأمراء ختم خاص به حتى أن بعض الفقهاء درسوا شرعية استعمال الأختام وأشاروا إلى أن التختم بالفضة يعد سنة للرجال ذوي المكانة الشرعية والسياسية في المجتمع[٢٩٧].

---

(٢٩٠) تختم الخليفة عثمان بن عفان بخاتم رسول الله ست سنين. وحفر الخليفة بئرا بالمدينة للمسلمين، فجلس على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم. فوقع منه في البئر و لم يستطع العثور عليه رغم جهوده ورغم نضحه للماء من داخل البئر.

(٢٩١) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٤٧٦-٤٧٧. البلاذري، فتوح، ص٤٨٨، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٢ قدامه، الخراج، ص٥٦.

(٢٩٢) أبو هلال العسكري، الأوائل ، ص٨٠، الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٧٧-١٧٨

(٢٩٣) ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٤٧٦.

(٢٩٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج٢،ص٢١٦. الثعالبي، لطائف المعارف، ص٥٨.

(٢٩٥) الجهشياري، ص١٢،١٣، ابن عبد ربه، ج٥، ص٢١٦. التعالبي، لطائف المعارف، ص٥٨.

(٢٩٦) خليفة، تاريخ، ص٩٩. ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٧. ابن عبد ربه، ج٥، ص٧. الذهبي، العبر، ج١، ص٤٧.

(٢٩٧) ناصر النقشبندي، الأختام، ص١١-١٢.

فقد كان للخلفاء أختاما، ولم يكن الخلفاء ينقشون على خواتهم أسماءهم ولكنهم كانوا ينقشون عليها عبارات فيها مواعظ وحكم، فقط كان نقش خاتم أبو بكر الصديق" نعم القادر الله"[٢٩٨].

ونقش خاتم عمر بن الخطاب " كفى بالموت واعظا يا عمر" وقيل " آمنت بالله مخلصاً[٢٩٩]، ونقش خاتم عثمان بن عفان " لتصبرن أو لتندمن " وقيل : آمنت بالذي خلق فسوى"[٣٠٠]، ونقش خاتم علي بن أبي طالب " الملك لله الواحد القهار"[٣٠١] ونقش خاتم الحسن بن علي بن أبي طالب" الله أكبر وبه استعين"[٣٠٢].

واستعملت الأختام في الفترة الإسلامية لأغراض شتى منها توقيع الكتب الرسمية من قبل الخلفاء والولاة والعمال والقضاة فكان لكل منهم ختم خاص به نقش عليه عبارة معينة تميزه عن غيره تثبت شخصية الموقع، كما توجد أختام شخصية استعملها الأفراد لأغراضهم الخاصة.

فلما ولي ابن الزبير عبد الله بن يزيد الكوفة اتخذ الأخير خاتما من ذهب[٣٠٣] وكان لأبي موسى الأشعري خاتمين خاتم خاص به وخاتم يختم به للجند والعمال وكان في يده[٣٠٤]، وروى الفضل بن دكين عن قيس بن الربيع عن عمران بن موسى بن طلحة عن أبيه قال " كان يد طلحة بن عبيد الله لما قتل في موقعة الجمل خاتم من ذهب فيه ياقوتة حمراء وكانت غلته كل يوم ألف درهم واف"[٣٠٥]، وروى أبو مخنف أنه لما أتهم الوليد بن عقبة بشرب الخمر دخل عليه أبو زينب وانتزع خاتمه[٣٠٦].

---

(٢٩٨) ابن عبد ربه، ج٥، ص١٧، المسعودي، التنبيه، ص٢٤٩، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٩٧٧.

(٢٩٩) المسعودي، التنبيه، ص٢٥١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص١١٤٦، السيوطي، تاريخ، ص٩٢.

(٣٠٠) النويري، ج١٩، ص٤٤١، القلقشندي، صبح، ج٦، ص٣٥٤، السيوطي، تاريخ، ص١١١، ابن الكازروني، مختصر، ص٧٢.

(٣٠١) النويري، ج٢٠، ص٢٢٣، ابن الكازروني، مختصر، ص٧٦.

(٣٠٢) ابن الكازروني، مختصر، ص٨٠.

(٣٠٣) البلاذري، أنساب، ج٥، ص٢٧٣.

(٣٠٤) ابن اعثم، فتوح، ج٢، ص٣٠.

(٣٠٥) ابن قتيبة، المعارف، ص١٠١.

(٣٠٦) البلاذري، أنساب، ج٥، ص٣٣.

من هنا يتضح لنا أنه قد أصبح للأشخاص ذوي المكانة وأصحاب الرتب في الدولة العربية الإسلامية خاتم خاص وخاتم رسمي تختم به الكتب الصادرة من عندهم، فأصبح لهذه الطبقة من الناس خاتمين خاتم يعمل الشخص به لنفسه وخاتم يعمل به للدولة.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من أرخ الكتب وختم على الطين(٣٠٧)، وذكر اليعقوبي أن عمر بن الخطاب أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم وأمره أن يكتب لهم صكاكا من قراطيسه ثم يختم أسافلها. فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك(٣٠٨).

وذكر البلاذري أن رجلا يقال له معن بن زائدة قد نقش على خاتم الخلافة فأصاب مالا من خراج الكوفة على عهد عمر بن الخطاب، فبلغ ذلك عمر فكتب إلى المغيرة بن شعبة يعلمه أمره (٣٠٩).

وكان الخلفاء الأوئل يستعملون الخاتم بأنفسهم لأنهم يكتبون بأنفسهم أو كانوا إذا كتب أحد لهم قرأوا ما كتب واجازوه بختمه إذا رضوا عنه، لكن عثمان سلم خاتمه إلى كاتبه مروان بن الحكم فكان هذا يختم ويكتب الكتب، ومن هنا أخذ الخاتم معنى جديدا تطور عن المعنى الأول. فكان لمروان بن الحكم الدور الأكبر في الثورة على عثمان من قبل الأمصار نتيجة الكتاب الذي كتبه والخاتم الذي وضعه على الكتاب وهو خاتم عثمان بن عفان، إذ قال عثمان الخط خط كاتبي، وأما الخاتم فهو خاتمي(٣١٠).

ومن هنا نستطيع القول أن حامل الخاتم كان يتمتع بنفوذ قوي وبسلطة واسعة تؤهله لكي يكتب ما دام الختم هو إشرافا لصاحب الكتاب.

---

(٣٠٧) القلقشندي، صبح، ج١، ص٤٢٢-٤٢٣

(٣٠٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤٥.

(٣٠٩) البلاذري، فتوح، ص٤٤٩-٤٥٠، قدامه، الخراج، ص٥٦-٥٧. أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٤١-١٤٢.

(٣١٠) خليفة، تاريخ، ص١٦٩، البلاذري، أنساب، ج٥، ص٦٥-٦٦. الجهشياري، الوزراء، ص٢٢. ابن أبي الحديد، ج٣، ص٢٢.

وأدرك خلفاء بني أمية وعمالهم أهمية التدوين في السجلات، لتسهيل الرجوع إليها وقت الحاجة وتدقيقها لضبط الأمور في الدولة جميعها، وأصبحت الكتابة فنا من فنون الإدارة المتقنة ويلاحظ أن الدقة أصبحت سمة من السمات الواجب توفرها في الكاتب والكتاب والسجلات الرسمية، فقد فصل زياد بن أبيه أحد كتابه لخطأ نحوي ارتكبه ذلك الكاتب[٣١١].

ونظرا لارتباط الإدارة ارتباطا وثيقا وقويا بعدد كبير من الرسائل التي يصرف فيها الخليفة أمور الولايات اقتضى الأمر وجود ديوان خاص سمي ديوان الخاتم، وتعزو المصادر التاريخية تكوين هذا الديوان إلى حادثة تزوير حصلت في إحدى رسائل معاوية والتي أحال فيها رجلا على زياد بن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم، فمضى ذلك الرجل وقرأ الكتاب وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة، فجعل المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر معاوية ذلك وقال: ما احلته إلا بمائة ألف، ثم استعادها منه ووضع ديوان الخاتم، فصارت التواقيع تصدر منه مختومه لا يدري أحد ما فيها ولا يتمكن أحد من تغييرها[٣١٢].

وذكر اليعقوبي أن أول من دون الدواوين ;وضع النسخ للكتب وأفرد كتاب الرسائل من العرب والموالي المتفحصين زياد بن أبيه[٣١٣]، فيظهر من هذا النص أن زياد بن أبيه كان أول من دون الدواوين ولكن الثابت أن عمر هو أول من دون الدواوين وما قول اليعقوبي هذا إلا دلالة على أن زياد بن أبيه أعاد النظر فيها ووضع أسسا جديدة لتنظيمها.

وتبين رواية أخرى أن زيادا هو الذي انشأ هذا الديوان مقلدا الإدارة الفارسية في حفظ الرسائل وتصنيفها، وقلد باقي الإداريين ذلك بأنهم بدأوا يختمون رسائلهم وكتاباتهم حفظا لها من العبث والتزوير[٣١٤].

---

(٣١١) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٢، الجهشياري، ص٣٥.

(٣١٢) الطبري، ح٥، ص٣٢٩-٣٣٠، الجهشياري، ص٢٤، الصولي، أدب، ص١٤٢-١٤٣. التعالي، لطائف المعارف، ص١٦. ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٧، القلقشندي، صبح، ج٣، ص٣٤٢-٣٤٣، ج٦، ص٣٥٥-٣٥٦. مآثر الأناقة، ج٣، ص٣٤٢.

(٣١٣) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص٢٢٢.

(٣١٤) البلادري، فتوح، ص٤٥٠، ابن طباطبا، ص١٠٧.

ومن المؤكد إذن أن زيادا عمل على إيجاد هذا الديوان في العراق ما دام أمر التزوير قد وقع له مع معاوية. وأن أحداث هذا الديوان كانت خطوة تطورية في تنظيم شؤون الدولة، وأن ديوان الخاتم لم يكن في العاصمة فقط بل في كل مصر من الأمصار الإسلامية

ووظيفة ديوان الخاتم هي حفظ نسخ من رسائل الخليفة وتوقيعاته ثم يختم الكتاب ويحزم بخيط ويشمع حفظا له من التزوير، ثم يرسل إلى الجهة المنوي إرساله إليها[٣١٥]. ولم يكن القصد من الختم أن يوضع الختم في أدنى الرسالة. وإنما كانت الرسالة تطوى ويلصق طرفها بالشمع أو الطين الأحمر الذي يطبع عليه وهو طري خاتم الخلافة ويترك حتى يجف، فإذا فتحت من قبل أن تصل إلى مرجعها عرف ذلك. إذ لا سبيل إلى فتحها إلى بتمزيق الخاتم[٣١٦].

ويشار هنا أن الختم لم يكن من ابتكار معاوية. فهو عادة قديمة يقصد منها معرفة صاحب الكتاب، فقد كان لرسائل الخلفاء الذين سبقوه أختاما وكان نقش خاتم معاوية " لكل عمل ثواب" وقيل "لا قوة إلا بالله"[٣١٧].

وقد جمع معاوية ديوان الجند والخاتم لرجل واحد وهو عبيد الله بن أوس الغساني[٣١٨]، وكانت الخلفاء من الصحابة تتختم باليمين فجعل ذلك معاوية بن أبي سفيان في اليسار وأخذ الأمويون في ذلك إلى أن نقله السفاح العباسي في اليمين فبقى إلى أيام الرشيد وأخذ الناس في ذلك[٣١٩].

فمعاوية بن أبي سفيان أحدث تطورات في المؤسسات الإدارية فاتخذ ديوان الخاتم. وقلده عبد الله بن محمد الحميري، وكان قاضيا[٣٢٠].

---

(٣١٥) ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٧، ابن خلدون، ج١، ص٤٧٠.

(٣١٦) ابن خلدون، ج١، ص٤٧١. منير العجلاني، عبقرية الإسلام، ص٣٥٣-٣٥٤.

(٣١٧) المسعودي، التنبيه، ص٢٦٢ النويري، نهاية ، ج٢، ص٣٧٥. القلقشندي، صبح، ج٦، ص٣٥٤.

(٣١٨) خليفة، تاريخ، ص٢١٨-٢١٩. الكندي، ص٣٠٣. الصولي ، ص١٤٣. أبو هلال العسكري، ص٨٠.

(٣١٩) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج٢، ص٦٧، نوفل الطرابلسي، صناجة الطرب في تقدمات العرب، ص١٧٣.

(٣٢٠) الجهشياري، ص٥.

ولم يقتصر حفظ النسخ الإدارية، وختم الأوامر قبل إصدارها على الحكومة المركزية وحدها وإنما اتبع الولاة الطريقة: إذ كانت رسائل الحجاج تختم بخاتم الأمير، ويحتفظ بنسخ منها منعا للتلاعب والتزويد إذ اتبع مثل هذا الإجراء زمن زياد بن أبيه[٣٢٢].

فكان الغرض الأساسي من هذا الديوان الاحتفاظ بأسرار المكاتبات الصادرة عن مقر الخلافة إلى الجهات المختلفة وعدم التغيير أو التلاعب في تلك المكاتبات.

وكان لكل خليفة من خلفاء بني أمية نقش خاص لخاتمه، فكان نقش خاتم يزيد بن معاوية" ربنا الله"[٣٢٣]، ونقش خاتم معاوية بن يزيد بن معاوية " الدنيا غرور"[٣٢٤]، ونقش خاتم مروان بن الحكم " الله ثقتي ورجائي"[٣٢٥]، وقيل "العزة لله" وقيل ": أمنت بالله"[٣٢٦]. ونقش خاتم عبد الملك بن مروان "آمنت به مخلصا"[٣٢٧]، ونقش الوليد بن عبد الملك " يا وليد أنك ميت"[٣٢٨]، ونقش سليمان عبد الملك "آمنت بالله"[٣٢٩]

ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز "لكل عمل ثواب" وقيل " عمر يؤمن بالله[٣٣٠]، ونقش خاتم يزيد بن عبد الملك " قنى الحساب "وقيل " قني السيئات يا عزيز"[٣٣١]، ونقش خاتم هشام بن عبد الملك " الحكم للحكيم"[٣٣٢]، ونقش خاتم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، يا وليد احذر الموت" [٣٣٣]ونقش خاتم يزيد بن الوليد " العظمة لله" وقيل يا يزيد قم بالحق[٣٣٤]. ونقش خاتم إبراهيم بن الوليد " توكلت على الحي القيوم" [٣٣٥]، ونقش خاتم

---

[٣٢٢] اليعقوبي، تاريح، ج٢، ص٢٢٢.

[٣٢٣] الطري، ح١، ص١٨١

[٣٢٤] المسعودي، التبيه، ص٢٦٥، الويري، ج٢٠، ص٤٩٨، ابن الكازروني، ص٨٤.

[٣٢٥] النويري، ج٢١، ص٩٧، ابن الكازروني، ص٨٨.

[٣٢٦] المسعودي، التبيه، ص٢٦٩.

[٣٢٧] المسعودي، التبيه، ص٢٧٣، النويري، ح٢١، ص٢٨٠، ابى الكازروني، ص٩٠.

[٣٢٨] المسعودي، مروج ، ج٣، ص١٥٧، التنيه، ص٢٧٤، النويري، ج١، ص٣٣٦.

[٣٢٩] المسعودي، التبيه، ص٢٧٥، الكازرونى، ص٩٢. الأربلي، حلاصة، ص١٨.

[٣٣٠] المسعودي، التبيه، ص٢٧٦، العيون والحدائق، مؤلف مجهول، ح٣، ص٨١.

[٣٣١] المسعودي، التبه، ص٢٧٧، الويري، نهاية، ج١، ص٤٠١.

[٣٣٢] المسعودي، التبيه، ص٢٧٩، النويري، ج٢١، ص٤٦١.

[٣٣٣] النويري، ج٢١، ص ٤٨٧، الكازروني، مختصر، ص٧٦، الأربلي، ص٤٤.

[٣٣٤] النويري، ج٢١، ص٥٠٤، الكارروني، ص١٠٣.

[٣٣٥] النويري، ج٢١، ص٥٠٧، الكارروني، ص١٠٤.

مروان بن محمد " أذكر الموت يا غافل(٣٣٦)، وكان هناك شخص مسؤول على خاتم الخليفة وعن الديوان، فقد تقدم عبد الملك إلى حجابه وأمرهم أن يدخل عليه قبيصة بن ذؤيب أي ساعة جاء، فكان يدخل عليه والخاتم إليه، وكانت السكة إليه(٣٣٧)، ومات قبيصة بن ذؤيب كاتب عبد الملك بن مروان، فولى مكانه عمرو بن الحارث الفهمي مولى بني عامر بن لؤي، فمات عمرو، فقلد جناحا مولاه ديوان الخاتم. واقتصر على باقي كتابه(٣٣٨). وبلغ ديوان الخاتم أوج نشاطه زمن الخليفة عبد الملك بن مروان حتى صار إدارة منظمة أشبه بدار الوثائق والسجلات والمخطوطات للدولة وولاياتها.

وكان على ديوان الخاتم للوليد بن عبد الملك شعيب العماني مولاه(٣٣٩). بينما يذكر خليفة بن خياط أنه كان على الخاتم للوليد. عمرو بن محارث مولي عامر بن لؤي. فمات فدفعه إلى جناح مولاه(٣٤٠)، وكان يكتب لسليمان بن عبد الملك على ديوان الخاتم نعيم بن سلامه(٣٤١)، وعلى الخاتم لعمر بن عبد العزيز نعيم بن سلامة أيضا(٣٤٢). فكتب سليمان بن عبد الملك عهده إلى عمر بن عبد العزيز وختمه. ودعا أهل بيته وقال بايعوا لمن قد عهدت في هذا الكتاب(٣٤٣)، وكان على الخاتم والخزائن وبيوت الأموال ليزيد بن عبد الملك مطير مولاه، وقيل حاتم بن مسلم، وعلى الخاتم أسامة بن زيد(٣٤٤). وكان على الخاتم لهشام بن عبد الملك الربيع بن سابور مولى بني الحريش، وعلى الخاتم الصغير والخاصة اصطخر أبو الزبير مولاه(٣٤٥)، وعلى ديوان الخاتم للوليد ابن يزيد بيهس بن زميل (٣٤٦). وكانت يكتب ليزيد بن الوليد على ديوان الخاتم عمرو بن الحارث مولى بني جمح(٣٤٧). وظهر في فترة

---

(٣٣٦) النويري، ج٢١، ص٥٩٨، الكازروني، مختصر، ص١٠٦.

(٣٣٧) الطبري، تاريخ، ح٦، ص٤١٢.

(٣٣٨) الجهشياري، ص٣٨.

(٣٣٩) الطبري، تاريخ، ح٦، ص١٨٠، الجهشياري، ص٤٧

(٣٤٠) حليفة، تاريح، ص٣١٢.

(٣٤١) حليفة ، تاريخ، ص٣١٩، الجهشياري، ص٤٨.

(٣٤٢) حليفة ، تاريخ، ص ٣٢٤.

(٣٤٣) ابن طباطبا، الفخري، ص١٢٩.

(٣٤٤) خليفة، تاريخ، ص٣٣٥، ابن عبد ربه، ح٥، ص١٧٦.

(٣٤٥) الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٤٨، ابن عبد ربه، ج٥، ١٧٩.

(٣٤٦) الجهشياري، الوزراء، ص٦٨.

(٣٤٧) نفس المصدر السابق، ص٦٩.

يزيد بن الوليد شخصان يتولان الخاتم الصغير والخاتم الكبير فكان يتقلد له الخراج والخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن، وكان يتقلد له الخاتم الكبير قطن مولاه [٣٤٨]، وكتب لمروان بن محمد على الخاتم الصغير: عبد الأعلى بن ميمون بن مهران وعلى خاتم الخلافة مولي له[٣٤٩]، من هذا النص يتضح أنه هناك ديوان خاص يخص كاتب الديوان، وديوان الخلافة يخص الخليفة والدولة، وأن هناك أكثر من كاتب على ديوان الخاتم كتب لأكثر من خليفة، لأن بني أمية لا تولي ديوان الخاتم إلا أوثق الناس عندها[٣٥٠].

كان أغلب هؤلاء الرؤساء من العرب: من قبائل مختلفة: من قبيلة خزاعة، ومن غسان، ومن بني عذرة، ومن كندة، ومن اليمن، ومن بني حمير. أما البعض الأخر فهم من الموالي، وهم أما موالي أشخاص، أو موالي قبائل، أو موالي خلفاء.

وقد تقلد بعضهم الرسائل والخاتم، وهذا يدل على الدور المهم الذي يقوم به ديوان الخاتم في الأشراف على الكتب التي تصدر عن ديوان الرسائل، والتي تمر بديوان الخاتم لكي يثبت ختم الخليفة عليها[٣٥١].

أما في عهود الخلفاء المتأخرين، فإن بعض رؤوساء هذا الديوان شغل إلى جانب الخاتم_ وظائف أخرى.. كالحجابة والحرس.وقد شغل الديوان لأكثر من خليفة اثنان هما: جناح الذي شغله لعبد الملك، ولابنه الوليد الأول. ونعيم بن سلامة الذي تقلده لسليمان ولعمر الثاني.

لقد أصبح الديوان بمثابة سجل للكتب الصادرة، وصارت الدولة تعتمد عليه لتدقيق الأوامر، والمراسلات التي تتعلق بالصرف والحسابات بين مقر الخلافة، والأقاليم الإسلامية الأخرى. ومن المرجح أيضا أنه كان يقوم في الإشراف وتدقيق أعمال الدواوين الأخرى، وبيان الأخطاء التي تقع بها[٣٥٢].

---

[٣٤٨] خليفة، تاريخ ، ص٣٧١، ابن عبد ربه، ج٥، ص١٩٤، الجهشياري، ص٦٩

[٣٤٩] خليفة، تاريخ، ص٤٨. ابن عبد ربه، ج٥، ص١٩٩.

[٣٥٠] الصولي، أدب الكتاب، ص١٤١.

[٣٥١] أنظر: قدامه، الخراج، ص١، الجهشياري، ص١٧٨.

[٣٥٢] أنظر: البلاذري، أنساب، ج٤، ق٢، ص٨١.

وقد زادت أهميته في أواخر الدولة الأموية، فبعد خلافة يزيد بن عبد الملك أصبحنا نجد ذكرا لديوانين، أحدهما الخاتم الكبير، الذي يرجح أن يكون اختصاصه متعلقا بمراسلات الدولة، والثاني الخاتم الصغير الذي تتعلق أعماله بمراسلات الخليفة الخاصة.

وأصبح هناك عدة أختام لعدة وجوه فهناك أختام خاصة بشؤون جباية أموال الدولة وتوزيعها، سجلت على بعضها أسماء الخلفاء وتاريخ الختم، ونقش على بعضها نوع المال المجبي كجباية أموال الجزية نقشت على الختم كلمة جزية وتنص هذه الكتابة على جزية سنة تسعين هجرية دفعت في أيام قرة بن شريك والي مصر سنة (٩٠-٩٦هـ)[٣٥٣]، وهناك أمر خاص موجه إلى دافعي الضرائب مؤرخ سنة ١٠٣هـ. فقد طويت ورقة البردى طيا موازيا للأسطر من أسفل إلى أعلى وتحمل الطية الأولى غير المفتوحة خاتما من الطين بيضاوي الشكل يظن أنه خاتم كاتب النص[٣٥٤]، وهناك رخص بالسماح لشخص بترك قريته والذهاب إلى قرية أخرى سنة ١١٢هـ، وبالهامش السفلى لهذه الأوراق غير الملفوف الذي طوى موازيا للأسطر، خاتم من الطين يحمل اسم الكاتب وشعاره بأحرف قريبة الشبه بالخط الكوفي[٣٥٥].

من هذه النصوص يتضح أن ديوان الخاتم أصبح مرتبطا ارتباطا وثيقا بالدواوين الأخرى، ونستطيع أن نقول أن ديوان الخاتم في العصر الأموي بمثابة الصادر والوارد لتثبيت وتسجيل الكتب في الوقت الحاضر. فأصبح هذا الديوان يعمل على تصريف الشؤون المعروضة على الخليفة، واعتبر هذا الديوان في العهد الأموي من الدواوين الهامة لأنه استمر إلى أواسط الدولة العباسية[٣٥٦].

ومما يشير إلى أهميته أن كل أمر من الخليفة بمنح مال أو اقطاع يدور في الدواوين حتى ينتهي أخيراً إلى ديوان الخاتم، وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر لعنبسه بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار، فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الخاتم، فلم يبق

---

[٣٥٣] أسامة النقشبندي، الأختام، ص١٤-١٥.

[٣٥٤] أدولف جروهمان، أوراق، ج٣، ص١١٥.

[٣٥٥] ادولف جروهمان، أوراق، ج٣، ص١١٨.

[٣٥٦] ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٧.

إلا قبضها، فتوفي سليمان قبل أن يقبضها، فرفض عمر بن عبد العزيز أن يدفعها له، وقال: "عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين وادفعها إلى رجل واحد"[٣٥٧].

ديوان البريد-

كان البريد معروفا عند ملوك العرب في الجاهلية [٣٥٨]، ورغم أن المصادر لا تذكر شيئا عن وجود البريد زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، إلا أننا لا نشك بأنه عرف شبيه به في ذلك الوقت.

وجاء في المصادر التاريخية إرسال الكتب من قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى من جاوره من الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام وكتب إليهم كتبا فقيل يا رسول الله: أن الملوك لا يقرأون كتابا إلا مختوماً فاتخذ رسول الله يؤمئذ خاتما من فضة وختم به الكتب، فخرج ستة نفر في يوم واحد وذلك سنة سبع من الهجرة [٣٥٩]

من هذا النص يتضح لنا أن (الشخص أو الرسول) الذي بعثه النبي هنا بمعنى البريد، فهؤلاء الرسل عملوا على توصيل الكتب إلى أصحابها مثلما يعمل البريد عند الفرس. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى امرائه أن لا يبردوا بريدا إلا حسن الوجه حسن الاسم [٣٦٠]، من هنا نلاحظ أن معنى (الرسول) زمن النبي صلى الله عليه وسلم هو البريد أو الشخص المرسل لإيصال كتاب لشخص ما. فالرسل الذين بعثهم الرسول إلى الملوك هم صفوة من الرجال، والبريديون لهم فيها أسوة وقدوة يجدر التشبه بهم والتخلق بخلقهم فقد أدوا رسالة البريديين على أتم وجه.

فكانت مدته عليه السلام بالرغم من قصرها لم تخل من ترتيب البريد ترتيبا يعطي رسله ورسائله مقاما ساميا بين بقية العمال، فسعاته وكتبه قامت بدور خطير في سبيل دعوته، فمنذ اللحظة الأولى التي غادر فيها الرسول مكة بصحبة أبي بكر الصديق مهاجرا

---

[٣٥٧] ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٦.

[٣٥٨] أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٤٠.

[٣٥٩] أنظر أسماء الرسل الذين بعثهم، وأسماء الملوك الذي بعث لهم الرسائل في ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٢٥٨-٢٦٢، ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٨٧-١٨٨. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٦٦-٦٨، المقريزي، امتاع، ج١، ص٣٠٧-٣٠٨.

[٣٦٠] ابن عبد ربه، ج٢، ص١٣٨، ابن منظور، لسان، ج٣، ص٨٦.

إلى يثرب اتخذ عبد الله بن أبي بكر رسولا يأتيهما بأخبار قريش يوما بيوم [٣٦١] ، من هذا يتضح لنا أن عبد الله كان أول ساع للبريد في تاريخ الإسلام، وقام بدور الرسول بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين نقل أخبار قريش إليهما. فإذن البريد استعمل قبل خلافة معاوية لكنه لم يكن بنفس الأغراض التي خدمها في خلافة معاوية.

وكانت وظيفة البريد أولى الوظائف الإدارية التي لا قت اهتماما كبيرا من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم. فلما رتب حكومته كان وظيفة البريد قد اتسعت فشملت الجاسوسية واتخذ من مكة نفسها عينا يكتب بأخبار قريش إليه وهذا العين هو العباس بن عبد المطلب، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله فكتب إليه مرة "أن مقامك بمكة خير" [٣٦٢] ، فلاشك بوجود اختصاصات ديوان البريد في الدولة الإسلامية قبل الديوان نفسه.

أما في عصر الخلفاء الراشدين حيث توسعت الدولة الإسلامية توسعا كبيرا وضمت مناطق نائية عن مركز الخلافة ولا بد من ربطها بمركز الخلافة لتسهيل تنظيمها الإداري. فعمد عمر بن الخطاب إلى إنشاء الدواوين ولم يغفل عن تنظيم البريد وتحسينه وقد ذكر المؤرخون ومنهم الطبري أن المسلمين بينما كانوا يقاتلون الروم في موقعة اليرموك جاء البريد يحمل وفاة أبو بكر وتوليه عمر بن الخطاب وعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجند وتولية أبي عبيدة عامر بن الجراح مكانه[٣٦٣]، فيرجع الفضل لعمر بن الخطاب في تحسين نظام البريد، ذلك أن عمر قد حدد ساعات معينة في أيام معينة لخروج البريد من المدينة إلى ميادين القتال، فإذا قدم الرسول عليه (البريد) من بعض الثغور تبعه بنفسه إلى منازل المقاتلين فيعطي نساءهم كتبهم ويقول لهن أزواجكن في سبيل الله وانتن في بلاد رسول الله، إذا كان عندكن من يقرأ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن ثم يقول لهن الرسول (البريد) يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن [٣٦٤] .

---

[٣٦١] الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٧٦.
[٣٦٢] الكتاني، التراتيب، ج١، ص٣٣٦.
[٣٦٣] الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٩٨.
[٣٦٤] محمد كرد علي، الإدارة الإسلامية، ص٣٠.

وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب على التقيد بمواعيد سفر البريد وطبقا لهذا كتب إلى عماله في الأقاليم والولايات والأجناد أن يأمرهم بالإعلان للناس عن مواعيد خروج البريد إلى المدينة، كي يكتب من يشاء إليه، من ذلك أنه كتب إلى عامله بالبصرة كتابا لمكتب الرسول عنده يقول فيه " يا فاتح نادي مناديه أن بريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجة فليكتب، فكتب نصر بن حجاج وكان أمير المؤمنين قد ابعده عن المدينة إلى البصرة كتابا دسه له صاحب المكتب إلى أمير المؤمنين" [٣٦٥].

وهذا الخبر فيه دلالة على إنشاء مراكز للبريد في مراكز الولايات والأقاليم، ويؤيد ذلك تعميم المراكز البريدية بالحواضر الأخرى.

فالكوفة مثلا كان بها دار مخصصة للبريد كانت تنزل إليها الرسل[٣٦٦]، من هنا يتبين لنا أن البريد زمن الخليفة عمر بن الخطاب أدى خدمات للدولة الإسلامية وللمسلمين أيضا[٣٦٧].

من هنا يتضح لنا أن البريد أدى خدمة كبيرة في نقل الأخبار وفي الرقابة وأحيانا نقل الرسائل الخاصة ببعض الناس، فالبريد لعب دور الرقابة وأصبح لعمر عيون على الناس عجيبة[٣٦٨].

واستعمل العرب المسلمون النار في الإشارات لنقل الرسائل والأخبار، فكتب عمر بن الخطاب لمعاوية بن أبي سفيان في الشام في إقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها [٣٦٩].

وخطى عثمان بن عفان على الطريق الذي سلكه الخليفة عمر بن الخطاب في نظام البريد. فعثمان بن عفان كان يجمع الأخبار من الناس أثناء أوقات الصلاة في المساجد،

---

[٣٦٥] الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٩٢.
[٣٦٦] الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٩٢.
[٣٦٧] وردت بعض الأمثلة عن الخدمات التي قدمها البريد للمسلمين والدولة في: الطبري، ج٤، ص٢٦-٦٧، ابن كثير، البداية، ج٧، ص٨٠، ١١١، ج٨، ص١١٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٩٦.
[٣٦٨] الكتاني، التراتيب، ج١، ص٣٦٣.
[٣٦٩] [٣٨٥] البلاذري، فتوح، ص١٣٤.

فيذكر أنه كان يحدث الناس والمؤذن يؤذن يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار وكان يفعل هذا يوم الجمعة على وجه الخصوص[٣٧٠].

بعد الخلافة الراشدة قامت الدولة الأموية واتخذت دمشق عاصمة لها وكان أول خليفة هو معاوية بن أبي سفيان الذي انشأ عدة دواوين جديدة وترتيبات إدارية عديدة فهو أول من وضع ديوان البريد في الإسلام [٣٧١]، وكان نظام البريد نظاماً معروفا في الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية [٣٧٢]، ولعل معاوية أول من رتبه على طرق ومناهج مخصوصة، ورتب له الميل والمحطات[٣٧٣]، فعندما استقرت الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان قرر وضع البريد لتسرع إليه أخبار البلاد من جميع أطرافها. وأمر بإحضار رجال من دهاقنة الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[٣٧٤] . واتخذوا بغالا بأكف كان عليها سفر البريد، وكان لا يجهز عليه إلا الخليفة أو صاحب الخبر لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها [٣٧٥].

فأدخل معاوية ديوان البريد هذا كي يخدم أغراضا متعددة أهمها كونه جهاز رقابة دائم على الولاة والعمال، بالإضافة إلى كونه وسيلة لوصول أخبار الولايات إلى دمشق. ونقل الأموال من الولايات إلى المراكز وجاء في الفخري " ومن جملة الأشياء وصفهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الأموال وسرعة وصول الأخبار متجددات الأحوال" [٣٧٦]

ولما كانت مهمة البريد الأولى وصول الأخبار بسرعة كانت أهم معالمه إنشاء محطات للبريد[٣٧٧]، تصل المركز بكل الولايات المرتبطة به، إذ أن الدولة الإسلامية في عهد خلفاء بني أمية انقسمت إلى ولايات ارتبط بعضها بالمركز مباشرة، وارتبط القسم الآخر بأمراء تلك الولايات، فمعاوية مثلا جمع لزياد الكوفة والبصرة [٣٧٨] ، فكان للرقابة الإدارية دورا كبيرا

---

[٣٧٠] الكتاني، التراتيب، ج١، ص٣٦٥.

[٣٧١] ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٣. ابو الفداء، المختصر، ج١، ص١٨٩، القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٦٧.

[٣٧٢] The Encyclopaedis of Islam, New Edition Vol. I. Leiden 1960, p. 1045.

[٣٧٣] الكتاني، التراتيب، ج١، ص٩٢.

[٣٧٤] القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٦٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١٩.

[٣٧٥] محمد كرد على ، الإدارة الإسلامية، ص٧٨.

[٣٧٦] ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٦.

[٣٧٧] ابن منظور ، لسان العرب، ج٣، ص٨٦.

[٣٧٨] الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٣٤. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص١٨٥.

ومهما في نجاح معاوية كشخصية إدارية من خلال إنشاءه ديوان البريد، ونستطيع أن نلمس ذلك من قول ينسب إلى المغيرة بن شعبة حين قال: احب الإمارة لثلاث: احبها لرفع الأولياء ووضع الأعداد، واسترخاص الأشياء، وأكرهها لروعة البريد وموت العزل وشماتة الأعداء"[٣٧٩]، فيلاحظ أن للبريد دورا كبير في إشعار الولاة والعمال بأنهم تحت سمع وبصر الخليفة، رغم البعد المكاني بين المركز والولايات.

وتمتع البريد في عهد معاوية بعدة صفات منها: سرعة وصول الأخبار بالإضافة إلى التكتم والسرعة على هذه الأخبار، واستعملت في البريد الخيل والبغال، وكانت له محطات منتشرة على الطرق وتبعد الواحدة عن الأخرى مسافة أثنى عشر ميلا [٣٨٠].

ولم يكن البريد في عهد بني أمية نظاما يستفيد منه الناس كما هو في الوقت الحاضر، وإنما كان نظاما رسميا حكوميا، وقد استعمل الخلفاء نظام البريد في أول الأمر لنقل الأخبار بسرعة من مقر خلافتهم إلى الولايات المختلفة ولتلقى الأخبار ولكن ليس معنى هذا أن البريد كان ينقل المراسلات بين الولاة والعمال من جهة والخلفاء من جهة أخرى وإنما كان باستطاعة أي فرد من أفراد المسلمين أن يرسل إلى الخليفة ما يريده عن طريق بريده. وكان عامل معاوية بن أبي سفيان على المدينة إذا أراد أن يبرد بريدا إلى معاوية أمر مناديه فنادى: "من له حاجة فليكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب أيمن بن خزيم كتابا لطيفا ورمى به في الكتب المرسلة"[٣٨١]. وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فأخذ يخبره حتى انتهى الحديث إلى عبد الرحمن بن سمحان بن أرطاة فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين[٣٨٢]، هذا يدل من تلك النصوص على خدمة البريد للناس عامة ونقل أخبارهم مع الوالي للخليفة.

---

[٣٧٩] ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٥٩.

[٣٨٠] ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٦، الجاحظ، رسائل، ج، ص٢٧٢.

[٣٨١] الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٣٥.

[٣٨٢] الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٢١٢.

وكثيرا ما كان خلفاء بني أمية يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس إلى الخليفة أو الأمير التماسا لسرعة قدومهم خصوصا هؤلاء الذين تحدثهم أنفسهم بالخروج على طاعة السلطان ([٣٨٣]).

ولما توفي معاوية بن أبي سفيان خرج إلى ابنه يزيد بريدا بكتاب يستقدمه، فخرج مسرعا، فتلقاه يزيد فأخبره بموت معاوية فقال يزيد:-

جاء البريد بقرطاس يخب به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا([٣٨٤])

فالبريد قام بأكثر من مهمة زمن الدولة الأموية فبالإضافة إلى نقل الأخبار أصبح يقوم مقام جهاز الاستخبارات وجلب الناس إلى المركز من الولايات . وبالعكس فأصبح يقوم بعدة أعمال في آن واحد ضمن اختصاص ديوان واحد ([٣٨٥]) .

وكانت هناك زمن الخليفة يزيد بن معاوية مواعيد محددة لانطلاق البريد من منطقة لأخرى فذكر الطبري " أنه لما قتل الحسين بن علي جاء البريد إلى القوم الذين في السجن بكتاب " وفيه خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية وهو سائر كذا وكذا يوما، وراجع في كذا وكذا"([٣٨٦])، فهناك كان ترتيب لأوقات سير البريد ومقدار المدة التي يسير بها البريد حتى يصل الخليفة.

وكتب الحجاج ليزيد بن المهلب بحمل كاتبه على دواب البريد يحيى بن يعمر([٣٨٧])، فأصبح لدواب البريد مكانة ممتازة لأنها من النوع السريع وعلى أهبة الاستعداد للسفر، وأن أماكن راحتها مزودة بالبدل والعلف والماء. فأصبح ديوان البريد يقوم بتنظيم الاتصالات وضروب التنقل بين العاصمة وأجزاء الدولة، ولنقل الأخبار الدينية والسياسية والإدارية من ولاية لأخرى.

([٣٨٣]) المسعودي، مروج، ج٣، ص١٤٠.

([٣٨٤]) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص١١٥.

([٣٨٥]) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٦. المسعودي، مروج، ج٣، ص١٩٧. الأصفهاني الأغاني، ج٦، ص٦٣-٧٥. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٧٢.

([٣٨٦]) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٦٣.

([٣٨٧]) الجهشياري، ص٤١. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٧٢. المسعودي، مروج، ج٣، ص١٩٧. الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٧٥. صبحي الصالح، النظم ، ص٣١٥.

وأصبح في عاصمة كل ولاية صاحب بريد مهمته الأشراف على مؤسسة البريد، ولم يكن عمله يقتصر على الأشراف على إرسال البريد فحسب بل يتعداه إلى إطلاع الخليفة على جميع الأحداث المهمة، وكان صاحب البريد في الواقع معتمدا سريا للحكومة المركزية، وكان يقدم بصورة تقارير سرية عن أحوال الإمارة وسير الإدارة وحالة الفلاحين والزراعة، وتصرفات السلطات المحلية وحالة النقد وكمية الذهب والفضة المسكوكة وكان عليه أن يكون حاضرا وقت دفع المرتبات للجند(٣٨٨) وأصبح من جملة أعمال صاحب البريد حفظ الطريق وصيانتها من القطاع وانسلال الجواسيس من البحر والبر وإليه ترد كتب أصحاب الثغور وولاة الأطراف وهو يوصلها في أسرع ما يمكن، وينظر في حال القبائل والعشائر ومن فيهم على الطاعة والمناصحة(٣٨٩)، وفي فترة متأخرة أصبح من مهام صاحب البريد أن يعرف حال عمال الخراج والضياع فيما يجرى عليه أمرهم وأمره أن يعرف حال البلاد وعمارتها، وما هي من الكمال والاختلال(٣٩٠).

وبلغ نظام البريد مرحلة متقدمة في عهد عبد الملك بن مروان وقدم هذا النظام مساعدات قيمة في ضبط شؤون الدولة العربية الإسلامية وإدارتها(٣٩١).

وللدلالة على أهمية البريد والوظيفة التي كان يقوم بها، فقد كان عبد الملك ابن مروان يمنع حاجبه من الوقوف في سبيل حامل البريد، إذا أراد الدخول إليه كسبا للوقت، ولا سيما في الحالات الطارئة وأيام الحروب وأثناء قيام الثورات المضادة للحكم المركزي(٣٩٢)، وقد استفاد كثير من الولاة في إيجاد اتصال سريع ومنتظم بين أجزاء ولاياتهم المترامية الأطراف حيث كانت تصل إليهم أولا بأول أخبار عمالهم واحتياجاتهم، ويبعث إليهم الولاة بالتعليمات والمعونات اللازمة. وأن عبد الرحمن بن الأشعث لما غزا سجستان

---

(٣٨٨) أبو يوسف، الخراج، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٣٨٩) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٨٥.

(٣٩٠) قدامه، الخراج، ص٥٠-٥١.

(٣٩١) Encyclopaedis of Islam New Edition Vol. I.P. 1045.

(٣٩٢) المبرد، الكامل، ج١، ص٣٠٠. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٥٤. الطرطوشي سراج الملوك، ص١١٥. ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٣٨٩ القلقشندي، صبح، ج١، ص١١٤.

فكان لا يفتح حصنا ولا يجاوز عمرانا إلا خلف فيه قائداً ونظم المراسلات بالبريد بين البلاد[٣٩٣].

وأن عبد الملك أمر بصنع الأميال وهي مسح الأراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل وبعمارة أربعة طرق تخرج من أيليا ومن دمشق[٣٩٤]، وتحدثنا المصادر أن الحجاج كل يساوره قلق شديد إذا تأخر عنه بريد عماله وقادته أو انقطعت رسائلهم عنه بسبب أو لأخر[٣٩٥]، وفي زمن عبد الملك بن مروان تقدم نظام البريد فلم يعد نظاما يعتمد على طريقة تبادل الخيل في المحطات البريدية قط ولنقل الرسائل بل أصبح نظاما يستفاد منه في الحالات العسكرية والحربية وحالات الطوارئ فقد كان البريد يستخدم في نقل القوات العسكرية وعلى وجه السرعة ففي ثورة ابن الأشعث جهز عبد الملك الجند على البريد حيث كانت تستطيع أن تحمل ما بين خمسين ومائة رجل في الرحلة الواحدة[٣٩٦]، وفي سنة ٧٧هـ كتب البراء بمن قبيصة، وهو عامل الحجاج على أصبهان يطلب منه جيشا فلما قرأ كتابه، جعل الحجاج بن يوسف يسرح إلى البراء بن قبيعة الرجال على دواب البريد عشرين عشرين وخمسة عشر وعشرة وعشرة حتى سرح إليه نحو من خمسمائة وكان في ألفين[٣٩٧].

من هذه النصوص يتضح أنه أثناء الحروب تنظم برد حربية خاصة من دواب البريد لنقل الجيوش والامدادات بالإضافة إلى المهمة الرئيسية الأولى لديوان البريد وهي نقل الأخبار والرسائل بين العاصمة والولايات أو بين الولايات. فالظاهر أنه كان ينقل بعض الحاجات والمواد الخاصة بالدولة، فالوليد بن عبد الملك استخدمه لنقل الفسيفساء عليه من القسطنطينية إلى دمشق حتى صفح منه حيطان المسجد الجامع بها ومساجد مكة والمدينة والقدس[٣٩٨]، وبهذا يكون البريد قد استخدم في أمور الدين والدنيا.

---

(٣٩٣) فلهارون، الدولة العربية، ص٢٢٤.

(٣٩٤) سيدة كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص٢٦.

(٣٩٥) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٣٠.

(٣٩٦) النويري، نهاية ، ج٢١، ص٢٣٦.

(٣٩٧) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٩٤.

(٣٩٨) القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٦٨ Ency. Isl. Vol. p. 1045.

وأن الوليد بن عبد الملك وضع المنار في الطرقات من أجل تحسين الطرق والبريد[(399)].

وحمل البريد أيضا الثلج إلى الحجاج بن يوسف في العراق وقد حمل الثلج على البريد بواسطة الهجن والسفن إلى ملوك مصر[(400)]، أما في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز فقد لعب دورا أساسيا ورئيسيا في الدولة الإسلامية، فكان بريد الخليفة عمر بن العزيز يأخذ أي كتاب من أي شخص ينقله لأية ولاية[(401)]. فكانت الرسائل الخاصة تنقل مع بريد الحكومة وتسلم إلى أصحابها غير أنه من العسير القول ما إذا كان هؤلاء يدفعون أجورا لقاء هذه الخدمة [(402)]، وكان لصاحب البريد أيضا مهمة مراقبة أحوال الناس فيروى أنه وفد على عمر بن عبد العزيز بريد من الآفاق فسأله عمر عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين وأهل العهد وكيف سيرة العامل، وكيف الأسعار، وكيف أبناء المهاجرين والأنصار وأبناء السبيل والفقراء وهل أعطى كل ذي حق حقه[(403)]، وبعث أمير الأردن على دواب البريد لعمر بن عبد العزيز بسلتين من الرطب. فقال عمر فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين أخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنها في علف دواب ديوان البريد[(404)]، كذلك حتى نرى أن عمر بن عبد العزيز أضاف إلى نظام البريد عمل جديد وهو بناء خانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية خصوصا بطريق خراسان لينام فيها الناس وأمكنة تقيم فيها دواب البريد من خيل وجمال ، ومياه في الأحواض للشرب[(405)]

وكان لصاحب البريد دور كبير في إيصال وتقديم الأخبار إلى الخليفة عن أحوال الرعية وتجاوزات الولاة والقضاء، فيذكر أبو يوسف أن صاحب البريد بعث إلى عمر بن عبد العزيز "أن في يد قاضي البصرة أرضين كثيرة فيها نخل وشجر ومزارع" [(406)].

---

(399) العيون والحدائق، مؤلف مجهول، ٣٠، ص١٢.

(400) القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٩٥.

(401) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٦.

(402) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص٣٦١.

(403) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٦١.

(404) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٢.

(405) هارتمان، بريد، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣، ص٦٠٩

(406) أبو يوسف، ص٢٠٠.

وطلب صاحب البريد إلى الخليفة أن يكلف ولاته بمحاسبة هذا القاضي وأخذ ما بحوزته من غلات إلى بيت مال المسلمين ، ونتيجة لذلك كتب والي البصرة إلى الخليفة أن ولاته على البريد والأخبار كانت عندهم محاباة، وأنهم ربما مالوا مع العمال على الرعية وستروا أخبارهم وسوء معاملتهم للناس، وينبغي على الخليفة أن يختار الثقافت العدول من أهل كل بلد ومصر فيوليهم البريد والأخبار وعليهم إلا يستروا عن الخليفة خبرا عن رعيته ولا عن ولاته. وإذا لم يكن أصحاب البرد والأخبار في النواحي ثقات عدولا فلا ينبغي أن يقبل له خبر في قاضي ولا وال وعلى أصحاب البريد إلا يحملوا على دواب البريد إلا من يأمر الخليفة بحمله في أمور المسلمين فإنها للمسلمين[٤٠٦].

فيذكر أبو يوسف أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد فحمل مولي له رجلا على البريد بغير إذنه فدعاه فقال : لا تبرح حتى تقومه ثم تجعله في بيت المال " [٤٠٨]. ومن هنا يتبين لنا أن صاحب البريد له اليد الطولى في متابعة أخبار وأحوال الرعية وتظلماتهم من تعديات الولاة والقضاء، وينقل ذلك إلى الخليفة مباشرة ، وفي عهد يوسف بن عمر والي العراق بلغت تكاليف ديوان البريد في هذه الولاية أربعة ملايين[٤٠٩]، من هنا يتبين لنا أنه أصبح لديوان البريد ميزانية خاصة ونفقات لقيام هذا الديوان بأعماله على أكمل وجه.

أما عن عمال البريد الذين اضطلعوا بأمر الإشراف على كبار الموظفين في الحاضرة والمدن المحلية ، فإن صاحب البريد يراقب الولاة ويتجسس على الأعداء، وكانت مهمته توصيل الأخبار إلى الخليفة من ولاة الأقاليم، ثم توسعوا فيه حتى جعلوا صاحبه عينا للخليفة بنقل أوامره إلى ولاته كما ينقل أخبار ولاته إلى على وجه الصحة [٤١٠]، وجاء في أوراق البردي رسالة من قرة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوة" فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن صاحب البريد ذكر لي أنك أخذت قرى في أرضك بالذي عليهم من الجزية ، فإذا جاءك كتبي هذا فلا تعترض أحدا منهم بشئ حتى أحدث إليك فيهم، سنة

---

(٤٠٧) أبو يوسف، ص٢٠١-٢٠٢.

(٤٠٨) أبو يوسف، ص٢٠٢

(٤٠٩) الماوردي، الأحكام، ص١٧٥.

(٤١٠) أدولف جروهمان، أوراق، ج٣، ص٢٨

أحد وتسعين، وكان القاسم بن سيار عامل البريد في قرية منخته" [٤١١]، من تلك النصوص يتضح لنا مدى الدور الذي يلعبه عامل البريد في جميع سياسات الدولة سواء الداخلية أو الخارجية، وأن الخليفة عمر بن عبد العزيز " سمى البريد بجناح المسلمين" [٤١٢].

وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز " الرسول والوكيل يبعثون من العسكر يجرى لهم سهامهم مع المسلمين" [٤١٣].

وكان للبريد أيضا دور في تسليم شارات الخلافة للخليفة الجديد[٤١٤].

وكان قطار البريد يتألف من دابة فأكثر حتى يبلغ في بعض الأحيان أربعين أو خمسين دابة سيما إذا استخدمت في نقل الجنود لاخماد الفتن والثورات في جهة ما بالولايات، كما حصل في ولاية هشام بن عبد الملك، فقد روى ابن خلدون أن قبائل التركمان ببلاد الخرز خرجت عن طاعته، وثارت ضد واليه الجراح الحكمي الذي عجز عن كبح جماحهم فقتلوه، وعاثوا في الأرض فسادا يهلكون الحرث والنسل في طريقهم إلى الموصل. وهال هشام الموقف فتقدم إليه أحد قواده الأفذاذ الذي يشار إليه بالبنان وخاطبه بقوله " فابعثني على أربعين من دواب البريد وأبعث إلي كل يوم أربعين رجلا مدداً، واكتب إلى أمراء الأجناد يواسوني" [٤١٥]، فالفضل في نجاح مهمة قائد هشام بن عبد الملك يعود إلى ديوان البريد وعماله ودوابه الذين أسعفوه في نقل الجنود والمدد على جناح السرعة.

ولعل الأبل كانت أول الوسائل التي استخدمها العرب لنقل البريد، ثم استبدلوها بالبغال ثم بالخيل لسرعتها، وكان لكل سفر بريد يتولى قيادة المسافرين وميل العرب للتنقل بالأسفار كان أعظم مساعد على اطراد سير البريد الطويل ما بين البلاد الشاسعة بكل ضبط، وهذه الوظيفة كانت عندهم من الوظائف العالية التي لا يوليها إلا الخليفة نفسه ولا يتولاها إلا ذو الأهلية[٤١٦].

---

[٤١١] أدرلف جروهمان، أوراق، ج٣، ص٢٧-٢٨

[٤١٢] ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٧٤.

[٤١٣] ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٥٦.

[٤١٤] الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٥. العيون والحدائق، مؤلف مجهول، ج٣، ص٨٢.

[٤١٥] الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٠، خليفة، تاريخ، ص٣٤٢.

[٤١٦] الكتاني، التراتيب الإدارية، ج١، ص١٩٣.

ونقول أن ديوان البريد استطاع أن يحقق ويلبي رغبة الخلفاء في استتباب الأمن وضبط الإدارة الحكومية في ربوع الدولة الإسلامية والإشراف الدقيق على جميع العمال سواء منهم من كان بأقصى المشرق أو المغرب، ولولا قيام نظام البريد ما استطاع الخليفة بسبب اتساع رقعة الدولة وبطء المواصلات وقتذاك أن يهيمن بقوته على العالم الإسلامي

والراجح أن الأمويين لم يعينوا على البريد إلا الأشخاص المقربين إليهم. والذين يثقون بهم، نظرا لأهميته.

أما عن علاقة البريد بتحبيد الطرق فإغلب الظن أنه كان يعمل على تحسينها. لكي يسهل تنقل دواب البريد بين الأجناد، وبين الأقاليم الإسلامية.

وكانت أهم وسائط النقل: البغال. والخيل[٤١٧].

أن البريد مهم، فالدولة لا تستغني عنه في حالات السلم. وحالات الحرب. والراجح أن موظف البريد كان من أهم أعوان الخليفة، غير أن المصادر أهملت ذكر أسماء من أسندت إليهم هذه المهنة، فليس لدينا إلا نص واحد أورده ابن القيم الجوزية يقول فيه: "أن نصر بن ذبيان، والكميت كانا على البريد في أيام معاوية الأول، واستخدمهما في نقل الأخبار بين الشام والحجاز"[٤١٨].

يمارس ديوان البريد وظائفه بواسطة عدد من العاملين فيه، ولكل منهم اختصاصه.

يرأس الديوان صاحب البريد، ويشرف على إدارته، ويتم تعيينه من قبل الخليفة. وكان الخليفة يعنى عناية عظيمة باختياره، فكان لابد من توافر صفات معينة، وعلى رأسها الأخلاق الجيدة، وتحرى الصدق. فيرى قدامة بن جعفر في صاحب البريد " أن يكون ثقة. أما في نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح، وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ"[٤١٩].

وكانت العلاقة مباشرة بين لخليفة وصاحب الديوان، فكان صاحب البريد ينقل ما يجرى للخليفة دون أن يحجمه أحد، وتظهر أهمية فيما قاله المنصور: "ما كان أحوجني

---

[٤١٧] العيون والحدائق، ج٣، ص٨٢.

[٤١٨] ابن القيم الجورية، أخبار النساء، ص١٦.

[٤١٩] الطبري، ج٨، ص٦٧، قدامة بن جعفر، الخراج، ص٧٧، ابن اطيفور، تاريخ، ص٣٥، السامرائي، المؤسسات، ص٢٦٨.

إلى أن يكون على بابي أربعة نفر، لا يكون على بابي أعف منـهم، هـم أركـان الملك ، ولا يصلح الملك إلا بهم.. أما أحدهم فقاض .. والآخر صاحب شرطة.. والثالث صاحب خراج.. والرابع ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات، يقول في كل مرة آه، أه قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد، يكتب بخير هؤلاء على الصحة" (٤٢٠).

كان من مهام صاحب البريد تتبع كل ما يجري في بـلاد الخلافـة، حتـى ينفـذه إلى الخليفة، فهو الذي يعينه الخليفة رقيبا على أكابر رجاله في العاصمة، وعلى عمال الأطراف في مختلف أرجاء الدولة. وعليه أن يوصل الخبر بأسرع السبل وأعجلها، وهو ملزم بأن ينقل كل ما يرى ويسمع، خيرا كان أم شراً، فـأصبح صـاحب ديـوان الـبريد في العاصمـة عـين الخليفة الساهرة على سلامة الأحوال في الدولة(٤٢١).

ومن مهام صاحب البريد إنفاذ ما يصدر عن الخليفة أو الوزيـر إلى العمـال بالأقـاليم، ويتلقى تقارير عمال البريد، ويعرضها أو يعرض خلاصتها على الخليفة. وقد أورد قدامة بن جعفر هذه الاختصاصات في قوله: "يحتاج البريد إلى ديوان يكون مفردا به، وتكـون الكتـب المنفذه من جميع النواحي مقصوداً بها صاحبه، ليكون هو المنفذ لكل شـئ منـها إلى الموضـع المرسوم بالنفوذ إليه، ويتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبـار في جميـع النواحـي علـى الخليفة، أو عمل جوامع لها " (٤٢٢). كما أن على صاحب البريد أن يوعز إلى عمال الـبريد بحفظ الطريق، وصيانتها من القطاع والسراق،والنظر في حال المراكـز ومنـازل الـبريد. وعلـى صاحب البريد أن تكون له معلومات كافية عن الطرق والمسالك إلى جميع النواحـي، بحيـث يجد عنده الخليفة من المعرفة ما يحتاج إليه، عند إنفاذ جيش أو أمـر تدعـو فيـه الظـروف لمعرفة الطرق، فعليه أن يعرف أسماء المواضع والمساقات بالأميال والفراسخ (٤٢٣).

كان صـاحب الـبريد يعتمـد في أخبـاره علـى أعوانـه في الولايـات والأقـاليم، فكـانوا يوافونه بكل جديد، وينوبون عنه في الولايات ويكتبـون إلى الخليفـة بكـل شـيء يجـرى في الولاية، بسعر القمح، وعمل القاضي، وبما يعمل به الوالي، وبما يرد بيت المـال مـن المـال،

---

(٤٢٠) الطبري، تاريخ ، ج٨، ص٦٧، الحسن بن عبد الله، آثار، ص٨٥.
(٤٢١) ابن طيفور، تاريخ ، ص٧، ٣٥، الحسن بن عبد الله ، آثار ، ص٨٣.
(٤٢٢) قدامه بن جعفر، الخراج، ص٧٧.
(٤٢٣) قدامه بن جعفر، الخراج، ص٧٨، الحسن بن عبد الله، آثار، ص٨٥

وكل حدث، وكانوا إذا صلوا المغرب يكتبون إليه مما كان في كل ليلة". فعمال البريد في الولايات يقومون بموافاة المركز بجميع الأخبار الهامة في الولاية وما يدور فيها، وعليهم تتبع أخبار جميع العاملين فيها[٤٢٤]".

وتتضح أهمية ومسؤوليات عمال البريد من نسخة عهد بولاية البريد، أوردها قدامة بن جعفر، فيها يطلب الخليفة من عامل البريد " أن يعرف حال عمال الخراج والضياع، فيما يجرى عليه أمرهم، ويتبع ذلك تتبعا شافيا، ويستشفه استشفافاً بليغا، وينهه على حقه وصدقه.. وأمره أن يتعرف حال عمارة البلاد، وما هو عليه من الكمال والاختلال، وما يجرى في أمور الرعية، فيما يعاملون به من الأنصاف والجوار والرفق والعسف فيكتب به مشروحا، وأن يعرف ما عليه أحوال الحكام في أحكامهم وسيرتهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم، وأن يعرف حال دار الضرب، وما يضرب فيها من العين والورق، وما يلزمه الموردون من الكلف والمؤن، ويكتب بذلك على حقه وصدقه. وأمره أن يوكل بمجلس عرض الأولياء وأعطياتهم من يراعيه، ويطالع ما يجرى فيه، ويكتب بما يقف عليه الحال من وقته وأن يفرد لكل ما يكتب فيه من أصناف الأخبار كتبا بأعيانها، فيفرد أخبار القضاة، وعمال المعاون والأحداث، والخراج والضياع، والأرزاق الأولياء.. كتبا ليجري على كل كتاب في موضعه [٤٢٥].

وكان يفترض في عمال البريد بالنواحي ألا يبلغوا عن أمر إلا بعد تمحيص وتثبت فلا " يكتب إلا بما يصح عنده، ولا يرتاب به"، ويراعى بما ينقله من الأخبار " شيئا يثق بصحته، ولا يدخل شبه في شئ منه". وأن يتأكد من ذلك ويحتاط "ربما يحتاط به من مثله من شهادة فيما يمكن الشهادة فيه وأخذ الخطوط وإقامة الشواهد والدلائل بما يمكن إقامتها عليه" ، وكان عليهم أن يعملوا بإخلاص وبسرعة تامة، فلا يخفوا عن الديوان شيئا يعلمونه، ولا يحابون أحدا بستره" [٤٢٦].

---

[٤٢٤] الطبري، ج٨، ص٩٦.

[٤٢٥] قدامه بن جعفر، الخراج، ص٥٠-٥٢.

[٤٢٦] قدامه بن جعفر، الخراج، ص٥١.

ويبدو أن عمال البريد لم يكونوا بنفس المستوى من الأمانة والإخلاص. وأن فيهم من يحرف الأخبار حسب أهوائهم الشخصية، كما يبدو من كتاب الخراج الذي كتبه أبو يوسف للرشيد، إذ جاء فيه: "بلغنى عن ولاتك على البريد والأخبار في النواحي تخليط كثير ومحاباة فيما يحتاج إلى معرفته من أمور الولاة والرعية وأنهم ربما مالوا مع العمال على الرعية، وستروا أخبارهم وسوء معاملتهم للناس، وربما كتبوا في الولاة والعمال بما لم يفعلوا إذا لم يرضوهم، وهذا ما ينبغي أن تتفقده.." [٤٢٧]

كذلك عمد الخلفاء إلى اتخاذ العيون على عمال البريد زيادة في الحيطة، حتى لا يخفوا عنهم الأخبار[٤٢٨].

أما طريق البريد المتشعبة في مختلف أرجاء الدولة فقد تحدث قدامة بن جعفر عنها، بدأها بالطريق الذي كان يربط العاصمة بمكة وما ولاها من اليمن وغيرها، ثم الطرق المتجهة شرقا، ثم المتجهة غربا [٤٢٩].

وقد قسمت هذه الطرق إلى محطات تسمى السكك، وكل محطة مزودة بدواب البريد المسرجة والمجهزة لنقل الأخبار والخرائط[٤٣٠].

لم تكن أطوال هذه السكك متساوية، بل كانت تختلف أطوالها من منطقة لأخرى. ذكر المقدسي أن طول كل سكة من سكك البريد في العراق اثنا عشر ميلا (أربع فراسخ)، وفي الشام ستة فراسخ، وفي خراسان فرسخان[٤٣١].

بلغت محطات البريد في الدولة بنحو "تسع مائة وثلاثون سكة "، وكان لكل محطة رئيس لملاحظة سير السعاة والخيالة، وكان على هؤلاء الرؤساء أن يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث في الخطوط إلى ديوان البريد[٤٣٢]. استخدمت في البريد الخيل والبغال، والأبل، وخاصة الجمازات في الجهات الصحراوية"[٤٣٣]

---

[٤٢٧] أبو يوسف، الخراج، ص٢٠٢.

[٤٢٨] الحسن بن عبد الله، آثار، ص٨٩.

[٤٢٩] قدامه بن جعفر، الخراج، ص٧٨-١٢٩.

[٤٣٠] القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٧٢.

[٤٣١] المقدسي، أحسن، ص٦٦.

[٤٣٢] ابن خرداذبة، المسالك، ص١٥٣، الكتاني، التراتيب، ج١، ص١٩٣.

[٤٣٣] قدامه بن جعفر، الخراج، ص١٢٥-١٤٨.

٢- الدواوين المختصة بالشؤون المالية:-

أ- ديوان الخراج:

يعتبر ديوان الخراج من أهم الدواوين ويتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر في مشكلاته وهو عماد المالية. وديوان الخراج في البدء كان من الدواوين المحلية التي وجدت في بعض الأمصار التي فتحها المسلمون[١].

وتظهر أهميته الأولى من أنه صار يطلق عليه اسم الديوان[٢]. وهو الذي عرف منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب، إلا أن بعض المشكلات الجديدة طرأت في العصر الأموي. فلم يكن بد من معالجتها بروح جديدة تتلاءم والوضع الاقتصادي والحضاري الجديد[٣]، ويذكر الجهشياري " ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم. وهذا الذي كان عمر بن الخطاب قد رسمه، والآخر لوجوه الأموال بالفارسية. وكان بالشام مثل ذلك أحدهما بالرومية والآخر بالعربية، فجرى الأمر على ذلك إلى أيام عبد الملك بن مروان"[٤].

ولما فتح المسلمون الشام والعراق ومصر اقروا الدواوين على ما كانت عليه من قبل ولم يغيروا فيها شيئا، وظل كتاب الدواوين من أهل البلاد المفتوحة أنفسهم[٥]، والسبب في إبقاء الديوان على مثل ما كان عليه قبل الفتح العربي يعود إلى قلة خبرة العرب الفاتحين بأمور الإدارة، وتفضيلهم في البدء- ترك النظم الإدارية والمالية في البلاد المفتوحة على ما كانت عليه دون تغيير[٦]، إلى أن عربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[٧]. ويعتبر ديوان الخراج أهم الدواوين جميعا، لأنه، يشرف على شؤون الجبايات وجميع القضايا المالية للدولة، ويتولى تسجيل ما يرد وما ينفق من الأموال في الوجوه المختلفة، ويقال لكتابة

---

(١) الجهشياري، الوزراء، ص٢٤، الدوري، النظم، ص١٩٥.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص٣٢، الدوري، النظم، ص١٩٥

(٣) صبحي الصالح، النظم، ص٣١٤.

(٤) الجهشياري، الوزراء، ص٣٩-٤٠..

(٥) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، ص٢٢٢.

(٦) برنارد لويس ، العرب في التاريخ، ص٧٧.

(٧) الماوردي، الأحكام، ص٢٠٢، ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٣٢.

الخراج قلم التصريف، وأول ما دون هذا الديوان في الإسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الإسلام[٨]. ونظرا لأهمية هذا الديوان كان صاحبه يتولى أمره من قبل الخليفة نفسه مباشرة، ولكن النظام اللامركزي الأموي اقتضى منح الأمير الرئاسة العليا على شؤون الخراج في ولايته ووضع هذا الديوان تحت إشرافه المباشر[٩]، وصار بامكان الخلفاء والولاة أن يشرفوا على ديوان الخراج الهام لأنه عماد المالية للدولة حتى أنه يروى عن الحجاج أن بصرة ضعف لكثرة نظره في الدفاتر[١٠]، ونستطيع القول أن ديوان الخراج يعتبر بمنزلة الدائرة المالية في وقتنا الحاضر إذ نظم تنظيما دقيقا، حيث أعدت فيه إيصالات الاستلام والصرف التي كانت تحتفظ في سجلات خاصة بها. وكان الفائض من الولايات يرسل إلى هذا الديوان المركزي، وأن مبالغ كانت تبقى في خزائن الولايات للأغراض المحلية والحوادث الطارئة[١١].

وديوان الخراج أهم الدواوين على الإطلاق باعتباره مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة معا وكان عبد الملك بن مروان يدرك هذه الحقيقة ويقول " الملك لا يصلح إلى بالرجال، والرجال لا يقيمها إلا الأموال ، والأموال لا تجتمع إلا بالتوفير والاحتياط وأداء الأمانة"[١٢]، كما اعتبر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الأموال أحد الأركان الأربعة الضرورية التي تثبت السلطان.[١٣]

والخراج كما يذكر الماوردي " هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها، أي هو جزية الأرض أو الضريبة التي فرضها المسلمون عليها بعد الفتح[١٤]، والخراج في لغة العرب " اسم الكراء والغلة[١٥]، والخراج كما يذكر الحنبلي"ما وضع على الكفار على وجه الصغار عليهم والذلة، وهذا إنما يكون فيما وضع على أرضهم بسبب الكفر كالجزية[١٦]،

---

[٨] المقريزي، الخطط، ج١، ص٩٨.
[٩] إبراهيم العدوي، النظم، ص٢٣٤.
[١٠] ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٧٩.
[١١] مولوي حسيني، الإدارة العربية، ص١٦٧.
[١٢] البلاذري، الأنساب، ج٤، ص١٦٦.
[١٣] الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨.
[١٤] الماوردي، الأحكام، ص١٤٦.
[١٥] الماوردي، الأحكام، ص١٤٦.
[١٦] الحنبلي، الاستخراج، ص١٢-١٣.

وأيضا يذكر الماوردي الخراج "بأنه حق معلوم على مساحة معلومة فاعتبر في العلم بها ثلاثة مقادير تنفي الجهالة عنها: أحدها مقدار الجريب والثاني مقدار الدرهم المأخوذ به، والثالث مقدار الكيل المستوفى به"[١٧]، وذكر الخوارزمي بأن الخراج: ما يؤخذ من أرض الصلح"[١٨].

وجاء في لسان العرب أن الخرج والخراج واحد، وهو شئ يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، ويذكر ابن منظور أيضا أن الخرج المصدر، والخراج اسم لما يخرج. والخراج غلة العبد والأمة: والخراج الأتاوة تؤخذ من أموال الناس"[١٩].

وأما الخراج الذي وظفه عمر بن الخطاب على السواد، فإن معناه الغلة أيضا: لأنه أمر بمساحة السواد، ودفعها إلى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة يؤدونها كل سنة، ولذلك سمي خراجا ثم قيل بعد ذلك للبلاد التي افتتحت صلحا، ووظف ما صولحوا عليه على أراضيهم خراجية لأن تلك الوظيفة تشابه الخراج الذي الزم الفلاحين وهو الغلة لأن جملة معنى الخراج الغلة، وقيل للجزية التي فرضت على رقاب أهل الذمة خراج، لأنه كالغلة الواجبة عليهم[٢٠]. ومن هذا يتبين أن معاني الخراج هي الأجر، والغلة واسم لما يخرج والحصة المعينة من المال يخرجها القوم في السنة وأن كلمة خراج لم تكن معروفة عند العرب أو على الأقل مستعملة عندهم وإنما أخذوها من جيرانهم في العراق واستعملوها مدة طويلة بمعنى الجزية أي للدلالة على ضريبة الرؤوس والأراضي معا، كما يستدل على ذلك من قولهم " خراج الرؤوس" وخراج على رقاب الناس، ثم صاروا يستعملونها للدلالة على ضريبة أو اجار الأراضي فقط[٢١] .

ونتج عن اتباع الأنظمة المالية المحلية أن بقيت الجزية والخراج يحملان معناهما القديم، فالجزية في أصلها ضريبة يدفعها العبد لسيده والخراج ضريبة يدفعها الزراع لمالك الأرض ثم أصبحت الضريبتان رمزا لخضور شعب لأخر بسبب الفتح.[٢٢]

---

[١٧] الماوردي، الأحكام، ص١٥٢.

[١٨] الخوارزمي، معاتيح العلوم، ص٥٨.

[١٩] ابن منطور ، لسان ، ح٢، ص٢٥١.

[٢٠] ابو يوسف، ص٢٧-٣٠، ٣٨، ٧٤. اس رستة، ص١٠٤، ١٠٥، الماوردي، ص١٤٧-١٤٨ ابن مسطور، لسان، ج٢، ص٢٥٢

[٢١] بندلي حوري، الحرية والحراح، مجلة المشرق، م٢٩، ص٩٤٤-٩٤٥

[٢٢] الدوري، النظم، ص١١٦.

ومن الأحاديث التي وردت فيها كلمة خراج قبل بدء الفتـوح الإسـلامية قـول الرسـول (ص): لما أراد أن يتخذ السوق بالمدينة (هذا سوقكم لاخراج عليكم فيه)[٢٣].

وصار الخراج فرضا ثابتا على الذميين. فإذا اسلم الذمي يعفى من جزية رأسه، وتبقـى أرضه خراجا. فقد أسلم مجموعة من الدهاقين أيام عمـر بـن الخطـاب رفعـت عنـهم جزيـة رؤوسهم وبقيت أرضهم خراجية كدهاقنه نهر الملك[٢٤].

فالخراج يفرض على الأرض التي صولح عليها المشركون مقدار معين مـن حاصلاتـهم الزراعية أو من أموالهم، وهذا المقـدار المفـروض يسمى خراجـاً[٢٥]، ويقـول المـاوردي " وأن الأرض التي يتصالح عليها على ضريبتين إحداهما ما جلا عنه أهله حتى خلصت للمسلمين بغير قتال، فتصير "وقفا" على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج فيكون أجرة تقر على الأبدان ولا يتغير باسلام ولا ذمة، والضرب الثاني ما أقام فيه أهله وصالحوا على إقـراره في أيديهم الخراج يضرب عليهم"[٢٦]، وكان عمر بن الخطاب أول من وضع ضريبة الخراج على أرض العـراق الـتي فتحـت عنـوة باستثناء بعـض القـرى والنواحـي مثـل الحـيرة وأليـس وبانقيا[٢٧].

وجمع العرب الخراج منذ اللحظة الأولى لفتحهم للعـراق[٢٨]. أمـا الأرض الـتي اسـتولى عليها المسلمون فهي ثلاثة أقسام أولها ما ملكت عنوة وقهرا ولم يحصل المسلمون عليـها إلا بعد قتل أو أسر أو إجلاء أصحابها. وهذا النوع من الأرض اختلف في أمره الفقهاء فبعضـهم يعتبره جزءا من الغنائم والبعـض يـرى إعادتـها إلى أصحابـها مقـابل دفعـهم الخـراج علـى الأرض والجزية على الرؤوس[٢٩] ، والقسم الثاني الأرض الـتي ملكـت عفـوا يتصـرف فيـها الأمام كيفما شاء والغالب أن تصبح أرضا خراجية ولا يجوز بيعها أو رهنها. والقسم الثـالث الأرض التي يستولي المسلمون عليـها صلحـا وهـي تبقـى في أيـدي أصحابـها مقـابل دفعـهم

---

(٢٣) ابن ماجه، سنن، ج٢، ص٧٥١.

(٢٤) أبو عبيد، ص٦٧، ١٠٢، ص١٢٤، ابن عساكر، تهذيب، ج١، ص١٨٦. ابن حزم، المحلي، ج٧، ص٣٤٥.

(٢٥) أبو يوسف، الخراج ، ص٣٠، أبو عبيد الأموال، ص١٠٢، الماوردي، أحكام، ص١٤٧.

(٢٦) الماوردي، الأحكام، ص١٤٧-١٤٨.

(٢٧) أبو يوسف، الخراج، ص٣٠، الطبري، تاريخ، ج٣، ص٥٨٤.

(٢٨) الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦.

(٢٩) أبو يوسف، ص٦٤، ٦٥، أبو عبيد، ص٧٧-٧٨،٩٦،٢١١-٢١٢،٢٢٨، البلاذري، فتوح، ص٤٣٣ المـــاوردي، ص١٣٧-١٣٨. قدامة، الخراج، ص٢٠٩-٢١٠

الخراج، ولا يسقط الخراج بإسلام أصحابها[٣٠]. ورفض عمر بن الخطاب أن يقسم أرض السواد في العراق بين المسلمين باعتباره جزءا من الغنائم " لأن ليس مما حازه المسلمون حين ظهروا إليه، ولو كانوا حازوه، وجمعوا ما فيه من السبى والأموال كان غنيمة[٣١].

لذا فإن الخلافة رأت وقف الأرض لتوفير الأعطيات والأرزاق للمقاتلة الموجودين والقادمين، ويظهر هذا أيضا من قول عمر لأهل المدينة "أرأيتم هذه الثغور، لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لا بد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطي هؤلاء إذا قسمت الأرضين والعلوج"[٣٢].

فلم يوافق عمر بن الخطاب على قسمة الأرضين منذ البداية، فيذكر الزهري " وكان رأي عمر أن يتركه، ولا يقسمه"[٣٣].

وقال الخليفة عمر بن الخطاب " فإذا قسمت أرض العراق وعلوجها وأرض الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور وما يكون للأرامل بهذا البلد، وبغيره من أرض الشام والعراق"[٣٤].

هكذا يبدو واضحا من أقوال عمر بن الخطاب أن الخلافة وقفت ضد رغبة القبائل في الاستحواذ على الأراضي المفتوحة. وذلك أن خطة الخلافة كانت توجيه القبائل نحو الفتوح، فإن في تقسيم الأرض يعني توزعهم عليها مما يؤثر في فكرة توجيههم للجهاد. إضافة إلى أن خطة الخلافة كانت تعمل على تشجيع الهجرة من الجزيرة إلى الأمصار المفتوحة وضرورة توفير المال لهم.

ولم يلاق قرار عمر بن الخطاب بوقف الأرض على جميع المسلمين استحسانا لدى المقاتلة، وقالوا له بعد ذلك " أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم

---

(٣٠) أبو يوسف، ص١٤٦، ١٤٨، أبو عبيد، ص٧٧، ٧٨،١٦، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١١؛ ٢٢٨، ٢٣٠، الماوردي، ص١٣٧، ١٣٨، قدامه، الخراج، ص٢٠٩-٢١٠.

(٣١) ابن آدم، الخراج، ص٢٧. أبو يوسف، ص٢٨، أنظر، ص٣٨. أبو عبيد، ص٨١.

(٣٢) أبو يوسف،الخراج، ص٢٧، ص٢٨، أنظر الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص١٢، ١٥، ١٦

(٣٣) أبو يوسف، ص٢٨، أنظر ص٣٨.

(٣٤) أبو يوسف، ص٢٦، أنظر ص٢٨،٨١.

يشهدوا. ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا"[٣٥]، أسند عمر رأيه حينها في وقف الأرض بآيات الفئ[٣٦].

ونتيجة لموقف عمر بن الخطاب من عدم تقسيم الأرض حاول أن يحدد مقدار الخراج الذي يفرضه على كل نوع من الزرع ويحدد طرق الجباية. ولذا أرسل إلى حذيفة بن اليمان أن أبعث إلي بدهقان من جوخي وبعث إلى عثمان بن حنيف" أن أبعث إلي بدهقان من قبل العراق "فبعث إليه كل واحد منهما بواحد ومعه ترجمان من أهل الحيرة فلما قدموا على عمر بن الخطاب. قال كيف كنتم تؤدون إلى الأعاجم في أرضهم، وقالوا سبعة وعشرين درهما، فقال لا أرضي بهذا منكم[٣٧]، ثم أمر الخليفة عمر بن الخطاب بمسح السواد فأجمع الصحابة أمرهم على تقدير ضريبة الخراج في الأقاليم المفتوحة، واستدعى الحال تنفيذ ذلك عمليا على يد شخص له خبره ودراية بمثل هذه الأمور، فعمد عمر بن الخطاب إلى مبدأ الشورى في اختيار من يوكل إليه ذلك حيث يقول " فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها"[٣٨]، فاتفقوا على عثمان بن حنيف؛ فإن له بصرا وعقلا وتجربة"[٣٩]، وحذيفة بن اليمان، فأسرع إليهما عمر بن الخطاب وولاهما مساحة السواد، فبعث عثمانَ بن حنيف على ما دون دجلة، شط الفرات، وحذيفة على وراءه وزودهما أمير المؤمنين بنصائحه وارشاداته، وأمرهما بأن يراعيا في وضع هذه الضريبة وترتيبتها ثروة الأفراد، وخصوبة الأرض وجدبها، ونوع النباتات والشجر المستنبت فيها، والرفق بالرعية فلا يستقضي في وضعها غاية ما يحتمل المكلفون، بل تكون متناسبة ليس فيها زيادة تضر بأرباب الخراج. فقام هذان العاملان بما وكل إليهما خير قيام، إلا أن عثمان بن حنيف كان أكثر دراية وأقوى تجربة من زميله حذيفة إذ مسح الجزء الذي أرسل إليه مساحة دقيقة منظمة. وأما

---

[٣٥] أبو يوسف، ص٢٦.

[٣٦] سورة الأنعال، آيات، رقم ٤١-٤٥.

[٣٧] أبو يوسف، ص٤٠-٤١.

[٣٨] أبو يوسف، ص٢٧-٢٨.

[٣٩] أبو يوسف، ص٢٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤١. خليفة، تاريخ، ص١٤٩.

حذيفة فلم يكن في درجته ولعب به أهل جهته مما جعل خراجها ضعيفا[٤٠]، ومسحت الأرض فبلغت مساحتها ٣٦ ألف ألف جريب[٤١].

وقد جعل أبو عبيد "حد السواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل، ماداً مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة هذا طوله. أما عرضه فحده منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب، فهذه حدود السواد وعليه وقع الخراج"[٤٢].

واستقر رأي عمر بن الخطاب على ما هو معروف على عدم تقسيم الأرض المفتوحة بقوة السلاح على الفاتحين وابقائها وقفا على المسلمين تستفيد منها أجيالهم القادمة وسمح لمالكيها الأصليين بالبقاء فيها واستغلالها كمستأجرين للأرض مقابل دفع إيجار أو ضريبة سنوية عنها عرفت بالخراج[٤٣]، الذي يتوقف مقداره على مساحة الأرض ونوع مزروعاتها [٤٤]، ثم جعل عمر بن الخطاب على كل جريب قفيزا ودرهما، وكان القفيز وزنه ثمانية أرطال وثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثقال[٤٥]، وأمر عمر بن الخطاب عماله بأن أهل الخراج إذا احتملوا أكثر من ذلك فلا يزاد عليهم وأن عجزوا عن ذلك خفف عنهم وألا يكلفوا فوق طاقتهم[٤٦]، وكان عمر بن الخطاب يسمح بتقسيط الخراج على أهل السواد وما فتح من نواحي المشرق والمغرب ورقا وعينا[٤٧].

وأحصيت أنواع الزروع والثمار، وربط على كل جريب مزروع يناله الماء بدلو أو بغيره قفيز ودرهم، وجعل الخراج على الثمار تبعا لنوع المحصول فكان على كل جريب من العنب عشرة دراهم وعلى جريب النخل ثمانية دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم

---

(٤٠) أبو يوسف، الخراج، ص٤١ اليعقوبي، تاريخ ، ح٢، ص١٤٠. البلادري، فتوح، ص٢٦٩، ص١٣٩، أبو عبيد، ص٧٤، الماوردي، ص١٥٣، ١٧٤.

(٤١) أبو يوسف، الخراج، ص٣٨، اس رسته، الأعلاق، ص١٠٥، أبو عبيد، الأموال، ص٩٨. البلادري، فتوح، ص٢٦٨. المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٣٣. الماوردي، ص١٤٨، ١٧٥. اس قيم الحورية، ح١،ص١٠٨.

(٤٢) أبو عبيد ، الأموال، ص٧٢، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤٢، الماوردي، الأحكام، ص١٧٣.

(٤٣) أبو عبيد ، الأحوال، ص٩٩، ١٠٥، الماوردي، الأحكام، ص١٤٦.

(٤٤) أبو عبيد، الأموال، ص٩٧

(٤٥) الماوردي، الأحكام، ص١٤٨، أبو يوسف، ص٤١-٥١، أبو عبيد، ص١٠١، البلادري، فتوح، ص٢٦٨

(٤٦) اس آدم، الخراح، ص٢٣

(٤٧) الماوردي، الأحكام، ص٨٠.

وعلى الرطاب خمسة دراهم[٤٨]، ونلاحظ مما تقدم أن عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان قدرا هذه الضريبة، ووضعاها على القواعد والأصول التي كانت متبعة عند الدولة الفارسية، فوحدة المساحة وتحديد أنواع الزروع والثمار التي فرضها عليها الخراج وتقدير ضريبتها وكيفية طرق الجباية والعمل على راحة الأفراد في الأداء وسهولة الدفع وتوفير العدالة، هو نفس ما كان متبعا في النظام المالي الفارسي. كذلك عمل عمرو بن العاص على القيام بمهمة تنفيذ الخراج في مصر بكل دقة وعناية على المبدأ الذي نفذ في العراق والشام، غير أن وحدة المساحة التي ربطت الضريبة في مصر هي الفدان، ولم يكن الجريب الذي استعمل في بلاد العراق والشام[٤٩]، وفرضت أيضا على جميع السكان القادرين بالإضافة إلى ضريبة الخراج ضريبة الجزية أو ضريبة الرأس التي كانت تقوم بمقادير مختلفة حسب الوضع المالي والاقتصادي للأفراد[٥٠]، ويلاحظ وجود ارتباط وعلاقة بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية، مع أنهما ضريبتان مختلفتان، فقد ذكر أبو عبيد أن حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف اللذين أرسلهما عمر بن الخطاب لمسح سواد العراق وتقدير الضرائب عليه. فلجأ الأرض على أهل السواد أي قسماها عليهم– ثم فلجأ الجزية على كل إنسان أربعة دراهم في كل شهر ثم حسبا أهل القرية وما عليهم وقالا لدهقان كل قرية: "على قريتك كذا أو كذا فاذهبوا فتوزعوها بينكم.. فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته"[٥١]، وهذا النص يلقي ضوءا على أنظمة الخراج والجزية وطرق جبايتها بعد الفتح الإسلامي للعراق، وهي أنظمة وطرق ترجع إلى حد ما في أصولها إلى نظام الضرائب الساساني[٥٢]، فكان من الطبيعي أن يستمر أهل السواد على دفع ضرائب (الخراج) لملاكي الأرض وهم نظريا المسلمون ، والجزية على رؤسهم لسادتهم الجدد، إذن كان كل من الجزية والخراج رمز خضوع غير المسلمين للمسلمين، أما الرأي القائل بأن الإسلام يعفو من الخراج وأنه لا صغار في الخراج فقد ظهر في وقت متأخر[٣٥].

---

(٤٨) أبو يوسف، الخراج، ص٣٩ اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص١٤٢. أبو عبيد، ص٩٧ البلاذري، فتوح ،ص٢٦٨، ص٢٢١.

(٤٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ، ص١٥٣. أبو عبيد ، ص٨٤.

(٥٠) أبو يوسف، ص٣٩، ٤١،٨٣،١٣٢، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٢.

(٥١) أبو عبيد، الأموال، ص٧٤.

(٥٢) صالح العلي، التنظيمات، ص١٣٤. دايل دينت، الجزية، ص٤٥.

(٣٥) الدوري، النظم، ص١١٦.

ونلاحظ أن العرب الفاتحين قسموا أرض العراق بين السكان الأصليين، وكذلك فرض الفاتحون على هؤلاء السكان جزية معينة وأن الدهاقين أو عمداء القرى النبلاء اعتبروا أمام العرب كما كانوا في عهد الفرس مسؤولين عن جباية الضرائب المفروضة من خراج واستمر هذا الوضع طوال القرن الأول الهجري وأصبح الخراج والجزية نتيجة لذلك ضريبتين ذاتي علاقة واحدة(٥٤)، حتى أن بعض المصادر التاريخية تذكر أحيانا الخراج بمعنى الجزية والجزية بمعنى الخراج(٥٥)، وتعني أحيانا أخرى بالخراج على أنه مجموع الضرائب المجباة بما فيها الجزية(٥٦)

وأن عدم التمييز بين كلمتي (جزية) و خراج في ذلك الوقت دليل على اتفاق مدلولهما. فقد وردت إشارات كثيرة إلى جزية الأرض. وجزية الرؤوس أو استعمال الكلمتين بمعنى واحد(٥٧).

وقد اهتم الخلفاء والولاة بالخراج أكثر من اهتمامهم بالجزية لأن الخراج أكثر ثباتا من الجزية وأكثر دخلا، حيث أن الجزية تستقط بالإسلام وأن "أرض الخراج هي كل أرض مسحت ووضع عليها الخراج"(٥٨)، وكل أرض روتها أنهار الخراج، وخصصت لزراعة الغلات المختلفة أو جعلت بساتين للنخل والكروم، أو شغلت بالطواحين(٥٩)، وأن جباية الخراج في القرى المصرية كانت "بالتعديل إذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وأن قل أهلها وخربت نقصوا"(٦٠)، وسار علي ابن أبي طالب على السياسية نفسها التي سار عليها الخليفة عمر بن الخطاب(٦١)، إلا أن معظم الحلفاء الأمويون وولاتهم لهم يحافظوا على نظم الخليفة عمر بن الخطاب، ففي زمن الدولة الأموية نظم ديوان الخراج وتطور أكثر من الفترة السابقة، فيمكن اعتبار الخليفة معاوية بن أبي سفيان المنظم الحقيقي للدولة الأموية ، وأن

---

(٥٤) البلادري، أنساب ، ح٤، قسم١،ص١٩٠، الماوردي، ص١٤٢، فلوتن، ص٣٦. كريستس، ص١٠٠، ثابت الراوي، العراق في العصر الأموي، ص٦٤، الدوري، نشأة الاقتطاع، ص١١،٦.

(٥٥) الطبري، تاريح، ح٦، ص٣١٢، ٥٦٠، ح٧، ص٥٤، حيث يقول: حراج حراسان على رؤوس الرحال.

(٥٦) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٣، الماوردي، الأحكام، ص١٧٥

(٥٧) الدوري، النظم، ص١١٧.

(٥٨) ابن آدم، الحراج، ص٢٥.

(٥٩) النويري، نهاية ، ج٨، ص٢٤٥

(٦٠) الدوري، النظم، ص١١٥.

(٦١) ابن آدم، الخراج، ص٢٣.

معاوية أول من أمر بتسجيل أو حفظ سجلات بمقادير الجزية والخراج لكل منطقة أو إقليم، وميز تمييزا واضحا بين دخل أرض الخراج ودخل الصوافي وانشأ مبدأ وضع الصوافي عموما تحت سلطة البيت الحاكم[٦٢]

وكان كل ما يرد من أموال يسجل في ديوان الخراج[٦٣]، أما أموال الصدقات فكانت تسجل في ديوان خاص بها أطلق عليه الماوردي اسم ديوان العشر[٦٤].

وبعث عبد الملك بن مروان برسالة إلى الحجاج بن يوسف يذكر فيها أمورا ثلاثة يجب مراعاتها في فرض الخراج، ويذكر له مواعيد جباية الخراج. فكتب إليه "فإذا تقرر الخراج بما احتملته الأرض راع فيه أصلح الأمور من ثلاثة أحوال: أحدهما أن يضعه مسايح الأرض، والثاني أن يضعه على مسايح الزرع والثالث يجعلها مقاسة فإن وضعه على مسايح الأرض كان معتبر بالسنة الهلالية وأن وضعه على مسايح الزرع كان معتبرا بالسنة الشمسية، وأن جعلها مقاسمة كان معتبرا بكمال الزرع وتصفيته"[٦٥]، أما عن أسس تقدير الخراج فقد راعى كل خليفة منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب فرضه على الأرض بقدر ما تحتمله وقد أورد الماوردي ما يجب مراعاته عند تقدير الخراج فذكر أربعة اعتبارات تؤثر في زيادة الخراج أو نقصانه على الأراضي وهي ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه ومنها ما يقل ثمنه، وثانيها ما يختص بالأرض من جودة يزكوا بها زرعها أو رداءة يقل بها ريعها، وثالثها ما يختص بالسقي والشرب لأن ما التزم المؤنة في سقيه بالنواضح والدوالي لا يحتمل الخراج ما يحتمله سقي السيوح والأمطار[٦٦]ورابعها وضع الخراج على قدر قرب الأرضين والفرض من الأسواق[٦٧]، وقيل أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السواد فمنعه من

(٦٢) دانيل دنيت، ص٦٤.

(٦٣) الجهشياري، الوزراء، ص٣.

(٦٤) الماوردي، الأحكام، ص٢٠٧.

(٦٥) الماوردي، الأحكام، ص١٤٩.

(٦٦) الماوردي، الأحكام، ص١٤٨-١٤٩، قدامه، الخراج، ص٢٢٠، أنظر الدوري، نظام الضرائب، ص٧.

(٦٧) البلاذري، فتوح، ص٢٧٢، الماوردي، ص١٤٨-١٤٩، ابن قيم الجوزية، ج١،ص١٥٥، الدوري، نظام الضرائب، ص٧.

ذلك وكتب إليه يقول " لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وأبـق لهم لحوما يعقدون بها شحوماً[٦٨]..

أن عملية جباية الخراج ظلت تقع باستمرار على كاهل الدهاقين واسـتبعد العـرب مـن القيام بهذه المهمة وبرر عبيد الله بن زياد هذا الإجراء بقوله " كنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فأقدمت عليه. أو غرت صدر عشيرته أو أغرمتـه فحملت على عطـاء قومه أضررت بهم. وأن تركته تركت مال الله وأنا أعـرف مكانـه فوجـدت الدهـاقين أبصـر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون على مطالبته"[٦٩]، واستمر هذا الحال إلى زمن عبد الملـك بـن مروان والحجاج الذي كان يقول: ما أبغض إلي أن تكثر العرب من أرض الخراج"[٧٠]. ويذكر أن هشام بن عبد الملك لم يول الخراج عربيا قط.[٧١].

ووجد هناك بعض من الخلفاء كانوا يكرهون استخدام أهل الذمة في شؤون الديوان فقد كتب عمـر بـن عبـد العزيـز إلى ولاتـه"إيـاكم أن تسـتعملوا علـى شـئ مـن أعمالنـا إلا أهـل القرآن"[٧٢]، من هذه النصوص يتبين لنا أن بعض الخلفاء استخدم أهل الكتاب في الدواويـن وبعضهم الآخر لم يسمح باستخدامهم.

وكان في زمن الدولة الأموية ديوان مركزي للخراج في مركز الخلافة في دمشق ثم دواوين متفرعة من هذا الديوان في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية، وكان ديوان خـراج العـراق من أهم وأبرز دواوين الخراج في الدولة لما كان يرده مـن سـواد العـراق مـن أمـوال خراجيـة اعتمدت عليها الخلافة الأموية في توطيد نفوذها وسلطانها.

فقد قال معاوية بن أبي سفيان "ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لأهل العراق بصـير أهل الشام ولا بصائرهم"[٧٣].

وأبي عبد الملك بن مروان إلا الخروج لقتال مصعب بن الزبير بنفسه وقـال "الشـام بلـد قليل المال ولا آمن نفاذه"[٧٤].

---

[٦٨] الماوردي، ص١٤٩.

[٦٩] البلاذري، أنساب، ج٤، قسم ١٠٩، الطبري، تاريخ ،ج٥، ص٥٢٣.

[٧٠] الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٩٥.

[٧١] الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨.

[٧٢] ابن الجوزي، مناقب عمر بن عبد العزيز، ص١٣٩

[٧٣] الامامة والسياسية ، ج١، ص١٠٤

وشهد العراق أيام زياد بن أبيه (٤٥-٥٣هـ) في مطلع العصر الأموي عمرانا في الأرض، واستقرار في مقدار الخراج، وذلك لسياسة زياد بن أبيه في الجباية، فقد أحسن زياد السيرة في الفلاحين وأمر بمراعاة ظروفهم، وعدم التشدد ي تحصيل الخراج منهم، وكان يقول "أحسنوا إلى الخراج، فانكم ما تزالون سمانا ما سمنوا"[٧٥].

واشتد زياد في مراقبة عماله ومحاسبتهم في كل عام على ما يصير في أيديهم من الأموال. وكان لا يولي على الخراج العرب خوفا من تجاوزهم على الوارد[٧٦]، وكان يقول " ينبغي أن يكون كتاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بالخراج[٧٧]، وإذا ولي العربي في إحدى المناطق كعامل أو جاب،راعى فيه الأمانة والكفاءة[٧٨].

ومع ذلك فإن الولاة الأمويين كانوا يجعلون أمناء من قبلهم على أعمال الدهاقين وتصرفاتهم خشية أن يتمادوا في ظلم الناس مثل ما فعل عبيد الله بن زياد[٧٩].

وكان يتولى شؤون دواوين الخراج موظفون من أبناء المنطقة يتقنون لغتها بالإضافة إلى معرفتهم باللغة العربية، وذلك أن سجلات ودفاتر ديوان الخراج التي شملت جميع الأراضي الخراجية بما في ذلك أراضي الصوافي (أي أراضي الدولة) وهي الأراضي التي تركها أصحابها والمبالغ المستحقة عليها كانت تسجل باللغة الفارسية واليونانية والقبطية وكانت هذه الظاهرة شيئا طبيعيا ومألوفا بعد عملية الفتح بحكم معرفة أولئك الموظفين بقواعد فرض الخراج ومقادير وأسماء القرى والنواحي ويشرف على أولئك الموظفين رئيس يعرف بكاتب الخراج ويتمتع بمنزلة عالية لدى الأمير، ومن أشهر من تقلد هذا المنصب في العراق زادان فروخ وابنه مرد انشاه، ثم صالح بن عبد الرحمن الذي تم على يديه تعريب سجلات دواوين الخراج في العراق[٨٠]، وفي مركز الخلافة اشتهر سرجون بن منصور الرومي[٨١]، ومن بعده ابنه منصور[٨٢]، حتى نقل سليمان بن سعد كاتب الرسائل الديوان إلى العربية[٨٣].

---

[٧٤] البلاذري، أنساب، ج٥، ص٣٣٥.

[٧٥] البلادري، أنساب، ج٤، قسم ١، ص١٩٣. ابن قتية ، عيون، ح١،ص١٠، اس أبي حديد، ج١٦، ص١٩٨،ج١٧،ص٧٠

[٧٦] أنظر الديوري، ص٢٩٩، البلاذري، أنساب، ج٤، قسم ٢، ص١٠٩، الصولي، أدب الكتاب، ص٢٢١، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٢٢-٥٢٣.

[٧٧] اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢٣.

[٧٨] البلادري، أنساب، ج٤، قسم ١، ص١٣٦.

[٧٩] الطبري، تاريح، ح٥، ص٥٢٣.

[٨٠] البلادري، فتوح، ص٢٩٨، المقريزي، الخطط، ح١، ص٩٨.

واستعمل معاوية بن أبي سفيان ابن اثال النصراني على خراج حمص[٨٤]، وفي مصر اشتهر انثناس الذي كان رئيسا لديوان الخراج حتى عبد الله بن عبد الملك ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية سنة ٨٧هـ[٨٥]، وكان آخر ديوان عرب هو ديوان خراسان، وكان أكثر كتاب هذا الديوان من الفرس حتى كتب يوسف بن عمر في سنة١٢٤هـ إلى نصر بن سيار عامله على خراسان يأمره بنقله إلى العربية ولا يستعان فيه من الكتاب بغير المسلمين وقام بعملية التعريب هناك اسحاق بن طليق[٨٦].

وقد استخدم العرب كلمة جسطال في مصر بمعنى الموظف المشرف على مالية الكورة أي مندوب ديوان الخراج[٨٧].

وتميز هشام بن عبد الملك بتشدده أكثر من غيره بأمر الأموال ووجوه صرفها وبدقة دواوينه[٨٨]، ويذكر عبد الله بن علي "جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصة والعامة والسلطان[٨٩]، وكان هشام بن عبد الملك يراقب بنفسه هذه الدواوين ، ومجالات صرف الأعطيات، فيذكر غسان بن عبد الحميد الكاتب" لم يكن أحد من بني مروان أشد نظرا في أمر أصحابه ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام"[٩٠].

وفي فترة خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥) اهتمت الدولة الأموية بالخراج واحصاء ارداته بدقة بالغة، ففي مصر قام عبيد الله بن الحبحاب بتقدير ما يركبه النيل من عامر وغامر[٩١]، لمساحة الأراضي وتحديد وظائفها، وإذ بهذه الأراضي تضرب بعد

---

[٨١] حليفة ، تاريخ، ص٢٢٨. المقريزي، الحطط، ج١، ص٩٨.

[٨٢] الجهتياري، الورراء، ص٣١. المقرنزي، الحطط، ج١، ص٩٨.

[٨٣] البلاذري، فتوح، ص١٩٧.

[٨٤] اليعقوبي، تاريح ج٢، ص٢١٢.

[٨٥] الكدي، الولاة، ص٥٩، المقريري، حطط، ح١، ص٩٨.

[٨٦] الجهشياري، الوزراء، ص٦٧.

[٨٧] سيده كاشف، الوليد بن عند الملك، ص٥١.

[٨٨] الأردي، تاريخ، الموصل، ص٢١.

[٨٩] الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٣.

[٩٠] الطبري، تاريخ،ج٧، ص٢٠٣.

[٩١] المقريري، الخطط، ح١،ص٩٩.

مساحتها رقما قياسيا أقرب إلى الخيال، إذ بلغت مئة ألف ألـف فـدان[٩٢]، ومن المعلـوم أن الفدان أقل من نصف الهكتار بشئ يسير، والهكتار يساوي عشرة آلاف متر مربع.

فكان في مصر ديوان للخراج، والأموال وكان يشرف على هذا الديـوان الـوالي أو عـامل الخراج كما كان يشرف على كل فرع من فروع الخراج والأموال في كل إقليم موظـف يسـمى الجسطال[٩٣]. من هنا نلاحظ أن العرب عمدوا إلى الاستفادة من خبرات أبنـاء المنـاطق الـتي فتحوها في جباية الخراج.

وينبغي للوالي أن يولي الخراج رجلا له درايـة بـأحوال النـاس وأموالهـم عالمـا بـأحوال الشريعة صاحب خلق ودين فذكر الماوردي" صفات متولي الخراج" الحرية والأمانة والكفايـة ، ثم يختلف حاله باختلاف ولايته فإن تولى وضع الخراج اعتبر فيـه أن يكـون فقيـها مـن أهل الاجتهاد، وأن ولي جباية الخراج صحـت ولايتـه وإن لم يكـن فقيـها مجتـهدا، ورزق عامل الخراج في مال الخراج"[٩٤].

وقد وضع أبو يوسف شروطاً لجباة الخراج على هيئة نصيحة منه لهارون الرشيد قـال فيها "رأيت أبقى الله أمير المؤمنـين ـ أن تتخـذ قومـا مـن أهـل الصـلاح والدرايـة والأمانـة فتوليهم الخراج. ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاوراً لأهل الرأي عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف في الله لومة لائم، ما حفظ من حق وأدى من أمانـة احتسـب بـه الجنة وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد المـوت، فـإذا لم يكـن عـدلا ثقـة أمينا فلا يؤتمن على الأموال[٩٥].

ويستطر القاضي أبو يوسف قائلا " وتقدم من وليت أن لا يكون عسوفا لأهل عملـه ولا محتقرا لهم ولا مستخفا بهم ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطـرف مـن الشـدة ولا استقصاء من غير أن يظلموا ما لا يجب عليهم، واللين للمسلم والغلظة علـى الفـاجر والعـدل على أهل الذمة وأنصاف المظلوم والشدة على الظالم والعفو عن الناس فـإن ذلـك يدعوهـم إلى الطاعة، وأن تكون جبايته للخراج كما يرسم له، وترك الابتداء فيما يعاملـهم بـه والمسـاواة

---

[٩٢] المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٥.

[٩٣] سيده كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص١٠٢-١٠٣.

[٩٤] الماوردي، ص١٥٢.

[٩٥] أبو يوسف، ص١١٥ ــ ١١٦.

بينهم في مجلسه ووجهه حتى يكون القريب والبعيد والشريف والوضيع عنده في الحق سواء وترك أتباع الهوى، فإن الله ميز من اتقاه وآثر طاعته وأمره على من سواهما "[٩٦]، من هنا يتبين لنا أنه يجب أن تتوفر في متولي الخراج الكفاية الأخلاقية والعلمية والمالية والإدارية فيجب أن يكون على دراية تامة بما يتطلبه الخراج من معرفة وتتوفر فيه الحرية والأمانة والعدل، والفطنة والذكاء، وأن يكون خبير بأساليب الإدارة المختلفة.

ويذكر الحسن بن عبد الله ومن لوازم هذا الديوان معرفة الحساب والمساحة والضرب والقسمة والأمانة والعدالة ليأخذ الحق ولا يحف ولا يضيع فإن الحيف سريع المضرة[٩٧].

ويقدم لنا المؤرخون قوائم بما استقر عليه الخراج في الأمصار التي فتحها المسلمون ابتداء من زمن الدولة الراشدية وانتهاء بالدولة الأموية ومن هذه المناطق العراق والمناطق التابعة له إداريا ثم مصر والشام والموصل والأردن ،وبعض أقاليم ومناطق بلاد فارس وغيرها من المناطق، ولكن اليعقوبي يورد قائمة متصلة وقائمة أشمل وأعم للمناطق التي يؤخذ منها الخراج وهي تعطينا صورة واضحة ومنظمة عن الأموال التي كانت تجبى في خلافة معاوية والخلفاء الأمويين الآخرين.

ويذكر اليعقوبي "واستقر خراج العراق وما يضاف إليه مما كان في مملكة الفرس في أيام معاوية على ستمائة ألف ألف وخسمة وخمسين ألف ألف درهم"[٩٨].

وكان خراج السواد مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم[٩٩]، وبلغ خراج السواد والجبل على عهد عمر بن الخطاب، مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف واف[١٠٠]، وجباة عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم، وجباة الحجاج بن يوسف ثمانية عشر ألف ألف درهم[١٠١]، وبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة ألف ألف (ونيفا)[١٠٢]، وخراج فارس سبعين ألف ألف[١٠٣]، بينما يذكر ابن الفقيه أنها

---

(٩٦) أبو يوسف، ص١١٥-١١٦.أبو يوسف، ص١١٥-١١٦.

(٩٧) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول، ص٧١.

(٩٨) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢١.

(٩٩) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢١. ابن الفقيه، البلدان، ص٢٠٥.

(١٠٠) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٢٨٢.

(١٠١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١١.

(١٠٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، قسم ٣، ص١٠٣٣.

(١٠٣) اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٢١.

جبيت أيام الأكاسرة أربعين ألف ألف درهم وكانو يجبوان كرمان ستين ألف ألف درهم[١٠٤]، وخراج الأهواز وما يضاف إليها أربعين ألف ألف، وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر ألف ألف درهم، وخراج كور دجلة عشرة آلاف ألف درهم، وخراج نهاوند وماه الكوفة وهو الدينور وماه البصرة وهمدان وما يضاف إلى ذلك من أرض الجبل أربعين ألف ألف درهم، وخراج الري وما يضاف إليها ثلاثين ألف ألف درهم، وخراج حلوان عشرين ألف ألف درهم، وخراج الموصل وما يضاف إليها ويتصل بها خمسة وأربعين ألف ألف درهم، وخراج أذربيجان ثلاثين ألف ألف درهم بعد أن أخرج معاوية من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة وجعلها صافية لنفسه فاقطعه جماعة من أهل بيته[١٠٥]، وخراج طبرستان أربعة آلاف ألف درهم، وخراج جرجان عشرة آلاف ألف درهم[١٠٦]، واستقر خراج مصر في أيام معاوية على ثلاثة آلاف ألف دينار، وكان عمرو بن العاص يحمل منها إليه الشيء اليسير، فلما مات عمرو بن العاص وحمل المال إلى معاوية بن أبي سفيان فكان يفرق في الناس أعطياتهم ويحمل إليه ألف ألف دينار[١٠٧]، وجبى عمر بن العاص خراج مصر عشرة آلاف دينار فكتب إليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية الروم عشرون ألف ألف دينار، فلما كان العام المقبل جباه عمرو بن العاص أثنى عشر ألف ألف دينار[١٠٨]، وقد جبى عبد الله بن الحبحاب خراج مصر أيام بني أمية والبالغ ألف ألف وسبع مائة ألف وثمان مائة وسبعة وثلاثين دينار[١٠٩]، وهذا الاختلاف في الأرقام قد يشير إلى أن فضول الأموال التي ترسل كانت تختلف من فترة إلى أخرى تبعا لازدياد أو نقصان النفقات في الولاية إلا أنه من الثابت أن مصر كانت ترسل الفائض إلى بيت المال في دمشق. وارتفع خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب خمسمائة ألف دينار، فلما اقضى الأمر إلى معاوية اقطع الوظائف على أهل المدن[١١٠].

---

[١٠٤] اس العقيه، الىلدان، ص٢٠٥.
[١٠٥] اليعقوبي ، تاريخ، ج٢، ص٢٢١.
[١٠٦] اليعقوبي، البلدان، ص٤١.
[١٠٧] اليعقوبي، تاريح، ج٢، ص٢٢١-٢٢٢.
[١٠٨] المقريزي، خطط، ح١، ص٧٩، ابن تغري بردي، النحوم، ج١، ص٤٦.
[١٠٩] ابن رسته، الأعلاق، ص١١٨.
[١١٠] الصولي، أدب، ص٢١٦.

واستقر خراج فلسطين على أربعمائة وخمسين ألف دينار، واستقر خـراج الأردن علـى مائة وثمانين ألف دينار، وخراج دمشق على أربعمائة ألـف وخمسين ألـف دينـار،وخـراج جند مصر على ثلاثمائة وخمسين ألف دينار، وخراج قنسرين والعواصم على أربعمائـة ألـف وخمسين ألف دينار، وخراج الجزيرة وهي ديار مضر وديـار ربيعـة علـى خمسـة وخمسـين ألف ألف درهم، وخراج اليمن على ألف ألـف ومـائتي ألـف دينـار، وقيـل تسـعمائة ألـف دينار[111]. وخراج جند حمص يبلغ سوى الضياع مائتي ألف وعشرين ألف دينار[112]، بينما يذكر ابن الفقيه أن خراج حمص بلـغ ثلثمائـة ألـف وأربعـين ألـف دينـار، وخـراج الأردن ثلثمائة ألف وخمسون ألـف دينار[113]، وخراج كور الجزيرة وديار ربيعة تسـعة آلاف وسـبع مائة ألف وخمسة عشر ألف وثمان مائة درهم[114].

وذكر ابن حوقل أن خراج الشام على عهد بني مروان ألف ألف دينار وفوق ثمان مائة ألف دينار[115].

كانت حدود كل منطقة ونواحيها تفصل في الديوان إذا اختلفت أحكام نواحيه وكذلك أحكام الضياع أن اختلفت في كل ناحية، فصلـت ضاعـه كتفصيـل نواحيـه وأن لم تختلـف اقتصر على تفصيل النواحي دون الضياع، كما كان يسجل في الديوان حـال البلـد هـل فتـح عنوة أو صلحا وما استقر عليــه حكـم أرضـه، فـإذا كـان الخـراج في حكـم الأجـرة سـجلت مساحات الأراضي دون تسجيل لأسماء وتسمية أرباب الأرضي، لأنه لا يختلـف باسـلام أو كفر، وأن كان الخراج في حكم الجزية لزم تسمية وتسجيل أربابه ووصفهم بالإسـلام والكفـر لاختلاف حكمه، باختلاف أهله، وأن كان بعض الأراضي عشرا وبعضها خراجـا فصـل في ديوان العشر ما كان منه عشرا وفي ديوان الخراج ما كان منه خراجا لاختلاف الحكم فيـهما وأجرى على كل واحد منهما ما يختص بحكمهم كما كان يسجل مقـدار الخـراج علـى كـل

(111) اليعقوبي، تاريخ، ح٢، ص٢٢٢.

(112) اليعقوبي، البلدان، ص٨١.

(113) ابن الفقيه، البلدان، ص١١٠، ١١٦.

(114) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٥.

(115) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦١-١٦٢.

أرض ولا سيما إذا كان الخراج مختلفا باختلاف الزرع[116]، وكذلك يسجل في ديوان الخراج من في كل بلد من أهل الذمة وما استقر عليه في عقد الجزية فإن كانت مختلفة باليسار والاعسار سموا في الديوان مع ذكر عددهم ليختبر حال يسارهم واعسارهم ، وأن لم تختلف في اليسار والاعسار جاز الاقتصاد على ذكر عددهم ووجب مراعاتهم في كل عام ليثبت من بلغ ويسقط من مات أو أسلم لينحصر ما يستحق من جزيتهم[117].

كما أن لكل أرض خراجية إذا تحولت إلى عشرية، يثبت ذلك في الديوان حتى يسقط الخراج عن تلك الأراضي وعن أهل قراهم[118].

وجاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فحاول إعادة تنظيم الضرائب بإعادة تحديد مفاهيمها فأكد أن الإسلام يعفي من الجزية مهما يكن أثر ذلك على الوارد، وطبق ذلك في العراق وخراسان ومصر ووجد قراره بعض المعارضة من بعض العمال ولكنه نفذ القرار. وأكد أن الأرض الخراجية ملك للأمة ووقف عليها، وأن الخراج هو إيجار للأرض الخراجية يدفعه كل من يزرعها سواء أكان ذميا أو مسلما عربيا أو مولى[119].

كان يسجل في ديوان الخراج حدود كل بلد ونواحيه، وكذلك أحكام الضياع إذا اختلفت في كل ناحية، كما يسجل في الديوان حال البلد هل فتح عنوة أو صلحا، وما استقر عليه حكم أرضه من عشر أو خراج، وإن كانت بعض الأراضي عشرا وبعضها خراجا فصل في ديوان الخراج الأراضي الخراجية فقط كما يسجل مقدار الخراج على كل أرض لا سيما إذا كان الخراج مختلفا باختلاف الزروع فإن كان وظيفة الخراج مقاسمة على الزرع لزم ذكر نسبة المقاسمة، ويسجل في هذا الديوان أسماء أهل الذمة في كل بلد وما استقر عليه في عقد الجزية ووجب مراعاتهم في كل عام ليسجل من بلغ، ويسقط من مات أو أسلم لمعرفة ما يستحق عليهم، كما يسجل في دواوين الأمصار ما استقرت عليه عهود الصلح من أهل الذمة، وبعبارة أخرى يسجل في الديوان شروط الصلح، ومقدار ما عليهم ولهم، ويسجل في هذا الديوان أراضي الصوفي– قبل أن يفرد لها ديوان خاص– حدود هذه الأراضي وأسماء

---

(116) الماوردي، الأحكام، ص٢٠٧.

(117) الماوردي، الأحكام، ص٢٠٧–٢٠٨.

(118) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص٥٩٦.

(119) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٣٣-٣٤.

أصحابها والمبالغ المستحقة عليها، ويثبت في دفـاتر الديـوان الأراضـي المقطعـة وأسمـاء مـن أقتطعت لهم[١٢٠].

وكان من وظائف ديوان الخراج الأشراف على الـري والحفـاظ علـى وسـائل والنظـر في السدود وما شاكلها، وكان في هذا الديوان مراقبـون يراقبـون السـدود، والضفـاف مـن أجـل ضمان سلامتها، وصلاحيتها باستمرار، فكان هناك عدد مـن المهندسـين المختصـين بشـؤون الري وهؤلاء يذهبون إلى مكان الحفر أو العطل فيتولون إصلاحـه، كمـا وكـان الديـوان يضـم مساحين لوضع التصاميم عند حفر القنوات، هذا بالإضافة إلى المختصـين بتوسـيع، وتعميـق قنوات الري القائمة أو إنشاء قنوات جديدة، وكان البعض من هؤلاء يعملون خبراء للإشراف على مشاكل كرى الأنهار، وهناك عدد من الخبراء الذين يدرسـون المنازعـات الـتي تحصـل حول الأراضي أو مياه الأرواء[١٢١].

وصفوة القول أن ديوان الخراج ينظر في الخراج: تقديره، وجبايته ومشاكله، وفي ضبـط الدخل، وإلى هذا أشار ابن خلدون " أعلم أن هذه الوظيفـة مـن الوظـائف الضروريـة للملـك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج.."[١٢٢]

وفي ختام الحديث عن ديوان الخـراج يحسـن بنـا أن نتنـاول الضرائـب الـتي يشـرف الديوان على جبايتها:-

١- الخراج:

كان الخراج يؤخذ من الجزء الأكبر من أراضي السواد ولذلـك اهتـم الأمويـون بجبايتـه وتنظيمه، إذ كان الخراج يؤخذ نقدا، وعلى المسـاحة زرعـت الأرض أم لم تـزرع ، واسـتمر على ذلك حتى الدولة العباسية[١٢٣] أما عـن موعـد جبايـة الخـراج، فقد كـان مـع بدايـة النوروز أول السنة الفارسية عند إدراك الغلال وصلاح الثمار[١٢٤].

[١٢٠] الماوردي، ص٢٠٧-٢٠٨، أبو يعلي ، الأحكام، ص١٦٠،٢٤٤، البلاذري، أنساب، ق٣، ص٢٤٢.
[١٢١] الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٣٣-٣٤، الزهراني، موارد، ص٢٦٠.
[١٢٢] ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٢.
[١٢٣] أبو يوسف، الخراج، ص٣٨، أبو عبيد، ص٧٠، أبو يعلي، ص١٨٥.
[١٢٤] البيروني، الآثار، ص٣١.

ولما كان هناك فرق بين السنة الفارسية، والسنة الشمسية، ربع يوم الأمر الـذي جعـل السنة الفارسية تتقدم والمحصول لا يزال أخضر[١٢٥].

تطلب الأمر إصلاح موعد النورزو للموافقة بين السنة الفارسـية والسـنة الشمسـية. ولما كان افتتاح الخراج عادة في النوروز وفق السنة الفارسية فإنه كـان يتقدم باسـتمرار ويتطلـب التوفيق إضافة يوم إلى السنة الفارسية في كل أربع سنوات، أو شـهراً في كـل (١١٦) سـنة، وقد أدى منع النسيء وربما قلـة الخـبرة واعتبـارات ماليـة إلى إيقـاف ذلـك فتقـدم النـورزو وافتتاح الخراج عن موعده شهرا زمن هشام فأضر بالناس وجرت محاولات مـع هشـام، ثـم مع يحيي البرمكي في عهد الرشيد لمعالجة الموضوع ولكن لم يبدوا أي استعدادا لتأخير موعد النوروز[١٢٦].

٢- **الجزية**: وكان ديوان الخراج يقوم باسـتيفاء هـذه الضريبـة، وقـد أخـذت الجزيـة مـن اليهود والنصارى والمجوس[١٢٧].

سارت جباية جزية السواد على سنة الخليفة عمر بن الخطاب(٤٨) درهمـا للأغنيـاء و(٢٤) درهماً من متوسطي الحال و(١٤) من الفقراء في السنة وقد سار الأمويون عليها[١٢٨].

٣- **عشور التجارة**: وهي النسبة المفروضة على الأموال التجارية الواردة إلى أراضـي الدولـة الإسلامية وأول من أحدث هذه الضريبة الخليفة عمر بن الخطاب، فقد كتب إليه أبو موسى الأشعري: "أن تجاراً من قبلنا مـن المسـلمين يـأتون أرض الحـرب فيـأخذون منـهم العشـر" فكتب إليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمـة نصـف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهما، وليس فيما دون المائتين شئ فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه[١٢٩].

---

(١٢٥) الدوري، تاريخ العراق، ص٥١.

(١٢٦) الدوري، تاريخ العراق، ص٥١.

(١٢٧) ابن خرداذبه، المسالك ،ص١٤٤، الصولي، ص٢١٤، أبو يعلي، ص١٥٤.

(١٢٨) أبو يوسف الخراج، ص٤٨، الشيباني، السير، ص٢٦٣، أبو يعلي، ص١٥٣.

(١٢٩) أبو يوسف، ص١٤٦، يحي بن أدم، ص١٣٧، أبو عبيد، ص٤٧٦.

لقد حدد الخليفة عمر بن الخطاب نصاب الضريبة ب(٢٠٠) درهم وحدد نسبة الدفع (١/١٠) على القادم من خارج دار الإسلام و(١/٢٠) على الذمي و(١/٤٠) على المسلم[١٣٠].

يقوم باستيفاء هذه الضريبة عمال الدولة المكلفين بذلك فإذا تم الاستيفاء كتب العاشر للتجار وثيقة بالإدارة لتكون بأيديهم حجة دالة على الدفع حتى لا يتكرر دفع الضريبة عند المرور على عاشر". [١٣١]

٤-بالإضافة إلى عشور التجارة يتولى عمال الخراج جباية أموال الصدقات[١٣٢].

٥-الخمس: ويؤخذ من أربعة أبواب: أولا الركاز: وهو دفين الجاهلية والكفار القدماء فإذا وجده أحد فعليه الخمس والأربع أخماس الأخرى له[١٣٣].

ويؤخذ الخمس من المعدن، وهو الموضع الذي يوجه فيه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد وقد اختلف فيه فقال أهل العراق فيه الخمس كالركاز، وقال أهل الحجاز فيه الزكاة، ومن ذلك ما يخرج من البحر(سيب البحر) كالحلية والعنبر وقد أكد أبو يوسف أن فيها الخمس. ومن وجوه الخمس، خمس الغنيمة الذي يأخذها المسلمون من مال المشركين. [١٣٤]

ب- ديوان الصدقات:

ومن الدواوين المهتمة بالشؤون المالية ديوان الصدقات، وكانت مهتمه النظر في موارد الصدقات، وفي تحديد مستحقيها، وكيفية توزيعها.

اسمه مأخوذ من آية الصدقات في قوله تعالى: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، فريضة من الله والله عليم حكيم"[١٣٥].

---

[١٣٠] أبو يوسف، ص١٤٣، الشافعي، ج٧، ص٢٥٤.
[١٣١] أبو يوسف، ص١٤٣.
[١٣٢] أبو يوسف، ص٨٧.
[١٣٣] الشافعي، ج٢، ص٤٣، الصولي، ص١٩٩، أبو يعلي، ص١٢٨.
[١٣٤] أبو يوسف، ص٣٢٣، الصولي، ص١٩٩.
[١٣٥] سورة التوبة، الأية ٦١.

والصدقة هي الزكاة أو العشر[١٣٦]، ويعرف الماوردي الصدقة بقوله " الصدقة زكاة والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، ولا يحسب على المسلم في ماله حق سواها، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم، "ليس في المال حق سوى الزكاة، والزكاة تجب في الأموال المرصدة للنماء أما بنفسها أو العمل فيها ومعونة لأهل السهمين"[١٣٧] ويذكر الشافعي بأن الصدقة هي الزكاة والأغلب على أفواه العامة أن للثمر عشرا وللماشية صدقة وللورق زكاة وقد سمى رسول الله هذا كله صدقة فما أخذ من مسلم من زكاة مال أو ماشية أو زرع أو زكاة فطر أو خمس ركاز أو صدقة معدن أو غيره مما وجب عليه في ماله بكتاب أو سنة أو إجماع المسلمين فمعناه واحد وقسمة واحدة[١٣٨].

ويذكر أبو عبيد بأن الصدقة هي "زكاة أموال المسلمين من الذهب والورق، والابل والبقر والغنم والحب والثمار[١٣٩].

ويذكر القلقشندي " إذا صلح ما ذكره القضاعي في تاريخه (عيون المعارف) بأن الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كانا يكتبان للنبي أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان يكتب له خرص النخل، أمكننا القول بأن هذا الديوان قد وضع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٤٠]. ويذكر ابن آدم بقوله " وأما الزكاة في الأرض والزرع والثمار، مما كان من أرض من هذه الأرضين التي لم يوضع عليها الخراج فهي أرض عشر ، والعشر هو الصدقة ، وهو الزكاة المفروضة على المسلمين في زرعهم وثمارهم"[١٤١].

والأموال المزكاة نوعان: ظاهرة وباطنة، فالظاهرة ما لا يمكن اخفاؤه كالزرع والثمار والمواشي، والباطنة ما أمكن اخفاؤه من الذهب والفضة وعروض التجارة[١٤٢]. قال تعالى "

---

(١٣٦) يحيى بن أدم، ص١١٢.

(١٣٧) الماوردي، ص١١٣.

(١٣٨) الشافعي، الأم، ج٨، ص١٥٥.

(١٣٩) أبو عبيد، الأموال، ص٢٥.

(١٤٠) القلقشندي، صبح، ج٦، ص٩١.

(١٤١) يحيى بن أدم، الخراج، ص١١٢.

(١٤٢) الماوردي، الأحكام، ص٧٠، الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٧٣.

خذ من أموالهم صدقــة تطـهرهم وتزكيـهم بـها"[١٤٣]، وهكـذا خضعـت الجماعـة الإسـلامية لضريبة واحدة هي الصدقة أو الزكاة أو العشر وكلها أسماء لضريبة واحدة.

أما النصارى فلا يدفعون سوى الجزية والخراج وعشر التجارة(العشور). وقد شذت عن هذه القاعدة قبيلة بنى تغلب النصرانية إذ عاملها الخليفة عمر بن الخطـاب معاملـة خاصـة لامتناعها عن دفع الجزية فأبدلها الخليفة عمر بالصدقة المضاعفة اعتقـادا منـها أن الجزيـة عنوان الذل والصغار[١٤٤].

"وليس لوالي الصدقات النظر في زكاة المال الباطن وأربابه أحق بـإخراج زكاتـه منـه إلا أنه يبدلها أرباب الأموال طوعا فيقبلها منهم ويكون في تفريقها عونـها لهـم ونظـره مختـص بزكاة الأموال الظاهرة يؤمر أرباب الأموال برفعها إليه"[١٤٥].

وينبغي لوالي الصدقات أن يسم كل ما أخذ منها من بقر أو ابل في أفخاذها ويسم الغنم في أصول آذانها ويجعل الميسم مكتوب لله لأن مالكـها أداهـا لله[١٤٦]، وأن أمـوال الصدقـات يجوز أن ينفرد أربابها بقسمتها في أهلها بخلاف من في يده من مال الفئ[١٤٧].

ومن الواجب أن يبعث الوالي المصدق فيـوافي أهـل الصدقـة مـع حلـول الحـول فيـأخذ صدقاتهم وأحب ذلك في المحرم[١٤٨].

وقد عين الرسول صلى الله عليه وسـلم منـذ البـدء عمـالا علـى الصدقـات أي جـامعي للصدقات، وقد كان المصدق يتولى جميع الصدقات من أكثر من قبيلـة، فبعـث النـبي صلـى الله عليه وسلم بأشخاص[١٤٩]، يجمعون الصدقة من القبائل.

---

(١٤٣) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

(١٤٤) أبو عبيد، الأموال، ص٧٢١.

(١٤٥) الماوردي، الأحكام، ص١١٣.

(١٤٦) الشافعي، الام، ج٨، ص١٦٠.

(١٤٧) الحسلي، الاستخراج، ص١١٦.

(١٤٨) الشافعي، الأم، ج٨، ص٤٤.

(١٤٩) أنظر أسماء الأشخاص الذين بعثهم النبي لجمع الصدقات في : هشام الكلبي، جمهرة النسب، قسم ١، ص٧٠. يحيـى بـن آدم، الخراج، ص١٤٨، الواقدي، المغازي، ج٣، ص١٧٣. ابن هشام، السيرة، ج٤، ص١٨٢ أبو عبيد ، الأمـوال، ص٢٨٩-٢٩٠. أبو يوسف ، الخراج، ص٨٨ خليفة بن خياط، تاريخ ، ص٩٨-٩٩. البخاري، صحيح، ج٢، ١٣٠، ١٦٠، ابـن قتيبـة، المعارف، ص١٢٨، ١٣١، البلاذري، أنساب، ج١، ص٣٨٤، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١. الأصفـهاني، الأغـاني، ج١٤، ص١٢، ج١٥، ص١٦٣. ابن عبد البر، الاستيعاب، ،ج٢، ص٤٢٠-٤٢١، ابن عساكر، تاريخ دمشـق، ص٢٨٧-٢٨٨ (عـاصم المقريزي، امتاع، ج١، ص٤٣٣، ٥٠٩، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٢٢٥-٢٢٦.

وكذلك استمر الخلفاء الراشدين من بعد رسول الله في بعث المصدقين إلى القبائل فبعث أبو بكر[١٥٠]، وعمر[١٥١]، وعثمان[١٥٢]، وعلى بن أبي طالب[١٥٣]، بأشخاص لجمع الصدقات من القبائل، فحدد النبي صلى الله عليه وسلم القواعد الخاصة بالزكاة وعمل المسلمون الأوائل بها في دقة تامة فلم يستطع الخلفاء أن يعفوا أحدا من دفعها.

وكتب الرسول إلى عماله أن رسول الله مولي غنيكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهله، إنما هي زكاة تزكون بها لفقراء المؤمنين[١٥٤].

وكانت الزكاة تؤخذ في خلافة الراشدين من المسلمين المسجلين في العطاء، ففعل معاوية ذلك بأن سن أخذ الزكاة من الأعطية[١٥٥]، وكان عامل الصدقة يحمل كتاب أمير المؤمنين وعهده إلى القبيلة التي سيجبي صدقاتها، ويضرب الفسطاط، ويدخل أفراد القبيلة لدفع صدقاتهم[١٥٦]، بينما يرد عند ابن عساكر أنه كان لكل قوم عريف منهم يجمع الصدقات من أموالهم[١٥٧]، وأغلب الظن أن الرواية الأولى تنطبق على القبائل في البادية، بينما تنطبق الثانية على المقيمين في المدن والحاضرة.

وكان الخلفاء الأمويون يعينون عمالا للصدقات غير عمال الخراج، ويشير الجهشياري لديوان الصدقات لأول مرة في خلافة هشام بن عبد الملك إذ تقلد اسحاق بن قبيصة بن ذؤيب ديوان الصدقة لهشام بن عبد الملك[١٥٨]، ولكن من الأرجح أن هذا الديوان وجد قبل خلافة هشام بن عبد الملك، فيروى عن اسحاق بن يحيي أنه قال " قدمت على عمر بن عبد العزيز فوجدته قد جعل للخمس بيت مال على حدة وللصدقة بيت مال على حدة، وللفيء بيت

---

[١٥٠] أنظر: أسماء الأشخاص الذين بعثهم أبو بكر في : أبو يوسف، الخرا، ص٧٦. المبرد، الكامل، ح٢، ص١٨٥.

[١٥١] أنظر: أسماء الأشخاص الذين بعثهم الخليفة عمر بن الخطاب في: البلاذري، انساب، ج٥، ص٣١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ح٢، ص٥٢٣، الطرطوشي، سراج الملوك، ص٢٤٤، ابن العربي، العواصم، ص١٨٢.

[١٥٢] أنظر : أسماء الأشخاص الذين بعثهم الخليفة عثمان بن عفان في : البلاذري، أنساب، ج٥، ص٢٨-٢٩، اليعقوبي، تاريخ ، ح٢، ص١٥٥. ابن أبي حديد، شرح، ج٣، ص٣٥، أبو الفداء، مختصر، ح١، ص١٧١.

[١٥٣] أنظر: أسماء الأشخاص الذين بعثهم الخليفة على بن أبي طالب في : اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٨٦، ابن أبي حديد، شرح، ج١٥، ص١٨٥.

[١٥٤] أبو عبيد ، الأموال، ص٢٨٩-٢٩٠.

[١٥٥] أبو عبيد ، الأموال، ص٥٦٣-٥٦٤.

[١٥٦] البلادري، أنساب، ج٥، ص٣١٠.

[١٥٧] ابن عساكر، تهذيب، ج٦، ص١١٧

[١٥٨] الجهشياري، الوزراء، ص٦٠.

مال على حدة[١٥٩]، من هنا يتبين لنا أن ديوان الصدقة وجد قبل فترة هشام بـن عبـد الملـك بن مروان. وكتب عبد الملك بن مروان للجحاف بـن حكيـم بـن عـاصم السلمي عـهدا علـى صدقات بكر وتغلب بالجزيرة[١٦٠].

ولم يكن هناك تحديد أو تدخل في قواعد الزكاة لأنها حـددت بنـص لا يمكـن تغـييره وفق الأهواء، وعندما وزع معاوية العطاء السـنوي، اسـتقطع الزكـاة الواجبـة علـى أصحـاب العطـاء في السـنة[١٦١]، وللصدقـة ديـوان في مركـز الخلافـة لــه فـروع في سـائر الولايـات والبلدان[١٦٢]، وبعث أيضا الخلفاء الأمويون المصدقين لجمع الصدقات من القبائل فولى مروان بن الحكم عمر بن عبد الرحمـن بـن عـوف صدقـات بـني كلـب وقشـير وجعـدة والحريـش وحبيب وعبد الله[١٦٣]، وعين هشام بن عبد الملك أخاه محمد بن عبد الملك على مصر وبقـى على الصدقة إلى أن مات هشام وتولى الخلافة مروان بن محمد[١٦٤]، وكذلـك تـولى اسـماعيل بن عبيد الله سنة مائة صدقات أفريقية[١٦٥].

من هنا نلاحظ أن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج، فمـال الخـراج فـئ لجميع المسلمين بينما الصدقات لمن سماهم الله في كتابه العزيز أي للفقراء وغيرهم، هـذا ولم يكن من الضروري توزيع إيرادات هذا الباب على جميع الأصناف المذكورة أو استيعاب كـل صنف بل يصح اختصاص صنف دون آخر، ولو كان هذا الآخر موجودا حسـب رأي الإمـام واجتهاده في تقديم الأهم، وما هو أنفع للمسلمين في حدود الآية[١٦٦]، وقال رسول الله صلـى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: الغازي في سبيل الله، أو العـامل عليـها، أو الغارم، أو رجل اشتراها بماله، أو رجل له جار مسكين تصدق على هذا المسكين فـاهدى

---

(١٥٩) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٠٠.
(١٦٠) البلاذري، أنساب، ج٥، ص٦٢.
(١٦١) مولوي حسيني، الإدارة العربية، ص٢١٦.
(١٦٢) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ح١، ص٢١٤.
(١٦٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١٦-١٧.
(١٦٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٢٥١.
(١٦٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٢١٣.
(١٦٦) أبو يوسف، ص٨٧-٨٨.

إلى الغنى. وأخذ أهل المدينة بظاهر الحديث وقالوا: تحل الصدقة للغازي، وإن كان غنيا وللغارم إذا كان غرمه لإصلاح ذات البين وإن كان غنيا[١٦٧]

والفرق بين أموال الفيء والصدقات أن مصرف الثانية مقصور على من عينتهم الآية الكريمة"إنما الصدقات للفقراء والمساكين). أما الأولى فهي تصرف في مصالح المسلمين عامة، وتعيين ذلك بالاجتهاد وتصرف في أعطيات الجيش وأرزاق القضاة والمعلمين، وكل العاملين في المصلحة العامة، وفي رفع ما ينوب الناس من النوائب[١٦٨]، وقد نص أبو يوسف على أن مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج[١٦٩]، ويظن من النصوص الواردة أن الصدقات في العصر الأموي صرفت أحيانا لأهل الفيء بعبارة أخرى في أعطيات المقاتلة والذرية، وذلك لحاجة الدولة إلى الأموال ، وعدم كفاية الفيء في بعض الأحيان لدفع أعطيات المقاتلة.

أما في العصر الأموي فقد انتقل مركز الخليفة وأصبحت الأموال ترسل للشام، وبالنسبة للمدينة لم يعد الفضل يرسل إليها، وبالتالي كانت الدولة الأموية تضطر أحيانا إلى دفع أعطيات مقاتلة المدينة من الزكاة.

ولقد كانت أرض الحجاز والمدينة وأرض اليمن وأرض العرب كلها كانت أرضا عشرية فلم يكن من الضروري أن يسجل في ديوان الصداقات مساحات الأراضي العشرية وإنما كان يسجل فيها أسماء الذين يملكون الأراضي ونوع الزرع وحالة سقيه بسيح أو في الدالية لاختلاف حكمه ليستوفي على موجبه[١٧٠]، أما البلاد التي امتد الفتح الإسلامي إليها والتي أصبح فيها ارض عشرية كالتي أسلم عليها أهلها أو التي استأنف المسلمون احياءها إلى جانب أراضي الخراج فكان لابد من تفصيل ما كان منه عشرا في ديوان العشر وما كان منه خراجا في ديوان الخراج.[١٧١]

---

(١٦٧) الشيباني، السير الكبير، ج١، ص١٦٢

(١٦٨) أبو عبيد، الأموال، ص٢٥.

(١٦٩) أبو يوسف، الخراج، ص٨٧.

(١٧٠) الماوردي، ص٢٠٧، أبو يوسف، ص٥٥-٥٦.

(١٧١) الماوردي، أحكام، ص٢٠٧.

وتجب الصدقة على كل مالك تام الملك من الأحرار وإن كان صغيرا أو معتوها أو امـرأة لا فرق بينهم في ذلك، وتجب في مال كل واحد منهم سواء ذلك في الماشية أو الزرع أو زكـاة الفطر.[١٧٢]

ويشترط في عامل الصدقات أن يكون حرا مسلما عادلا عالما بأحكام الزكاة[١٧٣]، وعليـه أن يتولى الأموال الظاهرة التي لا يمكن إخفاؤها كالزرع والثمار والماشية، أما الأموال الباطنـة كالذهب والفضة وعروض التجارة فعلى أصحابها إخراج زكاتها طوعا[١٧٤].

وعلى العامل أن يدعوا أهلها إلى إخراجها ويرغبهم في المسارعة في ذلك تمييزا لهم عن أهل الذمة في الجزية، وإذا كتم الرجل زكاة ماله وأخفاها عن العمال أخذهـا العـامل بـالقوة ونظر في سبب إخفائها.[١٧٥]

وكان عمال الصدقة يأخذون رزقهم من مال الصدقـة بينمـا كـان موظفـوا الدولـة كلـهم يأخذون أرزاقهم من مال الفئ[١٧٦]، ويذكر ابن لهيعة عن أبي الأسود قال "سمعت مروان بن الحكم يقول لأهل المدينة" أن أمير المؤمنين معاوية قد أمر بأعطياتكم وافرة غـير منقوصـة. وقد اجتهد نفسه لكم وقد عجز من المال مائـة ألـف، وذلـك لمـا أخـل فيكـم مـن الالحـاق والفرائض. وقد كتب إلي أن آخذها من صدقة مال اليمن إذا مرت علينا قال : فجثـا النـاس على ركبهم، فنظرت إليهم يقولون: لا والله لا نأخذ منها درهما واحدا، أنأخذ حق غيرنا؟ إنما مال اليمن صدقة، والصدقة لليتامى والمساكين ، وإنما عطاؤنا مـن الجزيـة، فـاكتب إلى معاوية يبعث إلينا ببقية عطائنا. فكتب إليه بقولهم فبعث إليه معاويـة ببقيتـه"[١٧٧]. لذلـك رفض أهل المدينة أخذ أعطياتـهم مـن صدقـات أهـل اليمـن. فالصدقـات تعطـى لأصحابـها المحتاجين. وذكـر أن عمـر بـن الخطـاب عنـد مقدمـه الجابيـة مـن أرض دمشـق مـر بقـوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات[١٧٨].

---

[١٧٢] الشافعي، الأم، ج٨، ص١١٣.

[١٧٣] الماوردي، الأ؛كام، ص١١٣.

[١٧٤] الماوردي، الأحكام، ص١١٣.

[١٧٥] الماوردي، الأحكام، ص١٢١.

[١٧٦] أبو يوسف، الخراج، ص٢٠٢.

[١٧٧] أبو عبيد، الأموال، ص٣٦٩.

[١٧٨] البلاذري، فتوح، ص١٣٥.

من هذا كله نستطيع القول أن الصدقة زكـاة والزكـاة صدقـة، وهـي تجـب في الأمـوال المرصدة للنماء، وتجـبي مـن الأمـوال الظـاهرة الـتي يمكـن اخفاؤهـا، كالمواشـي، وعـروض التجارة، والثمار، والزروع، أما الباطنة كذهب والفضة فأصحابها أحق باخراجها، فلا يحق لعامل الصدقات أخذها، وعمله مقتصر على جباية الأموال الظاهرة وهي:

١-عشور التجارة.

٢-المواشي: الأبل والبقر، والغنم وتجب زكاتها بشرطين أحدهمـا أن تكـون سـائمة ترى الكلأ، والثاني أن يحول عليها الحول.

٣-زكاة الثمار والزروع(العشور) وهي وارد أرض العشر التي يمتلكها المسلمون، وقـد كان يكتب في ديوان الصدقـات أسمـاء الذيـن يملكـون الأراضـي العشـرية في بـلاد العرب، وقد انتشرت هذه الأراضي في السواد، فهناك أراض عشرية حول البصـرة لكونها أراضي موات وأحياها المسلمون[١٧٩].

وهناك أراضي نقلت من الخراج إلى العشر وهي الأراضـي الـتي اسـلم عليـها أهلـها حين فتحها المسلمون. وأراضي خرجت من أيدى أهلها إلى مسلمين بهبات وغير ذلك، من أسباب الملك فاعتبرت عشرية، وكانت خراجية فردها الحجاج إلى الخراج، ثم ردهـا عمـر بن عبد العزيز إلى الصدقة ثم ارجعت بعده إلى الخراج[١٨٠].

كانت تجب زكاة الثمـار والـزروع حـين تبلـغ نصابهاخمسـة أوسق. وتجـب عنـد صلاحها واستطابة أكلها ومقدارها حسب كلفتها فما يسقى سيحا أو تسقية السـماء، ففيـه العشر، فما سقى بالدلو ففيه نصف العشر.[١٨١]

أما عن طريقة جمع مال الصدقات، فقد ذكر أبو يوسف بأن من اللازم اختيار رجل وتوليته جميع الصدقات في البلدان وهو يقوم باختيار أقوام يرتضيهم، ويسأل عن مذاهبهم، وطرائفهم، وأماناتهم يجمعون إليه صدقات البلدان[١٨٢].

---

[١٧٩] أبو يوسف، ص٨٣-٨٤، أبو عبيد الأموال، ص٥٠٩، الماوردي، ص١١٣.

[١٨٠] الطبري، ج٩، ص٢٠٣.

[١٨١] أبو يوسف، ص٥٦.

[١٨٢] أبو يوسف، ص٨٧.

ويبدو أن جباية الصدقة كـان يتولاها عمـال الخـراج، وهـذا واضح مـن قـول أبـو يوسـف" وقـد بلغـني أن عمـال الخـراج يبعثـون رجـالا مـن قبلـهم في الصدقـات فيظلمـون ويعسفون ويأتون ما لا يحل ولا يسع"[183].

وعلى الرغم من أن رأي الفقهاء كان صريحاً بعـدم جمـع مـال الصدقـات إلى أمـوال الخراج، فإن الواقع يخالف ذلك. يقول أبو يوسف للرشيد: "ولا تولهـا عمـال الخـراج إلى مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل فيمال الخراج" كما قال " ولا ينبغي أن تجمع مال الخراج إلى مال الصدقات والعشور لأن الخراج فئ " لجميع المسلمين والصدقات لمـن سمـى الله عـز وجل"[184].

---

[183] أبو يوسف، ص٨٧.

[184] أبو يوسف، ص٨٨.

جـ- ديوان الطراز:-

الطراز : ما ينسج من الثياب، وهو يدل أيضا على الموضع الذي تنسج فيه وهو أيضا مؤسسة حكومية تشرف على صناعة الأسلحة، والمنسوجات[185].

والطراز كلمة فارسية الأصل مشتقة من لفظ "ترازيدن" بمعنى التطريز وعمل المدبج[186]، وأصبح بعد ذلك يدل على الملابس المميزة للخلفاء وما يشبه " ملابس التشريفة". ولا سيما إذا كان يحليها شئ من التطريز وأشرطة من الكتابة، وما لبث مدلول هذا اللفظ أن اتسع حتى انتهى في العربية والفارسية إلى الدلالة على المصنع والمكان الذي تنسج فيه مثل هذه الأقمشة[187]، وكذلك أطلق لفظ طراز على الكتابة الرسمية التي كانت تكتب على القراطيس وأوراق البردي[188].

كما أن الطراز كلمة فارسية معربة[189]، استعملها العرب في اشعارهم عند التفاخر بأنسابهم فجاء في شعر حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الانوف من الطراز الأول

كما وردت في الشعر بمعنى الجيد من كل شيئ وذلك ما قاله أحد الشعراء

فاخترت من جيد كل طرز جيدة القد جياد الخرز[190]

ويظهر المعنى الواضح لكلمة طراز في استخدامها في النسيج، فكانت تعني في الأصل التعليم (الكتابة) والتطريز[191]، ثم صارت اللفظة تعني: النسيج المحلى بسطور من الكتابة تنسج على حافة القماش، وتحوي اسم الخليفة (أو الأمير) ولقبه، وبعض عبارات الدعاء،

---

(185) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٤٦٦، الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٨٨٠، الزمخشري، أساس البلاغة، ص٢٧٨، محمد عبد العزيز مرزوق ، الفن الإسلامي، ص١٢٢.

(186) سيده كاشف، الوليد، ص٢٦-٢٧.

(187) زكي محمد حسن، المنسوجات الإسلامية، ص٩٧٢.

(188) سيدة كاشف، مصر، ص٢٨٧.

(189) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص٨٨٣، الجواليقي، المعرب، ص٢٢٣. ابن منظور، لسان، ج٥، ص٣٦٨، الشهاب الخفاجي، شفاء، ص١٢٨. ويذكر بابنجر أن أصل كلمة طراز مأخوذة من الكلمة الفارسية (ترازيدون)وتعني التطريز.

Babınger Tiraz EL Vol. 4. P. 785.

(190) الجواليقي، المعرب، ص٢٢٣. ابن منظور، لسان، ج٥، ص٣٦٨

(191) الجوهري، الصحاح، ج٣، ص٨٨٣، الزمخشري، أساس، ج٢،ص٦٧،٦٨، وأنظر ابن الأثير(المبارك)، النهاية، ج٣، ص١١٩، ابن منظور،لسان ، ج٥، ص٣٦٨. ادي شير، الألفاظ، ص١١٢.

وكانت الكتابة تحاك من خيوط الذهب، أو خيوط ذات ألوان ذهبية[١٩٢] وتكون عادة الزخرفة على شكل شرائط كتابية تتخللها زخارف نباتية[١٩٣]، وقد تكون الشرائط خالية من الكتابة والزخرفة إلا أنها بلون يختلف عن لون الثوب[١٩٤].

وأخيراً اتسع مدلول لفظه طراز حتى انتهى في العربية إلى الدلالة على المصنع الذي تنسج فيه مثل هذه الأقمشة[١٩٥]، فعرف ذلك بدار الطراز.

فديوان الطراز إذن هو الذي يقوم بإنتاج الملابس والأزياء الرسمية والأعلام وشارات الدولة والشعارات في جميع الأحوال[١٩٦]، ومن المعروف أن من أبهة الملك السلطان ومذاهب الدول حسبما يذكر ابن خلدون " أن ترسم أسماء الملوك أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو "الابريسم" تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب ألحاما واسداء بخيط الذهب، أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك، ووضعه في صناعة نسجهم، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته" [١٩٧].

كانت دور الطراز بالنسبة للخلفاء والأمراء مظهر من مظاهر السلطان وكانت تنسج الخلع والهدايا التي يقدمها الخليفة لكبار رجال دولته علامة تشريف لهم. وكانت تنسج البسط والأعلام والبنود والفرش والثياب[١٩٨].

كان الخليفة عمر بن الخطاب بوزع الملابس، وكذلك كان الأمويون يعطون الناس المقربين إليهم الخلع والهدايا والجوائز. غير أن هذا لا يعلل قيام دور الطراز في هذه الفترة

---

(١٩٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٠، الدوري، تاريخ العراق، ص١٠٦.

(١٩٣) ابن الزبير، الذخائر، ص٢١١.

(١٩٤) الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١، ص١١٧، ويظهر من بيت شعر لعلي بن المحسن التنوخي في وصف أحد جسور بغداد "فكان دجلة طيلسان أبيض والجسر فيها كالطراز الأسود"

(١٩٥) الزمخشري، أساس، ج٢، ص٦٧، ابن الأثير، (المبارك)، النهاية، ج٣، ص١١٩.

(١٩٦) ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٧١.

(١٩٧) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٧٢-٤٧٢.

(١٩٨) الصابي ، رسائل، ص١٤١، الدوري ، تاريخ العراق، ص١٠٦.

من أيام الدولة الإسلامية، لأن الحكم الراشدي كان يغلب عليه طابع الزهد والتقشف ولا بد من تأخر قيام دور الصناعة إلى منتصف أيام الدولة الأموية.(١٩٩)

كانت بلاد الشام تشتهر بصناعة المنسوجات قبل الإسلام- ففيها كان يصنع الربط والثياب البيض والبرانس والجبب(٢٠٠).

وهكذا اقتبس خلفاء الدولة الأموية الطراز من دولتي الروم والفرس ولم يحدثوا أي تغيير جوهري على صناعة النسيج السابقة في الإسلام، وقنعوا بإدخال الكتابة العربية التي تشير إلى أسمائهم مع كلمات تجرى مجرى الفأل أو السجلات(٢٠١).

ويشير الجهشياري إلى أن ديوان الطراز نشأ زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(٢٠٢)، في حين يذكر الدوري أن ديوان الطراز نشأ في عهد عبد الملك بن مروان(٢٠٣).

ومما لا شك فيه أن ديوان الطراز نشأ في عهد عبد الملك بن مروان وأرجج هذا القول لأن عبد الملك هو أول من نقل الطراز إلى العربية، فيذكر البلاذري أن "القراطيس كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر، وتأتي العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله، فكتب إليه ملك الروم "إنكم أحدثتم في قراصيسكم كتاباً نكرهه، فإن تركتموه وإلا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه" فاستاء من ذلك عبد الملك، واستشار خالد بن يزيد بن معاوية في هذا الأمر فقال له خالد: "يا أمير المؤمنين، حرم دنانيرهم ، فلا يتعامل بها واضرب للناس سككا ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير" (٢٠٤)، فقال عبد الملك: " فرجتها عني فرج الله عنك" (٢٠٥)، وذكر عوانة أن الأقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه إلى الربوبية وتجعل الصليب مكن بسم الله بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك

---

(١٩٩) العيون والحدائق ، ج٣، ص١٢٣.

(٢٠٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٤، ص١١٤، أدب الكاتب، ص٢٠٢. صالح أحمد العلي، الألبسة العربية في القرن الأول والثاني للهجرة، مجلة الأبحاث، ج١، العدد ١٤ لسنة ١٩٦١، ص٥٧٨.

(٢٠١) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٧١-٤٧٢.

(٢٠٢) الجهشياري، الوزراء، ص٦٠.

(٢٠٣) الدوري، النظم، ص١٩٧.

(٢٠٤) الطوامير، جمع طومار وهو الصحيفة.

(٢٠٥) البلاذري، فتوح، ص٢٤١-٢٤٢، ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص١٧٦.

كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره[٢٠٦]، من هنا نلاحظ أن أول من نقل الطراز إلى العربية عبد الملك بن مروان وكان الطراز على أبواب الخلفاء وستور منازلهم وقراطيسهم في خلافة بني أمية كما كان عند الروم[٢٠٧]، والكتابة عليه بالرومية، وظلوا على ذلك أيام عبد الملك فجعله في العربية وبدأ بالقراطيس وكانت تصنع بمصر، وكان صناع القراطيس في مصر من المصريين وكانت أغلبيتهم أو كلهم في عهد الفتح من الأقباط وأكثرهم لا يزال على النصرانية فكانوا يطرزونها بالرومية وطرازها " بسم الأب والابن والروح القدس"[٢٠٨].

فظهر الإسلام وفتحت مصر والشام والطراز باق على ما كان عليه، أما عن كيفية تنبه عبد الملك لذلك الطراز فقد كان يوما في مجلسه فمر به قرطاس فرأى عليه الطراز بالرومية، فقرر أن يستطلع فحواه فأمر أن يترجم بالعربية، فلما وقف على الترجمة أكبر أمرها وقال " "ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام، أن يكون طراز القراطيس وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل مصر تدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت على هذه الصورة[٢٠٩]، ثم كتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان عامله على مصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وغير ذلك، وأن يستبدلوا تلك العبارة بعبارة التوحيد "لا إله إلا هو" ففعل وظل هذا طراز القراطيس في سائر أيام الدولة الإسلامية، ولم يغير شئ من جوهره[٢١٠].

وكتب عبد الملك إلى عمال الآفاق جميعا بأبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من يخالف ذلك بالضرب الوجيع والحبس الطويل[٢١١].

وكان ملوك العجم قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم أو أشكال وصور معينة لذلك، ثم استعاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتابة أسمائهم مع كلمات

---

(٢٠٦) البلادري، فتوح، ص١٤١-١٤٢.

(٢٠٧) حرحي ريدان، تاريخ، ج١، ص١٤١.

(٢٠٨) البلاذري، فتوح، ص٢٤٢، حرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، ص١٤.

(٢٠٩) البلاذري، فتوح، ص٢٤٢، البيهقي، المحاسن ، ص٤٦٧-٤٦٩.

(٢١٠) البلادري، فتوح، ص٢٤٢.

(٢١١) البلادري، فتوح، ص٢٤٢، البيهقي، المحاسن، ص٤٦٧-٤٦٩، اس تعري بدوي، المحوم، ج١، ص١٧٦.

أخرى تجرى مجرى الفأل والسجلات[٢١٢]، فنلاحظ في العصر الإسلامي أن صناعة المنسوجات وزخرفتها تطورت تطورا منتظما غير فجائي، فبدأ في الاستغناء شيئا عن الرسوم الآدمية والحيوانية التي كانت في الفن القبطي وقوى الميل إلى الزخارف الهندسية، وبدأت الكتابة تلعب دورا كبيرا وهاما في صناعة المنسوجات[٢١٣]، يتضح لنا من هذه النصوص أن ديوان الطراز نشأ في عصر عبد الملك بن مروان، وذلك لأن تدوين كل ديوان كان له سبب خاص، فتدوين ديوان الجند له سببه كما أسلفنا سابقا، كذلك تدوين ديوان الخاتم وسك العملة له سببه ، من هذا يتبين أن تعريب الدواوين والنقد والطراز تم في عهد عبد الملك بن مروان أي حين بدأ تعريب المؤسسات الإدارية في الدولة وكانت إساءة الروم إلى المسلمين والإسلام في كتابتهم على الطراز والنقود أدت بعبد الملك إلى الاستغناء عن طرازهم ونقودهم وعمل على إنشاء دور الطرز ودور الضرب. وقد كان الطراز معروفا عند الفرس والروم ولكن المسلمين لم يستخدموا الصور التي كانت تزين ملابسهم لأنها محرمة في الإسلام فاستعاضوا عنها بكتابة آيات من القرآن وكتابة أسمائهم عليها.

ويجب أن نلاحظ أن إشارة الجهشياري إلى ديوان الطراز في عصر هشام يقصد بها أنه أعيد تنظيمه بنمط خاص وكثرت اختصاصاته وأصبح لهذا الديوان كاتب يكتب على الطراز، فكتب لهشام على الطراز جنادة بن أبي خالد واسمه موجود على الثياب الهاشمية[٢١٤]، وهذا يقودنا إلى القول أن الدواوين لم تنشأ وتدون وتصبح ذات اختصاصات في وقت واحد وإنما أصبح كل خليفة يعمل تنظيم وترتيب في الديوان حسبما يراه مناسبا وحسب علاقاته مع الدول المجاورة. فأصبحت مهمة ديوان الطراز الإشراف على المصانع التي تنسج الملابس الرسمية والشارات والأعلام وهذه هي معامل الطراز[٢١٥]، وقد بنى الخلفاء في قصورهم دورا لنسيج أثوابهم وكانت الدور المعدة لنسجي أثوابهم في القصور تسمى دور الطراز ، وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز، ينظر في أمور الصباغ والآلة

(٢١٢) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٧٢.
(٢١٣) زكي محمد حسن، المنسوجات الإسلامية المصرية، مجلة الرسالة، العدد ١٠٢، ص٩٧٢.
(٢١٤) الجهشياري، الوزراء، ص٦٠.
(٢١٥) الدوري، النظم، ص١٩٧.

والحاكة فيها، وإجراء أرزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم[٢١٦]، ولما حملت هذه القراطيس إلى بلاد الروم وعلم الامبراطور بها، أنكر ما فيها، واستشاط غيظا[٢١٧].

وكان هناك نوعان من المصانع الحكومية لنسيج الطرز الأول طراز الخاصة، وكان لا يشتغل إلا للخليفة ورجال بلاطة وخاصته، والثاني طراز العامة وكان يتبع بيت مال الحكومة ولكنه كان يشتغل لحساب بلاط الخليفة وأفراد الشعب[٢١٨].

وكانت مصر قبل الإسلام مشهورة بصناعة النسيج، وكان الأقباط يحملون لواء هذه الصناعة مدة طويلة لدرجة أن العرب كانوا يطلقون على المنسوجات المصرية قباطي[٢١٩]، نسبة إلى أقباط مصر الذين تفوقوا في هذا المجال، ولذلك عمد العرب إلى الإفادة من هذه الشهرة في كسوة الكعبة ومنح الخلع، فكانت الكعبة تكسى في الجاهلية من الانطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاما بعضها فوق بعض، ثم كساها عمر وعثمان القباطي. وكساها عثمان من قباطي مصر وبرود اليمن، فلما كان معاوية كساها الديباج من القباطي. فكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطي في آخر شهر رمضان، واستمر ذلك متبعا حتى نهاية الدولة الأموية[٢٢٠]، وقد كان الخلفاء يتبارون في إرسال الكسوة السنوية إلى الكعبة من المنسوجات النفيسة التي كانت تصنع عادة في طراز الخاصة بمصر[٢٢١].

وكان معاوية بن أبي سفيان قد عمل له الطراز باليمن وبمصر والإسكندرية والرها فاتخذ أهله وولده ما اتخذ[٣٨]، وكان هشام بن عبد الملك يحب الثياب ونفائس اللباس، وكان الناس يتبارون في التجارة فيها ويتبضعون ألوانها ويتواصفون أنواعها[٢٢٣].

وأنه كان يصنع للخلفاء بتنيس ثياب فاخرة تعرف باسم البدنة ويذكر المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان لما كبرت سنه كان لا يدفئه إلا الأكسية التي تعمل بمصر من صوف

---

(٢١٦) ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٧٢.

(٢١٧) جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص١٤١.

(٢١٨) زكي محمد حسن، الفن الإسلامي في مصر، ص٨٥.

(٢١٩) سيدة كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص٢٨٠.

(٢٢٠) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص١٦٨-١٦٩.

(٢٢١) زكي محمد حسن، الفن الإسلامي، ص٨٦.

(٣٨) الثعالبي، لطائف المعارف، ص١١٦-١١٧

(٢٢٣) اليعقوبي، مشاكله الناس، ص١٦.

الماعز فعمل له منها عدد فما احتاج منها إلا واحد[٢٢٤]، وشاع في عصر سليمان بن عبد الملك نوع من الترف والتأنق في الزي بتوجيه من الخليفة، فقد فرض على رجاله وأهل بيته وخدمه ارتداء الموشى لشدة ولوعه بهذا النوع من النسيج الذي تدخل في لحمته وسداه خيوط الذهب ويعرف أيضا بالمقصب، وفي أيامه عمل الوشي الجيد باليمن والكوفة والإسكندرية ، ولبس الناس جميعا الوشي جبابا وأردية وسراويل وعمائم وقلانس[٢٢٥]، وذكر المسعودي "أنه كان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته إلا في الوشي. وكذلك عماله وأصحابه ومن في داره، وكان لباسه في ركوبه وجلوسه على المنبر، وكان لا يدخل عليه أحد من خدامه إلا في الوشي، حتى الطباخ، فإنه كان يدخل إليه وفي صدره وشي، وعلى رأسه وشي، وأمر أن يكفن في الوشي المثقلة[٢٢٦].

وقد كانت الكتابات على الطراز تشمل اسم الخليفة والقابه وبعض عبارات الأدعية، وكثيرا ما كان يذكر فيها اسم المدينة التي فيها الطراز واسم الوزير وصاحب الخراج وناظر الطراز[٢٢٧].

كان الطراز من الأهمية حتى أنه كان من علامات الخلافة فكان الخليفة يكتب اسمه على كل ما يخرج من النسيج[٢٢٨].

كان يشرف على دور الطراز ديوان الطراز، وكانت مهمة صاحبه النظر في أمور العاملين في المعامل فيما يتعلق بهم من الأجور، والنظر في شراء ما يحتاجونه من الآلات، وتسجيلها وتحديد ما استهلك منها، وكان يشترط في صاحب الطراز الثقة والدارية والعلم والكفاية بمجال عمله[٢٢٩].

وكان يشرف ديوان الطراز على خزائن الكسوة الملحقة بدور الطراز، فقد انشئت خزائن الكسوة لحفظ المنسوجات والثياب على أنواعها التي تنتجها دور الطراز، وكانت الخزائن على نوعين: خزائن كسوة العامة وخزائن الخاصة وقد عرفت الأولى منذ أيام عمر

---

(٢٢٤) سيده كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص٢٦.

(٢٢٥) اليعقوبي، مشاكلة الناس، ص١٥. المسعودي، مروج ، ج٣، ص١٧٥.

(٢٢٦) المسعودي، مروج، ج٣، ص١٧٥.

(٢٢٧) زكي محمد حسن، الفن الإسلامي، ص٨٥.

(٢٢٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٠، القلقشندي، صبح، ج١٠، ص٤٣.

(٢٢٩) الصابي، رسائل ، ص١٦٤، ابن خلدون ، المقدمة، ص٢١٠، القلقشندي، صبح، ج١٠، ص٢٩، ٤٣.

ابن الخطاب، أما الثانية فكانت غالبا ما تلحـق بقصـور الخلفـاء، والأمـراء، فتخـزن فيـها ثياب الخليفة أو الأمير وكذلك الحلل والكسوات، وكان لهذه الخزائـن مشـرفون، وكتـاب، وخزان يتولوا تسجيل ما يرد إلى خزينة الكسوة من الثياب وتصنيفها. [٢٣٠]

وقد زاد اهتمام الخلفاء الأمويين بارتداء الملابس الفاخرة، فالوليد بن عبد الملك كان يرتدي الخز[٢٣١]، وفي خلافة سليمان أقبل الناس على لبس الوشي، جبايا واردية وسـراويل وعمائم وقلانس[٢٣٢]. واتخذ هشام بن عبد الملك طرازا له قدر، واستكثر منه حتـى قيـل أنـه كان يحمل عل سبعمائة جمل[٢٣٣]. ويستنتج أن إكثاره منها يدل على إنفاقه أمـوالا طائلـة، وعلى تشغيله عددا كافيا من العمال للحصول على هذا الإنتاج الكبير.

وكان سليمان قد كتب سنة ١٠٨هـ إلى سائر الأفاق في كل صنف من الثياب والفرش والأنية والألة أن يتخذ له شئ بصفته، فقيل أن كل شئ عمـل يومئـذ لـه أجـود شـئ يـراه الناس، لم يعمل قبله ولا بعده" [٢٣٤].

وإلى هشام ينسب أيضا الخز الأخضر، وكان يكسو الناس الخز الأصفر وأمـا الخـز الأخضر والأحمر فيدخره لنفسه[٢٣٥]. ربما لأنه كان غالي الثمن. وكان مما عمله هشام أيضـا" الخز الرقم، وغيره من الوشي والأرسني وأصناف الثياب" [٢٣٦].

ومما يدل على اهتمامه بالطراز تعيينه " جنادة بن أبي خالد، الذي كان يكتب لـه على الطراز، واسمه على الثياب الهاشمية" [٢٣٧].

وهذه الثياب تنسب إلى الخليفة هشام ولعله كان يبيع المنتوج - وربما- كان لـه أثر على المنتوجات التي تنتجها المعامل الخاصة، غير أننـا لا نعـرف مقـدار الأسـعار الـتي كانت تباع بها.

(٢٣٠) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١١، ابن الزبير، الذخائر، ص٢١٤، الصابي، الوزراء، ص٢٢.

(٢٣١) البلاذري، فتوح، ص١٧١، الجاحظ، التبصرة، ص٢١

(٢٣٢) المسعودي، مروج، ج٣، ص١٨٤، ابن الأثير، اللباب، ج٣، ص٢٧٥.

(٢٣٣) أ،ظر : مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٦٤.

(٢٣٤) القاضي الرشيد، التحف والهدايا، ص٢١١.

(٢٣٥) اليعقوبي، تاريخ ،ج٢، ص٣٢٨.

(٢٣٦) القاضي الرشيد، التحف، ص٢١١.

(٢٣٧) الجهشياري، ص٦٠.

وقد استمر الطراز بعد هشام، فيذكر الأصفهاني: أن الوليد الثاني كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا عليه من مطيبة ومصبغة.. ويؤتي بثيبا نظاف من ثياب الخلافة فيصلي بها"[٢٣٨].

وثياب الخلافة على الأرجح- كانت تصنع في دور الطراز التي تمتلكها الدولة.

إلى جانب صناعة المنسوجات يرجح- وجود معامل لصنع السلاح في بلاد الشام، فبعض الأسلحة- خاصة- السيوف كانت تنسب إليها، وتسمى بأسماء بعض المناطق التي كانت تصنع فيها ومنها:

السيوف الشامية[٢٣٩]، والسيوف المنسوبة إلى دياف وبصرى في إقليم حوران[٢٤٠]، والسيوف المشرفية المنسوبة إلى مشارف الشام[٢٤١]. والسيوف الأريحية المنسوبة إلى مدينة أريحا والمعروفة بجودتها[٢٤٢].

"ولم يصلنا من تلك السيوف سوى سيف مستقيم نقش على نصله اسم الصانع بكتابة غير واضحة، وكذلك سنة صنعه عام مائة من الهجرة، واسم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.

وسيف آخر نقش على نصله تاريخ سنة ١٠٥هـ، واسم الخليفة هشام، [٢٤٣]، واشتهرت كثير من مدن الشام .. في صناعة طرق المعادن لوجود الحديد في بعض جبال لبنان، وشمال الشام في الفرول ودوما والشوير ومشقرة، ومن جوار دمشق من مشارف حوران والقلمون.." [٢٤٤].

وربما كانت دور الطراز تشرف على الحركة العمرانية، وتقوم بإنشاء المساجد والمنشأت العامة والقصور، غير أننا لا نعرف مقدار ما كان ينفق عليها، وعدد العمال الذين كانت تعهد إليهم تلك المهمات.

---

[٢٣٨] الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٨١.
[٢٣٩] الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص١٨٤.
[٢٤٠] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٨٩-٤٦٩.
[٢٤١] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص١٩٤.
[٢٤٢] أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٣٥٨، عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الإسلامي، ص١١٤-١٢٤.
[٢٤٣] عبد الرحمن زكي، السيف، ص١٢٤.
[٢٤٤] اسكندر المعلوف، صناعات دمشق القديمة، ص٣٨٨.

د- ديوان المستغلات:

يرجح الدوري أن ديوان المستغلات: كان ينظر في إدارة أموال الدولة غير المنقولة من أبنية وعمارات وحوانيت(٢٤٥)، ونعتقد أن لهذا الديوان علاقة بالصوافي، وأن له أهمية في الإشراف على إدارتها، وفي الأنفاق على إصلاحها وتعميرها(٢٤٦)، غير أننا لا نعرف تفاصيلها، ولا نعرف متى نشأ هذا الديوان في الدولة الإسلامية، ولكن لأول مرة ترد إشارة "أن نفيع بن ذؤيب تقلد للوليد بن عبد الملك ديوان المستغلات، وأن أسمه مكتوب على لوح في سوق السراجين بدمشق(٢٤٧)، وذكر سيد أمير علي ديوان المستغلات باسم مجلس الإيرادات المتفرعة(٢٤٨).

ونستنتج من هذا : أن الديوان كان قائما في خلافة الوليد، ولعله أحدث قبل هذا الوقت. وأن وجود أسمه على لوح في سوق دمشق له دلالته على وجود أملاك عائدة إلى الدولة، وأن نفيع كان يشرف على جباية وارداتها.

ويبدو أن هذا الديوان تأسس للأشراف على المباني والأسواق الحكومية المؤجرة والطواحين(٢٤٩)

هـ- ديوان النفقات:-

يرجح أنه كان يشرف على أعمال الصرف، والأنفاق على إنشاء الأبنية والمساجد والقصور، التي كانت موضع اهتمام معظم الخلفاء الأمويين، وربما كان يشرف أيضا على تسليح وتجهيز الجيوش(٢٥٠).

ويذكر البلاذري: "أن سليمان بن عبد الملك ولى النفقة على بناء مدينة الرملة، ومسجد الجماعة فيها، كاتبا نصرانيا من أهل لد يقال له البطريق يوحنا بن النكا" (٢٥١).

ويذكر: الجهشياري " أن سليمان قلد النفقات لعبد الله بن عمرو بن الحرث" (٢٥٢).

---

(٢٤٥) الدوري، النظم الإسلامية، ص١٩٧.

(٢٤٦) أنظر عن وظائف ديوان المستغلات عند الفرس: ابن حوقل: المسالك والممالك، ص٢١٧.

(٢٤٧) الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٨١، والجهشياري، ص٤٧.

(٢٤٨) سيد أمير علي، مختصر، ص١٨٤.

(٢٤٩) الريس، الخراج، ص٢٢١، Duri Diwan 2, vol. 2. P324

(٢٥٠) أنظر عن وظائفه عند العباسيين: قدامة: الخراج: ص٨-٩.

(٢٥١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٩٥.

وتقلدها ليزيد الثاني هشام بن مصـاد[٢٥٣]، وتقلدهـا لهشـام: زيـاد بـن أبـي الـورد الأشجعي، وكان اسمه مكتوب على ميناء صور[٢٥٤].

وكان يكتب لمروان بن محمد على النفقات زياد بن أبي الورد واسمه مكتـوب علـى ميناء صور وميناء عكا " ما أمـر بإصلاحـه أمـير المؤمنـين وجـرى علـى يـد زيـاد ابـن أبـي الورد"[٢٥٥].

وهذه المصادر ذكرت الأسماء مجردة، دون أن تشير إلى الفترة التي أحدث فيها هذا الديوان، ودون أن تذكر المهمات والأعباء التي ألقيت على عهدة الذين تقلدوا هذا الديـوان، كما أنها أهملت ذكر مقدار الأموال التي أرصدت في الديوان لغرض الإنفاق.

وكان يكتب للرسول صلى الله عليه وسـلم علـى نفقاتـه بـلال، ومعيقيـب بـن أبـي فاطمة خازنه[٢٥٦].

وكان ديوان النفقات موجودا لدى ملـوك فـارس فيذكـر الجهشـياري "وكـان للملـوك فارس ديوانان أحدهما، ديوان الخراج، والآخر ديوان النقات، فكان كل ما يرد فإلى ديـوان الخراج وكل ما ينفق ويخرج في جيش أو غيره ففي ديوان النفقات" [٢٥٧].

فإنه يمكننا القول أن هذا الديوان كان يقوم بتسجيل كل ما ينفق على مرافق الدولة من أموال صادرة من بيت المال في دمشق، بدلا من أن تكون هذه المسؤولية ملقاء علـى عـاتق ديوان واحد هو ديوان الخراج، ويبدو أن هذا الديوان كان مركزيا، وقد بقى كذلك في العصر العباسي عندما كانت أكبر مهماته القيام بنفقات دار الخلافـة وحاجاتـها ونفقـات الدواويـن المركزية.

بينما كانت دواوين الخراج في الولايات تقوم مقام ديوان النفقات فيها بالإضافـة إلى تسجيلها لما يجبى من خراج وضرائب أخرى، فكانت تسـتوفى مـن تلـك الأمـوال النفقـات الراتبة وأعطيات الجند وترسل الباقي إلى العاصمة [٢٥٨].

---

(٢٥٢) الجهشياري، ص٤٩.

(٢٥٣) ابى عبد ربه، العقد الفريد. ج٤، ص٤٤١.

(٢٥٤) الجهتياري، س٨٠.

(٢٥٥) خليفة، تاريخ، ص٣١٩، الجهشياري، ص٨٠.

(٢٥٦) حليفة، تاريخ، ص٩٩.

(٢٥٧) الجهتياري، ص٣.

فوجود الديوان لدى الفرس يعني أن الأمويين تأثروا بهم وأخذوا منهم ترتيب وضع هذا الديوان وأدى بالتالي نفس المهام التي قام بها هذا الديوان زمن الفرس.

فهذا الديوان بقي ينظر في كل ما ينق ويخرج في جيش أو غيره أي أنه ينظر في المصروفات كافة، وأن كان يتصل في عمله ببيت المال اتصالا وثيقا(٢٥٩)، وبهذا يمكن القول أن ديوان النفقات كان يقوم بعملية تسجيل كل ما يصرف ويوزع على المؤسسات الإدارية والمرافق الأخرى من النقود بدلا من أن تكون عملية التوزيع ملقاة على عاتق وكاهل ديوان واحد وهو ديوان الخراج، ويمكن أن نقول أن هذا الديوان كان في مركز الخلافة. بينما كانت دواوين الخراج في الأقاليم والولايات تقوم مقام ومحل ديوان النفقات من هنا قلنا أن ديوان النفقات كان مركزيا(٢٦٠).

واستمر هذا الديوان في العصر العباسي لأن هذا الديوان أصبح يقوم بنفقات دار الخلافة، فذكر الحسن بن عبد الله أن هذا الديوان هو ديوان الأمانة والحاشية، صاحب هذا الديوان ينبغي أن يكون جيد الحساب والقسمة والضرب والمكاييل والوزن والأسعار والضرائب عارفا بجميع الأصناف من الملابس والمطاعم والآلات والحيوان وقيمها ثم الرسوم السلطانية والوظائف والعطاء والوفد والأضياف والصلات والرسائل والهدايا وصاحب هذا الديوان يسمى مستوفيا وهو في الأسم الفارسي ارفع الدواوين(٢٦١)، وذكر قدامه أن هذا الديوان تقسم مجالسه على حسب ما يجري فيه من الأعمال فمن ذلك الجاري، وله مجلس مفرد يسمى مجلس الجاري، ويفرد العمل مما يعمل في ديوان الجيش، ومجلسه في ديوان الخراج(٢٦٢).

---

(٢٥٨) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١، ص٥١.

(٢٥٩) الدوري، النظم الإسلامية، ص١٩٦.

(٢٦٠) ابن مسكويه، تجارب، جح٥، ص١٩٣-١٩٤. التنوخي، الفرج، ج١، ص٥١.

(٢٦١) الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص٧٢.

(٢٦٢) قدامه بن جعفر، الخراج، ص٣٣.

و- ديوان الأحباس:

وظهر في الفترة الأخيرة من العصر الأموي ديوان جديد لم يذكر إلا زمن خلافة هشام بن عبد الملك وهو ديوان الأحباس(٢٦٣)، وديوان الأحباس أو الأوقاف يرجع إلى سنة ١١٨هـ فكان القضاة هم الذين يشرفون عليه، وأول قاض بمصر وضع يده على الأحباس توبة بن نمر في زمن هشام، إذ كانت الأحباس في أيدي أهلها وفي أيدي أوصيائهم فقال توبة" ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظا لها من التوراث فلم يمت توبة حتى صارت الأحباس ديوانا عظيما (٢٦٤).

فكانت الأحباس تصرف لجهة بر أو منفعة أو غير ذلك(٢٦٥)

ز- ووجد أيضا في الدولة الأموية ديوان للزمنى، فيذكر ابن عساكر عن تأسيس ديوان للزمنى "إذ كان اسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي على هذا الديوان بدمشق، وهو من أهلها، وأن الوليد بن عبد الملك قال له لما ولاه: "لأدعن الزمن أحب إلى أهله من الصحيح وكان يؤتي بالزمن حتى توضع في يده الصدقة" (٢٦٦).

ويبدو أن هذا الديوان كان مجرد سجل استحدث في عهد الوليد بن عبد الملك، الذي فرض لفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء (٢٦٧) وجعل للزمنى سجلا خاصاً بهم يثبت فيه أسماءهم وما ينفق عليهم.

إذ كان بعض المقاتلة المسجلين في الديوان يصابون من جراء الحروب والأمراض بعاهات دائمة تعجزهم عن المشاركة في الغزو والبعوث ومع أن هؤلاء المقاتلة كانوا يعفون من الغزو بشكل نهائي فإن أسماءهم لم تكن تشطب من الديوان بل يكتفي بكتابة كلمة "زمن" أمام اسم الواحد منهم تميزا لهم عن المقاتلة الأصحاء فيذكر أبو مخنف الكوفي أن الحجاج ضرب البعث على أهل البصرة لقتال الخوارج سنة ٧٥هـ فجاءه شريك بن عمرو اليشكري وكان أعورا وبه فتق يسأله الإذن في التخلف لعدم مقدرته على الخروج في البعث قائلا"

---

(٢٦٣) الكندي، كتاب الولاة، ص٣٤٦، القلقشندي، صبح، ج١، ص٤١٨.

(٢٦٤) الكندي، الولاة، ص٣٤٦.

(٢٦٥) الموسوعة العربية الميسرة، ص١٩٥٥.

(٢٦٦) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج٢، ص٤٥٢، ابن حجر، تهذيب، ج١، ص٢٤٧.

(٢٦٧) الذهبي، سير، ج٤، ص٣٤٨.

أصلح الله الأمير أني عرضت على بشر بن مروان فأمر العّراض أن يوقعوا على اسمي زمنا"[٢٦٨]. ويعرف السمعاني الزمن فيقول "هذه الصفة من الزمانة وهي العلة من الرجّلين أو بعض الأعضاء فيزمن الآدمي[٢٦٩]".

ومن المتوقع أن يكون هناك زمنىً من أيام الراشدين، ومع ذلك فلا توجد إشارات إلى الزمني فى تلك الفترة، والروايات المتوفرة تتحدث عن الزمنى في العصر الأموي، إذ كان الأمويون يقومون بين فترة وأخرى بعرض المقاتلة وفرز الزمنى منهم، وكانت عملية تقدير الزمانة تتم بحضور الخليفة في المركز ، والولاة في الأمصار، فيذكر محمد بن سهل، أن الحجاج قام في أثناء ولايته على العراق والمشرق (٧٥-٩٥هـ) بضرب البعث على المحتملين ومن أنبتَ من الصبيان "وأحضر الحكم بن عبدل فجرد فوجد أعرجا فأعفى" [٢٧٠].

وتذكر المصادر أن الفالج والعرج البيّن من العلل التي تجعل المقاتل في عداد الزمنى، ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أن الخليفة عمر بن عبد العزيز " جلس يعرض الناس، ويكتب الزمنى، فوقف عليه أعرابي، فقال:

أن تكتبوا الزمنى فإني لزمن   من ظاهر الداء وداء مستكن

فقال: زمنوا هذا " [٢٧١]، وجاء رجل يدعى عرام بن المنذر وكان من المعمرين أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز " فدخل على عمر ليزمن فقال له عمر: ما زمانتك؟ فقال.

والله ما أدري أأدركت أمـــة   على عهد ذي القرنين أم كنت أقدما

متى تنزعا عني القميص تبيّنا   جناحين لـم يكسين لحما ولا دما

يقصد بالجناحين عظام الصدر، فقال عمر: ويحكم دعوا هذا وزمنوه فإنه لا يدري متى ميلاده" [٢٧٢]. وهكذا كان تقدير علة هذا لشخص بحضور الخليفة، واعتبر التقدم في السن الذي يرافقه ضعف جسدي عام من بين الأسباب التي تجعل صاحبها في عداد الزمنى

---

[٢٦٨] البلاذري، أنساب، مخطوط ق٢، ص:٤-٥، الطبري، ج٦، ص:٢١٠.

[٢٦٩] السمعاني، ج٦، ص:٣٠٠.

[٢٧٠] الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص:٣٧٢.

[٢٧١] الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص:٥٦٧.

[٢٧٢] القالي، ذيل الأمالي، ص:٧٠-٧١، الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٥٦٧.

والزمنىّ يستمرون في أخذ العطاء من بيت المال كما يتبين من إقبالهم على التسجيل في عداد الزمنى زمن عمر بن عبد العزيز، ويؤيد ذلك أن الزمنىَ في خلافة الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٥هـ) كانوا يأخذون العطاء فيذكر صاحب العيون والحدائق أن الوليد بن عبد الملك" أجرى على العميان والمرضى والمجذومين الأرزاق" (٢٧٣). ولم يقتصر دفع الأعطيات للزمنى على المركز (في الشام) بل شمل كافة الأمصار فقد كتب الوليد بن عبد الملك إلى جميع الأمصار" بحبس المجذمين وأن تجري لهم وللعميان والزمنى الأرزاق، وأن تعمل لهم البيمارستانات التي يعالج بها المرضى" (٢٧٤).

كانت أعطيات الزمنى أقل من عطاء الأصحاء إذ أعطوا ما يشبه الراتب التقاعدي في عصرنا الحاضر، قال عبد الرحمن الطويل عامل ديوان الجند بدمشق زمن عمر بن عبد العزيز " كنت أنا على الديوان ففرضوا لرجل زمن، فقلت الزمن ينبغي أن يحسن إليه فأما أن يأخذ فريضة رجل صحيح فلا، فشكوني إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا: يعنتنا ويشق علينا ويعسرنا. قال فكتب إلي: إذا أتاك كتابي هذا فلا تعنت الناس ولا تعسرهم ولا تشق عليهم فإني لا أحب ذلك" (٢٧٥). ويؤيد ذلك ما ذكره الزهري، أن سهم الفقراء في الصدقة يعطى نصفه " للفقراء الذين لا يغزون مثل الزمني والمكث الذين يأخذون العطاء" (٢٧٦) . وقد عّرف بعض الفقهاء العراقيين الفقير الذي يحل له الأخذ من الصدقة بأنه الشخص الذي يقل دخله السنوي عن مائتي درهم ولو بدرهم واحد(٢٧٧). واعتبار الزهري الزمنى من الفقراء يشعر بأنهم كانوا يأخذون عطاء يقل عن ٢٠٠ درهم في السنة، وهو الحد الأدنى لعطاء المقاتلة العرب في العراق(٢٧٨). وأقل من الحد الأدنى لعطاء المقاتلة العرب في الشام بمائة

(٢٧٣) العيون والحدائق، ج٣، ص١٢، وانظر الطبري، ج٦، ص٤٣٧، ٤٩٦. الثعالبي، لطائف المعارف، ص:١٨، ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٩، ابن العبري، ص١١٣، ابن كثير البداية، ج٩، ص:١٨٤، الديار بكري، ج٢، ص٢١٢، السيوطي، ص١٤٩، الحصني، ج١، ص:٩٧.

(٢٧٤) العيون والحدائق، ح٣، ص:٤، القلقشندي، مآثر، ج٣، ص٣٤٦.

(٢٧٥) أبن سعد، ج٥، ص: ٣٨٠.

(٢٧٦) أبو عبيد، ص:٧٦٤، قدامة بن جعفر، ص:٢٥٤.

(٢٧٧) قدامة بن جعفر، ص:٢٥٣-٢٥٤.

(٢٧٨) الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص١٦١.

درهم . ويذكر الطبري أن عمر بن عبد العزيز أجرى على كل واحـد مـن الزمنـى في البصـ خمسين درهما في السنة [٢٧٩].

وبالإضافة إلى الأعطيات كانت الدولة الأموية أحيانا تخصص العبيد والخـدم للزمنـ ليقوموا بخدمتهم ورعايتهم فيذكر البلاذري أن الوليد بن عبد الملك "أعطى كل مقعد خاد، وكل ضرير قائداً" [٢٨٠] . وقال الحكم بن عمر الرعيني "شهدت عمر بن عبـد العزيـز وجـ صاحب الرقيق فسأله أرزاقهم وكسوتهم وما يصلحهم فقال: كم هو؟ قال: كـذا وكـذا الفـ فكتب إلى أجناد الشام أن أرفعوا إلى كل أعمى في الديوان أو مقعدا أو من به فالج، أو من زمانة تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فرفعوا إليه، فأمر لكل أعمى بقائد ولكل اثنين من الزمني بخادم، قال: وفضل من الرقيق، فكتب أن أرفعوا إلي كل يتيم ومن لا أحد لـه مـ كان جرى على والده الديوان، فأمر لكـل خمسـة منـهم بخـادم يتوزعونـه بينـهم بالسو، وكتب أن يفرقوهم جندا جندا" [٢٨١].

ويبدو أن أخلاف عمر بن عبد العزيز اسـتمروا في دفـع الأعطيـات للزمنـى، وتوز الخدم عليهم عندما يتوفر لدى الدولة عدد من العبيد، فيذكر المدائني (توفي سنة ٢٢٥هـ) الوليد بن يزيد(١٢٥-١٢٦هـ) "أجرى على زمنى أهل الشام وعميانـهم وكساهم وأمـر لـ إنسان منهم بجائزة وخادم يخدمه"[٢٨٢]. وهذه الرواية تبين الموقف من الزمنى في الشام فقد

يتبين مما مر أن الدولة الأموية لم تتخل عن المقاتل الذي يصاب بعاهة دائمـة تقعـ عن القيام بواجبه في الغزو والبعوث، بل كانت ترعـاه وتصـرف لـه عطـاء وأن كـان قليـ وتساعده من مال الزكاة على اعتبار أنه فقير وأن عطاءه لا يكفيه، وكانت توزع الخدم علـ الزمني ليعتنوا بهم ويساعدوهم على قضاء حاجاتهم، وخصت أهل الشـام بـالنصيب الأو من تلك الرعاية فكان لذلك أثرة في نفوس المقاتلة الشاميين إذ كانوا جنـد الأمويـين الأوفـ الذين اعتمدوا عليهم في قمع الثورات وفي الفتوحات.

---

[٢٧٩] الطبري، ج٦، ص:٥٦٩-٥٧٠.

[٢٨٠] البلاذري، أنساب، خطوط، ق٢، ص١٠٨، الطبري، ج٦، ص٤٩٦، العيون والحدائق، ج٣، ص١١.

[٢٨١] ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ح١٣،ص:، ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز،ص:١٨٣.

[٢٨٢] البلاذري، أنساب، مخطوط، ق٢، ص:٣١٨ ،الطبري، ج٧، ص:٢١٧، ابن اعثم، ج٨، ص:١٣٩، العيـ والحدائق، ج٣، ص:١٢٣، ابن عساكر، تاريخ، مخطوط، ج١٧، ص:٤٦٧.

٣- الدواوين المختصة بشؤون القضاة والأحكام:-

أ- ديوان القاضي:-

يشار إلى ديوان القاضي في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)، فيذكر وكيع: "وجد في ديوان القضاء بسوق الأهواز كتابا فيه هذا ما قضى به سالم بن أبي سالم سنة مائة، أو إحدى ومائه" [١] ويحتمل أن هذا الديوان كان موجودا قبل هذا التاريخ، فوجدوه في الولايات يشعر بوجود ديوان مركزي قبل هذا التاريخ، ولا يتبين متى صار للقاضي ديوان، ولكن الإشارات إلى اتخاذ القاضي كاتبا، ترد في وقت مبكر، فقد أورد وكيع: "كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، أن كاتبك الذي كتب إلي لحن، فاضر به سوطا"[٢]. كما أن أول قاضي اتخذ سجلا بقضائه، كان سليم بن عتر، يذكر ابن حجر: "اختصم إلى سليم بن عتر في ميراث، فقضى بين الورثة، ثم تناكروا، فعادوا إليه فقضي بينهم، وكتب كتابا بقضائه، وأشهد فيه شيوخ الجند[٣]، وكان "أول القضاة بمصر سجل سجلا بقضائه" [٤]. ويلاحظ أن سليم بن عتر تولي القضاء سنة ٤٠هـ إلى وفاة معاوية. ولعل وجود الكاتب ثم السجل كان بمثابه نواة للديوان.

فرض الراشدون والأمويون الأرزاق للقضاة والمعلمين والمؤذنين، ذكر الحسن البصري، أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان" كانا يرزقان المؤذنين والأئمة والمعلمين والقضاة" [٥]، وذكر نافع مولى ابن عمر أن عمر بن الخطاب استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقاً [٦].

وأكثر الإشارات المتوفرة هي عن رزق القضاة في مصر فمثلا جمع عبد العزيز بن مروان والي مصر(٦٥-٨٤هـ) لبشير بن النضر المزني (توفي سنة٦٩هـ) بين القضاء والقصص وبيت

---

(١) وكيع، أخبار، ج٣، ص٣٢ز.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٦.
(٣) ابن حجر، رفع ق٢، ص٢٥٤.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٤.
(٥) الخطيب البغدادي، ج٢، ص:٨١، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:١٢٥، السيوطي، ص:١١١.
(٦) المسعودي، التنبيه، ص:٢٩٣، ابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص:٤٥١، ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص:٧٤، ابن قدامة، المغني، ج٩، ص٣٧.

المال. وكان رزقه في كل سنة ألف دينار وذلك أنه كان لـه علـى القضاء مائـة دينـار وعلـى القصص مثلها وعلى بيت المال مثلها، وفي الجوائز مثلها". وكان عبد الرحمـن بـن حجـيرة الخولاني (توفي سنة ٨٣هـ)" مع عبد العزيز بن مروان على قضاء مصر . فكان رزقـه مـائتي دينار، وفي القصص مائتي دينار، وفي بيت المال مائتي دينار وعطـاؤه مائتـا دينـار وجائزتـه مائتا دينار فكان يأخذ في السنة ألف دينار" [٧].

لم تكن هذه الظاهرة تقتصر على مصر، بل كانت موجودة في الأمصار الأخـرى فمثـلا كان شريح الكندي يتولى قضاء الكوفة من أيام عمر وحتى وفاتـه سـنة ٧٨هــ، وكـان يـأخذ عطاء مع المقاتلة[٨]. وأجرا على القضاء[٩]. وضم إليه زياد بن أبيه ولاية بيـت المـال وأجـرى عليه رزقها، فيذكر المدائني(توفي سنة٢٢٥هـ) أن زيادا قال لشريح "أني أريـد أن أزيـدك في رزقك فقال لا حاجة لي في أكثر مما فرض لي عمر. قـال: فـأني أوليـك عمـلا أجـرى عليـك رزقك فقال لا حاجة لي في أكثر مما فرض لي عمر. قال : فـإني أوليـك عمـلا أجـري عليـك رزقه، قال: أنت وذاك، قال ٠أوليك الصلاة، قال. أني لا أخذ على الصـلاة رزقـا، فـولاه بيت المال وأجرى عليه الفا فكان يأخذها" [١٠]. وهذه الروايـة تبـين أن رزق صـاحب بيـت المال في الكوفة أيام زياد ١٠٠٠ درهم في الشهر. وتـرد إشـارات أخـرى إلى أرزاق القضـاة في مصر، فيذكر أن مالك بن شراحيل تولى قضاء مصر سنة ٨٣هـــ، وكـان رزقـه ٣٠٠٠ درهـم (٣٠٠٠دينار) في السنة [١١].

وهذه الرواية تشير إلى زيادة طرأت على رزق قاضي مصر بعد سنة ٨٣هــ. لكـن رزق القاضي في مصر ما لبث أن انخفض بعد تدهور الأوضاع المالية في أواخر العهد الأموي فكـان رزق قاضي مصر زمن مروان بن محمد ١٠ دنانير في الشهر أو ١٢٠ دينارا في السنة[١٢].

ورفض بعض القضاة أخذ أجر على القضاء أو على تعليم القرآن واحتسبوا عملهم لله، ذكر الوليد بن مسلم الدمشقي (توفي سنة ١٩٦هـ) أن زرعـة بـن ثـوب الدمشـقي ولي القضـاء

---

(٧) أبو عبيد، ص٧١١، أبو هلال العسكري، ص١٣٧-١٣٨.

(٨) ابن سعد، ج٦، ص:١٣٢.

(٩) ابن سعد، ح٦، ص:١٣٨، ابن قدامة، المغني، ج٩، ص.٣٧.

(١٠) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم١، ص:٢٠٥.

(١١) وكيع، ج٣، ص:٢٢٥.

(١٢) ابن حجر، رفع الاصر، ق٢، ص٣٢٠.

بدمشق زمن الوليد بن عبد الملك وكان لا يأخذ على القضاء أجرا. وكان مسروق بن عبد الرحمن قاضي الكوفة (توفي سنة٦٣ هـ) لا يأخذ على القضاء أجرا . وكان القاسم بن عبد الرحمن (توفي سنة ١١٦هـ) على قضاء الكوفة زمن عمر بن عبد العزيز لا يأخذ على القضاء أجرا. وكان القاسم يقول: أربع لا يؤخذ عليهن أجر القضاء والآذان والحساب ، والقرآن. يعني بالحساب القسّام" [١٣].

ب- دار الاستخراج

ظهرت في فترة الخلافة الأموية أيضا ما يسمى بدار الاستخراج، حيث أن الحكومة الإسلامية لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه استغلال الوظائف بل اتخذت عدة تدابير لتقييد الولاة والموظفين ومنعهم من ابتزاز الأموال أو الاختلاس فكان الخليفة عمر بن الخطاب يعين موظفين خاصين مستقلين يشرفون على جمع الغنائم وتوزيعها ولدينا أسماء بعض هؤلاء الموظفين فقد عين عمرو بن عمرو المزني على جمع الغنائم في القادسية والمدائن، وسلمان بن الربيع على توزيعها[١٤]، وعين السائب بن الأقرع على قسمة غنائم نهاوند[١٥]،وعين زياد بن أبيه وشبل بن معبد البجلي على قسمة غنائم الأبلة[١٦].

أما زياد بن أبيه فقد اهتم كثيرا باختيار موظفين من ذوي الأمانة والكفاءة وكان يعينهم لمدة سنة ولا يجدد تعيينهم إلا إذا أثبت هؤلاء الموظفون جدارتهم واخلاصهم[١٧].

أما الموظفون الذين يختلسون أموال الجبايات ولا يؤدونها للدولة فكانوا عرضة لمصادرة أموالهم، كما فعل عبيد الله بن زياد بابن برثن وجزء بن معاوية[١٨]. وكما فعل الحجاج بأموال خالد بن اسيد[١٩]، فإذا لم تسد الأموال المصادرة دين الدولة، أو إذا حاولوا اخفاءها، فإن الدولة كانت تعذبهم في دار الاستخراج التي أنشئ لهذا الغرض وكانت

---

(١٣) أنظر: أبو زرعه الدمشقي، ص٢١٠، وكيع، ج٢، ص٣٩٨، ج٣، ص٦-٧.
(١٤) الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦-٢٠.
(١٥) الطبري، تاريخ، ج٤، ص١١١-١٣٣. الطبري، تاريخ، ح٣، ص٥٩٧.
(١٦) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص١٠٩، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٢٣.
(١٧) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥٥.
(١٨) البلادري، أنساب، ج٤، قسم ٢، ص٩، ٨١.
(١٩) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم ١، ص١٥٩.

تستخدم فيها صنوف من العذاب مشهورة بشدتها[٢٠]. حيث قال فيروز حصين كنت اختلف إلى دار الاستخراج أتعلم الصبر[٢١]، وهي مكان يوضع فيه الموظفون الذين يختلسون أموال الجبايات ولا يؤدونها، وكذلك الدهاقين الدين يقصرون في الجبايات المترتبة عليهم. كما صودرت أموال الأشخاص الذين يقومون بثورة أو تمرد على الدولة أو الذين يشتبه بتقديمهم مساعدة إلى القواد الثائرين[٢٢].

وقد وجد هذا الجهاز زمن زياد بن أبيه[٢٣]، ويبدو أن أهمية دار الاستخراج زادت منذ ذلك الوقت لكثرة التلاعب بأموال الدولة والتقصير في جبايتها، واستمر هذا الجهاز حتى زمن الدولة العباسية حيث تحول إلى ديوان كبير عرف باسم ديوان المصادرات[٢٤]، غير أن هذه الوسائل اقتصرت على ما يختلس من أموال الدولة. ولم نسمع بأنها استخدمت ضد من يبتز الأموال من الفاتحين وأبناء البلاد المفتوحة، لذلك لم تمنع تماما الموظفين من الحصول على الثروات.

ولما كان أهل الشام أهل طاعة وولاء فلم يظهر مثل هذا الديوان في الشام فإننا لا نقرأ عن مصادرات للأموال فيها في هذه الفترة من تاريخنا. تروى المصادر مقدار الثروات التي جناها بعض الولاة والموظفين: ولا ريب أن بعض هذه الثروات لا تمثل إلا جزءا مما جناه هؤلاء الحكام وبعضها مبالغ فيه، ولكنها على أي حال تعطي فكرة تقريبية لما يمكن أن يجنيه الناس من الوظائف، ولمدى أثرها في نشوء كبار المثرين. فكانت ثروة أولاد زياد هذا ٢٠ مليون درهم في خلال ثلاث سنوات[٢٥].

كما ابتز عبد الرحمن بن زياد إبان إمارته على خراسان مبلغا كان يكفي على حد ادعائه "أن أعيش مائة سنة، وانفق كل يوم ألف درهم" [٢٦]، ويقال أنه أعطى عبد الله بن

---

[٢٠] الجاحظ، البيان، ج٢، ص٣٢. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥٥.

[٢١] الجاحظ ، البيان ، ج٢، ص٣٢

[٢٢] البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص٩، ٨١، ج٤، قسم ١، ص١٥٩، ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٣.

[٢٣] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٥٥.

[٢٤] صبحي الصالح، ص٣١٦.

[٢٥] الطبري، تاريخ، ج٥، ٣١٧.

[٢٦] البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص٧٥.

جعفر خمسمائة ألف درهم[٢٧]، وأعطى الشاعر يزيد بن مفرغ سيعين ألف درهم. وسعيد بن عثمان بن عفان عشرين ألف كما أعطى كلا من أنس بن مالك وعمران البرجمي وعبيد الله بن زياد بن ظبيان ثلاثمائة ألف درهم، كما أعطى المنذر بن الجارود ثمانية آلاف درهم[٢٨]، أما المهلب فقد الزمه الحجاج بمليون درهم عن ولايته عليها[٢٩]، وغرم الحجاج أبا عيينة بن المهلب مليون درهم[٣٠]، واتهم كل من نافع الطاحي[٣١]، وحمران بن ابان[٣٢]، باختلاس مائة ألف درهم.

ومن بين الأشخاص الذين صودرت أموالهم أيضا فيروز حصين مولى آل الخشخاش الذي كان أعظم موالي العراق قدرا ومالا، وقد خرج مع ابن الأشعث فقبض عليه الحجاج واراد أن يصادر أمواله قبل قتله فرفض الاعتراف بشئ عنها فقتل[٣٣]، ويزيد بن المهلب عامل الحجاج على خراسان الذي اتهمه باختلاس الأموال، وامرأة عبد الرحمن بن الأشعث[٣٤]، وجاء في كتاب ابن النديم أن أبن المقفع بن المبارك والد عبد الله بن المقفع الكاتب سمي بالمقفع لأن الحجاج "ضربه في البصرة في مال احتجنه من مال السلطان ضربا مبرحا فتقفعت يده" [٣٥].

وتجمع المصادر التاريخية على شدة الإجراءات المتبعة في دار الاستخراج حيث كان يشرف على تنفيذها رجل يعرف بصاحب العذاب، ووصفت هذه المصادر طرق التعذيب التي كانت تشتمل على شد القصب على الجسم وسحبه حتى ينسلخ الجلد، ثم يصب على موضع السلخ الخل والملح، وهي مواد كاوية لموضع الجروح تحدث ألما شديدا، كما كان

---

(٢٧) الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣١٧.
(٢٨) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢٠.
(٢٩) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٥١.
(٣٠) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص١٥٩.
(٣١) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص١٦٤.
(٣٢) البلاذري، أنساب، ج٤، قسم٢، ص٨١.
(٣٣) المبرد، الكامل، ج٣، ص٣٥٢-٣٥٣.
(٣٤) ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٥٧.
(٣٥) ابن النديم، الفهرست، ص١١٨.

يوضع الدهق[٣٦]، على الصدر زيادة في التعذيب، ونسمع عن أشخاص لا قوا حتفهم تحت هذا العذاب[٣٧]

أن هذا الإجراءات لا نبررها بأي حجة على أساس أنها منافية لروح الإسلام وعدله قبل أي اعتبار. فإن تقرير الحقيقة كاملة تجعلنا نقف على ما كان يقوله رجال الإدارة الأمويون الذين لجأوا إلى هذا الأسلوب، فقد ذكر أن قسما من الناس في ذلك العصر كان يرفض ما عليه من حقوق للدولة إلا إذا استعملت القوة معه لأداء تلك الحقوق، وهذا ما أكده عمال عمر بن عبد العزيز في العراق وخراسان. فقد كتب إليه عدي بن أرطاة عاملة على البصرة يقول: " أما بعد فإن أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتي يسهم شئ من العذاب" [٣٨].

كما كتب إليه الجراح بن عبد الله الحكمي عامله على خراسان بمثل ذلك حيث قال: "أني قدمت خراسان فوجدت قوما قد ابطرتهم الفتنة، فهم ينزون فيها نزوا. أحب الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم إلا السيف والسوط، وكرهت الأقدام على ذلك إلا بإذنك" [٣٩]. وقد رفض الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز هذا الأسلوب وحذر عامله من مغبة الأقدام عليه، وكتب إلى عامله على البصرة يقول: "أما بعد: فالعجب كل العجب من استئذانك اياي في عذاب بشر كأني لك جنة من عذاب الله، وكأن رضاي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل، فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه به البينة ومن أقر لك بشيء فخذه بما أقر به، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله" [٤٠].

وكان عمر بن عبد العزيز معارضا لفكرة تعذيب العمال لقاء خيانتهم، فانتهج بذلك أسلوبا يختلف عن أسلوب الحجاج الذي التقى مع رأي عمال الخليفة المذكورين في إشهار السيف والسوط كسياسة للناس وحملهم بها على الجادة وهو أسلوب تميز به الحجاج. وأن

---

[٣٦] الدهق: نوع من العذاب ويتكون من حشتين يضيق هما على ساق المذنب، ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص١٠٦-١٠٧.

[٣٧] المبرد، الكامل، ج٣، ص٣٥٣.

[٣٨] أبو يوسف، ص٢٩، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٢، ص٣١٠.

[٣٩] الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٠.

[٤٠] أبو يوسف، ص١٢٩. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل، ج٢، ص٣١١.

الخليفة عمر بن عبد العزيز قال عندما استؤمر في البسط على العمال " يلقون الله بخيانتهم أحب إلى من أن ألقاه بدمائهم" [٤١]

فكانت دار الاستخراج أشبه ما يسمى بوقتنا الحاضر بديوان المحاسبة حيث يحاسب كل مسؤول عن دائرته والوالي عن ولايته. ودار الاستخراج هي امتداد لمحاسبة الخلفاء الراشدين لعمالهم، فيروى أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة أن يقيم خالد ويعقله بعمامته حتى يعلمه من أين أعطى الأشعث بن قيس مبلغ عشرة آلاف درهم[٤٢]، من هنا يتبين لنا أن محاسبة ومصادرة العمال أموالهم كان موجودا منذ فترة الخلافة الراشدة ولكن بمفهوم ضيق قبل وجود دار الاستخراج في الفترة الأموية.

وتطورت في العصر العباسي دار الاستخراج وسمي ديوان الاستخراج (ديوان المصادرات) فأصبح عبارة عن دائرة مستقلة تسعى إلى تتبع أخبار الوزراء والكتاب والحجاب والعمال والولاة المهتمين بالرشوة لكي تحصى أسماؤهم وتحدد أوضاعهم، ثم تصادر بأمر من الخليفة أموالهم التي جمعوها من الحرام[٤٣].

ج - وفي أواخر العصر الأموي يرد ذكر للحسبة، في ترجمة عاصم بن سليمان الأحول(ت١٤١هـ)، فقد كان "بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان" [٤٤]. ومع أن اللفظة استعملت في أواخر العهد الأموي، فإن المنصب قد عرف قبل هذا التاريخ، فيبدو أنها حلت محل وظيفة العامل على السوق التي عرفت في فترة مبكرة [٤٥].

---

(٤١) (٦١) أبو يوسف، ص١٢٩. ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٧٦.

(٤٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٦٧.

(٤٣) صبحي الصالح، النظم، ص٣١٨.

(٤٤) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٣١٩، ٢٥٦.

(٤٥) الشافعي، الأم، ج٤، ص٤٢٥، البلاذري، أنساب، ج٥، ص٤٣. وكيع، أخبار، ج١، ص٣٥٣.

كتاب الدواوين

الكتاب هم موظفو دواوين الدولة الأموية ، والكتابة اسم عملهم، وقد شكلوا فئة لها ثقافتها ومكانتها في هذا العصر.

تطورت الكتابة تبعا للتطور الثقافي ولأهميتها في الدواوين المستحدثة حتى أصبح هناك نوع من التخصص بين الكتاب ويمكن تمييز الأصناف التالية بينهم.

١- كاتب الخراج: ويفترض فيه أن تكون لدية معرفة بالأمور المالية والحسابية وأن يكون عارفا بقانون الخراج.

٢- كاتب الجند: وله معرفة بالحساب والمصطلحات الخاصة بالجند والديوان.

٣- كاتب الرسائل: ويمتاز بثقافة لغوية وأدبية واسعة تؤهله للعمل في ديوان الرسائل، وأن يكون فصيحا بليغا عارفا بأحكام اللغة وعلومها.

٤- كاتب القاضي: ويفترض فيه أن تتوفر له ثقافة فقهية مناسبة فيكون عارفا بالحلال والحرام، والشروط والأحكام، والناسخ والمنسوخ، وأن يكون خبيرا بالجنايات وأقدارها وأن يعرف الدعاوي والبينات.

٥- كاتب الشرطة: ويفترض فيه أن يكون عارفا بالجانيات وإقامة الحدود وكل ما له صلة بأعمال الشرطة[٤٦].

وكان للكتاب من الأصناف الخمسة ثقافة مشتركة كإتقان العربية، وعلوم الدين والكلام، والأشعار، والأخبار، والسير، ولكنهم في أواخر العصر العباسي الأول ما لوا للتهاون في العلوم العربية والإسلامية وركزوا على المعارف الحديثة في عصرهم وخاصة ما ترجم عن الثقافات الأخرى ويظهر هذا من انتقاد الجاحظ لهم، الأمر الذي دفع البعض إلى وضع مؤلفات توجههم إلى العلوم العربية والإسلامية بالإضافة إلى النواحي المهنية: كأدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكتاب للصولي والبرهان في وجوه البيان لابن وهب.

---

(٤٦) ابن وهب، البرهان، ص٣٥٤، ٣٩٤، الجهشياري، ص٣، الشافعي، الأم، ج٦، ص٢١٠، حسين الكساسبة، المؤسسات الإدارية، ص١٥٥-١٧١.

كان للكتاب آداب خاصة في أعمالهم وتعاملهم، كما كان لهم لباس خاص يميزهم عن سائر الناس وكانوا يأخذون أرزاقا على أعمالهم تختلف من كاتب لآخر، فكان متوسطها(٣٠٠) درهم لرؤساء الكتاب. وكانت أرزاق باقي الكتاب دون ذلك. ويلاحظ أن أرزاق الكتاب العاملين في الدواوين المالية أكثر من الكتاب الدواوين الأخرى.

وكان الكتاب يعملون في الدواوين أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة، فلما كان عهد المهدي جعل يوم الخميس عطلة رسمية للكتاب، واستمرت الدواوين لا تعمل يوم الخميس حتى عهد المعتصم فألغى عطلة الخميس[٤٧].

---

[٤٧] الجهشياري، ص٧٥، الجاحظ، رسائل ، ج٢، ص١٨٩-١٩٤، حسين الكساسبة، المؤسسات، ص١٧١.

الفصل الرابع

تعريب الدواوين والنقود

الفصل الرابع

تعريب الدواوين والنقود

١- تعريب الدواوين:-

من أبرز أعمال الخليفة عبد الملك بـن مـروان تعريـب الدواويـن ، وهـذا التعريـب لا يشمل تعريب الدواوين فقط، بل يعني تعريب الدولة والبلاد نفسها. وهـذا كلـه تـأتى عـن طريق عليمة التعريب الشاملة للدولة الإسلامية، بعد أن دخلت الأمصار المفتوحـة في نطـاق الدولة العربية الإسلامية، وعندما بدأ تنظيم الدولة لم تتغير النظـم الإداريـة تمامـا بـل أن الخليفة عمر بن الخطاب حافظ عليها مع العمل على أن تخضع لنهج الإسلام.

وأهم ما قام به الأمويون هو تعريب الدواوين، أو بتعبـير أدق تعريـب دواويـن الخـراج يقول الجهشـياري، "ولم يـزل بالكوفـة والبصـرة ديوانـا أحدهمـا بالعربيـة لاحصـاء النـاس وأعطياتهم. وهذا الذي كان عمر بن الخطاب قد رسمه، والآخر لوجوه الأمـوال بالفارسـية، وكان بالشام مثل ذلك أحدهما بالرومية، والآخر بالعربية فجرى الأمر على ذلك إلى أيام عبد الملك بن مروان[1]".

وهكذا بقيت اللغة المستعملة في دواويـن الخـراج في الأمصـار الفهلويـة " الفارسـية" في العراق، والرومية أي " اليونانية" في الشام، والقبطية واليونانية في مصر، وهـذا منتظـر لقلـة خبرة العرب بهذه الأمور، ولأن الكتابة فن خاص، ولكن توسع خبرة العرب، وتطور الدولة واتجاهها نحو الوحدة المركزية استوجب التعديل[2].

فنلاحظ أن الخلفاء الأمويين منذ عهد معاوية بن أبي سفيان اسـتخدموا أهـل الذمـة في الكتابة والتعريب[3].

---

[1] الجهشياري، الوزراء، ص٣٨. الدوري، النظم ، ص١٩٧.

[2] البلاذري، فتوح، ص١٩٧، ٢٩٨، الجهشياري، ص٣٨، ٤٠، ص٦٧، الصـــولي ، ص١٩٢. ابـــن النـــديم، ص٣٠٣. الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣. النويري، ج٨، ص١٩٩. ابن خلدون، ح١، ص٤٣٣. القلقشـــندي، صبح، ج١، ص٤٠، ٤٢٣. المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨. الدوري، النظم ، ص١٩٧.

[3] أنظر أسماء الأشخاص الذين كتبوا للخلفاء الأمويين من أهل الدمة في الجهشـــياري، ص٢٩، ٣٤، ٤٨، ٥٩، ٦٧.

وبدأ عمر بن الخطاب أو خطوة نحو التعريب بإنشاء دواوين الجند بالعربيـة ، وبنقش عبارات عربية على النقود الساسانية والبيزنطية ولا ننسى أن جمع القرآن وتثبيت نصوصـه كان ضمانا لوحدة اللغة ولتركيز أسسها وضربة موجهة ضد التمسك باللهجات وهـو دستور الأمة والأساس الأول للتشريع[٤].

ويذكر ابن خلدون " إن مما يدل على حصافة العرب وحـزم الإدارة العربيـة أن هـذا الإنقلاب الذي طرأ على لغة الدواوين لم يكن دفعة واحدة بـل جـرى أولا في الأردن ثـم لمـا ظهرت صلاحيته نفذ في الشام وفارس ثم في مصر"[٥].

ففي عهد عبد الملك بن مروان بدأت حركة " التنظيم والتعديـل" فعمـد عبـد الملـك إلى صبغ الدولة بصبغة عربية وإلى الاعتماد على الموظفين من العرب أو الذين يتقنون العربية من أهالي البلاد المفتوحة ، لذا اتجه إلى تعريب لغة الإدارة والنظم[٦].

فتعريب الدواوين يعني قبل كل شئ اتخاذ العربية أداة للتخاطب ومصطلحا للحضارة. وهي يعني بعد ذلك اتخاذ الثقافة التي تعـبر عـن ذاتـها بالعربيـة واعتبـار نتاجـها العلمـي والأدبي تراثا واتخاذ روائعه مثالا. والتعريب يعني رابطة لغويـة ومجموعـة أذواق وأسـاليب وعادات فكرية ولا علاقة له بالتكوين البشري[٧].

والمراد بتعريب الدواوين على الأرجح هي دواوين الخراج: "أي اسـتيفاء أموالـه" إذ أن دواوين الجند: وهي دواوين صرف أموال الخراج كانت باللغة العربية منذ نشـأتها في عـهد الخليفة عمر بن الخطاب[٨] ، وكذلك ما أنشئ من دواوين بعد ذلك. أما الأولى وهي المختصة بالجباية وحساباتها فظلت بعد الفتح الإسـلامي علـى مـا كـانت عليـه تكتـب بلغـات غـير العربية[٩].

---

(٤) الدوري، مقدمة، ص٧.
(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٣٢-٤٣٣.
(٦) سيده كاشف، الوليد، ص١٨٤.
(٧) الجهشياري، ص٣٨.
(٨) الماوردي الأحكام، ص٢٠٢. المقريزي، الخطط، ج١، ص٩٨.
(٩) الجهشياري، ص٣٨. الماوردي الأحكام، ص٢٠٢. المقريزي، الخطط، ج١، ص٩٨.

من هنا يتبين لنا أن التنظيم المالي للدولة بات يتطلب وبإلحاح تعريب ديوان الخراج في كل ولاية باعتباره المؤسسة المالية الرئيسة المشرفة على الموارد والشؤون المتعلقة بها كافة[١٠].

واتسعت حركة التعريب في عهد عبد الملك وكان خالد بن يزيد رائد هذا التوسع فنقل إلى العربية كتب الكيمياء والعلوم[١١]، كذلك عرب الانجيل وبعض الكتب الدينية في عهد الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[١٢].

وبهذا بدأت حركة الترجمة العلمية من اللغات غير العربية إلى العربية، واستمرت لغات الدواوين حتى أيام عبد الملك بن مروان تكتب بلغات أهلها ويتولاها أشخاص من أهل البلاد المفتوحة، وترتب على ذلك احتفاظ الدولة بعدد من الموظفين غير العرب،فكانت لغاتهم لغات رسمية، يضطر الناس إلى الإقبال على تعلمها لأنها كانت الطريق الوحيد لتولي الوظائف في الدولة[١٣].

واستمر الحال على ذلك على عهد عبد الملك، فكانت نتيجة ذلك احتفاظ الدولة بطوائف من الموظفين، الذين يعتبرون أجانب أي من غير العرب والمسلمين، ومن نتائجه بقاء تلك اللغات الأجنبية حية وكأنها معترف بها لغات رسمية، ويقبل الناس على تعلمها وإتقانها لحاجة الدولة إليها، ولو لم تقم حركة التعريب في عهد الخليفة عبد الملك لاستمرت تلك اللغات منافسة للغة العربية، واستمر هؤلاء الأشخاص عقبة في سبيل وصول العرب إلى مناصب الدولة. وكان هذا يضعف من شأن اللغة العربية وخطرا يتهددها، وبالتالي كان يضعف من تكوين الدولة القومي[١٤].

وكانت اللغة العربية أساس الهوية العربية، فالناس عرب أو عجم بلغتهم، ولما كانت العربية لغة القرآن الكريم، فقد ارتبطت بالإسلام، مما أكسبها حرمة وساعد على انتشارها[١٥].

---

(١٠) إبراهيم العدوي ، النظم، ص٢٧٥-٢٧٦..

(١١) يوسف العش، الدولة الأموية، ص٢٢١.

(١٢) سيده كاشف، مصر، ص١٩٩.

(١٣) ضياء الدين الريس، عبد الملك بن مروان، ص٢٢٣-٢٢٤.

(١٤) ضياء الدين الريس، عبد الملك، ص٢٢٤.

(١٥) أنظر عبد العزيز الدوري، نشأة الثقافة العربية الإسلامية، ص٥٠.

سير عملية التعريب ودوافعها

جاء التعريب في اتجاهين اتجاه بشري، ويتصل بانتشار العرب على نطاق واسع في الأمصار الجديدة واستقرارهم فيها، واتجاه ثان- وهو الأشمل- ثقافي يتصل بانتشار العربية وبسيادة العربية لتصبح لغة الثقافة، ثم تكوين الثقافة العربية لتمثل روح العربية وتراثها وقيمها[١٦].

فكان انتشار العرب في الريف إضافة إلى المدن، عاملا مهما في التعريب البشري[١٧].

فبدأت عملية التعريب بدواوين الخراج لأن هذا الديوان يعتمد على الحساب والأرقام، فهو الديوان الذي يحوي أسماء الأراضي ومقدار محاصيلها ومقدار الخراج الموضوع عليها وكل ذلك كان يكتب بلغة البلاد المفتوحة، ولا ريب أن ترجمة هذا الديوان إلى العربية أمر صعب جدا فهو لا يقتصر على نقل الأرقام إلى العربية فحسب بل يجب أن تنقل أسماء المناطق والأشخاص الذين يقومون على الأراضي. وكانت أسماؤهم أجنبية لأنهم غير عرب فكانت هناك صعوبات[١٨].

وكان ديوان الخراج أو المال عصب الدولة، لما يطلع به على جميع القضايا الاقتصادية، والعسكرية والاجتماعية سواء في مركز الخلافة أو في أقاليم الدولة، وكان لا بد من أن يكون في هذه الدواوين موظفون يتمتعون بثقة الخليفة نتيجة اطلاعهم على أسرار الدولة وكان الرسول (ص) من قبل قد أحس بخطورة هذا الأمر، إذ يروى أن زيد بن ثابت قال: "أمرني رسول الله أن اتعلم له كتاب يهود، وقال تعلمته، وكنت أكتب له إلى اليهود، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم"[١٩]، ونظرا لأهمية الثقافة ودورها في الدولة فقد تعلم زيد بن ثابت الفارسية والرومية والقبطية، لئلا يضطر الرسول والخلفاء إلى الاستعانة بمثل هذه الملل والنحل في الكتابة لهم.

---

(١٦) الدوري، التكوين، ص ص٦٦

(١٧) الدوري، التكوين، ص٦٥.

(١٨) يوسف العش، الدولة الأموية، ص٢٢٢.

(١٩) البلاذري، فتوح، ص٤٦٠.

ويبدو أن تعريب الدواوين المالية كان يقصد منه ضبط أعمالها والإشراف عليها منعا من الغش والتزوير[٢٠].

وصار الدافع على تعريب دواوين الخراج تمكين الولاة العرب من الإشراف إشرافا تاما على شؤون ولاياتهم المالية. إذ كان تدوين السجلات باللغات الأجنبية حافزا شجع صغار العمال على التزوير والتلاعب في السجلات دون أن يكتشف أمرهم.[٢١]

ومن الأسباب التي أدت بعبد الملك إلى أن يقوم بتعريب الدواوين أن عمر بن الخطاب أقر النظم المالية الساسانية في العراق وفارس بينما اقر النظم البيزنطية في الشام ومصر، وكان ذلك سببا في الاختلاف الواضح بين أحكام الجزية والخراج وعشور الأرضي وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في الشام ومصر في ظل سلطان الخلافة وقد حمل على إيجاد هذا الاختلاف لغات الدواوين فيما بينها في الأراضي المفتوحة وكان من الصعب آنذاك على الخليفة عمر بن الخطاب أن ينقل هذه الدواوين إلى العربية ويستخرج منها نظام موحدا يفرضه على الدولة العربية[٢٢].

وحين أتيحت الظروف قام الخليفة عبد الملك بن مروان بهذه المهمة فأخرج نظاما موحدا في الدولة العربية وأصدر تعليماته إلى عماله في الولايات بالقيام بمهمة تعريب الدواوين كالحجاج في العراق، وعبد الله بن عبد الملك في مصر وتولى عبد الملك بنفسه الإشراف على تنفيذ المهمة في بلاد الشام[٢٣]، وكانت حركة تعريب الدواوين دعما للمركزية العربية في النواحي الإدارية والاقتصادية، وتحرير النظم الإدارية المالية من الخضوع للسيطرة العنصرية أو الشعوبية المحلية، وتقييم اللغة العربية ورفع مركزها واتخاذها لسانا حضاريا للأمة[٢٤].

أما ما ذكر في بعض الروايات من أسباب لتبرير تحويل ديوان الشام إلى العربية من تثاقل كاتب الخراج على عبد الملك وأدلاله عليه وتوانيه في عمله[٢٥]، أو أقدام أحد كتاب

---

[٢٠] سيد أمير على ، مختصر تاريخ العرب، ص١٦٦.

[٢١] إبراهيم أحمد العدوي، النظم ، ص٢٧٦.

[٢٢] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص٢٥٢.

[٢٣] الدوري، النظم ، ص١٩٧.

[٢٤] حسان الحلاق، تعريب النقود والدواوين، ص١٢٣ ١٢٤.

[٢٥] الجهشياري، ص٤٠.

الديوان على البول في دواة الكتابة[٢٦]، فهذا أمر يغلب عليه الوضع ويدخل في نطاق الحكايات والأحاديث لأن مثل هذه الأمور لا تجعل خليفة قويا مثل عبد الملك يعجز ويتواني عن تعريب تلك الدواوين.

ومع ذلك فإننا نرى المؤرخين المسلمين مثل البلاذري والجهشياري يوردون أسبابا غير مقنعة لعملية التعريب فيدّعون أنها هي التي أدت إلى التعريب فيذكرون قصصا عن تثاقل أحد الكتبة أو خصام بين كاتبين جعلوها سببا للتعريب[٢٧].

فهناك أسباب أعمق وأكثر من ذلك وهي أن عملية التعريب كانت بالنسبة للدولة الأموية بقاء أم زوالا ، فإدارة الدولة بالأمور المالية من قبل الموظفين أجانب يعني تحكم هؤلاء الموظفين باستمرار وانهيار الدولة، بينما تعريب الدولة يؤدي بكل تأكيد إلى استمرارها وتطورها. وكان انتشار الإسلام، وحركة العرب، ونظام الولاء عوامل في نجاح العربية وفي التعريب[٢٨].

دواوين الشام:

كانت عملية التعريب طويلة وأساسية، فتم تعريب دواوين العراق والشام في خلافة عبد الملك بن مروان[٢٩]، وكان القائمون على ديوان الخراج في الشام من الروم لا يعرفون اللغة العربية، والعرب كانوا مشغولين بالفتوح، وشغلوا حينا بالخصام فيما بينهم، فلم يقبلوا على تعلم اللغات الأجنبية، ولم يتعلموا إدارة ديوان الخراج، اللهم إلا زياد بن أبيه في البصرة ، وعدد قليلا آخر من الكتاب، هذه الصعوبات هي التي اجلت نقل الديوان من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية[٣٠].

كان لسياسة التعريب التي اتخذها الأمويون أثرها البالغ في نشر العربية. بدأ عبد الملك بن مروان هذه السياسة وشملت تعريب الدواوين، والقراطيس، وتعريب النقد وإصلاحه.

---

(٢٦) البلادري، فتوح، ص١٩٧.

(٢٧) البلادري، فتوح، ص١٩٧، الجهشياري، ص٤٠.

(٢٨) أنظر: عبد العزير الدوري، "نشأة الثقافة العربية الإسلامية، ص٥٥.

(٢٩) البلاذري، فتوح ، ص١٩٧، ٢٩٨. الجهشياري، ص٦٧، الماوردي، ص٢٠٢، ٢٠٣، ابن خلدون، ج١، ص٤٣٢. المقريري، خطط ، ج١، ص٩٨.

(٣٠) يوسف العش، الدولة ، ص٢٢٢.

تناول تعريب النقد إلغاء آثار الصور والكتابات. فهلوية ويونانية، على النقود وأحلال كتابات عربية محلها[٣١].

ويعود للأمويين ولعبد الملك وولاته خاصة الفضل في جعل اللغة العربية اللغة اللغة الرسمية في الدولة، ففي سنة ٨١هـ أمر عبد الملك بنقل ديوان الشام إلى العربية. فكان يتقلد ديوان الشام بالرومية لعبد الملك ولمن تقدمه، سرجون بن منصور النصراني فأمره عبد الملك يوماً بشئ فتثاقل عنه وتوانى فيه، فعاد لطلبه فرأى منه تفريطا وتقصيرا، فقال عبد الملك لأبي ثابت سليمان بن سعد الخشني وكان يتقلد ديوان الرسائل- أما ترى إدلال سرجون علينا؟ واحسبه قد رأى أن ضرورتنا إليه وإلى صناعته، أفما عندك حيلة، قال: لو شئت لحولت الحساب إلى العربية. قال: "فافعل. فحوله، فرد إليه عبد الملك جميع دواوين الشام"[٣٢]، وذلك في سنة ٨١ هجرية[٣٣]، أتم النقل بعد سنة وقد طلب عبد الملك أن يجعل له خراج الأردن في مقابل العمل، وقد بلغ يومئذ (١٨٠) ألف دينار[٣٤]، وصرف سرجون عن الديوان وخرج من عند عبد الملك كئيبا وطلب من الكتاب الروم أن يطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة لأن الله قطعها عنهم[٣٥].

واستمر سليمان بن سعد على الديوان إلى أيام عمر بن عبد العزيز، ثم أن عمر بن عبد العزيز وجد عليه فعزله واستكتب مكانة صالح بن كثير الصداي من أهل طبريا[٣٦]؛ ويذكر أنه أول مسلم ولي الدواوين كلها في بلاد الشام[٣٧].

من هنا نستطيع القول أن عملية التعريب دفعت كل من يرغب في العمل في دواوين الدولة أن يتعلم اللغة العربية.

---

[٣١] الدوري، التكوين، ص٥٦. تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٢.

[٣٢] الجهشياري، ص٤٠، الصولي، ص١٩٢-١٩٣. ابن النديم، ص٣٠٣. الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣. النويري، ج٨، ص١٩٩. القلقشندي، صبح، ج١، ص٤٢٣.

[٣٣] البلاذري، فتوح، ص١٩٧. الماوردي، ص٢٠٢-٣٠٣، النويري، ج٨، ص١٩٩.

[٣٤] البلاذري، فتوح، ص١٩٧. الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣، النويري، ج٨، ص١٩٩.

[٣٥] البلاذري، فتوح، ص١٩٧.

[٣٦] الصولي، أدب، ص١٩٣.

[٣٧] محمد كرد علي، الإدارة، ص٨٩.

ولهذا كان تعريب الديوان في عهد عبد الملك بن مروان أمرا لازما، إذ لا يعقل في دولة عربية أن يكون ديوانها وأموالها وحساباتها بالأجنبية أضف إلى ذلك أن هذا الأمر يهم الخليفة بصفة خاصة، لأنه لا يستطيع التسلط على الديوان أن كان بلغة أجنبية لا يعرفها.[٣٨]

ومع توسع خبرة العرب واستقرار الدولة وتطورها، واتجاهها نحو تقوية الحكم المركزي، كل ذلك أدى إلى وجوب التعديل في الدواوين المحلية سواء أكان من ناحية اللغة أم من ناحية الموظفين الذين يعملون في هذه الدواوين، وكان هذا بالتأكيد لسياسة الدولة العربية وسيادة اللغة العربية التي سار عليها بنو أمية[٣٩].

دواوين العراق:-

أن المهمة والخطوة الجبارة والعمل المجيد الذي قام به الخليفة عبد الملك بن مروان بشأن الإصلاح الإداري والتعريب لم يشأ أن يقصره على الشام بل أراد أن يعم بهذه الخطوة جميع أرض الخلافة الإسلامية، لذا أرسل إلى الحجاج بن يوسف عامله على العراق يأمره بتعريب ديوان الخراج. فسارع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى تحويل ديوان خراج السواد وسائر العراق من الفارسية إلى العربية، وقلد ذلك صالح بن عبد الرحمن[٤٠].

وكان ديوان الخراج في العراق الديوان الوحيد الذي ظلت سجلاته كما ذكرنا تكتب باللغة الفارسية من قبل كتاب غير عرب "استمرارا" لما كان الحال عليه زمن الفرس قبل الفتح[٤١].

وتعزو بعض المصادر حركة التعريب هذه إلى أسباب لا ترقى إلى أهمية هذه الخطوة وأثرها الإداري والمالي والحضاري، وأن كان بعضها محتمل الوقوع كما هو الحال بالنسبة للوضع في العراق إذ يروي البلاذري أن ديوان الخراج العراقي كان يشرف على سجلاته زمن

---

(٣٨) يوسف العش، الدولة، ص٢٢٣.

(٣٩) سيده كاشف، الوليد، ص١٨٥.

(٤٠) البلادري، فتوح البلدان، ص٢٩٨، ابن النديم، ص٣٠٣، الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣. المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨.

(٤١) السخاوي. الإعلان بالتوبيخ لمن دم التاريخ، ص١٨٥.

الحجاج زادان فروخ بن بيري ، وأن هذا الديوان ضم بين موظفيه كاتبا يدعى صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم[٤٢]، فتعرف الحجاج بن يوسف بصالح بن عبد الرحمن عن طريق زادان فروخ وتقدم لديه فأعرب صالح لزادان عن خشيته من أن يعينه الحجاج مكانه، فلم يعبأ زادان فروخ بذلك وقال لصالح: " لا تظن ذلك، هو أحوج إلي منه إليك لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري، فأجابه صالح: والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته"[٤٣]، فلما تأكد زادان فروخ من قدرة صالح بن عبد الرحمن على ذلك أمره بالتمارض واعتزال العمل، إلا أنه عاد إلى عمله ثانية بعد أن افتقده الحجاج الذي علم بالأمر. وعهد إلى صالح بن عبد الرحمن بتحويل الديوان من الفارسية إلى العربية[٤٤]، وبالرغم من أن مردانشاه بن فروخ بذل له مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان، فإنه أبى ونقله فدعا عليه إذ أنه قطع أصل الفارسية[٤٥].

وحدث أن قتل زادان فروخ، أيام فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي فاستكتب الحجاج صالحا مكانه[٤٦]، فأعلمه بما جرى مع زادان في نقل الديوان فأعجبه ذلك، وعزم عليه في امضائه فنقله من الفارسية إلى العربية[٤٧]، واتم هذا سنة ٨٧هـ ونال بذلك ثناء الأمة العربية كلها غير أنه لقى نهاية مؤلمة من قبل يزيد الثاني الأموي[٤٨]، ويرى فلهوزن أن بدء التعريب في العراق كان في الكوفة[٤٩].

وتذكر المصادر التاريخية بأن صالح بن عبد الرحمن صاحب الفضل في نقل ديوان خراج العراق من الفارسية إلى العربية أصله من سجستان وبالذات من قرية ناشروذ التي فتحها العرب على يد عبيد الله بن عامر عامل البصرة لعثمان بن عفان[٥٠]، فكان هو وأبوه

---

(٤٢) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨، ابن النديم، ص٣٠٣، الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣. المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨.

(٤٣) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨. ابن النديم، ص٣٠٣، الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣. النويري، ج٢، ص١٩٩، المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨.

(٤٤) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨، ابن النديم، ص٣٠٣، الماوردي، ص٢٠٢، النويري، ج٨، ص١٩٩. ابن خلدون، ج١، ص٤٣٦. المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨.

(٤٥) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨. ابن النديم، ص٣٠٣، الماوردي، ص٢٠٢. المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨.

(٤٦) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨، الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣. المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨.

(٤٧) ابن النديم، ص٣٠٣، المقريزي، خط، ج١، ص٩٨.

(٤٨) مولوي حسيني، الإدارة العربية، ص١٨٣.

(٤٩) فلهوزن، الدولة العربية، ص٢١١.

(٥٠) البلاذري، فتوح، ص٢٩٨. ابن النديم، ص٣٠٣.

من سبى سجستان سباه الربيع بن زياد الحارثي، ثم اشترتهما امرأة من بني النزال أحد بني مرة بن عبيد فاعتقتهما فتعلم صالح كتاب العربية والفارسية، وكان فصيحا جميلا، يختلف إلى ديوان زياد بن أبيه ويجالس الأخنف والوجوه، وكان حافظا يحفظ ما سمع وصحب أحد كتاب الحجاج وتعلم منه[٥١].

ووصفه الذهبي بأنه كان فصيحا جميلا سريع الحفظ عارفا بالعربية[٥٢]وواصل صالح بن عبد الرحمن عمله في ديوان الخراج يعلم الموظفين الموالي الآخرين الذين ابقاهم الحجاج في أعمالهم للإفادة من خبرتهم الطويلة في هذا الميدان. فضم هذا الديوان منذ ذلك الوقت موظفين عربا تتلمذوا على يد صالح بن عبد الرحمن، حتى قيل أن عامة كتاب العراق كانوا تلامذة صالح فمنهم المغيرة بن أبي قرة كاتب يزيد بن المهلب، وقحذم بن أبي سليم، وشبيبه بن أيمن كاتب يوسف بن عمر، وسعيد بن عطية كاتب عمر بن هبيرة، ومروان بن أباس كاتب خالد القسري، وغيرهم[٥٣]، فكان عبد الحميد بن يحيي كاتب مروان بن محمد يقول "لله صالح ما أعظم منته على الكتاب"[٥٤].

وتختلف المصادر في الديوان الذي عرب قبل الآخر، أهو ديوان خراج العراق أم ديوان خراج الشام، فالجهشياري صاحب الوزراء والكتاب[٥٥]، والصولي صاحب أدب الكتاب[٥٦]، وابن النديم صاحب الفهرست[٥٧]، والقلقشندي صاحب صبح الأعشى[٥٨]. يذكرون أن التعريب بدأ لأول مرة في فترة ولاية الحجاج على العراق. في حين يذهب البلاذري في فتوح البلدان[٥٩]، والماوردي في كتابه الأحكام السطانية[٦٠]، وابن خلدون في تاريخه[٦١]، والمقريزي

---

[٥١] ابن عساكر، تهذيب ج٦، ص٣٧١.
[٥٢] الذهبي، تاريخ، ج٤، ص١٢٤.
[٥٣] الجهتياري، ص٣٩.
[٥٤] البلاذري، فتوح، ص٢٩٨. ابن الندم، الفهرست، ص٣٠٢.
[٥٥] الجهشياري، ص٣٩.
[٥٦] الصولي، أدب، ص١٩٢.
[٥٧] ابن الندم، الفهرست، ص٣٠٣.
[٥٨] القلقشندي، صبح، ج١، ص٤٠، ٤٢٣.
[٥٩] البلاذري، فتوح، ص٢٩٨.
[٦٠] الماوردي، الأحكام، ص٢٠٣.
[٦١] ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٣٣.

في كتابه الخطط[٦٢]، والنويري في كتابه نهاية الأرب[٦٣]، إلى أن تعريب ديوان الخراج في العراق تم بعد مقتل زادان فروح عند احتلال ابن الأشعث للبصرة وذلك عام ٨٢هـ (٧٠١م) أي أن العمل تم بعد تحويل ديوان الشام من اليونانية إلى العربية عام ٨١ هجرية وأغلب المؤرخين اعتمدوا على ما جاء في كتاب فتوح البلدان.

أننا نجد أحفاد زادان فروخ يستمرون في احتلال مراكز رئيسية في ديوان الخراج حتى زمن الدولة العباسية[٦٤]، مما يدل على أنهم سايروا حركة التعريب، وأن هذه الحركة لم تقض على ذوي الخبرة الطويلة في هذا الميدان من الموظفين السابقين الذين ظلوا يعملون جنبا إلى جنب مع الكتاب الجدد من العرب والموالي.

في حين نرى أن الجهشياري حدد سنة ٧٨هـ في تعريب خراج العراق [٦٥]، لكن الذي يقودنا إلى تأكيد حقيقة وهي أن عملية التعريب في ديوان العراق تقدمت على حركة التعريب في ديوان الشام بثلاث سنين وأن كانت فكرة التعريب العامة أو استكمال مظاهرة بتعبير أصح وأدق أكدها الخليفة عبد املك بن مروان بصورة واضحة[٦٦]، ومن خلال النصوص والروايات التاريخية يتضح لنا أيضا أن عملية تعريب الدواوين بدأت في إقليم العراق قبل غيره من الأقاليم الأخرى ربما لحذاقة وإدارة صالح بن عبد الرحمن أو لربما أن المؤرخين أخذوا عن بعضهم وعن بعض الرواة لعدم معاصرة تلك الفترة من تاريخ بدء التعريب في كل من العراق والشام. ومن الوجهة العملية يرجح أن تعريب الدواوين بدأ في الشام قبل العراق وفارس، لأن الخليفة عبد الملك كان مستقرا في عاصمة الخلافة.

---

(٦٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص٩٨.

(٦٣) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص١٩٩-٢٠٠.

(٦٤) الجهشياري، ص٩٩.

(٦٥) الجهشياري، ص٣٨. شك الدكتور ضياء الدين الريس في كتابه: الخراج في الدولة الإسلامية، ص٢١٣ في صحة هذا التاريخ ورجح أن يكون مقلوبا وأن تكون السنة الصحيحة ٨٧هـ واعتمد في هذا الاستنتاج على رواية المدائني التي أوردها البلاذري في فتوح البلدان من أن الحجاج عين صالحا بعد مقتل زادان فروخ حيث تمت عليه التعريب. لكن البلاذري في أنساب الأشراف ذكر أن الحجاج عين مردان شاه ابن زادان فروخ بعد مقتله وهو ما تم بالفعل.

(٦٦) Encyclopaedia of Islam. Vol. 20,. 324 (New Edition)

وبما أن حركة التعريب تعتمد على الكتاب المهرة الذين يحسنون العربية والإدارة يمكن القول أن حركة التعريب من الوجهة العملية بدأت في الشام قبل غيرها لتوفر الكتاب ولوجود الاستقرار السياسي[٦٧].

وكان لتعريب ديوان العراق نتائج منها أن اضطر الفرس وهم كثرة في العراق والموالي من الفرس إلى تعلم اللغة العربية لدينهم ودنياهم فكانوا مضطرين إلى نوع من العلم يسهل للناس طريق التعلم[٦٨].

ومع هذا ظلت اللغة الفارسية مستعملة في الدواوين في عدة ولايات كمنطقة خراسان مثلا وذلك حتى سنة ١٢٤هـ وكان أكثر كتاب خراسان حينذاك مجوسا، وكانت الحسابات تكتب بالفارسية، فكتب يوسف بن عمر، وكان يتقلد العراق في أربع وعشرين مائة إلى نصر بن سيار كتابا أنفذه مع رجل يعرف بسليمان الطيار، يأمره إلا يستعين بأحد من ملوك الشرك في أعماله وكتابته[٦٩].

وكان أول نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان اسحق بن طليق[٧٠]. وتم تعريب دواوين خراسان في أواخر الدولة الأموية في ولاية نصر بن سيار حوالي سنة ١٢٤هـ[٧١].

فيتبين لنا أن علمية التدوين باللغة الفارسية في إقليم خراسان وما جاورها، وتأخر حركة التعريب هناك، كان أمرا طبيعيا، لأن الفارسية كانت لغة السكان الأصليين يتداولونها فيما بينهم إضافة إلى أنها كانت لغة الدين المجوسي. ومن هنا كانت عملية التعريب لديوان خراسان متأخرة عن مثيلاتها من الدواوين في الأقاليم الأخرى لوجود نسبة عالية من السكان تتكلم غير العربية.

---

(٦٧) ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٣٢.

(٦٨) أحمد أمين ، فجر الإسلام، ص١٨٣.

(٦٩) الجهشياري، ص٦٧.

(٧٠) الجهشياري، ص٦٧.

(٧١) الدوري، نظم، ص١٥٣.

تعريب ديوان مصر :-

قلنا أنه تم تعريب دواوين الشام والعراق قبل تعريب دواوين مصر وذلك لأن الشام والعراق كانا بلدين عربيين قبل ظهور الإسلام وأثناء الفتح الإسلامي وجاءت إليهما قبائل عربية كثيرة.

أمر عبد الملك بن مروان جميع عماله في الأقاليم والأمصار بمهمة تعريب الدواوين بما فيها مصر واستمرت عملية التعريب بالتدريج في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك، وهناك اختلاف عند المؤرخين في أيهما قام بتعريب ديوان مصر.

من خلال الروايات والمصادر القريبة للأحداث نرى أن عبد الله بن عبد الملك كان واليا على مصر من قبل أبيه عبد الملك في سنة ٨٦هـ، ثم استمر واليا عليها عندما بويع الوليد بن عبد الملك بالخلافة وقد أوكل إليه الوليد مهمة تدوين الدواوين بالعربية، وكانت قبل ذلك التاريخ تكتب بغيرها، وصرف أثيناس عن الديوان وجعل على الديوان ابن يربوع الفزاري وهو من أهل حمص[٧٢].

ويذكر المقريزي أن ديوان مصر نقل من القبطية إلى العربية سنة سبع وثمانين هجرية[٧٣]، في حين يذكر ابن تغري بردي أن عبد الله بن عبد الملك تولى مصر سنة خمسة وثمانين بعد موت عمه عبد العزيز بن مروان[٧٤]، في حين يذكر القلقشندي أن أول من نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد العزيز بن مروان أيام إمارته على مصر[٧٥].

من هذه النصوص يظهر لنا أن بداية التعريب في مصر بدأت منذ عهد عبد الملك بن مروان أثناء فترة ولاية أخيه عبد العزيز بن مروان على مصر، وأن عبد الملك بن مروان عين عبد الله بن عبد الملك على ولاية مصر فور وفاة عبد العزيز بن مروان، وأن عبدالله أكمل العمل الذي بدأه عبد العزيز في نقل الدواوين من القبطية إلى العربية. وتم هذا العمل في عهد الوليد نتيجة لما بدأه الخليفة عبد الملك بن مروان في سياسة التعريب.

---

[٧٢] الكندي، الولاة، ص٥٨-٥٩. ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٢١٠.

[٧٣] المقريزي، خطط، ج١، ص٩٨. ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٢١٠.

[٧٤] القلقشندي، صبح ، ج١، ص٢٣٤.

[٧٥] الكندي، الولاة، ص٥٨.

وكان من نتيجة ذلك أن اضطر الأقباط الذي كانت تستخدمهم الحكومة العربية إلى تعلم اللغة العربية منذ أن أصبحت لغة الدواوين الرسمية سنة ٨٧هـ[٧٦].

ويذكر حسن إبراهيم أن اللغة العربية لم تكن هي اللغة الرسمية والوحيدة في مصر بعد حركة تعريب الدواوين، إذ تدل بعض الوثائق على أن اللغتين اليونانية والعربية كانتا مستعملتين في دواوين الحكومة، الأولى على أنها اللغة الرسمية التي كانت تدون بها الأعمال في تلك الدواوين والثانية لأنها لغة الحاكم العربي"، ويبدو أن صح هذا فلوقت صغير.

كما أن هجرة القبائل العربية المستمرة إلى مصر واستقرارها بها قد ساعد على جعل اللغة العربية لغة التخاطب بين أهل البلاد[٧٧]، وقد استمرت حركة التعريب تسير سيرا حثيثا في عهد الوليد بن عبد الملك ليشمل كل الجهاز الإداري[٨٧].

نتائج حركة التعريب:-

والواقع أن هذا التعريب كان أول عملية ترجمة منظمة وجبارة وقد أدى إلى نقل كثير من المصطلحات الفارسية واليونانية والقبطية إلى العربية وأصبحت الدولة من الناحية السياسية عربية بمعنى أكمل، وقد ساعد التعريب على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالي فأصبحت اللغة العربية لغة التدوين ولغة الإدارة فضلا عن أنها صارت لغة الثقافة بالإضافة إلى أنها لغة السياسة والدين[٧٩].

وصارت جميع دواوين الخراج في الدولة الإسلامية تستخدم لغة واحدة هي اللغة العربية وهي خطوة هامة مهدت السبيل لنشر العروبة بين أرجاء الدولة، إذ اضطر الناس إلى تعلم اللغة من أجل تسهيل التعامل مع رجال إداراتها الجدد وضمانا للحصول على حقوقهم وصيانة مستحقاتهم أيضا[٨٠].

---

[٧٦] حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص١٧٥.

[٧٧] سيدة كاشف، مصر ، ص٢٥٩.

[٨٧] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج١، ص١٧٧.

[٧٩] الدوري، النظم ، ص١٩٨.

[٨٠] إبراهيم أحمد العدوي، النظم ، ص٢٧٦.

وأدى تعريب الدواوين زمن الأمويين (من أيام عبد الملك بن مروان إلى أيام هشام بن عبد الملك) إلى إغناء العربية، وساعد على أن تصبح لغة الثقافة للمسلمين وغيرهم وقد فتح التعريب الباب للشعوب الأخرى في المجتمع الإسلامي للمساهمة في الثقافة وتأكد ذلك بعد الثورة العباسية[٨١].

أما في المغرب فقد انتشرت اللغة العربية بسرعة، فاللغة اليونانية التي كانت اللغة الرسمية في ولاية أفريقية البيزنطية لم تلبث إلا فترة قصيرة حتى تناساها الناس لأنها لم تستطع أن تجد في المغرب كما وجدت في مصر والشام ملجأ في الدواوين والإدارات الحكومية وذلك لأن المسلمين فتحوا افريقيه وغلبوا عليها على عهد عبد الملك بن مروان وما بعده من الخلفاء، ومن الواضح أن التعريب قد شمل أفريقية منذ أن استقر المسلمون فيها، وكان لهم مع حسان بن النعمان الغساني نظام إداري وجباية حكومية منظمة[٨٢]، ولذا كان التعريب عاما تقريبا في القرن الثالث الهجري، وفي شمال أفريقية توالت مجموعات من المقاتلة خلال القرن الأول وإلى أواسط القرن الثاني، وانتشر الإسلام حتى شاع في الفترة نفسها، بل وشارك البربر العرب في فتح الأندلس، وكان التنظيم القبلي للبربر عاملا مساعدا على انتشار الإسلام والعربية[٨٣]، وكان التعريب واضحا في القرن الثالث في مدن شمال أفريقية المختلطة وفي المراكز العربية وفي الأرياف المجاورة، هذا إلى أن توسع الحياة المدنية في القرن نفسه يعني انتشار التعريب لأن اللغة العربية كانت لغة الثقافة، أما انتشار التعريب في الريف فقد تأخر إلى مجيء الموجة الهلالية إلى أفريقية وأجزاء من المغرب[٨٤].

وكان تعريب الإدارة وانتشار الإسلام وصلته بالعربية، إضافة إلى كون العربية لغة الثقافة عوامل شجعت التعريب في المغرب العربي[٨٥].

أما اللغة الأصلية لغة البربر- فقد تغلبت عليها بسرعة اللغة العربية ولا سيما في السواحل والبسائط وعلى مقربة من المدن وفي طريق العرب إلى الأندلس وفي منازل

---

(٨١) أنظر عبد العزيز الدوري، نشأة الثقافة العربية الإسلامية، ص٦٨.

(٨٢) ابن عبد الحكم، فتوح، ص٢٠١.

(٨٣) الدوري، التكوين، ص٧٩.

(٨٤) الدوري، التكوين، ص٧٨.

(٨٥) الدوري، التكوين، ص٧٨.

المهاجرين[٨٦]، لأن العربية هي لغة الإسلام ولغة القرآن، ولذلك يمكن القول أن الأسباب التي ساعدت على انتشار الإسلام توشك أن تكون الأسباب نفسها التي ساعدت على انتشار اللغة العربية. هكذا نرى أن حركة تعريب ديوان الخراج إلى اللغة العربية كانت عظيمة الأهمية فهي قد عربت اقتصاد البلاد وأمواله[٨٧].

ومع أن اللغة العربية أصبحت لغة الدواوين في عهد عبد الملك في العراق والشام ومصر وأفريقية، فإن هذا لا يعني أن الأمويين لم يستخدموا الكتاب النصارى، فقد ورد في كتاب مختصر الدول أن الوليد بن عبد الملك منع الكتاب النصارى من أن يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية، وهذا دليل على أن الكتاب النصاري الذين يجيدون العربية قد بقوا في وظائفهم[٨٨].

وغني عن القول أن تعريب الدواوين يعني أغناء العربية بمصطلحات جديدة، كما يعني دفع المثقفين من غير العرب إلى إتقان العربية للعمل في الدواوين، وبالتالي دخولهم في خطة التعريب، وهكذا أصبحت العربية لغة الثقافة والإدارة بصورة شاملة وللجميع في بلاد الخلافة[٨٩].

وبعد تجارب عديدة وإضافات مستمدة من أسس الدولة القائمة على خدمة العروبة والإسلام أوجدت الدولة الأموية نظاما عربيا شاملا، ومما يدل على حسن هذا النظام أن العباسيين ساروا عليه فقد كانت الإدارة عندهم من عدة وجوه استمرار للإدارة عند الأمويين وقد اعترف الخليفة أبو جعفر المنصور بأنه مدين إلى حد كبير في تنظيم دولته للأمويين[٩٠].

فبدأ التنظيم الإداري والمالي من التراث المحلي بعد تعديله على ضوء مفاهيم إسلامية، وكان يختلف في واقعه بين قطر وآخر، ثم عرب وطور بالتدريج لينتهي إلى إطار موحد في بلاد الخلافة أواخر الفترة الأموية[٩١].

---

[٨٦] شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية، ص١٨٣.
[٨٧] يوسف العش، الدولة ، ص٢٢٤.
[٨٨] ابن العبري، تاريخ، ص١١٣.
[٨٩] الدوري، التكوين، ص٥٦.
[٩٠] سيده كاشف، الوليد، ص٢٤٧.
[٩١] أنظر عبد العرير الدوري، نشأة الثقافة العربية الإسلامية، ص٦٨.

وأخيرا فإن حركة تعريب دواوين الخراج هذه جاءت متمشية على ما يبدو مع انتشار اللغة العربية في الأقاليم المفتوحة، إذ بدأت في بلاد الشام والعراق في فترة متقاربة في أواخر السبعينات من القرن الأول الهجري. وانتقلت من هناك إلى مصر في أواخر الثمانينات لتنتهي في خراسان عام ١٢٤ هـ[٩٢]، وفي ذلك دليل قوي على أن حركة التعريب تلك جاءت نتيجة طبيعية لانتشار اللغة العربية في الأقاليم وإحساس الدولة بشخصيتها القوية واسهمت هذه الحركة بعدة طرق في إيجاد نخبة من الكتاب العرب الذين احترفوا مهنة الكتابة وأسهموا مساهمة كبيرة في النهضة الأدبية والعلمية التي ظهرت بوادرها في أواخر الدولة الأموية.

تعريب النقود:

تعتبر النقود من أقدم النظم الاقتصادية في تاريخ الحضارة الإنسانية، فقد عاصرت الإنسان منذ آلاف السنين، مؤثرة في نمط حياته الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ومنذ تعامل الناس بالنقود، لم يفرغ لهم شغل بمشاكل سياستها، ولم يفلت إنسان من أن تؤثر كيفية إدارتها على حياته ومعاشه[٩٣]، وتندرج دراستها تحت علم عرف باسم علم "النميات" وهو العلم الذي يبحث في النقود، والأوزان، والأختام.

وتعد المسكوكات من أجل وأهم المصادر والوثائق الرسمية الأولية الهامة لدراسة جوانب من الحضارات السالفة، فهي تميط اللثام عن خفايا كثيرة من إدارات الدول المتعاقبة[٩٤]. وأن أول من ضرب النقود التي تحمل شعار الدولة الذي يضمن نقاوة المعدن ووزنه هم الليديون في آسيا الصغرى في عهد (قارون) سنة ٥٦١-٥٤٦ ق.م[٩٥]، فأصبحت النقود تحوي معلومات هامة توضح أفكار الأمم والدول التي تضرب تلك النقود، وتمثل معتقداتها ومشاهد من حياتها الاجتماعية والرياضية، وتفصح بعض الشئ عن أنظمتها السياسية وتبقى على أعمالها، كما أنها تعطينا فكرة عن المعادن المستعملة في السك وعياراتها وأوزانها ونسبة وزن

(٩٢) الجهشياري، الوزراء، ص٦٧.

(٩٣) محمد زكي شافعي، مقدمة في النقود والبنوك، ص٧.

(٩٤) عيس سلمان، المسكوكات المصورة، مجلة المسكوكات، العدد ١+٢، ص١٤.

(٩٥) محمد باقر الحسيني، تطور النقو العربية والإسلامية، ص٩.

المعادن بعضها إلى بعض، وتعرفنا بوحدات الأوزان وأصنافها وأجزائها. وقد تطورت النقود عبر العصور من جيل إلى جيل، ومن دولة إلى أخرى حتى غدت مصدرا تاريخيا مهما، ومن النقود كثيرا ما استطعنا أن نعرف أسماء الملوك والحاكمين وعدد سنوات حكمهم(٩٦).

وتعد العملة الإسلامية من أهم المصادر الأثرية لدراسة التاريخ الإسلامي، فهي تلقي الضوء على كثير من حوادث هذا التاريخ فتظهر بعض ما غمض أو ضاع(٩٧)، وأن النقود قد حملت مع مرور الزمن أسماء الخلفاء والحكام والسلاطين والملوك وأسماء المشرفين على ضرب النقود(٩٨).

ويتبين لنا أن النقود العربية حوت أسماء كثيرة ومتعددة أعطتنا معلومات.وفيرة عن بعض الشخصيات، وفسرت لنا بعض الأحداث المهمة، وأثبتت أو نفت بعض المعلومات التاريخية ولعبت النقود أيضا دورا بالغ الأهمية في الدولة العربية الإسلامية وذلك بسبب المدى الواسع من المبادلة أولا، وطبيعة الدوافع الاقتصادية في هذه الدولة ثانيا(٩٩).

من هنا يتضح لنا أن أمورا عديدة جعلت الحاجة ماسة للغاية إلى نقود عربية، وذلك لإكمال المتطلبات الضرورية التي استدعتها ظروف الدولة الجديدة ولتسهيل عمليات المبادلة والمقايضة، ويذكر بأنه كان للعرب في الجاهلية تجارة واسعة ويتصلون بمن جاورهم من البلاد فمنهم من كان يصل الشام واليمن، وفي هذه البلاد كان يتم التبادل التجاري وبعد ذلك يرجعون إلى بلادهم حاملين معهم الدنانير الذهبية القيصرية والدراهم الفضية الكسروية ونقود اليمن الحميرية(١٠٠).

العملة المتداولة في الدولة الإسلامية:-

كان نظام المعاملات المالية عند العرب في الجاهلية بحكم صلاتهم التجارية مع الدول المجاورة يتبع النظام المالي في هذه الدول، فلم يكن للعرب قبل الإسلام سكة خاصة بهم

(٩٦) محمد أبو الفرج العش، النقود الإسلامية، ص٢٦٧.
(٩٧) محمد باقر الحسيني، العملة الإسلامية في العهد الاتابكي، ص٨.
(٩٨) محمد أبو الفرج العش، النقود الإسلامية، ص٢٦٧.
(٩٩) أنظر المقريزي، شذور العقود، ص٤٤.
(١٠٠) عبد الرحمن فهمي ، فجر المسكة العربية، ص٢٩. ناصر الدين النقشبندي، الدينار الإسلامي في المتحف العراقي، ص٩.

يتعاملون بها[101]، بل كان اتصالهم مع تلك الدول التي تجلب لهم أنواع المسكوكات المعروفة في تلك البلاد، .وكان العرب في الجاهلية يتعاملون بالنقود التي ضربتها الدول المجاورة لهم، فكانت ترد الدنانير إليهم من بلاد الروم، بينما تردهم الدراهم في الأكثر من بلاد فارس[102]، وفي الأقل من اليمن[103].

ظهر الإسلام ولم يكن للعرب نقد خاص بهم، بل كانوا في الغالب يستعملون الدراهم الفضية الساسانية والدنانير الذهبية البيزنطية، وهكذا فإن الولايات الشرقية كانت تتعامل بالعملة الفضية والولايات الغربية تتعامل بالعملة الذهبية[104].

فكانت الدنانير نقودا ذهبية والدراهم نقودا فضية، وكانوا يعبرون عن الذهب بالعين وعن الفضة بالورق، وكان عند العرب قبل الإسلام نقود نحاسية منها الحبة[105]، والدانق[106]، يستخدمونها في تجارتهم[107]، ولكن في الأعم الأغلب لم يكن العرب يتعاملون بهذه النقود عددا، بل بوزنها كأنما هي تبر، أي غير موزونة[108]، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر [109]، فكانت لهم أوزان خاصة[110]، وكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهما، وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا، فكل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيل[111].

---

(101) السكة(هي النقود) أو العملة أو ما يقوم مقامها) وقد عرفها بعض المؤرخين تعريفات متعددة تدور كلها حول النقود التي تعاملت بها الشعوب العربية على اختلاف أنواعها من دنانير ذهب، ودراهم فضية أو نحاسية وفلوس نحاسية فيقصد بها أحيانا تلك النقوش التي تزين بها هده النقود على اختلافها، وأحيانا تعني قوالب السك تحت اشراف الدولة، والسكة هي الحديدة التي يطبع عليها الدراهم، وهي حديدة مقوشة كتب عليها. (عبد الرحمن فهمي، فحر السكة، ص٣٧. المفصل ، ج٧، ص٤٨٩)

(102) الماوردي الأحكام، ص١٥٤.

(103) البلاذري، فتوح، ص٤٥٢-٤٥٤. الماوردي، ص١٥٤. المقريزي، إغاثة، ص٤٨-٤٩. شذور، ص٣-٤ جواد على ، المفصل، ج٧، ص٤٤٩.

(104) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠١.

(105) الحبة: وزن حبة الشعير العربية وتساوي الحبة الواحدة ١/١٠٠ من المثقال، أي تساوي ٤٤٦ر٠ غم. فالترهنتس. المكاييل، ص٢٥.

(106) الدانق: وهو يعني عموما"سدسا" وهو حصوصا كوحدة ورن ونقد يساوي١/٦ درهم أو في كثير من الاحيان ١/٦ديبار. فالترهنتس، المكاييل، ص٢٩.

(107) البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٥٠. المقريزي، إغاثة، ص٤٩-٥٠.

(108) البلادري، فتوح، ص٤٥٢-٤٥٣.

(109) جواد على ، المفصل، ج٧، ص٤٩٦.

(110) محمد ضياء الريس، الخراج، ص٣٥١.

(111) البلاذري، فتوح، ص٤٥٣، الماوردي الأحكام، ص١١٩، ١٥٣، ١٥٤.

فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم أقر العرب على العملة المتداولة نفسها ولم يحاول الغاء العملة بدليل أنه زوج علي بن أبي طالب من ابنته فاطمة بمهر قدرة ٤٨٠ درهما كسرويا[١١٢]، وصار الناس بعد رسول الله يتعاملون بالدنانير والدراهم ومن هنا أفتى بعض الفقهاء بمنع كسر النقود[١١٣]، وعدوا ذلك من جملة الفساد في الأرض. وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نهى المسلمين عن كسر النقود[١١٤]، والرسول صلى الله عليه وسلم حث على ذلك وربما بدوافع اقتصادية. وذهب أبو حنيفة وفقهاء العراق إلى أن كسر النقود غير مكروه في حين قال الشافعي " أن كسرها لم يكره له، وأن كسرها لغير حاجة كرة له، لأن إدخال النقص على المال من غير حاجة سفه، وأضاف أحمد بن حنبل: أن كان عليها اسم الله كره كسرها، وأن لم يكن عليها اسمه لم يكره، في حين حث الفقهاء على عدم كسرها لتعاد تبرا"[١١٥]، فتكون على حالها مرصدة للنفقة، وحمل آخرون على النهي عن كسرها ليتخذ منها أواني، وزخارف، وأن الإسلام أقر وزنا شرعيا خاصا وهو الوزن الذي كانت تتعامل به قريش في مكة. ذلك لأن العرب والتجار كانوا يتعاملون بهذه النقود بالوزن لا بالعدد كأنها تبر، وليست نقودا لاختلاف أحجام وأوزان الوحدات النقدية، فلا يضمن العدل إلا بالوزن[١١٦].

ولما استحلف أبو بكر الصديق سنة ١١هـ عمل بسنة رسول الله في إقرار تلك السكة المتداولة على ما هي عليه ولم يحاول الغائها أو ضرب سكة جديدة[١١٧].

ولما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة رأى أن الدراهم المتداولة في الأسواق مختلفة الأوزان[١١٨]، منها البغلي [١١٩]، وهو ثمانية دوانيق ومنها الطبري[١٢٠]، وهو أربعة

---

(١١٢) البلاذري، فتوح، ص٤٥٤.

(١١٣) الماوردي، الأحكام، ص١٥٥.

(١١٤) الماوردي، الأحكام، ص١٥٥.

(١١٥) الماوردي، الأحكام، ص١٥٥-١٥٦.

(١١٦) ضياء الدين الريس، عبد الملك بن مروان، ص٢٢٠.

(١١٧) البلاذري، فتوح، ص٤٥٢. المقريزي، شذور، ص٦. اغاثه، ص٥١. عبد الرحمن فهمي، فجر السكة، ص٣١.

(١١٨) البلادري، فتوح، ص٤٥١. البخاري، الجامع الصحيح، ج٢، ص٣١. الماوردي، الأحكام، ص٨٠-٨١، ١٥٣. المناوي، ص٥٩.

(١١٩) البغلي، نسبة إلى ملك يقال له راس البغل، البيهقي، المحاسن، ص٤٦٩، الدميري الحيوان، ج١، ص٧٣. المناوي، النقود، ص٥٩.

دوانيق، ومنها المغربي وهو ثلاثة دوانيق، ومنها اليمني وهو دانق. قال: أنظروا الأغلب مما يتعامل به الناس من أعلاها وأدناها، فكان الدرهم البغلي والدرهم الطبري، فجمع بينهما فكان أثنى عشر دانقا، فأخذ نصفهما، فكان ستة دوانيق فجعل الدرهم الإسلامي في ستة دوانيق[١٢١].

ويقول الدوري بأنه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بدأت دعائم الدولة الإسلامية تتركز في النواحي الإدارية والمالية، وبدأ عمر بن الخطاب أول خطوة نحو التعريب بإنشاء دواوين الجند بالعربية وبنقش عبارات عربية على النقود الساسانية[١٢٢].

وكان الدافع الذي دفع عمر بن الخطاب إلى تحديد وزن الدرهم هو مراعاة أحوال دافعي الضرائب والزكاة بخاصة، ويذكر الماوردي سببا لتحديد وزن الدرهم الشرعي أن عمر لما رأى اختلاف الدراهم منها البغلي وهو ثمانية دوانق ومنها الطبري وهو أربعة دوانق..[١٢٣]. قرر تحديد وزن الدرهم.

ومن هنا جاءت الروايات الإسلامية والتي تقول أن عمر بن الخطاب هو الذي حدد مقدار الدرهم الشرعي[١٢٤]، والأمر استقر على ما حدده منذ وقته، وأن ما فعله عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي إنما هو بناء على الأساس والمقدار الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب[١٢٥].

ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب كان قد نظر إلى الدراهم والدنانير المتداولة وخاصة الدراهم الفارسية المختلفة الأوزان، فوجد أوزانها على ثلاثة أنواع، عشرين قيراطا، وأثنى عشر قيراطا، وعشرة قراريط. فلما احتيج في الإسلام إلى تقدير الزكاة أخذ الوسط فكان أربعة عشر قيراطا من قراريط المثقال، وجعل هذا هو وزن الدرهم الشرعي، وبذلك أصبح الدرهم سبعة أعشار المثقال، وكل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيل[١٢٦].

---

(١٢٠) الطبري: (الطبرية من الدراهم المضروبة في طبرستان) المقريزي، شذور، ص٤٨.
(١٢١) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤. أبو يعلي، الأحكام، ص١٧٨. ابن الأخوة، معالم القربة، ص٨٢.
(١٢٢) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٧.
(١٢٣) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤. ابن الأخوة، معالم القرية، ، ص٨٢.
(١٢٤) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤. ابن الأخوة، معالم القربة، ص٨٢.
(١٢٥) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤.
(١٢٦) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٥٦.

ولم يضرب عمر بن الخطاب نقودا جديدة على الوزن الذي ذكرناه سابقا، ففي سنة ١٨ هـ ضرب عمر بن الخطاب دراهم على نقش الكسروية، غير أنه زاد في بعضها (الحمد لله) وفي بعضها الأخرى (محمد رسول الله) وفي بعضها (لا إله إلا الله وحده)[١٢٧].

ويذكر المقريزي أن سبب ضرب عمر لتلك الدراهم أن وفدا من أهل البصرة وفيهم الأحنف بن قيس وفد على الخليفة عمر بن الخطاب وكلمه في مصالح أهل البصرة، فبعث عمر معقل بن يسار فاحتفر نهر معقل ووضع الجريب والدرهمين في الشهر فضرب عمر بن الخطاب الدراهم وزاد في نقشها.[١٢٨]

من هنا يتضح لنا أن ضرب عمر بن الخطاب للدراهم الشرعية لم يكن مانعا لضرب الدراهم الأخرى على أوزانها المختلفة وعليها كتابات عربية فهلوية وعربية يونانية[١٢٩]، وهذا يعني ويوضح لنا أن الخليفة عمر بن الخطاب قد صنع صنجا جديدا للسكة[١٣٠].

وسار الخليفة عثمان بن عفان على مسار الخليفة عمر بن الخطاب في ضرب السكة فلما بويع بالخلافة ضرب في خلافته دراهم نقشها" الله أكبر"[١٣١].

وكذلك سار الخليفة على بن أبي طالب علي نهج الخلفاء السابقين. وفي المتحف العراقي ثلاثة دراهم للخليفة علي، اثنان منهما ضربا في سجستان سنة ٣٨هـ، وقد نقشت بالخط بالفهلوي حيث وردت سجستان بالفهلوية، والسنة ٣٨ هـ بالبهلوية. أما ما نقش بالخط الكوفي على أحد هذين النقدين فكانت العبارة (بسم الله .. ربي) أما الدرهم الثالث فجاء ضربه في مدينة الشيرخان* وتكتب بالفهلوية، إلا أن سنة الضرب كان ٣٩ هـ ونقرأ على هذا الدرهم الأسم (محمد) نقش بالخط الكوفي [١٣٢].

---

(١٢٧) المقريزي، إغاثة، ص٥٢. شور، ص٧-٨، البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٥١.

(١٢٨) المقريري، شذور، ٧-٨، إغاثة، ص٥١.

(١٢٩) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢١١.

(١٣٠) صنج أو الصنج: تعني الحجر والوزن، ويراد بها العيار، وتحمل جميع الصنج الزجاجية الخاصة بالسكة العربية الإسلامية ما يعبر هذا المعيار، أو الوزن بلفظ مثقال أو ميزان والمقصود بلفظ ميزان هنا هو مقدار ثقل الصنجة التي تعبر عليها قطعة العملة. المقريزي، شذور، ص٦٠. ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٦٢

(١٣١) المقريزي، شذور، ص٨، إغاثة، ص٥١-٥٢، جواد علي ، المفصل، ج٧، ص٤٩٩.

* الشيرخان: وهي قصبة كرمان، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٨١.

(١٣٢) وداد علي القزاز، الدراهم الإسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين، مجلة المسكوكات، العدد ١+ ٢ ص١٥.

وضرب معاوية بن أبي سفيان دراهم بتأثير من عامله على العراق زياد بن أبـي سـفيان حيث ضربها هو أيضا وجعل وزنها أنقص من وزن الدراهم التي ضربـها عمـر بـن الخطـاب وسميت السود الناقصة[133]، وضرب معاويـة دراهـم تحمـل الرمـز (دربجـرد) وهـي مؤرخـة بالسنتين الهجريتين ٤١و ٤٣ هـ وتحمل اسمه بالفهلوية (معاوية أمير المؤمنين)[134].

وهناك عدد من الروايات تفيد بأن معاوية ضرب دنانير إسلامية لكن الآثار المكتشفة لم تؤيد ذلك بعد فيذكر المقريزي أن معاوية بن أبي سفيان ضـرب دنانـير علـها تمثالـه متقلـدا سيفا فوقع دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء بـه إلى معاويـة، وقـال: يـا معاويـة أنـا وجدنا ضربك شر ضرب فقال له معاوية لأحرمنك عطائك ولا كسونك القطيفة[135]*.

ويذكر فلهاوزن أن معاوية بن أبي سفيان ضرب عملة فضية وذهبية لكنها لم تقبل لأنه لم يكن علها الصليب[136].

وكذلك ضرب الدراهم مصعب بن الزبير أمير العراق من قبل أخيه عبد الله وجعل كـل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وأعطاها الناس في العطاء حتى قدم الحجاج بن يوسف الثقفي من قبل عبد الملك فجمعها وأذابها[137].

ومما لا شك فيه أن الخليفة معاوية بـن أبـي سـفيان مؤسـس الدولـة الأمويـة ضـرب الدراهم علي الطراز الساساني، كما ضربها مصعب بن الزبير كالدراهم التي ضربـها الخلفـاء من قبل عمر وعثمان وعلى، ولكن لم يعثر حتى الآن على دينار يحمل تاريخ معاوية بن أبي سفيان أو إمارة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله بن الزبير، ولكن عثر على دينـارين لعبد الملك ضربا على الطراز البيزنطي عليهما تمثاله متقلدا سـيفا وتاريخـهما سـنة ٧٦و ٧٧ للهجرة[138].

---

(١٣٣) المقريزي، شذور، ص٨، إغاثة ، ص٥٢.

(١٣٤) محمد أبو الفرج العش، النقود الإسلامية، ص٢٧٠.

(١٣٥) المقريزي، شذور، ص٩٠. إغاثة، ص٥٢. جواد على. المفصل، ج٧، ص٤٩٧. ناصر المقتبندي، الدينـــار الإسلامي، ج١، ص٩، ١٧.

* القطيفة: دثار مخمل، وقيل له كساء خمل. ابن منظور، لسان العرب، ح٢، ص٢٨٦.

(١٣٦) فلهاوزن، الدولة العربية، ص٢١١.

(١٣٧) المقريزي، شذور، ص١٠، إغاثة ص٥٣. البراقي، تاريخ، ص٢٥٢.

(١٣٨) ناصر السيد محمود النقشبندي، الدينار الإسلامي، ح١، ص١٨٠

تعريب النظام النقدي وإصلاحه:

لم تثبت النقود التي سكها خلفاء الدولة العربية الإسلامية وامراؤها علـى وزن واحـد بل كانت متغيرة الأوزان(١٣٩)، ومن هنا نرى أن المسـلمين ظلـوا يتعـاملون بـالنقود الفارسية والبيزنطية بجانب النقود التي ضربها الخلفـاء المسلمون والمحـدودة الكميـة، إلى أن اسـتقر الأمر زمن الدولة الأموية ووقعوا تحت تأثير ظروف دينية وسياسية لسك عملة جديدة.

وتتفق الروايات على أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي حكم من (٦٥ هـ ـ ٨٦هـ) هو أول من ضرب النقود العربية بشكلها المتميز تماما عن النقود الأجنبية(١٤٠).

جـاء في الأحكـام السـلطانية "أن سـعيد بـن المسيب قـال: أول مـن ضـرب الدراهـم المنقوشة عبد الملك بن مروان، وكانت الدنانير ترد روميـة والدراهـم تـرد كسـروية وحميريـة قليلة"(١٤١)،وأضاف ابن رسته "وأول من نقش بالعربية على الدراهم عبد الملك بن مروان فعد عمله هذا إصلاحا جذريا حاسما إذ أنه حدد عيارا ثابتا لكل من النقدين بنسبة معينــة وفـق ما أقره الشرع"(١٤٢).

ثم أنه لما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان، بعد مقتـل عبـد الله بـن الزبـير وأخيـه مصعب، فحص النقود والأوزان، والمكاييل، وضرب الدنانير والدراهم في سنة ست وسـبعين من الهجرة(١٤٣)، وطبقا لذلك أصدر العملة الرسمية بطابعـها الخـاص جـاعلا حـق إصدارهـا مقصورا على دور الضرب الحكومية المعتمدة وإن كان (إذن للتجـار وغـيرهم أن يضربـوا بـها النقود لحسابهم)(١٤٤)، نظير أجـرة قـدرت واحـد في المائـة(١٤٥)، عـن ثمـن الحطـب وأجـر الضرب(١٤٦)، وحينئذ جرى ضرب نقود في خارج تلك الدور، إلا أنه سـاد اعتقـاد مفـاده أن

---

(١٣٩) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص٣٨-٣٩. المقريزي، إغاثة، ص٥٠-٥١، شذور، ص٨، ١٣.

(١٤٠) البلاذري، فتوح، ص٤٥٤. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١. الماوردي، ص١٥٤، ابـــن رســـتة، الأعـــلاق، ص١٩٢، البيهقي، المحاسن، ص٤٦٨. الثعالبي، لطائف المعارف، ص١٨، الدميري، حيـــاة الحيـــوان، ج١، ص٤٢٤.

(١٤١) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤. ابن الأخوة، معالم القربة، ص٨٢.

(١٤٢) ابن رسته، الإعلاق، ص١٩٢. البيهقي، المحاسن، ص٤٦٩.

(١٤٣) المقريزي، شذور، ص١٠.

(١٤٤) البلاذري، فتوح، ص٤٥٣، محمد كرد علي، الإدارة، ص٧٦. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٤.

(١٤٥) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٥٥، شذور، ص١٢.

(١٤٦) المناوي، النقود والمكاييل، ص٧٦.

الدراهم الجياد هي التي كانت تضرب في دور الضرب الحكومية، إذ هي مستوفية الشروط اللازمة أكثر من غيرها[١٤٧]، وكان الخليفة عبد الملك قد نقش على أحد وجهي الدرهم (قل هو الله أحد)، وعلى الوجه الآخر (لا إله إلا الله) وطوق الدرهم على وجهيه بطوقين: الأول (ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا) وفي الطرف الآخر (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[١٤٨].

أورد كريرسن [١٤٩] أربعة أشكال من الدراهم التي ضربت في دمشق، وتاريخ اقدمها يرجع إلى سنة ٧٩ هـ.

ويتبين أن الدراهم التي ضربت قبل هذا التاريخ كانت في شكلها تحمل الطابع البيزنطي والعربي، غير أن التي ضربت بعد سنة ٧٩هـ كانت تحمل الطابع العربي الخالص، إذ كانت عليها كتابات عربية بالخط الكوفي بدلا من الشارات المسيحية.

أما المناطق التي كانت تسك فيها الدراهم، فإن ولكر[١٥٠] أورد نماذج من الدراهم التي ضربت في بلاد الشام من سنة ٧٩ هـ - ١٣٢هـ، وكان بعضها يحمل كتابات باللغة العربية،وآيات قرآنية، وبعضها لا يحمل أية كتابة. أما أهم الدور التي ضربت فيها: بعلبك، دمشق، عمان، حمص، طبرية، طرطوس، معرة مصرين، منبج، جبرين، حلب، سرمين، قنسرين، وقورس[١٥١].

ويرجح أن الدراهم لم تكن تسك بكثرة في بلاد الشام، بل كانت تستورد من العراق والمشرق[١٥٢]، لأن العراق كانت في العصر الأموي من أهم المناطق لسك الدراهم. ولابد أن وجود دور السك فيها كان يغني عن الإكثار من إقامة دور أخرى لسكها في بلاد الشام.

---

(١٤٧) الماوردي، الأحكام، ص١٥٤.

(١٤٨) الماوي، النقود، ص٧٦.

(١٤٩) jesho:P 245-248

(١٥٠) Catalogue of Mohammedan coins:vol. 2:p: 5-40L143-152L168.

(١٥١) راجع: المقريزي: كشف الغمة: ص٥٥-٥٦.

(١٥٢) فتوح البلدان: ص٦٥٥، وأنظر أيضا: قدامة: ص٢٢-٢٣.

أما الدنانير، فيذكر روث: أن عبد الملك ضربها على طراز السكة البيزنطية لهرقل وولديه، عليها الحرفان (I. B)، ولكنه بدل وضعها، بجعل أحدهما مكان الأخرى فأصبحا: (B I)[١٥٣].

وزاد ولكر، وكريرسن.. أن هناك إصدارتان تجريبيتان أحدهما غير مؤرخة .. وأخرى مؤرخة ٧٤، ٧٦، ٧٧هـ، التي حلت محل هرقل وأبنية بشخص الخليفة[١٥٤] وهذا يعني أن أقدم دينار ضربه عبد الملك كان بيزنطي الطابع[١٥٥] وقد عثر على دينارين لعبد الملك يحمل تمثاله متقلدا سيفا وتاريخهما ٧٦، ٧٧هـ[١٥٦].

ثم استبدل الشارات المسيحية بآيات قرآنية نقشها على وجه، وعلى الوجه الآخر كتابة تشير إلى تاريخ الضرب[١٥٧].

وقد اختلفت الأقوال في تاريخ هذا الإصلاح، فقيل سنة ٧٤ هـ[١٥٨]، وقيل: سنة ٧٥ هـ[١٥٩]، أو سنة ٧٦هـ[١٦٠]، أو سنة ٧٧ هـ[١٦١]، والراجح أن عبد الملك بدأ إصلاحه سنة ٧٤ هـ، وفي سنة ٧٧ هـ ظهر الدينار الإسلامي خاليا من أية مسحة تأثيرية، فحل محل الدينار المصور الذي بقي من ٧٤ هـ إلى أوائل سنة ٧٧هـ[١٦٢].

وفي سنة ٧٩ هـ أصبح إصلاح عبد الملك نافذا في أنحاء الدولة الإسلامية[١٦٣].

وإصلاح عبد الملك لم يتحدد بإدخال الكتابات العربية، وإنما امتد إلى تقرير الوزن القانوني للدينار: فقد كان وزنه قبل الإصلاح ٢٥ر٤ جرام، وأصبح بعد الإصلاح يزن ٣٧ر٤ جرام، أو ٥٠ر٤ جرام[١٦٤].

---

(١٥٣) Catalogue of the Byzantine coins: vol. 1. No. 8. PL. 62. No. 9 P:224

(١٥٤) Catalogue of Mohammedan coins : vol. 2: p: 84L 186.
Jpsho. P. w43 4.
Walker: Vol. 2. p: I v.

(١٥٥) يقول:
أن الدينار الأموي بدأ ضربه سنة ٧٧هـ بمعنى أن ضربه بدأ قبل ضرب الدرهم.

(١٥٦) راجع: النقشبندي: ج١: ص١٧.

(١٥٧) الحكيم: ضوابط السكة: ص٤٧. وأنظر أيضا: Poole p 4.

(١٥٨) البلادري، فتوح، ص٤٥٣، الماوردي، ص١٥٤.

(١٥٩) البلادري، فتوح، ص٤٥٣، الذهبي، تاريخ، ج٣، ص١٢٠.

(١٦٠) البلاذري، فتوح، ص٤٥٣.

(١٦١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٤.

(١٦٢) الدوري، تاريخ العراق، ص٢٠٤.

(١٦٣) يوسف غنيمة، النقود العباسية، مجلة سومر، م٩، ح١، ص١٠٤.

وسبب تخفيض عبد الملك وزن الدينار، لأن الدينار الرومي لم يكن مكيفا تماما بالنسبة للمقاييس العربية من وزن القيمة(١٦٥).

أما المناطق التي كانت تسك فيها الدنانير فمنها: دمشق وكانت الدنانير المسكوكة فيها تسمى بالدنانير الدمشقية(١٦٦) وبعلبك، وطبرية، وطرطوس، وحمص ، وسرمين، وعمان، وايليا، ومناطق أخرى(١٦٧).

وفي العصر الأموي ضربت في : دمشق، بعلبك، طبرية، ايليا، جبرين، حمص، حلب، قنسري، معرة مصرين، قورس، منبج، وفي عمان(١٦٨).

الأمويون اختاروا هذه المناطق لأنها كانت تسك النقود منذ العصر البيزنطي ولابد أن هذه الأماكن كان فيها عمال يتقنون عملية السك، أو أنها كانت مراكز إدارية، أو أن الذهب كان بتوفر فيها، أو أنها قريبة من المناطق التي كانت مناجم الذهب متوفرة فيها.

وقد ضرب الأمويون أجزاء للدينار أيضا، وقلدوا البيزنطيين في ذلك فالوليد بن عبد الملك ضرب نصف الدينار، ووزنه١٣ر٢غم، وثلث الدينار ووزنه ٤٢ر١..(١٦٩).

وكذلك ضرب الأمويون في بلاد الشام الفلوس في أماكن كثيرة ومتعددة في: دمشق، بعلبك، حمص، بصرى، صور، المعرة، قنسرين، حلب، عمان. جبرين، الرملة، اللد، يبنى. غزة، طبرية، صفورية، واللد(١٧٠).

والمرجح أن هذه الأماكن اختيرت دون غيرها، لأنها كانت مراكز سك في العصر البيزنطي، ولأنها تمتلك الخبرة في ضرب النقد، وربما أبقى الأمويون نفس الصناع والعمال الذين كانوا يعملون فيها زمن البيزنطيين. غير أننا لا نعرف المدة التي استمرت فيها على السك.

أما عملية السك، فيرجح أنها كانت تتم بإشراف الدولة والولاة.

---

(١٦٤) The Ency. Of Islam: vol. 2: p: 297

(١٦٥) أنظر: JESHO: P:248- 9L254.

(١٦٦) البلادري، فتوح، ص٤٥١-٤٥٢، وأنظر أيضا: النقشبندي، الدينار، ج١، ص١٧.

(١٦٧) Walker: vol. 2;p: 5-11

(١٦٨) Walker: vol, p. 14-40

(١٦٩) النقشبندي، الدينار: ج١: ص١٦.

(١٧٠) Walker: vol, 2 . : p: 220L236-288

أما دور الضرب [١٧١]، فقيل أن السكة الإسلامية كانت تضرب في نفس دور السك البيزنطية، وبأيدي الصناع المسيحيين والمسلمين على السواء. غير أنه من الصعوبة معرفة عدد العمال الذين كانوا يعملون بها، ونوع الأعمال التي عهدت إليهم، وكيفية الإشراف على سير العمل، ومقدار الأجور التي كانت تدفع لهم. ولكن يرجح أنها كانت منسقة ومنظمة بحيث تستطيع تأدية واجباتها تحت إشراف الدولة.

وقد وصلتنا معلومات عن دور الضرب في مصر من فترات تاريخية متأخرة. ترجع إلى عصر الفاطميين والمماليك، وأقدم ما وصلنا عنها ما ذكره ابن بعرة وابن مماتي.

وقد أظهر أن تنظيمها وسير العمل فيها كان معقدا. ويحتاج إلى خبرة. ومن المحتمل أن تنظيمها ليس وليد هذه الفترة المتأخرة، وربما يرجع إلى عصور أقدم.

أن إلقاء نظرة على أعمالها، وعلى أسماء الموظفين العاملين فيها. ربما يلقي بعض الضوء على ما كانت عليه دور السك في بلاد الشام.

أما أهم الموظفين الذين ذكرت أسماؤهم ي تلك الدور منهم:

١- المشارف: [١٧٢]

ويلزمه حفظ جميع الحواصل من فضة وذهب وسكك عدد .. وآلات وصنج . وختم الأقداح، وختم الأتون، وتحرير وزن عيار الذهب والفضة والمقابلة والحساب وخطه بذلك.

٢- الناظر: [١٧٣]

وهو شخص يستظهر به على متولي الديوان، أو مشارف[١٧٤] عمل. وليس لاحد من مستخدميه أن ينفرد عنه بشئ من علم المنظور فيه

٣- الشاهد: [١٧٥]

يشهد علىجميع من حوت الدار بما فيه من أعمالهم اياهم ومقابلته على الحساب

---

[١٧١] وأول من اتخذ دار الضرب الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق، وذلك سنة ٧٥ هـ. أنظر: قدامة، الخراج، ص٢٢
وعن مفهوم الدار أنظر: ابن بعرة: كشف الأسرار، ص٤٥، وأنظر أيضا: القشبندي، الدينار، ج١، ص١٦.

[١٧٢] ابن بعرة: ص٩١.

[١٧٣] ابن مماتي: قوانين الدواوين: ص٢٩٨/٣٠٢

[١٧٤] ابن بعرة: ص٢٩٨.

[١٧٥] ابن مماتي: ص٣٠٤، ضوابط السكة: ص٣.

٤- النقاش[١٧٦]

أن يكون أمينا، ومن لوازمه أن لا يشتغل بشئ سوى نقش السكة.

٥- المقدم[١٧٧]

يلزمه حفظ عيار الذهب والفضة

٦- الضراب[١٧٨]

يلزمه أن يحمي الفضة حميتين .. لتسلم الفضة وقت الخلاص من المواد والخبرة

٧- السباك[١٧٩]

يلزمه أن يحضر وزن النحاس قبل طرحه في البوتقة.. ومتى اختل العيار كا المأخوذ به.

٨- الفتاح[١٨٠]

وهو الذي يضع الرسم الذي سيسك عليه العملة، ويكتب نصها.. وينبغي أن ؛ بارع الخط، فإن ذلك حرز للدينار والدرهم.

٩- المعلم الحداد[١٨١]

وهو الذي يطرح الأزواج (أي أن الألة والأقلام تحفظ في صندوق، وينبغي أن ; عليها، ويعهد إليه إلا يطرحها إلا بمقدار السكة.

١٠- المعلمون[١٨٢]

ينبغي عليهم ألا يدخلوا معهم في صناعتهم أجنبيا.. وينبغي ألا يدفع الذهب وا في دار السكة إلا لمن علمت أمانته وديانته فيما يقبضه.

---

(١٧٦) أنظر ابى بعرة، ص٩٠-٩٥.
(١٧٧) أنظر ابن بعرة، ص٩٠-٩٥.
(١٧٨) أنظر ابن بعرة، ص٩٠-٩٥.
(١٧٩) أنظر ابن بعرة، ص٩٠-٩٥.
(١٨٠) الحكيم، ضوابط السكة، ص٣.
(١٨١) الحكيم، صوابط، ص٥٥-٦٦.
(١٨٢) الحكيم، صوابط، ص٥٥-٦٦.

١١- الحارس[١٨٣]

يحرس دار السكة بالليل في أعلاها من غير أن يكون له سبب في جولان أسفلها، وكذلك يتخذ لها حارس عند بابها لئلا يدخل إليها أهل الفراغ والأطماع.

أما مصاريف الدار والأجور فإنها كانت تؤخذ في الغالب من أجور النقود التي يسكها الأهالي والتجار في تلك الدور، أو من بقايا وفضلات المعادن التي تسك منها النقود.

وفي الفقرة المتأخرة في مصر- يذكر ابن مماتي[١٨٤]: أن أجرة كل ألف دينار تضرب بالدار بالقاهرة ثلاثون دينارا يخرج من ذلك أجرة الضرابين ثلاثة دنانير. أجرة كل ألف درهم أربعة عشر درهما ونصف درهم، يخرج من ذلك برسم المشارفة درهمان وربع وجميع المون من الموردين.

ويتبين أن جميع مصاريف الدار تؤخذ من عملية ضرب السكة إلى الأهالي. والغرض من قيام هذه الدور بسك النقود للأهالي هو تمكين الدولة من الإشراف على سك العملة وتوحيدها، ولأجل صيانة الوزن من التلاعب وضع عبد الملك صنجا من الزجاج[١٨٥].

دوافع حركة تعريب النقود:-

من الأسباب التي دفعت عبد الملك بن مروان لتعريب النقود دوافع سياسية كان يرمي إليها الخليفة وهي محاولة منه لتحدى مكانة الدينار البيزنطي، وسيادته المالية، وهو يرمي من وراء ذلك إلى إظهار الدور الذي يمكن أن تلعبه القوة العربية الجديدة في الميدان الاقتصادي والمالي، وهو يريد من هذا صبغ الدولة الإسلامية بالصبغة العربية وفق سياسة مرسومة. وهنا يبرز سر نجاح الخليفة الأموي عبد الملك في اتمام تعريب السكة الإسلامية وجعلها طرازا عربيا خالصا[١٨٦]. ولأجل أن يتم هذه المهمة، لم تقتصر إصلاحاته تلك على الأمور المالية، وإنما تعدتها إلى الشؤون الإدارية الأخرى.

---

(١٨٣) الحكيم، صوابط، ص٥٥-٦٦.

(١٨٤) ابن مماتي، ص٢٣٢- ٣٣٣.

(١٨٥) النقشبندي، الدينار، ج١، ص١٥.

(١٨٦) البلاذري،فتوح، ص٢٤١-٢٤٢. الجهشياري، ص٤٠،٦٧.

أن عام أربعة وسبعين للهجرة هو التاريخ المرجح والمقبول الذي بدأت فيه عملية تعريب النقود، لأنه هو العام الذي يلي وقوع الحرب بين عبد الملك والروم البيزنطيين إذ زحفت جيوش الروم من الشمال. فيذكر الطبري أنه " في سنة سبعين ثارت الروم، واستجاشوا على من بالشام من المسلمين، فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي إليه في كل جمعة ألف دينار، خوفا منه على المسلمين"[١٨٧]، ثم ما كاد عبد الملك يفرغ من مشاكله الداخلية حتى امتنع من دفع المال، فنشبت الحرب مرة أخرى وانتقض الصلح، وكان ذلك في خلال عام ٧٣هـ فرد المسلمون عدوان الروم وهزموهم[١٨٨]، فكانت هذه الحرب ممن دعا العرب المسلمين إلى التفكير في وضع عملة مستقلة.

ويرى الدوري بأن هذا الإصلاح له صلة بالأزمة المالية وأزمة الخزينة، داعما رأيه هذا بالحركات والثورات، كحركة ابن الزبير وثورة المختار الثقفي والتي كلفت الخزينة أموالاً طائلة، إضافة إلى تقلص موارد الخزينة من الجباية فأدت تدابير عبد الملك إلى إزالة كثير من الاضطراب الناشئ عن تباين أوزان الدراهم المتداولة والتي تعود أصولها لجهات متعددة، ومن ناحية ثانية أدت إلى تمييز الدينار العربي وتحريره من الارتباط بالدينار البيزنطي[١٨٩].

ومن الأسباب التي دفعت عبد الملك إلى إصلاح النقد هو أن الدولة العربية الإسلامية لا يمكن أن تظل معتمدة في نشاطها المالي والتجاري المتزايد على نقد أجنبي محدود الكمية باق من أيام ما قبل الإسلام أو يورد من بلاد العدو بوسيلة تجارية ضئيلة تهددها الحرب بالانقطاع من آن لأخر هذا ما يخص الدنانير، أما الدراهم فإن كثيرا من العملة الفضية الفارسية كان مغشوشا[١٩٠]. ويمكن أن نقول أن حالة النقود هذه كانت تشكل عائقا كبيرا أمام النشاط التجاري، الذي شهدته مؤسسات الدولة، كما أن العرب المسلمين كانوا يلاقون

---

[١٨٧] الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٥٠.

[١٨٨] الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٩٤.

[١٨٩] الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٣٢.

[١٩٠] الماوردي، الأحكام، ص١٥٤. محمد ضياء الدين الريس، الخراج، ص٢٠٧.

حرجا عند أداء فريضة الزكاة، وإن كانت تجد صعوبة كبيرة إذا أرادت أن تستوفي حقوقها(١٩١).

ونعزو خطوة عبد الملك بن مروان في إصلاح النقد كذلك إلى تفشي الغش في ضرب الدنانير والدراهم واضطراب أوزانها، ولا بد أن تكون الفوضى السياسية التي رافقت الفتن والحروب أضعفت من رقابة الدولة على شؤون العملة وأدت إلى اضطراب عيارها وجودتها، وظل الحال كذلك حتى بلغ الغش درجة لم يكن السكوت عنها ممكنا فلما اطمأن عبد الملك إلى ثبات مركزة في الخلافة واجماع الناس عليه " فحص كما تذكر المصادر النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم"(١٩٢).

ومن الأسباب المهمة التي دفعت عبد الملك إلى إصلاح النقد أسباب ودوافع دينية. فقد اقترنت الحرب بين الخليفة عبد الملك والروم بمسألة القراطيس والطراز وما نقش عليها من كتابات أثارت الشعور الديني والقومي لمساسها بحيثيات الدين والمصلحة الاقتصادية(١٩٣)، وذلك أن الخليفة أمر بإزالة عبارات تنسب السيد المسيح إلى الربوبية كانت تطرز في رؤوس الصحف، وأمر أن يكتب مكانها (قل هو الله أحد)(١٩٤)، فاغتاظ ملك الروم كما تذكر المصادر العربية من هذا الإجراء،وكتب إلى الخليفة بضرورة الاقلاع عن كتابة مثل هذه العبارات التي وردت في بداية كتاب عبد الملك، وإلا سوف يضرب ملك الروم دنانير جديدة يضع عليها ما يسئ للنبي(١٩٥). وقال : (إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه. فإن تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير ما تكرهون)(١٩٦).

فكبر ذلك في صدر عبد الملك لأنه كره أن يدع سنة حسنة سنها. وإزاء هذا التهديد استشار من حوله، فأشار عليه " خالد بن يزيد بن معاوية بأن يحرم دنانيرهم، ويمنع

---

(١٩١) المقريرية، إعاثة ، ص٥٥-٥٦.

(١٩٢) الماوردي، الأحكام، ص٨١. ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٦٣، المقريري، شذور العقود، ص١٠، إعاثة الأمة، ص٥٣.

(١٩٣) البلاذري، فتوح، ص٢٤١-٢٤٢. ابن قتيبة، عيون، ج١، ص١٩٩. أبو هلال العسكري، الأوائل، ص٢٠٥، البيهقي، المحاسن، ص٤٦٧-٤٦٨. الدميري، الحيوان، ح١، ص١٧٦-١٧٧. الماوي، النقود، ص٦٤.

(١٩٤) المقريري، إإغاثة ، ص٥٣. وشذور العقود، ص١١. البيهقي، المحاسن، ص٤٦٧-٤٦٨. الدميري، ح١، ص٦٢-٦٣.

(١٩٥) المقريزي، إعاثة الأمة، ص٥٣. شذور، ص١١.

(١٩٦) البلاذري، فتوح، ص٢٤١، البيهقي، المحاسن، ص٤٦٧-٤٦٨.

التعامل بها ويضرب للناس سككا جديدة، ويمنع أن يدخل بلاد الروم شئ من القراطيس[١٩٧]. وذكر البلاذري: فمكثت حينا لا تحمل إليهم " [١٩٨]، أي انقطعت التجارة التي كان بها يتم التبادل بين الأوراق والدنانير.

وقيل أن الذي أشار على الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب سكك للدراهم والدنانير، عليها صورة التوحيد هو (محمد بن علي بن الحسين) الذي أكد على الخليفة أن يثبت أوزان الدراهم والدنانير المنوي سكها قائلا: (وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة أصناف، التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، عشرة منها ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعا واحدا وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل ، وتصب صنجان من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان)[١٩٩].

مما تقدم نستطيع تكوين فكرة واضحة تفسر أخطر الوقائع في تاريخ العرب الإسلامي الاقتصادي عامة، وإصلاح النظام النقدي الذي قام به الخليفة عبد الملك بن مروان.

ويؤكد البيهقي أن الخيفة عبد الملك بن مروان قد أخذ برأي محمد بن علي بن الحسين، وأنه تقدم إلى الناس بضرورة التعامل بالنقود الجديدة وترك ما سواها من سائر العملات، كما أنه توعد من لا يلتزم بهذا الأمر[٢٠٠]

ويتضح لنا من تلك النصوص أن النعرة الدينية أثرت على سلوك الخليفة عبد الملك باستنكاره التثليث واعتقاده بالتوحيد، وكان ذلك سببا وجيها من ضمن أسباب أخرى عجلت تنفيذ خطته القائمة على تعريب الدولة لتبقى ذات صلة بواقعها الإسلامي العربي ولغتها العربية. وبهذا طبق عبد الملك حقا من حقوق الدولة العربية لإظهار شخصيتها المستقلة عن باقي الدول بحيث لا تظهر وكأنها مرتبطة اقتصاديا بتلك الدول سواء البيزنطية أو الفارسية.

---

(١٩٧) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٥٣، وشذور العقود، ص١١.

(١٩٨) البلاذري، فتوح، ص٢٤٢.

(١٩٩) البيهقي، المحاسن، ص٤٦٩، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٨.

(٢٠٠) البيهقي، المحاسن، ص٤٦٨-٤٦٩.

لذا فإن الخليفة عبد الملك بن مروان حين شعر بضرورة وضع نظام إداري واقتصادي موحد لكل أقاليم الدولة العربية الإسلامية، أقدم على صبغ إدارة الدولة بالصبغة القومية، حيث بدأ في تعريب دواوين الدولة[٢٠١]، وضرب أول سكة عربية خالصة[٢٠٢] لأنه رأى ذلك ضرورة من ضرورات الحكم، بعد أن حقق مرحلة استقرار الأحوال الداخلية.

ولقد ثبت أن الأوزان التي عليها دراهم ودنانير الخليفة عبد الملك مطابقة للأوزان الشرعية تقريبا، ولهذا استقر الإجماع على أنها النقود الشرعية وحصلت موافقة الفقهاء عليها، وعلى أنها هي التي تؤخذ بها الزكاة، وتؤدى بها كل الحقوق التي أوجبها الشرع[٢٠٣]، حيث جعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطا الاحبة بالشامي، وجعل وزن الدرهم خمسة عشر قيراطا. والقيراط أربع حبات وكل دانق قيراطين ونصفا[٢٠٤]، وزنة الدرهم الواحد خمسون حبة وخمسا حبة من الشعير[٢٠٥].

وكانت العلاقة بين الدرهم والدينار هي بنسبة ٧ - ١٠[٢٠٦]، إذ استقر الأمر في الإسلام على أن وزن الدرهم ستة دوانيق، ووزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل[٢٠٧]، لأن الذهب أوزن من الفضة واثقل وزنا، فلو أخذت حبة فضة وحبة ذهب ووزنتا لرجحت حبة الذهب على حبة الفضة ثلاثة أسباع.فمن أجل ذلك جعل: كل عشرة دراهم زنة سبعة مثاقيل، غير أن قيمة الدرهم من الدينار لم تقف عند حد معين في كل الأزمنة؛ لأنه أخضع لعدة تغييرات[٢٠٨].

---

[٢٠١] البلادري، فتوح، ص١٩٧، ٢٩٨. الجهيشياري، ص٤٠، ٦٧، الماوردي، ص٢٠٢-٢٠٣.

[٢٠٢] البلاذري، فتوح، ص٤٥٥، اليعقوبي، ج٣، ص٢٧. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١. الماوردي، الأحكام، ص١٥٤.

[٢٠٣] البلاذري، فتوح، ص٤٥١. الماوردي، الأحكام، ص٤٥١، المقريري، إغاثة الأمة، ص٥٦-٥٧. وشذور العقود، ص١٠، ١٣. ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٦٤.

[٢٠٤] المقريزي، شذور، ص١٠، المناوي، النقود،ص٧٤.

[٢٠٥] المقريزي، شذور١٤. المناوي، النقود، ص٧٩.

[٢٠٦] البلاذري، فتوح، ص٤٥٢، الماوردي، الأحكام، ص١٥٣. المقريري، إغاثة، ص٥٥، شذور العقود، ص١٣. ابن خلدون ، تاريخ ص٤٦٥.

[٢٠٧] الماوردي الأحكام، ص١٥٤. ابن الأخوة، معالم القربة، ص٨٢، المقريزي، شذور، ص١٣-١٤، المناوي، النفوذ، ص٧٨.

[٢٠٨] المقريزي، شذور العقود، ص١٤. المناوي، النقود، ص٧٩.

وتضافرت جهود الولاة الأمويين في الاهتمام بالنواحي المالية، إذ جاء بعد الحجاج ولاة حكموا العراق ، فضرب الأمراء الذين تولوا العراق الدرهم واهتموا بتجويدها، فلما ولي عمر بن هبيرة أمر العراق ليزيد بن عبد الملك خلص الفضة أبلغ تخليص وجود الدراهم. فاشتد في العيار ثم ولي خالد بن عبد الله القسري لهشام بن عبد الملك فاشتد في أمر النقود أكثر من شدة ابن هبيرة حتى احكم أمرها ثم ولي يوسف بن عمر الثقفي بعده فأفرط في الشدة على الطباعين وأصحاب العيار وقطع الأيدي وضرب الأبشار فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ولم يكن أبو جعفر المنصور يقبل في الخراج غيرها[٢٠٩].

واتخذ الولاة مراكز عديدة لضرب النقود وسكها في أنحاء مختلفة من العراق، حتى تولى هشام بن عبد الملك الخلافة فأمر عامله على العراق خالد بن عبد الله القسري سنة ١٠٦هـ أن يبطل السكة من كل بلد إلا واسط فضربت الدراهم في واسط فقط واستمرت واسط مركزا لضرب النقود بعد خالد القسري حتى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فأمر أن تضرب الدراهم بالجزيرة على السكة بحران إلى أن قتل[٢١٠].

أما في مصر فلا شك أن عبد العزيز بن مروان قد أخذ باصلاحات أخيه عبد الملك للسكة على غرار ما فعله سائر الأمراء في مختلف الولايات[٢١١].

وبعملية التعريب هذه وما رافعها من سك للنقود نستطيع القول أن الدولة العربية الإسلامية وصلت إلى مرحلة كبيرة من التكامل وأصبحت ذات كيان موحد، نظرا لتوفر الإدارة الحكيمة للخلفاء والأمراء المسلمين.

ويرجح أن يكون هدف عبد الملك من هذا الإصلاح تحقيق الاستقلال الاقتصادي للدولة الإسلامية، فهي لا يمكن أن تبقى معتمدة في نشاطها الاقتصادي على النقد الأجنبي

---

(٢٠٩) البلاذري، فتوح، ص٤٥٤-٤٥٥، قدامه، الخراج، ص٦٠. الماوردي، ص١٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٧. ابن كثير ، البداية، ج٩، ص١٥. ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٦٣. المقريزي، إغاثة الأمة، ص٥٨-٥٩، وشذور العقود، ص١٦-١٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص١٧٧-١٧٨. المناوي، النقود، ص٨٢-٨٣. البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢١٠) المقريزي، شذور، ص١٦-١٧. إغاثة، ص٥٨-٥٩. المناوي، النقود، ص٨٢-٨٣ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٤٥٤.

(٢١١) سيده كاشف، عبد العزيز بن مروان، ص٩٣.

الذي تحصل عليه بكمية محدودة من الروم عن طريق التجارة. إذ من المؤكد أن تكون تلك التجارة متقطعة بسبب الحروب المستمرة بين العرب والروم.

وكان غرضه أيضا توحيد العملة، وقصر ضربها في دار المسكوكات الحكومية وربما كان أيضا يهدف من وراء ذلك القضاء على التلاعب والتزوير، وضمان سير المعاملات التجارية بصورة دقيقة ومنتظمة.

بداية الإصلاح النقدي:-

نرى أن عملية تعريب النقود في الدولة العربية الإسلامية التي قام بها عبد الملك بن مروان، لا يوجد تاريخ محدد لها، وأن المؤرخين العرب لا يتفقون عند هذه النقطة.

فيذكر الحسن بن عبد الله أن عبد الملك ضرب الدراهم سنة ثلاثة وسبعين هجرية[٢١٢] غير أن الروايات التي أوردها كل من البلاذري[٢١٣]، والماوردي[٢١٤]، وابن قتيبة[٢١٥]، وابن الأخوة[٢١٦]، وابن خلدون[٢١٧]، متفقة على أن ضرب عبد الملك بن مروان للدنانير كان عام٧٤هـ.

فيروي البلاذري " أن سعيد بن المسيب سئل: من أول من ضرب الدنانير المنقوشه؟ فأجاب: عبد الملك بن مروان[٢١٨]، وروي أيضا عن محمد بن عمر (الواقدي) عمن حدثه أن عبد الملك أول من ضرب الذهب "عام الجماعة" سنة ٧٤هجرية[٢١٩]، وعن المدائني أنه قال ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة ٧٥ هجرية، ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة ٧٦ هـ [٢٢٠]، كما ذكر البلاذري أيضا عن " ابن الزبير الناقد" أنه قال : ضرب عبد الملك شيئا من الدنانير في ٧٤ هـ ثم ضربها سنة ٧٥ هجرية[٢٢١].

---

[٢١٢] الحسن بن عبد الله، آثار الأول، ص١٠٣.

[٢١٣] البلاذري، فتوح، ص٤٥٣.

[٢١٤] الماوردي، الأحكام، ص٣٥٤.

[٢١٥] ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١.

[٢١٦] ابن خلدون ، تاريخ، ج١، ص٤٦٣.

[٢١٧] ابن الأخوة، معالم القربة، ص٨٢-٨٣

[٢١٨] البلاذري، فتوح، ص٤٥٣. محمد ضياء الدين الريس، الخراج، ص٢٠٤

[٢١٩] البلاذري، فتوح، ص٤٥٣. المناوي، النقود، ص٦١-٦٢.

[٢٢٠] البلاذري، فتوح، ص٤٥٣. القلقشندي، مأثر الأنافة، ج٣، ص٣٤٥.

[٢٢١] البلاذري، فتوح، ص٤٥٤. المناوي، النقود، ص٦٢، ٦١، الريس، الخراج، ص٢٠٤.

وإذا كان الطبري ذكر أن عبد الملك أمر بضرب الدراهم والدنانير في عـام ٧٦هـ[٢٢٢]، فهذا محمول على أن المراد هو الأمر بتعميمها، وليـس البـدء في ذلك. ولا سيما أن روايتـه تتفق في إسنادها مع إحدى روايات البلاذري التي مرت فلا يناقض الرواة أنفسهم وتـاريخ ٧٤هـ هـو التـاريخ المقبـول لأنـه هـو الـذي يلـي وقـع الحـرب بـين المسـلمين والـروم في عام٧٣هـ[٢٢٣].

وأن ضرب الدراهم بدأ في العراق على يد الحجاج بإيعاز من الخليفـة عبد الملك بـن مروان سنة أربع وسبعين للهجرة، وقيل خمسٍ وسبعين[٢٢٤].

وقال المدائني: بل ضربها الحجاج في أخر سنة خسم وسبعين ثم أمر بضربـها في النواحي سنة ست وسبعين[٢٢٥].

وينقل الماوردي رواية يحيـي بـن النعمـان الغفـاري الـتي تؤكـد أن الحجـاج ضـرب الدراهم وكتب في جانب منها (بسم الله). وفي آخر (الحجاج)[٢٢٦]، وبذلك يكون أول وال في الدولة العربية الإسلامية يكتب اسمه على الدراهم.

بينما يذكر الدوري أنه يبدو من النقود الموجودة أن الخطوات الأوليـة لتعريـب النقـد اتخذت سنة ٧٢هـ وبعد شئ من التجربة نفذ الإصلاح النهائي للدينار عام ٧٧ هـ/ ٦٨٦م. وللدرهم سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧–٦٩٨م. وقد أثـرت الإجـراءات الأولى علـى النقـوش فقـط، ولكـن الخطوة الأخيرة أنتجت النقد الجديد المقتصر على الكتابات العربية (الإسـلامية) مـع عيـار جديد للوزن[٢٢٧].

وبتعريب النقود الإسلامية سنة ٧٧ هـ بدأ عهد من الاستقرار المالي للدولة العربية فلم تعد نقود العرب تدور في فلك الدنانير البيزنطية أو غيرها أو ترتبط بأوزانها وأسعارها [٢٢٨].

---

(٢٢٢) الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٥٦.

(٢٢٣) الريس، الخراج، ص٢٠٥.

(٢٢٤) الماوردي، ص١٥٤.

(٢٢٥) البلاذري، فتوح، ص٤٥٣. الماوردي، ص١٥٤. ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٤٦٣.

(٢٢٦) الماوردي، ص١٥٥، ابن الأخوة، معالم القربة، ص٨٣.

(٢٢٧) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٤.

(٢٢٨) عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ص٤٥.

ففي خلافة عبد الملك بن مروان وهو خامس خلفاء الأمويـين بطـل صـك هـذه النقـود وصكت النقود العربية الخالصة المعروفة عند الخاص والعام وذلك ابتـداء مـن سـنة ٧٤–٧٧ هجرية[٢٢٩].

لقد كان هذا الإصلاح جزء مـن سياسـة تعريـب المؤسسـات وخطـوة لتـأكيد السـيادة الكاملة، كما أن التطورات الاقتصادية ومشاكل جباية الضرائـب والمشـاكل النقديـة، وحالـة التوتر في العلاقات البيزنطية، كانت ذات صلة بالموضوع. [٢٣٠]

---

[٢٢٩] يوسف سركيس، النقود، مجلة المقتطف، النقود، م ٤٩، ص٥٧–٥٨.

[٢٣٠] الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٣–٢٠٤.

المصادر والمراجع

المصــادر:

أ- المصادر المخطوطة:

١. البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر (توفي سنة ٢٧٩هـ)

"أنساب الأشراف" نسخة استانبول، السليمانية، رقم ٥٩٧-٥٩٨، توجد صورة عنه في مكتبة الجامعة الأردنية

٢. ابن عساكر، على بن الحسن (توفي سنة ٥٧هـ)

"تاريخ دمشق" ١٩ ج، دمشق، مكتبة الظاهرية، ٣٣٦٦-٣٣٨٣و ٣٤٥٠، توجد صورة عنه في مركز الوثائق- الجامعة الأردنية.

٣. ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب (توفي سنة ٢٠٤ هـ)

"النسب الكبير" مدريد، مكتبة الأسكوريال، رقم AZ/ 1698 توجد صــورة عنــه في مكتبة الدكتور عبد العزيز الدوري.

٤. المخزومي، على بن يوسف (توفي في نهاية القرن السادس الهجري)

"المنهاج في علم الخراج"، مكتبة المتحف البريطاني رقم Add 2343. توجـد صـورة عنه في مكتبة الجامعة الأردنية.

ب- المصادر المطبوعة:

١- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبدالله (توفي ٦٥٨ هـ)

- أعتاب الكتاب، تحقيق صالح الاشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، ١٩٦٨.

٢- الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور (توفي سنة ٨٥٢ هـ)

"المستطرف في كل مستظرف" ٢ج، الطبعة الثانية، مطبعة المعاهد، القاهرة، ١٩٣٥م.

٣- ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (توفي سنة ٦٣٠ هـ)

"الكامل في التاريخ" ١٣ج، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

٤- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري (توفي ٦٠٦ هـ)

- النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ٥ج، دار إحياء الكتب، القاهرة ١٩٦٣-١٩٦٥.

٥- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (توفي سنة ٧٧٩ هـ)

- معالم القربة في أحكام الحسبة، مطبعة دار الفنون ، كمبردج، ١٩٣٧م.

٦- الإدريسي، محمد بن عبد الله (توفي سنه ٥٦٠ هـ)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما ١٩٧٤.

٧- الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (توفي سنة ٧١٧ هـ)

- خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك، تصحيح مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى ، بغداد.

٨- الأزدي، محمد بن عبد الله(عاشر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري)

"فتوح الشام" تحقيق. عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٩- الأزدي، يزيد بن محمد بن اياس (توفي سنة ٣٣٤هـ)

"تاريخ الموصل" تحقيق: علي حبيبة، نشر مؤسسة التحرير، القاهرة ١٩٦٧م.

١٠- الأرزقي، محمد بن عبد الله (توفي سنة ٢٤٤ هـ)

"أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ،بيروت.

١١- الاصبهاني، أحمد بن عبد الله (توفي سنة ٤٣٠ هـ)

" حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ١٠ج الطبعة الثانية نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٠م.

١٢- الأصطخري، إبراهيم بن محمد الفاسي (توفي سنة ٣٤٦هـ)

"الأقاليم" تحقيق J. Moeller غوتا. أوفست مكتبة المثنى، بغداد

"مسالك الممالك" تحقيق: محمد عبد العال الحسيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، القاهرة ١٩٦١م.

١٣- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (توفي سنة ٣٦٠ هـ)

"تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء" منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٦١م

١٤- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (توفي سنة ٣٥٦هـ)

" الأغاني " تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ٢٥ج، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٧-١٩٦١م.

١٥- ابن اعثم، أحمد بن اعثم الكوفي (توفي سنة ٣١٤هـ)

"الفتوح" تحقيق: حامد على العباسي، ٨ج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٨-١٩٧٥م.

١٦- ابن النديم، محمد بن اسحق (توفي سنة ٣٨٠ هـ)

"الفهرست " تحقيق: رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

١٧- بحشل، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (توفي سنة ٢٩٢ هـ)

"تاريخ واسط" تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٧م

١٨- البخاري، محمد بن إسماعيل (توفي سنة ٢٥٦ هـ)

" التاريخ الكبير" ٤ ج، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٨٢هـ.

" صحيح البخاري" ٩ج، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٥٨م.

١٩- البرهان فوري ، علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي (توفي سنة ٩٧٥هـ)

" كنز العمال في سنن الأموال والأفعال" تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، ١٦ج، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٧٩م"

٢٠- البطليوسي، عبدالله بن محمد بن السيد (توفي سنة ٥٢١ هـ)

"الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"، دار الجليل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ١٩٧٣م.

٢١- البغدادي، عبد القادر بن عمر (توفي سنة ١٠٩٣هـ)

" خزانة الأدب" تحقيق: عبد السلام هارون، ٧ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ا لقاهرة ١٩٧٩م.

٢٢- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (توفي سنة ٤٨٧هـ)

"معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" تحقيق: مصطفى السقا، ٤ج، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥-١٩٥١م.

٢٣- البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر (توفي سنة ٢٧٩ هـ)

"أنساب الأشراف" ج١، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف القاهرة ١٩٥٩.

ج٢، تحقيق : محمد باقر المحمودي ،بيروت ١٩٧٤م

ج٣، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت ١٩٧٧م.

ج٤، قسم ١ ، نشر ماكس شلوزنجر، القدس ١٩٧١م.

ج٤، قسم٢ ، نشر ماكس شلوزنجر، القدس ١٩٣٨.

ج٥، نشر غوتين، القدس ١٩٣٦م.

"فتوح البلدان" تحقيق : عبد الله أنيس الطباع وعمر انيس الطباع دار النشر للجامعيين، بيروت١٩٥٧م.

٢٤-البيروني، محمد بن أحمد (توفي سنة ٤٤٠هـ)

"الآثار الباقية عن القرون الخالية" تحقيق: أدورد شيخو ،ليبسك ١٩٢٣م.

٢٥- البيهقي، أحمد بن الحسين(توفي سنة ٤٥٨ هـ)

"السنن الكبرى" ١٠ج، الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٥٢هـ.

٢٦- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (توفي سنة ٨٧٤هـ)

" النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" ١٢ ج، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة١٩٦٣م.

٢٧- التنوخي، المحسن بن على (توفي سنة ٣٨٤ هـ)

"المستجاد من فعلات الأجواد " تحقيق: محمد كرد علي، دمشق ١٩٧٠م.

"الفرج بعد الشدة" تحقق: عبود الشالجي، ٥ج، دار صادر بيروت ١٩٧٨م.

"نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة "تحقيق: عبود الشالجي، ٨ج، بغداد١٩٧١م.

٢٨- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (توفي سنة ٤٢٩ هـ)

"خاص الخاص" تحقيق: محمود السمكري، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٠٨م.

" لطائف المعارف" تحقيق : إبراهيم الأبياري، وحسن كامل الصيرفي، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠م.

"لطائف اللطف" تحقيق. عمر الأسعد، الطبع الأولى، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٠م.

"ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.

٢٩- الجاحظ ، عمرو بن بحر (توفي سنة ٢٥٥هـ)

"التاج في اخلاق الملوك" (منسوب للجاحظ) تحقيق: أحمد زكي، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٤م.

"البخلاء" تحقيق: طه الحاجري، ٢ج، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م.

"البيان والتبيين" تحقيق: عبد السلام هارون، ٤ج، الطبعة الثانية، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثني ببغداد، ١٩٦١م.

"رسائل الجاحظ" تحقيق: عبد السلام هارون ، ٢ج، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٤م.

"الحيوان" تحقيق : عبد السلام هارون، ٧ج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٤٥م.

"العثمانية" تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، القاهرة ١٩٥٥م.
"البرصان والعرجان والعميان والحولان" تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة- بيروت ١٩٧٢.

٣٠- جروهمان، أدولف
"أوراق البردي العربية" ترجمة عبد الحميد حسن، وحسن إبراهيم، ومحمد مهدي، وعبد العزيز الدالي، ٦ج، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٤-١٩٧٤.

٣١- الجريري، معافي بن زكريا النهرواني (توفي سنة ٣٩٠ هـ)
"الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي "تحقيق: محمد مرسي الخولي، ٢ج، عالم الكتب، بيروت١٩٨٣م.

٣٢- ابن جلجل، سليمان بن حسان الأندلسي (توفي سنة ٣٧٧ هـ)
"طبقات الأطباء والحكماء" تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٥م.

٣٣- الجهشياري، محمد بن عبدوس(توفي سنة ٣٣١ هـ)
"الوزراء والكتاب" تحقيق": مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٨م.

٣٤- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (توفي سنة ٥٤٠ هـ)
"المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم " تحقيق: أحمد شاكر، طهران ١٩٦٦م.

٣٥- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (توفي سنة ٥٩٧ هـ)
"صفة الصفوة" ٤ج ، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٦هـ.
"سيرة عمر بن الخطاب" تحقيق: أسامة عبد الكريم الرفاعي، دمشق ١٣٩٤هـ
"سيرة عمر بن عبد العزيز " الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.
"أخبار الظراف والتماجنين" تقديم وتعليق محمد بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف.

٣٦- الجوهري، اسماعيل بن حماد (توفي سنة ٣٩٨ هـ)
"الصحاح" تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ٦ج، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٥٦م.
٣٧- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية (توفي سنة ٢٤٥ هـ)
" المحبر" مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٤٢م.
"المنمق"، تحقيق: خورشيد أحمد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٩٦٤م.
٣٨- ابن حجر، أحمد بن علي (توفي سنة ٨٥٣ هـ)
"الإصابة في تمييز الصحابة" ٨ج، مطبعة السعادة، القاهرة ١٢٣٢هـ.
"رفع الأصر عن قضاة مصر " قسم٢، تحقيق. حامد عبد المجيد، المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٦١م.
٣٩- ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد (توفي سنة ٦٥٦هـ)
"شرح نهج البلاغة" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٧ج، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٩ ١٩٦٣م.
٤٠- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (توفي سنة ٤٥٦ هـ)
"المحلى" ١١ج، نشر إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٤٩ هـ
"جمهرة أنساب العرب" تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة، ١٩٦٢م.
٤١- الحسن بن عبد الله (عاش في القرن الثامن الهجري)
"آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٩٥ هـ
٤٢- الحميري، محمد بن عبد المنعم (توفي سنة ٧٢٧ هـ)
"الروض المعطار في خبر الأقطار" تحقيق: إحسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥م.
٤٣- ابن خالويه، الحسين بن أحمد (توفي سنة ٣٧٠ هـ)
"ليس في كلام العرب" تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الثانية، مكة المكرمة ١٩٧٩م.

٤٤- ابن خرداذبه، عبد الله بن عبد الله (توفي سنة ٢٧٢ هـ)
"المسالك والممالك" تحقيق: دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م.
٤٥- الخزاعي، أبي الحسن علي بن محمد (توفي سنة ٧٨٩ هـ)
"تخريج الدلالات السمعية" تحقيق: أحمد محمد أبو سلامه، القاهرة ١٩٨١م.
٤٦- ابن الخطيب، لسان الدين
" الإحاطة في أخبار غرناطة" تحقيق: محمد عبد الله عنان، ٤ج، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٣-١٩٧٧م.
٤٧- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (توفي سنة ٤٦٣ هـ)
"تاريخ بغداد" ١٤ ج، مكتبة الخانجي بالقاهرة، والمكتبة العربية ببغداد، ومطبعة السعادة، القاهرة ١٩٣١م.
٤٨- الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر (توفي سنة ١٠٦٩ هـ)
"شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة الحرم الحسيني الكبرى، القاهرة ١٩٥٢م.
٤٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (توفي سنة ٨١٨ هـ)
- تاريخ، ٧ج، منشورات الأعلمي، بيروت ١٩٧١.
٥٠- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (توفي سنة ٦٨١ هـ)
"وفيات الأعيان وأنباء الزمان " تحقيق: إحسان عباس، ٦ج، دار صادر، بيروت ١٩٧٢م.
٥١- خليفة بن خياط (توفي سنة ٢٤٠ هـ)
"تاريخ خليفة بن خياط" تحقيق: اكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٦٧م.
"الطبقات" تحقيق: اكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٦٧م.
٥٢- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (توفي سنة ٣٨٧ هـ)
"مفاتيح العلوم"، دار الكتب العلمية ، بيروت (ب.ت).
٥٣- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (توفي سنة ٦٩٦ هـ)

"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" ٤ج، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة ١٩٦٨م.

٥٤- ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (توفي سنة ٣٢١ هـ)

"الاشتقاق" تحقيق: عبد السلام هارون، المطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨م.

"كتاب جمهرة اللغة" ٤ج، طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت(ب.ت).

٥٥- ابن دقماق، إبراهيم بن أيدمر العلائي (توفي سنة ٨٠٩ هـ)

"تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس" ٢ج، مطبعة عثمان عبد الرزاق، القاهرة ١٣٠٢هـ.

٥٦- الدينوري، أحمد بن داود (توفي سنة ٢٨٢ هـ)

"الأخبار الطوال " تحقيق: عبد المنعم عامر، وجمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد، (ب.ت)

٥٧- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (توفي سنة ٧٤٨ هـ)

"دول الإسلام" ٢ج، الطبعة الثانية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١٣٦٤هـ.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢.

- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ٥ج، الكويت ١٩٦٠.

٥٨- ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (توفي سنة ٧٥٩هـ)

"الاستخراج لأحكام الخراج" دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

٥٩- ابن رستة، أحمد بن عمر (توفي سنة ٢٩٠ هـ)

"الاعلاق النفيسة" تحقيق: دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١م.

٦٠- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (توفي سنة ٤٥٦ هـ)

"العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ٢ج، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٤م.

٦١- الزبير بن بكار (توفي سنة ٢٥٦ هـ)

"الأخبار الموفقيات" تحقيق: سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٢م.

"جمهرة نسب قريش وأخبارها" تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨١هـ.

٦٢- ابن الزبير، أحمد بن الرشيد بن القاضي بن الزبير (توفي سنة ٥٦٣هـ)

"الذخائر والتحف" تحقيق: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٥٩م.

٦٣- الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (توفي سنة ٢٣٦ هـ)

- نسب قريش، نشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١.

٦٤- أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري (توفي سنة ٢٨١هـ)

"تاريخ أبي زراعة الدمشقي" تحقيق: شكر الله بن نعمة الله القوجاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ١٩٨٠م.

٦٥- الزمخشري، محمد بن عمر (توفي سنة ٥٣٨ هـ)

"أساس البلاغة " ٢ج، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢م.

٦٦- السجستاني، سهل بن محمد بن يزيد (توفي سنة ٢٥٠ هـ)

"المعمرون والوصايا" تحقيق: عبد المنعم عامر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة١٩٦١م.

٦٧- السرخسي، محمد بن أبي سهل(توفي سنة ٤٩٠ هـ)

"المبسوط"٣٠ج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت١٩٧٨م.

٦٨- السدوسي، مؤرخ بن عمرو (توفي سنة ١٩٨هـ)

"حذف من نسب قريش" تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة العروبة، القاهرة ١٩٦٠م.

٦٩- ابن سعد، محمد (توفي سنة ٢٢٠ هـ)

"الطبقات الكبرى" ٨ ج، دار صادر، بيروت ١٩٥٧م.

٧٠- ابن سلام، محمد (توفي سنة ٢٣١ هـ)

"طبقات الشعراء، مطبعة بريل، ليدن ١٩١٦م.

٧١- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور (توفي سنة ٥٦٢هـ)

"الأنساب"، نشر محمد أمين دمج، ١٠ ج، بيروت ١٩٨١م.

٧٢- سيبويه، عمرو بن عثمان (توفي سنة ١٧٩ هـ)

"الكتاب" ٢ج، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق، القاهرة ١٣١٧هـ.

٧٣- ابن سيدة، الحسن بن على بن اسماعيل (توفي سنة ٤٥٨ هـ)

"المخصص" ١٧ج، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت. عن طبعة بولاق، القاهرة ١٣٢١هـ.

٧٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (توفي سنة ٩١١ هـ)

"تاريخ الخلفاء" تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٠م.

٧٥- الشابستي، على بن محمد (توفي سنة ٣٨٨ هـ)

"الديارات" تحقيق: كوركيس عواد، الطبعة الثانية، نشر مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٦م.

٧٦- الشافعي، محمد بن ادريس (توفي سنة ٢٠٤هـ)

"الأم" تحقيق: محمد زهدى النجار، ٧ج، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٦١م.

٧٧- الشيباني، محمد بن الحسن (توفي سنة ١٨٩ هـ)

"شرح كتاب السير الكبير" تحقيق: صلاح الدين المنجد، ٣ج، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٨م.

٧٨- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف(توفي سنة ٤٧٦هـ)

"طبقات الفقهاء" تحقيق: احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م.

٧٩- الصابي، محمد بن هلال (توفي سنة ٤٨٠ هـ)

"الوزراء" تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهر١٩٥٨.

٨٠- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (توفي سنة ٢١١ هـ)

"المصنف" تحقيق: حبيب بن عبد الرحمن الأعظمي، ١١ج، الطبعة الأولى، بيروت١٩٧٢م.
٨١- الصولي، محمد بن يحيي (توفي سنة ٣٣٦ هـ)
"أدب الكتاب" تحقيق: محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ.
٨٢- الطبري، محمد بن جرير (توفي سنة ٣١٠ هـ)
"تاريخ الرسل والملوك" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٠ج، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.
٨٣- ابن طباطبا، محمد بن علي (توفي سنة ٧٠٩ هـ)
"الفخري في الآداب السلطانية" بيروت ١٩٦٦م.
٨٤- الطرطوشي، محمد بن محمد بن الوليد الفهري (توفي سنة ٥٢٠ هـ)
"سراج الملوك" مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٨٩ هـ.
٨٥- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر (توفي سنة ٢٨٠ هـ)
- بغداد ، بعناية محمد زاهد الحسن، مكتبة الخانجي، القارة١٩٤٩م.
٨٦- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (توفي سنة ٤٦٣ هـ)
"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" تحقيق: علي البجاوي، ٤ ج، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٩٦٠م.
٨٧- ابن عبد الحكم، عبد الله (توفي سنة ٢١٤ هـ)
"سيرة عمر بن عبد العزيز" تحقيق: أحمد عبيد ، ط٣، دار الفكر، دمشق ١٩٦٤م.
٨٨- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (توفي سنة ٢٥٧)
"فتوح مصر وأخبارها" تحقيق: تشارلز توري، ليدن ١٩٢٠م. أوفست مكتبة المثنى، بغداد.
٨٩- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (توفي سنة ٣٢٨ هـ)
"العقد الفريد" تحقيق: محمد سعيد العريان، ٨ج، دار الفكر دمشق ١٩٤٠م.
٩٠- ابن العبري، غريغورس الملطي (توفي سنة ٦٨٥ هـ)

"تاريخ مختصر الدول "تحقيق: انطون الصالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثولويكية، بيروت ١٩٥٨م.

٩١- أبو عبيد ، القاسم بن سلام (توفي سنة ٢٢٤ هـ)

"الأموال" تحقيق: محمد خليل الهراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٦٨م.

٩٢- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (توفي سنة ٢٠٩ هـ)

"النقائض" جرير والفرزدق" تحقيق أنطوني بيفان، ٣ج. ليدن ١٩٠٥- ١٩١٢م.

٩٣- ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (توفي سنة ٦٩٥هـ)

"المغرب في اخبار الأندلس والمغرب " تحقيق: ج.س. كولان وأ. لفي بروفنسال، ج١، دار الثقافة، بيروت (ب.ت)

٩٤- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (توفي سنة ٥٤٣ هـ)

"العواصم من القواصم" تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٩٥- ابن عساكر، على بن الحسن (توفي سنة ٥٧١ هـ)

" تاريخ مدينة دمشق" ٦ج، (ج١، ج٢، ج١٠، و٣ج حرف العين) نشر المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق ١٩٥١-١٩٨١م.

"تهذيب تاريخ ابن عساكر" تهذيب وترتيب: الشيخ عبد القادر بدران، ٧ج، بيروت ١٩٧٩م.

٩٦- أبو الفداء، اسماعيل بن محمد بن عمر (توفي سنة ٧٣٢هـ)

" تقويم البلدان" تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٥٠م.

"المختصر في أخبار البشر" ٤ج، بيروت (د.ت)

٩٧- ابن فضل الله العمري، أحمد (توفي سنة ٧٤٢هـ)

"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" تحقيق: أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤م.

٩٨- ابن الفقية، أحمد بن محمد الهمداني (توفي سنة ٢٧٦ هـ)

"مختصر كتاب البلدان " تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٢ هـ.
٩٩- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (توفي سنة ٢٧٦ هـ)
"عيون الأخبار" ٤ج، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢م.
"المعارف" تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة ١٩٦٠م.
"المعارف" تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة ١٩٦٠م.
"أدب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٣.
١٠٠- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (توفي سنة ٣٥٦ هـ)
"الأمالي" ٢ج، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٣م.
"ذيل الأمالي والنوادر" الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٣م.
١٠١- قدامة بن جعفر (توفي سنة ٣٣٨هـ)
"كتاب الخراج وصناعة الكتابة" تحقيق: محمد حسن الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٧٩م.
١٠٢-ابن قدامة،عبد الله بن أحمد بن محمد (توفي سنة ٦٢٠هـ)
"المغني" تحقيق: محمد رشيد رضا، ٩ج، الطبعة الثالثة، نشر دار المنار، القاهرة ١٣٦٧هـ
"الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار" تحقيق: على نويهض دار المنار، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
١٠٣- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (توفي سنة ٦٨٢ هـ)
"آثار البلاد وأخبار العباد" دار صار ودار بيروت، بيروت ١٩٦٠م.
١٠٤- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن على (توفي سنة ٨٢١ هـ)
"صبح الأعشي في صناعة الإنشا" ١٣ ج، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢م.
"مآثر الأنافة في معالم الخلافة" تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ٣ج، وزارة الثقافة والأنباء والإرشاد، الكويت ١٩٦٤.

١٠٥- ابن الكازروني، على بن محمد (توفي سنة ٦٩٧ هـ)
"مختصر التاريخ" تحقيق· مصطفى جواد وسالم الألوسي، نشر وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٠م.
١٠٦- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (توفي سنة ٧٧٤هـ)
" البداية والنهاية" ١٤ج، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٣٣م.
"سيرة عمر بن عبد العزيز "تحقيق: أحمد الشرباصي، الطبعة الثالثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (ب.ت)
١٠٧- الكندي، محمد بن يوسف التجيبي (توفي سنة ٣٥٠ هـ)
"ولاة مصر" تحقيق: حسين نصار، بيروت ١٩٥٩م.
"الولاة والقضاة، تهذيب رفن كست، مطبعة اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م
١٠٨- ابن الكلبي، هشام بن السائب (توفي سنة ٢٠٤هـ)
"جمهرة النسب" تحقيق. نهاية سعيد سلمان،الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٣م.
١٠٩- مالك بن أنس (توفي سنة ١٧٩ هـ)
"المدونة الكبرى" ٦ج، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٣هـ. أوفست دار صادر بيروت. ومكتبة المثنى، بغداد.
"الموطأ" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢ج، دار أحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥١م.
١١٠- ابن مماتي، أسعد (توفي سنة ٦٠٦ هـ)
" قوانين الدواوين، تحقيق سوريال عطية، مطبعة مصر ١٩٤٣.
١١١- المالكي، عبد الله بن أبي عبد الله (توفي سنة ٤٥٣ هـ)
" رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" نشر: حسين مؤنس، ٢ج، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١م.
١١٢- الماوردي، على بن محمد بن حبيب (توفي سنة ٤٥٠ هـ)
"الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨.
١١٣- المبرد، محمد بن يزيد (توفي سنة ٢٨٥ هـ)

"الكامل في الأدب" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ٤ج، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٦م.

١١٤- المرتضى، على بن الحسين (توفي سنة ٤٣٦ هـ)

" أمالي المرتضي" تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٤م.

١١٥- المسعودي، على بن الحسين (توفي سنة ٣٤٦هـ)

"مروج الذهب ومعادن الجوهر" ٤ ج، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥م.

"التنببه والإشراف" مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٥م.

١١٦- ابن مسكويه، أبو على أحمد بن محمد (توفي سنة ٤٢١ هـ)

"تجارب الأمم" تقديم : ليوكيتاني، ج١، ليدن ١٩٠٩م.

١١٧- مسلم بن الحجاج النيسابوري (توفي سنة ٢٦١ هـ)

"صحيح مسلم" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥ج، الطبعة الأولى، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٩٥م.

١١٨- المقدسي، محمد بن أحمد (توفي سنة ٢٨٧ هـ)

" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" تحقيق: دي خويه، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٦م.

١١٩- المقدسي، مطهر بن طاهر (توفي سنة ٣٢٢هـ)

"البدء والتاريخ" تحقيق: كلمان هوار، ٦ج، باريس ١٩١٦م.

١٢٠- المقري، أحمد بن محمد بن على الفيومي (توفي سنة ٧٧٠ هـ)

" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" تحقيق: إحسان عباس، ٨ج، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

١٢١- المقريزي، تقي الدين أحمد بن على (توفي سنة ٨٤٥ هـ)

"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية" ٣ج، دار التحرير لطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

١٢٢ – المناوي، محمد عبد الرؤف بن تاج (توفي سنة ١٠٣١ هـ)

"النقود والمكاييل والموازين، تحقيق رجاء السامرائي دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.

١٢٣– ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (توفي سنة ٧١١ هـ)

"لسان العرب" ١٥ ج، دار صادر، بيرت ١٩٦٨م.

١٢٤ – النووي، محيي الدين بن شرف (توفي سنة ٦٧٦ هـ)

"مغني المحتاج في معرفة الفاظ المنهاج" شرح: محمد الشربيني الخطيب، ٤ج، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٥٨م

"تهذيب الأسماء واللغات" ٢ج، نشر إدارة المطبعة المنيرية، القاهرة، (ب.ت)

١٢٥ – النويري، أحمد بن عبد الوهاب (توفي سنة ٧٣٣ هـ)

" نهاية الأرب في فنون الأدب" ٢٠ ج، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٣م.

١٢٦ – ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري (توفي سنة ٢١٨هـ)

"تهذيب السيرة النبوية" تحقيق" مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، ٤ج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٣٦م.

١٢٧ – أبو هلال العسكري (توفي حوالي ٣٩٥ هـ)

"الأوائل": تحقيق محمد المصري ووليد قصاب، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.

١٢٨– الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (توفي سنة ٣٣٤هـ)

"الأكليل" ج١، تحقيق: أوسكار لوفرجين، بريل، ليدن ١٩٥٤م.

ج٢، تحقيق: محمد بن على الأكوع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٦م.

ج٨، تحقيق: أنستاس ماري الكرملي، مطبعة السريان الكاثوليك، بغداد ١٩٣١م.

ج١٠، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٦٨هـ

١٢٩– الهمداني، محمد بن أبي عثمان الحازمي، (توفي سنة ٥٨٤هـ)

"عجالة المبتدي وفضالة المنتهى في النسب" تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٦٥م.

١٣٠- الواقدي، محمد بن عمر (توفي سنة ٢٠٧ هـ)

"كتاب المغازي" تحقيق: مارسدن جونسن ٣ح، عالم الكتب، بيروت. عن طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م.

١٣١ - وكيع، محمد خلف بن حيان (توفي سنة ٣٠٦هـ)

"أخبار القضاه، عالم الكتب، بيروت.

١٣٢ - ابن وهب، أبو الحسين اسحق بن ابراهيم (توفي سنة ٣٣٧ هـ)

"البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد ١٩٦٧.

١٣٣- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن على (متوفي سنة ٧٦٨ هـ)

"مرآن الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان" الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٧٧هـ.

١٣٤ - ياقوت الحموي، (توفي سنة ٦٢٦ هـ)

"معجم البلدان " ٦ج، منشورات مكتبة الأسدي، طهران ١٩٦٥م.

١٣٥- يحيى بن آدم القرشي (توفي سنة ٢٠٣ هـ)

"الخراج" تحقيق: أحمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

١٣٦- اليزيدي، محمد بن العباس (توفي سنة٣١٠هـ)

"الأمالي" الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٣٨م.

١٣٧- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (توفي سنة ٢٨٤ هـ)

"تاريخ اليعقوبي" ٢ج، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.

"البلدان" ليدن ١٩٨٢م.

"مشاكلة الناس لزمانهم" تحقيق: وليم ميلورد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٦٢م.

١٣٨- أبو يعلي، محمد بن الحسين الفراء (توفي سنة ٤٥٨ هـ)
"الأحكام السلطانية" صححه وعلق عليه: محمد حامد الفيقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.
١٣٩- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهم (توفي سنة ١٨٣هـ)
"الخراج" دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.
١٤٠- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري)
"الأمامة والسياسة" تحقيق: سعيد صالح ،الجامعة الأردنية، عمان ١٩٧٨م.
١٤١- مؤلف مجهول(من القرن الخامس الهجري)
"تاريخ الخلفاء " نشر بطرس غرياز نيوييج، موسكو ١٩٦٧م.
١٤٢- مؤلف جهول (من القرن الثالث الهجري)
"أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده " تحقيق: عبد العزيز الدوري. وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١م.
١٤٣- مؤلف مجهول،
"العيون والحدائق في أخبار الحقائق" تحقيق: دي غويه، ج٣، مطبعة بريل، ليدن ١٨٧١م.

ج- المراجع

حسن، إبراهيم حسن

- النظم الإسلامية، مكتبة النضهة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٩م.
- تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٦٤م.

الأسد ، ناصر الدين

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية١٩٦٢م.

اسكندر ، توفيق

- بحوث في التاريخ الاقتصادي، القاهرة ١٩٦١.

الاشوري، أدي شير

- الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٨.

الإعظمي ، علي

- مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد ١٩٢٧.

أمين، أحمد

- فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٩٦٥م.

بارتولد، ف

- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٥٨م.

البراقي، حسين بن أحمد

- تاريخ الكوفة، طبع بإشراف محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٣م.

بروكلمان، كارل

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين الطبعة الثانية، بيروت ، ١٩٥٣م.

الجمال، محمد عبد المنعم

- موسوعة الاقتصاد الإسلامي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠.

الجنابي، كاظم.

- تخطيط مدينة الكوفة– مطابع دار الجمهورية، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٦٧م.

جودة ، جمال

- العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الشركة العربية، عمان ١٩٧٩م.

حتي، فيليب

- تاريخ العرب مطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٦٥م.

حسن ، زكي محمد

- الفن الإسلامي في مصر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.

الحسيني، محمد باقر

- تطور النقود العربية الإسلامية، مطبعة دار الجاحظ، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٦٩.

- العملة الإسلامية في العصر الأتابكي، مطبعة دار الجاحظ، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٦٦م.

حماده، محمد ماهر

- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٣م.

الحياري، مصطفى

- الإمارة الطائية في بلاد الشام، وزارة الثقافة والشباب، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٧٧م.

الخربوطلي، علي حسني

- تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

دكسن، عبد الأمير محمد

- الخلافة الأموية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٣م.

الدوري، عبد العزيز
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهري، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٤م.
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠م.
- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٢م.
- النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ١٩٥٠م.
- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٠م.
- التكوين التاريخي للأمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

دينيت، دانيال
- الجزية والإسلام، ترجمة فوزي فهيم جاد الله، مكتبة الحياة، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٦٠م.

الراوي، ثابت اسماعيل
- العراق في العصر الأموي، مطابع النعمان، الطبعة الثانية النجف، ١٩٧٠م.

الريس، ضياء الدين
- عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، مطابع سجل العرب، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.

الزهراني، ضيف الله يحيي
- موارد بيت المال في العراق خلال العصر العباسي الأول، جامهة الملك عب العزيز، مكة١٩٨١.

زيدان، جرجي
- تاريخ التمدن الإسلامي، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.

سالم ، السيد عبد العزيز

- تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية. ١٩٧٣م

سعداوي، نظير حسان

- نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مصر للطباعة. الأسكندرية. ١٩٥٣م

شلبي، أحمد

- السياسة والاقتصاد في التفكر الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثالثة. القاهرة، ١٩٧٤م.

الصالح، صبحي

- النظم الإسلامية، دار العلم للملاين، الطبعة الثانية، بيروت. ١٩٦٨م

صفوت ، أحمد زكي

- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٧م.

الطرابلسي، نوفل

- صناحة الطرب في تقدمات العرب، دار الرائد العربي. الطبعة الثانية. بيروت. ١٩٨٢م.

العدوي، إبراهيم أحمد

- النظم الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م.

العجلاني، منير

- عبقرية الإسلام في أصول الحكم، مطبعة النضاف. دمشق.

العش، يوسف

- الدولة الأموية ، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٥م

العلي ، صالح أحمد

- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٩م.

- امتداد العرب في صدر الإسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي. بغداد. ١٩٨١م

علي ، جواد

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايـين، بـيروت ومكتبـة النهضـة ببغداد، الطبعة الثانية، ٧ج، بيروت، ١٩٧٦م.

علي ، محمد كرد

- الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٤م.

علي، سيد أمير

- مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، درا العلـم للملايـين، الطبعـة الأولى بيروت، ١٩٦١م.

لعنيسي ، طوبيا

- تفسير الألفاظ الداخلية في اللغة العربية، دار العرب، القاهرة، ١٩٦٥.

عمر، فاروق

- طبيعة الدعوة العباسية دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٠م

روج، عمر

- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

لهاوزن ، يوليوس

- تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، لجنة التأليف والترجمـة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م.

لوتن، فإن

-السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم حسـن محمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية والمطبعة السنية المحمدية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦م.

يصل شكري

- المجتمعات الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت.

بهمي عبد الرحمن

- النقود العربية ماضيها وحاضرهـا، المؤسسـة المصريـة للتـأليف والترجمـة، القـاهرة، ١٩٦٤م.

- صنج السكة في فجر الإسلام، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٥٧م.

كاشف ، سيده اسماعيل

- مصر في فجر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.

- الوليد بن عبد الملك ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.

- عبد العزيز بن مروان، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٦م.

كاهن ، كلود

- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٢م.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير

- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية،المطبعة الوطنية، الرباط، ١٣٤٦م.

كريستنس، آرثر

- إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيي الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

كريمر، فون

- الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، ترجمة طه بدر، دار الفكر العربي، القاهرة.

الكساسبه، حسين فلاح

- المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية، المطبعة الوطنية، عمان ١٩٩٢.

الكرملي، أنستاس ماري

- النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية ، القاهرة، ١٩٣٩م.

متز ، آدم

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ، بيروت، ١٩١٧م.

المنجد ، صلاح الدين

- دراسات في الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٢م

النقشبندي، أسامة ناصر

- الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٤م.

النقشبندي، ناصر السيد محمود

- الدينار الأموي والعباسي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣م.

هنتس، فالثر

- المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

اليوزبكي، توفيق سلطان

- دراسات في النظم العربية الإسلامية، الطبعة الثانية، جامعة الموصل، ١٩٧٩م.

المراجع الأجنبية:

Lane Polle, s.
Catalogur of Arabic Coins in the Khedivial Libry- Cairo quarith 1897.

Serjeant R B
Islamic Textiles, Material for A history up to the Mongol Conquest, Beirut, 1972.

Walker, j; a catalogue of the Arab- Sassanian coins, (London 1941)

Walker, J; Catalogue of Muhamadan Coins in the British Museum (London 956)

المقالات

جوزي، بندلي

- الجزية والخراج، مجلة المشرق، ج٢، لسنة ٢٩، بيروت، ١٩٣١م.

حسن . زكي محمد

- المنسوجات الإسلامية المصرية، مجلة الرسالة، المجلد الأول، العدد ١٠٢، القاهرة، ١٩٣٥م.

الحسيني، محمد باقر

- دراسات وتحقيقات إسلامية عن نقود الثوار والدعاية والشعارات، مجلة المسكوكات، العدد ٥ ، بغداد، ١٩٧٤م.

الحمارنة، صالح

- دور الأنباط في الفتوحات الإسلامية، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية، المجلد السابع، العدد (حزيران، الجامعة الأردنية، ١٩٨٠م).

- روح بن زنباع من رجالات الدولة الأموية، مجلة أفكار، العدد ٥٢، عمان، ١٩٨١م.

الدوري، عبد العزيز

- العرب والأرض في بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر (بحوث قدمت في المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) الجامعة الأردنية، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٤م.

- "نشأة الثقافة العربية الإسلامية" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٨م.

سركيس، يوسف

- النقود العربية القديمة، المقتطف، المجلد ٤٩، القاهرة، ١٩١٦م

سليمان ، عيسى

- المسكوكات المصورة، مجلة المسكوكات، العدد ١-٢، بغداد، ١٩٦٩م.

- درهم نادر للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، مجلة سومر، مجلد ٢٦. ج١-٢، بغداد، ١٩٧٠م.

شريف، حكمت

- خواتم الخلفاء، مجلة المقتطف، المجلد ٢٨، ج٢، القاهرة، ١٩٠٣م.

العش، محمد أبو الفرج

- النقود العربية الإسلامية مصدر وثائقي للتاريخ والفن، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر (بحوث قدمت في المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام)، الجامعة الأردنية ، الدار المتحدة، بيروت، ١٩٧٤م.

القزاز، وداد على

- النقود الإسلامية المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، مجلة سومر ، المجلد ٢٤، العدد ١-٢ ، بغداد ١٩٦٨م.

نصار، حسين

- أدب المراسلات في العصر الأموي، عالم الفكر، المجلد ١٤، العدد ٣، الكويت ١٩٨٤م.

قالات في دائرة المعارف الإسلامية، منشورات جهان، طهران (د٠ت)

Encyclopedia of Islam

Band	Vol	1	1960
Diwan	Vol	11	1965
Jyraz	Vol	IV	1934

JESHO (Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. II

المحتويات

هذا الكتاب

يرصد البدايات الأولى لنشأة الدواوين الإسلامية بدءاً بالخلافة الراشدة وانتهاء بالدواوين التي انتشرت في عهد الأمويين.

ويجيء ترحيبنا بهذا البحث لحداثته من جهة، وامتلاك الباحث الأدوات التي مكنته من الإحاطة بجوانب الموضوع من جهة ثانية، يضاف إلى ذلك وفرة المصادر وغناها وتنوعها فجاءت محصلة ذلك كله جهداً علمياً لا يملك المرء تجاهه غير الرغبة في كشف معالم الصورة التي سعى الباحث إلى رسمها في هذا الكتاب.

إصدارات

مركز زايد للتراث والتاريخ
ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY
[illegible]
P.O. Box 23888 Al Ain - U.A.E. Tel: 971 3 [illegible] Fax: 971 3 [illegible]